مكتبة قطر الوطنية
QATAR NATIONAL LIBRARY

This PDF was generated on 05/01/2017 from online resources as part of the Qatar Digital Library's digital archive.

The online record contains extra information, high resolution zoomable views and transcriptions. It can be viewed at:
http://www.qdl.qa/en/archive/qnlhc/12964

Reference	12964
Title	Lamp of Kings
Date(s)	1888/1889 (CE, Gregorian)
Written in	Arabic in Arabic
Extent and Format	93 items
Holding Institution	Qatar National Library Heritage Collection
Copyright for document	Creative Commons Attribution Licence

About this record

Sirāj al-mulūk (Lamp of kings) is by Muḥammad ibn al-Walīd al-Ṭurṭūshī, a Maliki imam also known as Ibn Abū Zandaqa. Al-Ṭarṭūshī was born in Tortosa in Catalonia (in what was then al-Andalus, present-day Spain) in 1059 or 1060. He died in Alexandria, Egypt in 1126 or 1127. The topic of the Sirāj al-mulūk, his most famous work, is political theory. The present edition was published in 1888−89 by Maṭba‘at al-khayrīyah in Cairo. According to Kitāb iktifā' al-qanū‘ bimā huwa matbu‘ min ashhar al-ta'ālīf al-arabīya fī al-maṭābi‘ al-sharqīya wa al-gharbīya (Contentment of the seeker regarding the most famous Arabic compositions printed by Eastern and Western printing presses), a bibliographic dictionary of Arabic literature published by Edward Van Dyck in 1896, an earlier print edition of this work was made in Alexandria in 1872 or 1873. Included in the margins of this work is the text of al-Tibr al-mabsuk fī naṣā'iḥ al-mulūk (The golden ingot of advice for kings), a translation from Persian into Arabic of al-Ghazzālī's Naṣīhat al-mulūk (Advice for kings). Born in Ṭūs, Persia (present-day Iran), in 1058, al-Ghazzālī was one of the foremost intellectual luminaries of the Islamic world. However, the authorship of a fair amount of the Naṣīhat al-mulūk has been called into question on stylistic and other grounds.

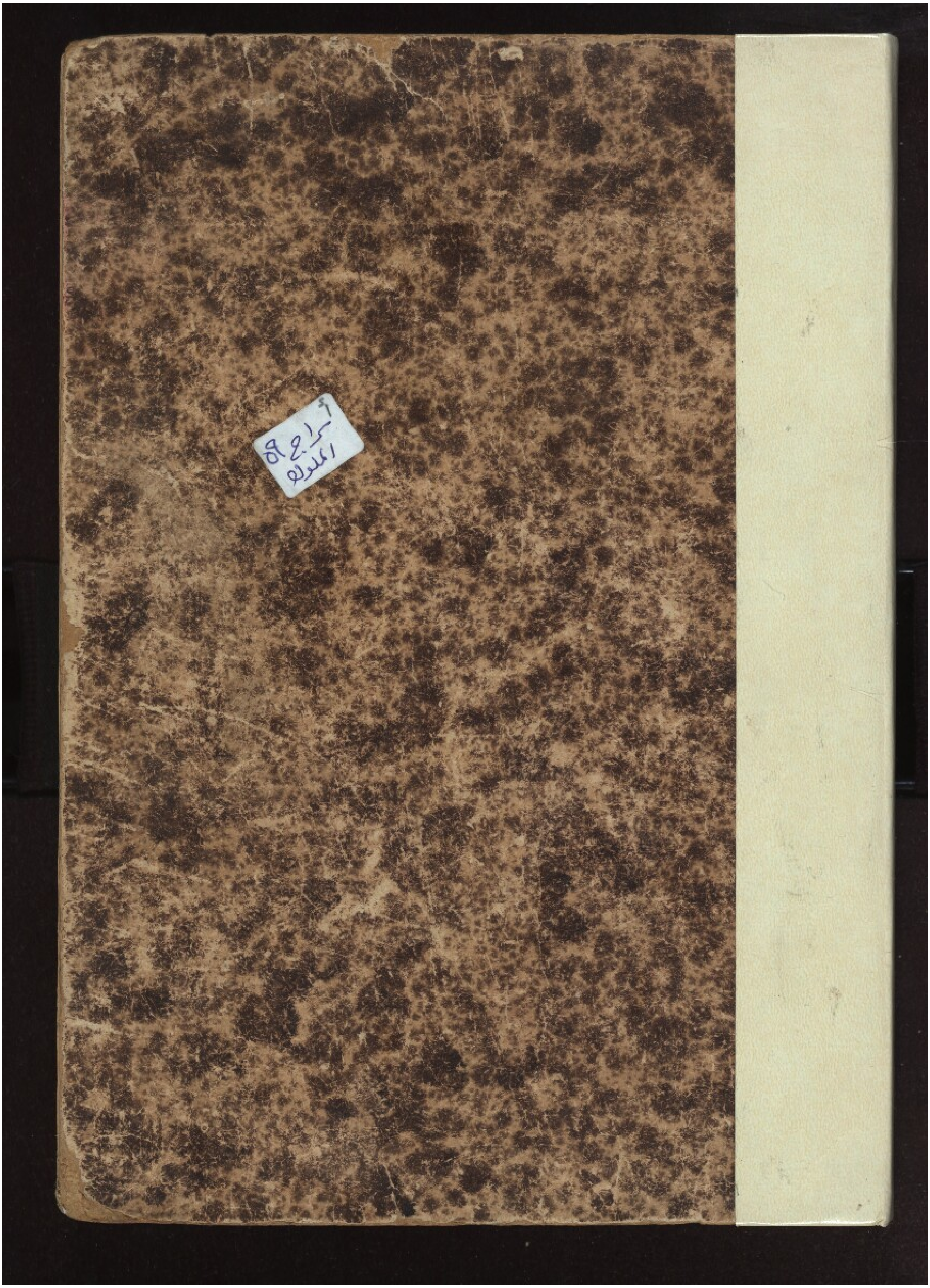

Reference: 12964. Copyright for this page: Creative Commons Attribution Licence
View on the Qatar Digital Library: http://www.qdl.qa/en/archive/qnlhc/12964.1

c/co/ic
63539

Reference: 12964. Copyright for this page: Creative Commons Attribution Licence

View on the Qatar Digital Library: http://www.qdl.qa/en/archive/qnlhc/12964.3

بتاريخ ١٠ كـ ... بنمه غورى ١٤

هذا لدعا المباركه

مدو اضب على خزائنه وكان فقيراً اغناه الله تعالى روي عن ابن عباس انه قال فيها فوايد كثيرة ...

فقيل عن ابن عباس رضي الله عنه قال قرات هذه الصورة المعظمة المبجلة وكنت فقيرًا فاغناني الله

تعالى وقال ايضًا ان هذه الصورة افضل صورة في الزبور من قراها رفعه الله فوق الناس

ورضي عنه في الدنيا والاخرة وان كان عبداً اعتقه الله تعالى وان كان سقيما

شفاه الله تعالى وان كان خايفا من السلطان امنه الله تعالى

وسائل حاجة قضاها الله اسرع من طرفة عين

وكان داود عليه السلام اذا اصابه كربة من الكروب

قراها ثم يسجد فلا يرفع راسه من السجود

حتى يرفع الله عنه تلك الكربة ويجيبه

وكانت هذه الصورة بالسريانيه

فنظمها عبد الله بن عمرو وهذه

الصورة في الزبور مثل الرحمن في القران العظيم وبالله التوفيق

٨٧/١٠٢/٥

بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك من تعالى في علاه … يقل للعبد فاطلبني تجدني

انا الجبار خلاق البرايا … انا المنان فاطلبني تجدني

انا الحنان رازق كل شي … انا القهار فاطلبني تجدني

انا الرب الخبير يا عبدي … انا المعروف فاطلبني تجدني

انا الله الغفور لكل ذنب … انا الفتاح فاطلبني تجدني

انا الهادي البديع فليس قبلي … لرفع الهم فاطلبني تجدني

انا المعطي الجزيل من العطايا … انا الوهاب فاطلبني تجدني

انا الرحمن لا رحمن غيري … انا المولى فاطلبني تجدني

انا الله المذل لمن عصاني … انا الغفار فاطلبني تجدني

انا الله المصور كل شيء … انا التواب فاطلبني تجدني

انا منشي السحاب مسخرات … بما المزن فاطلبني تجدني

انا باني السما بغير عمد … وداحي الارض فاطلبني تجدني

انا الباقي اذا افنيت خلقي … انا الخلاق فاطلبني تجدني

انا القاضي ولا قاضي سوائي … ليوم الفصل فاطلبني تجدني

انا الركن الوثيق لكل عبد … انا ملجاه فاطلبني تجدني

انا الجواد بالنعمه عليه … انا مولاه فاطلبني تجدني

انا كافي الارامل واليتامي … انا المقصود فاطلبني تجدني

انا الرب الرؤوف بكل خلقي … انا الموجود فاطلبني تجدني

انا الحنان والمنان حقا … انا السلطان فاطلبني تجدني

انا الله العظيم ازيل ستري … عن العاصين فاطلبني تجدني

انا الله العليم بكل شي … انا الوهاب فاطلبني تجدني

انا الله العظيم فلا سوائي … انا الرحمن فاطلبني تجدني

انا الله الصبور على عبادي … انا القدوس فاطلبني تجدني

انا الله السميع لمن دعاني … اجيب العبد فاطلبني تجدني

انا الله المسبح في سمائي … والارضين فاطلبني تجدني

تجدني في سجودك حين تدعو … قريبا منك فاطلبني تجدني

تجدني فوق عرشي ليس تخفي … علي السر فاطلبني تجدني

Reference: 12964. Copyright for this page: Creative Commons Attribution Licence

View on the Qatar Digital Library: http://www.qdl.qa/en/archive/qnlhc/12964.4

تجدني اذ قصدت الي عبدي　　عظيم الصفح فاطلبني تجدني
تجدني ان غفرت لك المعاصي　　وتبت عليك فاطلبني تجدني
تجدني في الشدايد حين تدعو　　افرج عنك فاطلبني تجدني
اذا المظلوم قال اريد حقي　　اقول صدقت فاطلبني تجدني
الم اوجدك طفلا باقتداري　　الم ارزقك فاطلبني تجدني
الم ارشدك للاسلام دينا　　الم اهديك فاطلبني تجدني
الم احفظك بالقران عبدي　　وبالايات فاطلبني تجدني
الم اعطف اليك وانت عاصي　　الم استرك فاطلبني تجدني
الم ارزقك في بر وبحر　　الم احرسك فاطلبني تجدني
الم انجيك من كل الدوي　　الم اكفيك فاطلبني تجدني
الم اعطيك من رزقي كفاة　　الم اغنيك فاطلبني تجدني
الم ازجرك عن عصيان امري　　الم استرك فاطلبني تجدني
الم تعلم باني منك ادني　　مع القدسين فاطلبني تجدني
الم اويك في ظلم الدياجي　　الم انجيك فاطلبني تجدني
الم اشفيك يا عبدي سريعا　　الم ارحمك فاطلبني تجدني
الم ادنيك في الفردوس عبدي　　انا التواب فاطلبني تجدني
الم ينجيك يا عبدي سوايي　　من النيران فاطلبني تجدني
فمن مثلي واين يكون مثلي　　ولا مثلي فاطلبني تجدني
فانك سوف تسكن في جواري　　مع الابرار فاطلبني تجدني
واعطيك الكرام من الاماني　　مع الغفران فاطلبني تجدني
فلا تقطع معاملتي فاني　　عظيم الشان فاطلبني تجدني
انا الرب الذي لا رب غيري　　اقول للعبد فاطلبني تجدني
وان طلبت سوايي لم تجدني　　انا الموجود فاطلبني تجدني
انا المقصود ولا يقصد سوايي　　كثير العفو فاطلبني تجدني
انا الذي يخشي عذابي　　جميع الناس فاطلبني تجدني
انا الملك المهيمن جل قدري　　عظيم الملك فاطلبني تجدني
انا المعبود ولا يعبد سوايي　　انا الحنان فاطلبني تجدني
انا للعبد ارحم من اخيه　　ومن ابويه فاطلبني تجدني
تجدني في سحق الليل عبدي　　قريبا منك فاطلبني تجدني
تجدني في قيامك حين تدعو　　وحين جلست فاطلبني تجدني
تجدني راحما برا رحيما　　بكل الخلق فاطلبني تجدني

تجدني منتقما تابك مقيتا　　انا القهار فاطلبني تجدني
تجدني واسعا للخلق عبدي　　انا المذكور فاطلبني تجدني
اذا الملهوف ناداني لطيما　　اقل لبيك فاطلبني تجدني
اذا المضطر قال الا تراني　　نظرت اليه فاطلبني تجدني
اذا عبدي عصاني لم يجدني　　سريع الاخذ فاطلبني تجدني
فاذا هو تاب تبت اليه حتما　　انا التواب فاطلبني تجدني
ومن مثلي واين يكون مثلي　　وليس يكون فاطلبني تجدني
اتذكر ليلة ناديت سرا　　الم اسمعك فاطلبني تجدني
هلم الي لا تقصد سوايي　　انا المنان فاطلبني تجدني
ساغفر للعباد ولا ابالي　　غدا في الحشر فاطلبني تجدني
فلا بد خلقك للفردوس غيري　　انا الغفار فاطلبني تجدني
اهل في الخلق من يعطي جزيلا　　سوايي قط فاطلبني تجدني
واكرم من اشاء بلا حساب　　انا الوهاب فاطلبني تجدني
فارحم من عصاني من عبادي　　بجهل منه فاطلبني تجدني
تراني لم ترى في الكون مثلي　　وليس يكون فاطلبني تجدني
اتعرف من له اسما كاسمي　　انا الرحمن فاطلبني تجدني
اتعرف منقذا للخلق غيري　　من الهلكات فاطلبني تجدني
اتعرف من يقل للشي غيري　　كن فيكون فاطلبني تجدني
اتعرف ساترا للعيب غيري　　انا الستار فاطلبني تجدني
انا الذي دايما لا شي مثلي　　انا الديان فاطلبني تجدني
انا ملك الملوك وكل ملك　　لي الملكوت فاطلبني تجدني
انا فني الدهور وكل ماهي　　وبعد الكل فاطلبني تجدني
انا الوهاب ما عندي كسريعا　　وفي العهد فاطلبني تجدني
انا الفرد المدبر فوق عرشي　　بلا تكليف فاطلبني تجدني

Reference: 12964. Copyright for this page: Creative Commons Attribution Licence
View on the Qatar Digital Library: http://www.qdl.qa/en/archive/qnlhc/12964.5

﴿فهرسة سراج الملوك﴾

صحيفة

٥ الباب الاول فى مواعظ الملوك

٢٤ الباب الثانى فى مقامات العلماء والصالحين عند الامراء والسلاطين

٣٢ الباب الثالث فيما جاء فى الولاة والقضاة وما فى ذلك من الغرر والخطر

٣٥ الباب الرابع فى بيان معرفة ملك سليمان بن داود عليهما السلام ووجه طلبه الملك وسؤاله أن لا يؤتى لاحد من بعده

٣٦ الباب الخامس فى فضل الولاة والقضاة اذا عدلوا

٣٨ الباب السادس فى ان السلطان مع رعيته مغبون غير غابن وخاسر غير رابح

٣٩ الباب السابع فى بيان الحكمة فى كون السلطان فى الارض

٤٠ الباب الثامن فى منافع السلطان ومضاره

٤٠ الباب التاسع فى بيان منزلة السلطان من الرعية

٤١ الباب العاشر فى بيان معرفة خصال ورد الشرع بها فيها نظام الملك والدول

٤٣ الباب الحادى عشر فى بيان معرفة الخصال التى هى قواعد السلطان ولا ثبات له دونها

٤٤ الباب الثانى عشر فى التنصيص على الخصال التى زعم الملوك أنها أزالت دولتهم وهدمت سلطانهم

٤٦ الباب الثالث عشر فى الصفات الرائبة التى زعم الحكماء أنه لا تدام معها مملكة

٤٧ الباب الرابع عشر فى الخصال المحمودة فى السلطان

٤٨ الباب الخامس عشر فيما يعز به السلطان

٤٨ الباب السادس عشر فى ملاك أمور السلطان

٤٩ الباب السابع عشر فى خير السلطان وشر السلطان

٤٩ الباب الثامن عشر فى منزلة السلطان من القرآن

٥٠ الباب التاسع عشر فى خصال جامعة لامر السلطان

٥١ الباب الموفى عشرين فى الخصال التى هى أركان السلطان

٥١ الباب الحادى والعشرون فى بيان حاجة السلطان الى العلم

٥٣ الباب الثانى والعشرون فى وصية أمير المؤمنين على بن أبى طالب

٥٣ الباب الثالث والعشرون فى العقل والدهاء والخبث

٥٦ الباب الرابع والعشرون فى الوزراء وصفاتهم والجلساء وآدابهم

٥٩ الباب الخامس والعشرون فى الجلساء وآدابهم

٦٠ الباب السادس والعشرون فى بيان معرفة الخصال التى هى جمال السلطان

٦٣ الباب السابع والعشرون فى المشاورة والنصيحة

٦٥ فصل فى النصيحة

٦٦ الباب الثامن والعشرون فى الحلم

٧٠ الباب التاسع والعشرون فيما يسكن الغضب

٧٣ الباب الثلاثون فى الجود والسخاء الخ

٧٧ الباب الحادى والثلاثون فى بيان الشح والبخل وما يتعلق بهما

٧٨ الباب الثانى والثلاثون فى الصبر

صحيفة

٧٩ فصل فى أقسام الصبر

٨٣ الباب الثالث والثلاثون فى كتمان السر

٨٥ الباب الرابع والثلاثون فى بيان الخصلة التى هى رهن بسائر الخصال وزعيم بالمزيد من النعماء والآلاء من ذى الجلال

٨٦ فصل فى شكر اللسان

٨٧ فصل فى الشكر على الجوارح

٨٧ فصل فى الكلام على الزيادة

٩٠ الباب الخامس والثلاثون فى بيان السيرة التى يصلح عليها الامير والمأمور ويستريح اليها الرئيس والمرؤس مستخرجة من القرآن العظيم

٩٢ الباب السادس والثلاثون فى بيان الخصلة التى فيها غاية كمال السلطان وشفاء الصدور وراحة القلوب وطيبة النفوس

٩٢ الباب السابع والثلاثون فى بيان الخصلة التى فيها ملجأ الملوك عند الشدائد ومعقل السلاطين عند اضطراب الامور وتغير الوجوه والاحوال

٩٣ الباب الثامن والثلاثون فى بيان الخصال الموجبة لذم الرعية للسلطان

٩٣ الباب التاسع والثلاثون فى مثل السلطان العادل والجائر

٩٣ الباب الموفى أربعين فيما يجب على الرعية اذا جار السلطان

٩٤ الباب الحادى والاربعون فى كما تكونوا يولى عليكم

٩٥ الباب الثانى والاربعون فى بيان الخصلة التى تصلح بها الرعية

٩٦ الباب الثالث والاربعون فيما علك السلطان من الرعية

٩٧ الباب الرابع والاربعون فى التحذير من صحبة السلطان

٩٨ الباب الخامس والاربعون فى صحبة السلطان

٩٩ الباب السادس والاربعون فى سيرة السلطان مع الجند

١٠٠ الباب السابع والاربعون فى سيرة السلطان فى استيفاء الخراج

١٠٠ الباب الثامن والاربعون فى سيرة السلطان فى بيت المال

١٠٣ فصل يتضمن مبلغ ما كان يستخرج لفرعون يوسف من أموال مصر

١٠٥ الباب التاسع والاربعون فى سيرة السلطان فى الانفاق من بيت المال وسيرة العمال

١٠٨ الباب الموفى خمسين فى سيرة السلطان فى تدوين الدواوين وفرض الارزاق وسيرة العمال

١١٠ الباب الحادى والخمسون فى أحكام أهل الذمة

١١١ فصل فى نقض الذمى العهد

١١٢ فصل فى تقدير الجزية

١١٢ الباب الثانى والخمسون فى بيان الصفات المعتبرة فى الولاة

١١٤ الباب الثالث والخمسون فى بيان الشروط والعهود التى تؤخذ على العمال

١١٦ الباب الرابع والخمسون فى هدايا العمال والرشا على الشفاعات

١١٧ الباب الخامس والخمسون فى معرفة حسن الخلق

١٢١ فصل فى الفرق بين المداهنة والمداراة

١٢١ الباب السادس والخمسون فى الظلم وشؤمه وسوء عاقبته

Reference: 12964. Copyright for this page: Creative Commons Attribution Licence

View on the Qatar Digital Library: http://www.qdl.qa/en/archive/qnlhc/12964.6

صحيفة

١٣٥ الباب السابع والخمسون فى تحريم السعاية والنميمة وقبحهما ومايؤل اليه أمرهما من الافعال الرديئة والعواقب الذميمة

١٢٨ الباب الثامن والخمسون فى القصاص وحكمته

١٣٠ الباب التاسع والخمسون فى الفرج بعد الشدة

١٣٨ الباب الستون فى بيان الخصلة التى هى أم الخصال وينبوع الفضائل ومن فقدها لم يكمل فيه خصلة وهى الشجاعة ويعبر عنها بالصبر ويعبر عنها بقوة النفس

١٤٠ الباب الحادى والستون فى ذكر الحروب وتدبيرها وحيلها وأحكامها

١٤٧ الباب الثانى والستون فى القضاء والقدر والتوكل والطلب

١٥٠ الباب الثالث والستون وهو جامع من أخبار ملوك العجم وحكاياتهم الخ

١٥٥ فصل من نوادر بزرجمهر الخ

١٥٦ فصل ومن حكم شاناق السندى الخ

١٥٧ فصل قال غيره لا ينبغى للملك أن يكون له أيام معلومة يظهر فيها الخ

١٥٧ فصل من نوادر كلام العرب من حكم أكثم بن صيفى الخ

١٥٩ الباب الرابع والستون مشتمل على حكم منثورة

﴿تمت﴾

سراج الملوك للامام العالم العلامة الثبت الثقة الحجة الفهامة العارف بالله أبى بكر محمد بن محمد ابن الوليد الفهرى الطرطوشى المالكى رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

﴿وبهامشه كتاب التبر المسبوك فى نصائح الملوك﴾

﴿وقال صاحب كشف الظنون﴾

سراج الملوك لابى بكر الطرطوشى المالكى المتوفى سنة ٥٢٠ جمعه من سير الانبياء وآثار الاولياء ومواعظ العلماء وحكمة الحكماء ونوادر الخلفاء ورتبه ترتيبا أنيقا فاسمع به ملك الااستكتبه ولا وزير الااستصحبه يستغنى الحكيم بمدارسته عن مباحثة الحكماء والملك عن مشاورة الوزراء وذكر فيه الامير أبا عبد الله الاموى وأبوابه أربعة وستون بابا

وقال أيضا التبر المسبوك فى نصائح الملوك فارسى للامام أبى حامد محمد بن محمد الغزالى المتوفى سنة ٥٠٥ ألفه للسلطان محمد بن ملكشاه السلجوقى ثم عربه بعضهم

﴿الطبعة الاولى﴾
﴿بالمطبعة الخيرية المنشأة بجمالية مصر﴾
﴿المحمية سنة ١٣٠٦ هجريه﴾

Reference: 12964. Copyright for this page: Creative Commons Attribution Licence

View on the Qatar Digital Library: http://www.qdl.qa/en/archive/qnlhc/12964.7

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى لم يزل ولا يزال وهو الكبير المتعال خالق الاعيان والآثار ومكوّر النهار على الليل والليل على النهار العالم بالخفيات وما انطوى عليه الارضون والسموات سواء عنده الجهر والاسرار ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير خلق الخلق بقدرته وأحكمهم بعلمه وخصصهم بمشيئته ودبرهم بحكمته لم يكن له فى خلقهم معين ولا فى تدبيرهم مشير وظهير وكيف يستعين من لم يزل بمن لم يكن أو يستظهر من تقدس عن الذل بمن دخل تحت ذل التكوين ثم كافهم معرفته وجعل علم العالمين بعجزهم عن ادراكه ادراكالهم ومعرفة العارفين بتقصيرهم عن شكره شكرا لهم كما جعل اقرار المقربين بوقوف عقولهم عن الاحاطة بحقيقته ايمانا لهم لا يلزمه لم ولا يجاوزه اين ولا يلاصقه حيث ولا يحده ما ولا يعده كم ولا يحصره متى ولا يحيط به كيف ولا يناله أى ولا يظله فوق ولا يقله تحت ولا يقابله حد ولا يزاحمه عند ولا يأخذه خلف ولا يحده أمام ولم يظهره قبل ولم يعينه بعد ولم يجمعه كل ولم يوجده كان ولم يفقده ليس وصفه لا صفة له وكونه لا أمد له ولا تخالطه الاشكال والصور ولا تغيره الايام والغير ولا تجوز عليه المماسة والمقاربة وتستحيل عليه المحاذاة والمقابلة ان قلت لم كان فقد سبق العلل ذاته ومن كان معلولا كان له غيره علة يسابقه فى الوجود وهو قبل جميع الاعيان بلا علة فقدرة الله فى الاشياء بلا امتزاج وصنعه فيها بلا علاج وعلة كل شئ صنعه ولا علة لصنعه وان قلت أين هو فقد سبق المكان وجوده فمن أين الاين لم يفتقر وجوده الى أين هو بعد خلق المكان غنى بنفسه كما كان قبل خلق المكان وكيف يحل فيما منه بدا أو يعود اليه ما هو أنشا وان قلت ما هو فلا مائية لوجوده وما موضوعة للسؤال عن الجنس والقديم تعالى لا جنس له لان الجنس مخصوص بمعنى داخل تحت المائية وان قلت كم هو فهو أحد فى ذاته منفرد بصفاته وان قلت متى كان فقد سبق الوقت كونه وان قلت كيف هو فمن كيف الكيف لا يقال له كيف ومن جازت عليه الكيفية جاز عليه النعت وان قلت هو فالهاء والواو خلقه بل ألزم الكل الحدث كما قال بعض الاشياخ لان

القدم

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله على انعامه وافضاله * والصلاة على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين * أما بعد فانه سألنى بعض الكبراء أن أنقل هذا الكتاب وهو كتاب نصيحة الملوك من اللغة الفارسية * الى الالفاظ العربية * فامتثلت ذلك ونقلته على ترتيبه وصورته * ولم أغير شيأ من وضع الكتاب وصيغته * واجتهدت فى تسهيل عباراته * وايضاح اشاراته * قصد الاستعمال الكلام * ليكون أقرب الى الافهام * بقدر ما بلغته بلاغته * وأفصحت عنه فصاحته * وما توفيق الا بالله عليه توكلت واليه انيب * (قال) الشيخ الامام شرف الائمة أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى رحمه الله * وهو مخاطب السلطان محمد بن ملكشاه رحمه الله (اعلم) يا سلطان العالم وملك المشرق والمغرب ان الله أنعم عليك نعما ظاهرة * وآلاء متكاثرة * يجب عليك شكرها * ويتعين عليك اذاعتها ونشرها * ومن لم يشكر نعم الله جل ثناؤه * وتقدست أسماؤه * فقد عرض تلك النعم الزوال * وخجل من تقصيره

القدم له فالذى بالجسم ظهوره فالعرض يلزمه والذى بالاداة اجتماعه فقواها تمسكه والذى يؤلفه وقت يفرقه وقت والذى يقيمه غيره فالضر ورة تمسه والذى الوهم يطرقه فالتصوير يرتقى اليه ومن آواه محل أدركه أين ومن كان له جنس طالبه كيف وجوده اثباته ومعرفته توحيده وتوحيده تمييزه من خلقه ما تصور فى الاوهام فهو بخلافه لا تخايله العيون ولا تخالطه الظنون ولا تصوره الاوهام ولا تحيط به الافهام ولا يقدر قدره الانام ولا يحويه مكان ولا يقارنه زمان ولا يحصره امد ولا يسعه ولد ولا يجمعه عدد قربه كرامته وبعده اهانته علوه من غير توقل ومجيئه من غير تنقل هو الاول والآخر والظاهر والباطن القريب البعيد الذى ليس كمثله شئ وهو السميع البصير وأشهد له بالربوبية والوحدانية وبما شهد به لنفسه من الاسماء الحسنى والصفات العلى والنعت الاوفى ألا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين وأومن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله ونحن له مسلمون وأشهد أن محمدا عبده المصطفى وأمينه المرتضى أرسله الى كافة الورى بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا صلى الله عليه وعلى أهل بيته الطاهرين وأصحابه المنتخبين وأزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين (أما بعد) فانى نظرت فى سير الامم الماضية والملوك الخالية وما وضعوه من السياسات فى تدبير الدول والتزموه من القوانين فى حفظ الملل فوجدت ذلك نوعين أحكاما وسياسات فأما الاحكام المشتملة على ما اعتقدوه من الحلال والحرام والبيوع والاحكام والانكحة والطلاق والاجارات ونحوها والرسوم الموضوعة لها والحدود القائمة على من خالف شيأ منها فأمر اصطلحوا عليه بعقولهم ليس على شئ منه برهان ولا أنزل الله به من سلطان ولا أخذوه عن نذير ولا اتبعوا فيه رسولا وانما هى صادرة عن خزنة النيران وسدنة بيوت الاصنام وعبدة الانداد والاوثان وليس يعجز احد من خلق الله أن يصنع من تلقاء نفسه أمثالها وأشباهها وأما السياسات التى وضعوها فى التزام تلك الاحكام والذب عنها والحماية لها وتعظيم من عظمها واهانة من استهان بها وخالفها فقد ساروا فى ذلك بسيرة العدل وحسن السياسة وجمع القلوب عليها والتزام النصفة فيما بينهم على ما توجبه تلك الاحكام وكذلك فى تدبير الحروب وامن السبل وحفظ الاموال وصون الاعراض والحرم كل ذلك فقد ساروا فيه بسيرة جميلة لا ينافى العقول شئ منه لو كانت الاصول صحيحة والقواعد واجبة فكانوا فى حسن سيرتهم بحفظ تلك الاصول الفاسدة كمن زخرف كنيفا أو بنى على ميت قصرا منيفا

ولو لبس الحمار ثياب خز * لقال الناس يالك من حمار

فجمعت محاسن ما انطوى عليه سيرهم خاصة من ملوك الطوائف وحكماء الدول فوجدت ذلك فى ست من الامم وهم العرب والفرس والروم والهند والسند هند فأما ملوك الصين وحكماؤهم فلم يصل الى أرض العرب من سياساتهم شئ كثير لبعد الشقة وطول المسافة وأما من عدا هؤلاء من الامم فلم يكونوا أهل حكم بارعة وقرائح نافذة واذهان ثاقبة وانما صدر عنهم الشئ اليسير من الحكمة فنظمت ما ألفيت فى كتبهم من الحكمة البالغة والسير المستحسنة والكلمة اللطيفة والطريقة المألوفة والتوقيع الجميل والاثر النبيل الى ما رويته وجمعته من سير الانبياء عليهم السلام وآثار الاولياء وبراعة العلماء وحكمة الحكماء ونوادر الخلفاء وما انطوى عليه القرآن العزيز الذى هو بحر العلوم وينبوع الحكم ومعدن السياسات ومغاص الجواهر المكنونات ان اختصر فلمعة دالة واشارة خفية وان أطال فألفاظ بارعة وآيات معجزة هو الهادى من الضلالة والحاوى لمحاسن الدنيا وفضائل الآخرة (ورتبته) ترتيبا أنيقا وترجمته تراجم بارعة حاوية لمقاصدها ناطقة بحكمها ومضمونها يلج الاذن من غير اذن ويتولج التامور من غير استئمار الفاظها والبلغ معانيها ليس ألفاظها الى السمع بأسرع من معانيها الى القلب فانتظم الكتاب بحمد الله وعونه واحسانه غاية فى بابه غريبا فى فنونه وأسبابه خفيف المحمل كثير الفائدة لم يسبق الى مثله أقلام العلماء ولا جالت فى نظمه أفكار الفضلاء

يوم القيامة * وكل نعمة تفنى عند الموت فليس لها عند العاقل قدر * ولا عند اللبيب خطر * لان العمر وان تطاولت مدته لا ينفع طوله اذا انقضى أمده * وفنى عدده * فان نوحا عليه السلام عاش ألف سنة ونيفا ومنذ موته الى الآن ستة آلاف سنة وكأنه لم يكن فالقدر للنعمة التى تبقى على الدوام * وتدوم مدى الليالى والايام * وهى نعمة الايمان الذى هو بذر السعادة المؤبدة * والنعمة الخالدة * والله جلت قدرته قد خولك هذه النعمة وزرع بذر الايمان فى صفاء صدرك * وأودعه قلبك وسرك * ومكنك من تربية ذلك البذر وأمرك أن تسقيه بالطاعة حتى يصير شجرة أصلها فى قعر السفلى * وفرعها فى السموات العلى * كما قال عز من قائل ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء * واذا لم يثبت أصل شجرة الايمان ولم يكمل فرعها يخاف عليها من هبوب رياح الموت * وعواصف الفوت فتنقلع عند النفس الاخير فيبقى العبد والعياذ بالله بغير ايمان * ويلقى ربه بغير احسان * (واعلم) أيها الملك ان لهذه الشجرة عشرة أصول

Reference: 12964. Copyright for this page: Creative Commons Attribution Licence
View on the Qatar Digital Library: http://www.qdl.qa/en/archive/qnlhc/12964.8

ولا حوته خزائن الملوك والرؤساء فلا يسمع به ملك الا استكتبه ولا وزير الا استصحبه ولا رئيس الا
استحسنه واستوسده عصمة لمن عمل به من الملوك وأهل الرياسة وجنة لمن تحصن به من أولى الامر
والسياسة وجمال لمن تحلى به من أهل الآداب والمحاضرة وعنوان لمن فاوض به من أهل المجالسة
والمذاكرة (وسميته سراج الملوك) يستغنى به الحكيم بدراسته عن مباحثة الحكماء والملوك عن مشاورة
الوزراء (واعلموا) وفقكم الله ان أحق من أهديت اليه الحكم وأوصلت اليه النصائح وحملت اليه
العلوم من آتاه الله سلطانا فنفذ فى الخلق حكمه وجاز عليهم قوله (ولما رأيت) الاجل المأمون تاج
الخلافة عز الاسلام فخر الانام نظام الدين خالصة أمير المؤمنين أبا عبد الله محمد الاموى أدام الله
لاعزاز الدين نصره وأنفذ فى العالمين بالحق أمره وأوزع كافة الخلق شكره وكفاهم فيه محذوره وضره
فقد تفضل الله تعالى به على المسلمين فبسط فيهم يده ونشر فى مصالح أحوالهم كلمته وعرف الخاص
والعام يمنه وبركته وتقلد أمور الرعية وسار فيهم على أحسن قضية متحريا للصواب وراغبا فى الثواب
طالبا سبيل العدل ومناهج الانصاف والفضل رغبت ان أخصه بهذا الكتاب رجاء لطف الله تعالى
يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ولتذكر فضائله
ومحاسنه ما بقى الدهر كما قيل

الناس يهدون على قدرهم * لكننى أهدى على قدرى
يهدون ما يفنى وأهدى الذى * يبقى على الايام والدهر

فان العلم عصمة الملوك والامراء ومعقل السلاطين والوزراء لانه يمنعهم من الظلم ويردهم الى الحلم
ويصدهم عن الاذية ويعطفهم على الرعية فمن حقهم أن يعرفوا حقه ويكرموا حملته ويستبطنوا
أهله (وهذه) أبواب هذا الكتاب وعدتها أربعة وستون بابا الباب الاول فى مواعظ الملوك الباب الثانى
فى مقامات العلماء والصالحين عند الامراء والسلاطين الباب الثالث فيما جاء فى الولاة والقضاة وما
فى ذلك من الغرور والخطر الباب الرابع فى معرفة ملك سليمان بن داود وجه طلبه للملك وسؤاله أن
لا يؤتاه أحد من بعده الباب الخامس فى فضل الولاة والقضاة اذا عدلوا الباب السادس فى ان
السلطان مع رعيته مغبون غير غابن وخاسر غير رابح الباب السابع فى بيان الحكمة فى كون السلطان
فى الارض الباب الثامن فى منافع السلطان ومضاره الباب التاسع فى معرفة منزلة السلطان من
الرعية الباب العاشر فى معرفة خصال ورد الشرع بها قبها نظام الملك والدول الباب الحادى عشر فى
معرفة الخصال التى هى قواعد السلطان ولا ثبات له دونها الباب الثانى عشر فى معرفة الخصال التى
زعم الملوك انها أزالت دولتهم وهدمت سلطانهم الباب الثالث عشر فى معرفة الصفات الراتبة التى
زعم الحكماء انها لا تدوم معها مملكة الباب الرابع عشر فى الخصال المحمودة فى السلطان وقد اتفقت
الحكماء والعلماء عليها الباب الخامس عشر فى معرفة الخصال التى يعز بها السلطان الباب السادس
عشر فى معرفة الخصال التى هى ملاك أمور السلطان الباب السابع عشر فى معرفة خير السلطان
وشر السلطان الباب الثامن عشر فى معرفة منزلة السلطان من القرآن الباب التاسع عشر فى معرفة
خصال جامعة لامر السلطان الباب العشرون فى معرفة الخصال التى هى أركان السلطان الباب
الحادى والعشرون فى بيان حاجة السلطان الى العلم الباب الثانى والعشرون فى وصية أمير المؤمنين على
ابن أبى طالب رضى الله عنه لكميل بن زياد فى العلم الباب الثالث والعشرون فى معرفة العقل والدهاء
والمكر الباب الرابع والعشرون فى الوزراء وأوصافهم الباب الخامس والعشرون فى الجلساء وآدابهم
الباب السادس والعشرون فى معرفة الخصال التى هى جمال السلطان الباب السابع والعشرون فى
المشاورة والنصيحة الباب الثامن والعشرون فى الحلم ومحاسنه ومحمود عواقبه الباب التاسع والعشرون
فيما يسكن به الغضب الباب الثلاثون فى الجود والسخاء الباب الحادى والثلاثون فى معرفة الشح والبخل

وما

وعشرة فروع * فأصلها
الاعتقاد بالجنان * وفرعها
العمل بالاركان * وهذا
الداعى لما صادف القبول
من المجلس العالى شرح
هذه العشرة الاصول
وهذه العشرة فروع
ليشتغل سلطان العالم
بتربية هذه الشجرة *
وانما يصح له ذلك اذا أفرد
يوما من أيام الاسبوع
لعبادة ربه تعالى والاشتغال
فيه بعمل الآخرة * وهو
يوم الجمعة فانه عيد المؤمنين
* وفيه ساعة شريفة كل
من سأل الله تعالى فيها
حاجته بنية حاضرة *
وسريرة ظاهرة * فانه سل
ذكره يقضى حاجته * ولا
يخيب دعوته * وماذا عليك
اذا أفردت من سبعة أيام
يوما واحدا لخدمة ربك
فانه فى المثل لو كان لك عبد
وأمرته أن يشتغل فى كل
أسبوع يوما واحدا بخدمتك
لتهب له تقصيره فى الايام
الستة فتأمل ذلك العبد
كيف كان حاله عندك مع
أن العبد لست بخالقه
وانما هو عبدك مجازا *
وأنت أيها الملك مخلوق
للخالق تعالى وعبده
على الحقيقة فلم ترض من
نفسك ما لا ترضاه من
عبدك فانو الصيام من
ليلة الجمعة فان أضفت
اليه الخميس كان أولى وقم
يوم الجمعة صبحا واغتسل
والبس من الثياب ماله
ثلاث صفات * أحدها

وما يتعلق بهما الباب الثانى والثلاثون فى معرفة الصبر وجميل عواقبه الباب الثالث والثلاثون فى كتمان
السر ومحاسنه الباب الرابع والثلاثون فى بيان الخصلة التى هى رهن اسارة الخصال وزعيم بالمزيد من
الآلاء والنعماء من ذى الجلال وهى الشكر الباب الخامس والثلاثون فى بيان السيرة التى يصلح عليها
الامير والمأمور وتسهل صحبة الخلائق أجمعين الباب السادس والثلاثون فى بيان الخصلة التى فيها غاية
كمال السلطان وشفاء الصدور وراحة القلوب وطيبة النفوس الباب السابع والثلاثون فى معرفة
الخصلة التى هى ملجأ الملوك عند الشدائد ومعقل السلاطين عند اضطراب الممالك الباب الثامن
والثلاثون فى بيان الخصلة الموجبة لذم الرعية للسلطان الباب التاسع والثلاثون فى مثل السلطان
العادل والجائر الباب الاربعون فيما يجب على الرعية اذا جار السلطان الباب الحادى والاربعون
فى كما تكونوا يولى عليكم الباب الثانى والاربعون فى بيان الخصلة التى بها صلاح الرعية الباب الثالث
والاربعون فيما يملك السلطان من الرعية الباب الرابع والاربعون فى التحذير من صحبة السلطان
الباب الخامس والاربعون فى صحبة السلطان الباب السادس والاربعون فى سيرة السلطان مع الجند
الباب السابع والاربعون فى سيرة السلطان فى استجباء الخراج الباب الثامن والاربعون فى سيرة
السلطان فى الانفاق من بيت المال الباب التاسع والاربعون فى سيرة السلطان فى بيت المال الباب
الخمسون فى سيرة السلطان فى تدوين الدواوين وفرض الارزاق وسيرة العمال الباب الحادى
والخمسون فى أحكام أهل الذمة الباب الثانى والخمسون فى بيان الصفات المعتبرة فى الولاة الباب
الثالث والخمسون فى بيان الشروط والعهود التى تؤخذ على العمال الباب الرابع والخمسون فى هدايا
العمال والرشا على الشفاعات الباب الخامس والخمسون فى معرفة حسن الخلق الباب السادس
والخمسون فى الظلم وشؤمه وسوء عاقبته الباب السابع والخمسون فى السعاية والنميمة وقبحهما وما يؤول
اليه أمرهما من الافعال الرديئة والعواقب الذميمة الباب الثامن والخمسون فى القصاص وحكمته
الباب التاسع والخمسون فى الفرج بعد الشدة الباب الستون فى الشجاعة وثمرتها الباب الحادى
والستون فى الحروب وتدبيرها الباب الثانى والستون فى القضاء والقدر وأحكامهما الباب
الثالث والستون وهو جامع من أخبار ملوك العجم وحكاياتهم الباب الرابع والستون يشتمل على
حكم منثورة وهو آخر الكتاب وكمال الابواب

﴿الباب الاول فى مواعظ الملوك﴾

لقد خاب من كان حظه من الله الدنيا اعلم أيها الرجل وكذا ذلك الرجل ان عقول الملوك وان كانت كبارا
الا انها مشغوفة بكثرة الاشغال فيستدعى من الموعظة ما يتولج على تلك الافكار ويتغلغل فى مكامن تلك
الاسرار فيرفع تلك الاستار ويفك تلك الاكنة والاقفال ويصقل ذلك الصدأ والران قال الله تعالى
قل متاع الدنيا قليل فوصف الله تعالى جميع الدنيا بانها متاع قليل وأنت تعلم انك ما أوتيت من ذلك القليل
الا قليلا ثم ذلك القليل ان تمتعت به ولم تعص الله فيه فهو لهو ولعب قال الله تعالى انما الحياة الدنيا لهو
ولعب ثم قال وان الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون فلا تبع أيها العاقل لعبا قليلا يفنى بحياة
الا بد حياة لا تفنى وشباب لا يبلى كما قال الفضيل رحمه الله لو كانت الدنيا ذهبا يفنى وكانت الآخرة خزفا
يبقى لوجب ان نختار خزفا يبقى على ذهب يفنى فكيف وقد اخترنا خزفا يفنى على ذهب يبقى تأمل بعقلك هل
آتاك الله من الدنيا ما آتى سليمان بن داود عليهما السلام حيث آتاه ملك جميع الدنيا والانس والجن
والطير والوحش والريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب ثم زاده الله ما هو أعظم منها فقال تعالى هذا
عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب فوالله ما عدها نعمة كما عددتموها ولا حسبها رفعة ومنزلة كما حسبتموها
بل قال عند ذلك هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر وهذا فصل الخطاب لمن تدبر أن يقول له ربه
فى معرض المنة هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب ثم خاف سليمان عليه السلام أن يكون

أن يكون حلالا وأن
يكون مما تجوز فيه الصلاة
وأن لا يكون ابريسما فى
الصيف الدبيقى والقصب
والتورى والكتان وفى
الشتاء الخز والقطن
والصوف الرومى وكل ثوب
على غير هذه الصفة فان
الله تعالى لا يرضاه وصل
الصبح فى جماعة ولا تتكلم
الى أن تطلع الشمس ولا
تحول وجهك عن القبلة
وخذ السبحة فى يدك قل
لا اله الا الله محمد رسول
الله ألف مرة فاذا طلعت
الشمس فأمر قارئا يقرأ
عليك هذا الكتاب وكذلك
فليقرأ عليك فى كل
جمعة ليحصل فى محفوظك
فاذا فرغ القارئ من
الكتاب فصل أربع
ركعات وسبح الى وقت
الضحى فان ثواب هذه
الصلاة عظيم وخاصة
فى يوم الجمعة وبعد ذلك
ان كنت على تخت السلام
أو كنت فى الخلوة فقل
اللهم صل على محمد وعلى
آل محمد متواترا ومهما
قدرت أن تتصدق فى هذا
اليوم فتصدق واجعل
هذا اليوم لواحد من أيام
الاسبوع لله تعالى ليجعل
الله باقى الاسبوع لك ويكفر
عنك

﴿ابتداء قاعدة الاعتقاد
الذى هو أصل الايمان﴾

اعلم أيها السلطان انك
مخلوق ولك خالق وهو خالق

Reference: 12964. Copyright for this page: Creative Commons Attribution Licence
View on the Qatar Digital Library: http://www.qdl.qa/en/archive/qnlhc/12964.9

استدراجا من حيث لا يعلم هذا وقد قال لك ولسان أهل الدنيا فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون وقال وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين تأمل بعقلك ما روى عن النبي عليه السلام انه قال لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وألق سمعك الى ما نزل به جبريل عليه السلام من عند الله تعالى على محمد عليه السلام فقال يا محمد ان الله يقول لك عش ما شئت فانك ميت وأحبب من شئت فانك مفارقه واعمل ما شئت فانك مجزى به فانظر ما اشتملت عليه هذه الكلمات من تصرم العمر وفراق الاحبة والجزاء على الاعمال فلو لم ينزل من السماء غيرها لكانت كافية انظر بفهمك الى ما رواه الحسن ان النبي عليه السلام مر بمزبلة قوم قد ارتحلوا عنه واذا طلا مطروح فقال أترون هذا هان على أهله فقالوا من هوانه عليهم ألقوه قال فوالذى نفسى بيده للدنيا أهون على الله من هذا على أهله فجعل الدنيا أهون على الله من الجيفة المطروحة وقال أبو هريرة قال لى النبي عليه السلام ألا أريك الدنيا جميعا بما فيها قلت بلى قال فأخذ بيدى وأتى بى الى واد من أودية المدينة فاذا مزبلة فيها رؤس الناس وعذرات وخرق بالية وعظام البهائم ثم قال يا أبا هريرة هذه الرؤس كانت تحرص على الدنيا كحرصكم وتأمل آمالكم ثم هي اليوم تساقط جلدا بلا عظم ثم هي صائرة رمادا رمددا وهذه العذرات ألوان أطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبوها ثم قذفوها في بطونهم فأصبحت والناس يتحامونها وهذه الخرق البالية رياشهم ولباسهم ثم أصبحت والرياح تصفقها وهذه العظام عظام دوابهم التي كانوا ينتجعون عليها أطراف البلاد فمن كان باكيا على الدنيا فليبك قال فما برحنا حتى اشتد بكاؤنا (وقال ابن عمر) أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض جسدى فقال يا عبد الله كن في الدنيا كأنك غريب أو كعابر سبيل واعدد نفسك في الموتى يا أيها الرجل ان كنت لا تدرى متى يغفولك الاجل فلا تغتر بطول الامل فانه يقسى القلب ويفسد العمل وقد عير الله أقواما مد لهم في الاجل فقست منهم القلوب وطال منهم الامل فقال تعالى ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون

أحسنت ظنك بالايام اذ حسنت * ولم تخف سوء ما يأتى به القدر

وسالمتك الليالى فاغتررت بها * وعند صفو الليالى يحدث الكدر

يا أيها الرجل ألق الى سمعك وأرعنى لبك

فان كنت لا تدرى متى الموت فاعلمن * بانك لا تبقى الى آخر الدهر

ابن آدم أين آدم أبو الاولين والآخرين أين نوح شيخ المرسلين أين ادريس رفيع العالمين أين ابراهيم خليل الرحمن أين موسى الكليم من بين النبيين والمرسلين أين عيسى روح الله وكلمته رأس الزاهدين وامام السائحين أين محمد خاتم النبيين وحبيب رب العالمين وسيد الاولين والآخرين اين أصحابه الابرار المنتخبون أين الامم الماضية اين الملوك السالفة أين القرون الخالية أين الذين نصبت على مفارقهم التيجان أين الذين اغتروا بالاجناد والسلطان أين أصحاب السطوة والولايات أين الذين خفقت على رؤسهم الالوية والرايات أين الذين قادوا الجيوش والعساكر أين الذين عمروا القصور والدساكر أين الذين أعطوا النصر في مواطن الحروب والمواقف أين الذين دانت لهم المشارق والمغارب أين الذين تمتعوا في اللذات والمآرب أين الذين أسرفوا على الخلائق كبرا وعتيا أين الذين راحوا في الحلل بكرة وعشيا أين الذين استلانوا الملابس أثاثا ورئيا أين الذين ملكوا ما بين الخافقين فخرا وعزا أين الذين فرشوا القصور وخزاوبزا أين الذين تضعضعت لهم الارض هيبة وهزا أين الذين استذلوا العباد قهرا ولزا هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا أفناهم والله مفنى الامم وأبادهم مبيد الرمم وأخرجهم من سعة القصور وأسكنهم في ضنك القبور تحت الجنادل والصخور فأصبحوا لا ترى الا مساكنهم فعاث الدود في أجسادهم واتخذ مقيلا في أبدانهم فسالت العيون على الخدود وامتلأت تلك الافواه بالدود وتساقطت

الاعضاء

العالم وجميع ما في العالم وأنه واحد لا شريك له فرد لا مثل له كان في الازل وليس لكونه زوال ويكون مع الابد وليس لبقائه فناء وجوده في الازل والابد واجب وما للعدم اليه سبيل وهو موجود بذاته وكل أحد اليه محتاج وليس له الى أحد احتياج وجوده به ووجود كل شئ به

﴿الاصل الثانى في تنزيه الخالق تعالى﴾

اعلم أن البارى تعالى ليس له صورة ولا قالب وانه تعالى لا ينزل ولا يحل في قالب وأنه تعالى منزه عن الكيف والكم وعن لماذا ولم وأنه لا يشبهه شئ وكلما يخطر في الوهم والخيال والفكر من التكييف والتمثيل فانه منزه عن ذلك لان تلك من صفات المخلوقين وهو خالقها فلا يوصف بها وانه تعالى جده ليس في مكان ولا على مكان فان المكان لا يحصره وكل ما في العالم فانه تحت عرشه وعرشه تحت قدرته وتسخيره فانه قبل خلق العرش كان منزها عن المكان وليس العرش بحامل له بل العرش وحملته يحملهم لطفه وقدرته وأنه تقدس عن الحاجة الى المكان قبل خلقه العرش وبعد خلقه وأنه متصف بالصفة التى كان

الاعضاء وتمزقت الجلود وتناثرت اللحوم وتقطعت البطون فلم ينفعهم ما جمعوا لا أغنى عنهم ما كسبوا أسلمك الاحبة والاولياء وهجرك الاخوان والاصفياء ونسيك القرباء والبعداء فلو نطقت لانشدت قولنا في سكان الثرى ورهائن الترب والبلى

مقيم بالحجون رهين رمس * وأهلى راحلون بكل واد

كأنى لم أكن لهم حبيبا * ولا كانوا الاحبة في السواد

فعوجوا بالسلام فان أبيتم * فأومئوا بالسلام على بعاد

فان طال المدى وصفا خليل * سواى فاذكروا صفو الوداد

وذلك أقل مالك من حبيب * وآخره الى يوم التناد

فلولا أنا بوقفكم وقفنا * سقينا الترب من مهج الفؤاد

(وقال) مكرم بن يوسف العابد أوحى الله الى نبى من أنبياء بنى اسرائيل أن قف على المدائن والحصون وأبلغهم عنى حرفين لا تأكلوا الا طيبا ولا تتكلموا الا بالحق ولما دخل يزيد الرقاشى على عمر بن عبد العزيز قال عظنى يا يزيد قال يا أمير المؤمنين اعلم انك أول خليفة تموت فبكى عمر وقال زدنى يا يزيد فقال يا أمير المؤمنين ليس بينك وبين آدم الا أب ميت فبكى وقال زدنى يا يزيد فقال يا أمير المؤمنين ليس بين الجنة والنار منزل فسقط مغشيا يا أيها الرجل لا تغفلن عن تذكر ما تتيقنه من خوف الفناء وتقضى المآرب بذهاب اللذات وانقضاء الشهوات وبقاء التبعات وانقلابها حسرات وان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له وعليها يعادى من لا علم له وعليها يحسد من لا فقه له من صح فيها سقم ومن سلم فيها هرم ومن افتقر فيها حزن ومن استغنى فيها فتن حلالها حساب وحرامها عقاب ومتشابهها عتاب من ساعاها فاتته ومن قعد عنها أتته ومن نظر اليها أعمته ومن بصر بها بصرته لا خيرها يدوم ولا شرها يبقى ولا فيها لمخلوق بقاء يا أيها الرجل لا تخدعن كما خدع من قبلك فان الذى أصبحت فيه من النعم انما صار اليك بموت من كان قبلك وهو خارج من يديك بمثل ما صار اليك فلو بقيت الدنيا للعالم لم تصر للجاهل ولو بقيت للاول لم تنتقل الى الآخر يا أيها الرجل لو كانت الدنيا كلها ذهبا وفضة ثم سلمت عليك بالخلافة وألقت اليك مقاليدها وأفلاذ كبدها ثم كنت طريدة للموت ما كان ينبغى لك أن تتهنأ بعيش لا تغتر فيما يزول ولا غناء فيما لا يبقى وهل الدنيا الا كما قال الاول قدر تغلى وكنيف يملا وكما قال الشاعر

ولقد سألت الدار عن أخبارهم * فتبسمت عجبا ولم تبدى

حتى مررت على الكنيف فقال لى * أموالهم ونوالهم عندى

ولقد أصاب ابن السماك لما قال له الرشيد يا ابن السماك عظنى وبيده شربة من ماء فقال يا أمير المؤمنين أرأيت لو حبست عنك هذه الشربة أكنت تفتديها بملكك قال نعم قال يا أمير المؤمنين فلو حبس عنك خروجها أكنت تفتديه بملكك قال نعم قال فلا خير في ملك لا يساوى شربة ولا بولة أيها الشاب لا تغتر بشبابك فان أكثر من يموت الشباب والدليل عليه ان أقل الناس الشيوخ يا أيها الشاب كم من جل في التنور وأبوه يرعى وكم من طفل في التراب وجده يحيى وقال على بن أبى طالب رضوان الله عليه لاسقف قد أسلم عظنى قال يا أمير المؤمنين ان كان الله عليك فمن ترجو قال أحسنت فزدنى قال ان كان الله معك فمن تخاف قال أحسنت فزدنى قال أحسب ان الله قد غفر ذنب المذنبين أليس قد فاتهم ثواب المحسنين قال حسبى حسبى وبكى أربعين صباحا وقال الحسن قدم صعصعة يعنى عم الفرزدق على النبي صلى الله عليه وسلم فسمعه يقرأ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فقال حسبى حسبى لا أبالى ان لا أسمع آية غيرها وقال سليمان بن عبد الملك لحميد الطويل عظنى فقال ان كنت اذا عصيت الله ظننت انه يراك فلقد اجترأت على رب عظيم وان كنت تظن انه لا يراك فلقد كفرت برب عظيم وكتب على ابن الحسين رضى الله عنه الى سلمان انما مثل الدنيا كمثل الحية لمسها لين ويقتل سمها فأعرض عنها وعما

عليها في الازل ولا سبيل الى التغير والانقلاب الى صفاته وهو سبحانه متقدس عن صفات المخلوقين منزه وهو في الآخرة مرئى كما علمه في الدنيا بلا مثل ولا شبه كذلك نراه في الآخرة بلا مثل ولا شبه لان تلك الرؤية لا تشابه رؤية الدنيا ليس كمثله شئ

﴿الاصل الثالث في القدرة﴾

وأنه تعالى على كل شئ قدير وان قدرته وملكه في نهاية الكمال ولا سبيل اليه للعجز والنقصان بل ما شاء فعل وما يشاء يفعل وان السموات السبع والكرسى والعرش في قبضته وقدرته وتحت قهره وتسخيره ومشيئته هو مالك الملك لا ملك الا ملكه

(الاصل الرابع في العلم)

وانه تعالى عالم بكل معلوم وعلمه محيط بكل شئ وليس شئ من العلى الى الثرى الا وقد أحاط به علمه لان الاشياء بعلمه ظهرت وبقدرته انتشرت وانه تعالى يعلم عدد رمال القفار وقطرات الامطار وورق الاشجار وغوامض الافكار وان ذرات الرياح والهوا في علمه ظاهرة مثل عدد نجوم السماء

(الاصل الخامس في الارادة)

Reference: 12964. Copyright for this page: Creative Commons Attribution Licence

View on the Qatar Digital Library: http://www.qdl.qa/en/archive/qnlhc/12964.10

يعجبك منها القليل مما يعجبك منها ودع عنك همومها لما تيقنت من فراقها وكن امسر ما تكون فيها أحذر ما تكون لها فان صاحبها كلما اطمأن فيها الى سرور أشخص منها الى مكروه وقال أبو العتاهية

هى الدار دار الأذى والقذا * ودار الفناء ودار الغير
ولو نلتها بحذافيرها * لمت ولم تقض منها وطر
أيا من يؤمل طول الحياة * وطول الحياة عليه ضرر
اذا ما كبرت وبان الشباب * فلا خير فى العيش بعد الكبر

ولما بلغ مراده من الدنيا أفضل ما سمت اليه نفسه ورقت اليه همته رفضها ونبذها وقال هذا سرور لولا انه غرور ونعيم لولا انه عديم وملك لولا انه هلك وغناء لولا انه فناء وجسيم لولا انه ذميم ومحمود لولا انه مفقود وغنى لولا انه منى وارتفاع لولا انه اتضاع وعلاء لولا انه بلاء وحسن لولا انه حزن وهو يوم لو وثق له بغد يا أيها الرجل لا تكن كالمنخل يرسل أطيب ما فيه ويمسك الحثالة واعلم ان من قسا قلبه لا يقبل الحق وان كثرت رذائله قال الله تعالى فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة وذلك ان كثرة الذنوب مانعة من قبول الحق القلوب وولوج المواعظ فيها قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون أى غطاها وغشيها فلا تقبل خيرا ولا تصيخ لموعظة جاء فى التفسير اذا أذنب العبد نكتت فى قلبه نكتة سوداء ثم اذا أذنب نكتت نكتة سوداء حتى يسود القلب وقال حذيفة القلب كالكف فاذا أذنب العبد انقبض وقبض اصبعا ثم اذا أذنب انقبض وقبض اصبعا أخرى ثم كذلك فى الثالث والرابع حتى ينقبض الكف كله ثم يطبع الله عليه فذلك هو الران وقال بكر بن عبد الله اذا أذنب العبد صار فى قلبه كوخز الابرة ثم كلما أذنب صار فيه كوخز الابرة ثم كلما أذنب صار فيه كوخز الابرة حتى يعود القلب كالمنخل وقال الحسن هو الذنب على الذنب حتى يموت القلب وقال ابن شبرمة اذا كان البدن سقيما لم ينفعه الطعام واذا كان القلب مغرما بحب الدنيا لم تنفعه الموعظة وفيه قيل

ولا أرى أثر الذكر فى خلدى * والحبل فى الصخرة الصماء أثر
اذا قسا القلب لم تنفعه موعظة * كالارض ان سبخت لم ينفع المطر

ويروى ان أبا العتاهية مر بدكان الوراق واذا كتاب فيه بيت من الشعر

لن ترجع الانفس عن غيها * ما لم يكن منها لها زاجر

فقال لمن هذا فقيل لابى نواس قال وددت انه لى بنصف شعرى قال الاصمعى ان النعمان الذى هو امرؤ القيس الاكبر الذى بنى الخورنق أشرف على الخورنق يوما فأعجبه ما أوتى من الملك والسعة ونفوذ الامر واقبال الوجوه نحوه فقال لاصحابه هل أوتى أحد مثل ما أوتيت فقال له حكيم من حكماء أصحابه أهذا الذى أوتيت شئ لم يزل ولا يزال أم شئ كان لمن كان قبلك زال عنه وصار اليك قال بل شئ كان لمن قبلى زال عنه وصار الى وسيزول عنى قال فسررت بشئ تذهب عنك لذته وتبقى تبعته قال فأين المهرب قال اما ان تقيم وتعمل بطاعة الله أو تلبس أمساحا وتلحق بجبل وتعبد ربك فيه وتفر من الناس حتى يأتيك أجلك قال فاذا كان ذلك فمالى قال حياة لا موت فيها وشباب لا هرم فيه وصحة لا سقم فيها وملك جديد لا يبلى قال فأى خير فيما يفنى والله لاطلبن عيشا لا يزول أبدا وملكا جديدا فانخلع من ملكه ولبس الامساح وسار فى الارض وتبعه الحكيم وجعلا يعبدان الله حتى ماتا وفيه يقول عدى ابن زيد

وتبين رب الخورنق اذ فكر يوما وللهدى تذكير
سره ماله وكثرة ما يملك والبحر معرضا والسدير
فارعوى قلبه وقال ما غبطة حى الى الممات يصير
أين كسرى كسرى الملوك انوشر وان أم أين قبله سابور

فان جميع مافى العالم بارادته ومشيئته وليس من شئ قليل أو كثير صغير أو كبير خير أو شر نفع أو ضر زيادة أو نقصان راحة أو نصب صحة أو وصب الا بحكمته وتدبيره ومشيئته وتقديره ولو اجتمع الجن والانس والملائكة والشياطين على أن يحركوا فى العالم ذرة أو يسكنوها أو ينقصوا منها أو يزيدوا فيها بغير ارادته وحوله وقوته لعجزوا عن ذلك ولم يقدروا وما شاء كان وما لا يشاء لا يكون ولا يرد مشيئته شئ ومهما كان ويكون وهو كائن فانه بتدبيره وتقديره

*(الاصل السادس فى أنه سميع بصير)

وكما انه عالم بجميع المعلومات فانه سميع لكل مسموع بصير بكل مرئى وان القريب والبعيد فى سمعه متماثل والضياء والظلام فى بصره متماثل شئ واحد وانه يرى دبيب النملة فى الليلة المظلمة ولا يخفى عنه ولا يعزب عن سمعه صوت الدودة تحت أطباق الارض وان سمعه ليس بأذن وبصره ليس بعين وكما أن علمه لا يصدر عن فكرة وفعله بغير آلة وعدة يقول للشئ كن فيكون

(الاصل السابع فى الكلام)

وبنو

وان أمره تعالى على جميع الخلق نافذ واجب ومهما أخبر به من وعد أو وعيد فانه حق وأمره كلامه وكما أنه عالم قدير سميع بصير فهو متكلم وكلامه بغير حلق ولا لسان ولا فم ولا أسنان والتوراة والقرآن والانجيل والزبور والكتب المنزلة من السماء على الانبياء عليهم السلام جميعها كلامه وكلامه صفته وكل صفاته قديمة لم تزل وكما أن الكلام عند الآدمى حرف وصوت فكلام الله منزه عن الحرف والصوت

(الاصل الثامن فى افعاله تعالى)

وان جميع مافى العالم مخلوق له * وليس معه شريك ولا خالق * بل هو الخالق الواحد ومهما كان من تعب ومرض وفقر وعجز وجهل فعدل منه ولا يتمكن الظلم من أفعاله * لان الظالم هو الذى يتصرف فى ملك غيره والخالق تعالى لا يتصرف الا فى ملكه * وليس معه مالك سواه * وكل ما كان ويكون وهو كائن فهو ملك وهو المالك بلا شبيه ولا شريك وليس لاحد عليه اعتراض بلم وكيف لكن له الحكم والامر فى كل أفعاله وما لاحد غير التسليم والنظر الى صنعه والرضا بقضائه تعالى

(الاصل التاسع فى ذكر الآخرة) وانه تعالى خالق العالم من نوعين * من شخص وروح * وجعل الجسد منزلا للروح تأخذ زادا لآخرتها المدة من هذا العالم وجعل لكل روح مدة مقدرة تكون

وبنو الاصفر الكرام ملوك الروم لم يبق منهم مذكور
لم يهبه ريب المنون فباد الشمل عنه فبابه مهجور

وفيهم يقول الاسود بن يعفر

ولقد علمت سوى الذى أنبأتنى * ان السبيل سبيل ذى الاعواد
ماذا أؤمل بعد آل محرق * تركوا منازلهم وبعد اياد
أرض الخورنق والسدير وبارق * والقصر ذى الشرفات من سنداد
نزلوا بأنقرة تسيل عليهم * ماء الفرات يجىء من أطواد
أرض يخبرها الطبيب مقيلها * كعب بن مالك وابن أم دواد
جرت الرياح على محل ديارهم * فكأنهم كانوا على ميعاد
فأرى النعيم وكل ما يلهى به * يوما يصير الى بلى ونفاد

(وقال) وهب بن منبه أصيب على غمدان وهو قصر سيف بن ذى يزن بأرض صنعاء اليمن وكان من الملوك الاجلة مكتوبا بالقلم المسند فترجم بالعربية واذا هى أبيات جليلة وموعظة عظيمة

باتوا على قلل الاجبال تحرسهم * غلب الرجال فلم تنفعهم القلل
واستنزلوا بعد عز من معاقلهم * فأسكنوا حفرا يا بئس ما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد ما دفنوا * أين الاسرة والتيجان والحلل
أين الوجوه التى كانت محجبة * من دونها تضرب الاستار والكلل
فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم * تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
قد طال ما أكلوا يوما وما شربوا * فأصبحوا بعد ذاك الاكل قد أكلوا

قال شيخنا قرئ على القاضى أبى الوليد الباجى وأنا أسمع لبعض الشعراء

ويحك يا أسماء ما شانى * أشغلتنى والله ما شانى
الموت حق فاعلمى نازل * قرب لى لحدى وأكفانى
قد كنت ذا مال فلا والذى * أعطانى العيش وأغنانى
ما قرت العين به ساعة * الا تذكرت فأشجانى
على بأنى صائر للبلى * وفاقد أهلى وجيرانى
وتارك مالى على حاله * نهبا لشيطان بن شيطان
لامرأة ابنى أو لزوج ابنتى * يا لك من غم وخسران
يسعد فى مالى وأشقى به * قوم ذوو غل وشنآن
ان أحسنوا كان لهم أجره * وخف من ذلك ميزانى

* وممن استبصر من أبناء الملوك فرأى عيب الدنيا وفناءها ونقصها وزوالها ابراهيم بن أدهم بن منصور من أبناء الملوك ملوك خراسان من كورة بلخ ولما زهد فى الدنيا زهد عن غنائين مسرا قال ابراهيم بن بشار سألت ابراهيم بن أدهم كيف كان بدء أمرك حتى صرت الى هذا قال غير هذا أولى بك فقلت يرحمك الله لعل الله ينفعنى به يوما ثم سألته ثانية فقال ويحك اشتغل بالله تعالى ثم سألته ثالثة فقلت ان رأيت يرحمك الله أن تخبرنى لعل الله أن ينفعنى فقال كان أبى من ملوك خراسان وكان من المياسير وكان قد حبب الى الصيد فبينا أنا راكب فرسا وكلبى معى وأثرت أرنبا أو ثعلبا فحركت فرسى فسمعت نداء من ورائى يا ابراهيم ليس لهذا خلقت ولا بهذا أمرت فوقفت أنظر عنة ويسرة فلم أر أحدا فقلت فى نفسى لعن الله الشيطان ثم حركت فرسى فسمعت نداء أقوى من الاول يا ابراهيم ليس لهذا خلقت ولا بهذا أمرت فوقفت مقشعرا أنظر عنة ويسرة فلم أر شيأ فقلت لعن الله ابليس ثم حركت فرسى فسمعت من قربوس سرجى يا ابراهيم

Reference: 12964. Copyright for this page: Creative Commons Attribution Licence
View on the Qatar Digital Library: http://www.qdl.qa/en/archive/qnlhc/12964.11

في الجسد * وآخر تلك المدة هو أجل (١٠) تلك الروح من غير زيادة ولا نقصان * فاذا جاء الاجل فرق بين الروح والجسد *

ياس لهذا خلقت ولا بهذا أمرت فوقفت وقلت هيهات جاءني النذير من رب العالمين والله لاعصيت ربي ما عصمني بعد يومي هذا فتوجهت الى أهلي وخلفت فرسي وجئت الى بعض رعاة أبي فأخذت جبته وكساءه وألقيت اليه ثيابي فلم أزل أرض تقلني وأرض تضعني حتى صرت الى العراق فعملت بها أياما فلم يصف لي شيء من الحلال فسألت بعض المشايخ عن الحلال فقال عليك بالشام قال فانصرفت الى مدينة يقال لها المنصورة وهي المصيصة فعملت بها أياما فلم يصف لي شيء من الحلال فسألت بعض المشايخ فقال ان أردت الحلال فعليك بطرسوس فان المباحات بها والعمل كثير قال فبينا أنا قاعد على باب البحر اذ جاءني رجل فاكتراني أنظر له بستانا فتوجهت معه فكنت في البستان أياما كثيرة فاذا بالخادم قد أقبل ومعه أصحابه ولو علمت أن البستان لخادم ما نظرته فقعد في مجلسه ثم قال يا ناطور فأجبته قال فاذهب فأتنا بأكبر رمان تقدر عليه وأطيبه فأتيته برمان فأخذ الخادم رمانة فكسرها فوجدها حامضة فقال يا ناطور ما هذا أنت منذ كذا وكذا في بستاننا تأكل من فاكهتنا ورماننا لا تعرف الحلو من الحامض قلت والله ما أكلت من فاكهتكم شيأ وما أعرف الحلو من الحامض قال فغمز الخادم أصحابه وقال ألا تعجبون من هذا ثم قال لي لو كنت ابراهيم بن أدهم ما زاد على هذا فلما كان من الغد حدث الناس في المسجد بالصفة فجاء الناس عنقا الى البستان فلما رأيت كثرة الناس اختفيت والناس داخلون وأنا هارب منهم وكان ابراهيم ابن أدهم يأكل من عمل يده مثل الحصاد وحفظ البساتين والعمل في الطين وكان يوما يحفظ كرما فمر به جندي فقال اعطنا من هذا العنب فقال ما أمر به صاحبه فأخذ يضربه بالسوط فطأطأ رأسه وقال اضرب رأسا طالما عصى الله فأعجز الرجل ومضى وقال سهل بن ابراهيم صحبت ابراهيم بن أدهم فمرضت فأنفق على نفقته واشتهيت شهوة فباع حماره وأنفق ثمنه علي فلما تماثلت قلت يا ابراهيم أين الحمار فقال بعناه فقلت فعلام أركب قال يا أخي على عنقي قال فحملني ثلاث منازل رحمه الله وأنشد واشعرا

أيها المرء ان دنياك بحر * طافح موجه فلا تأمننها

وسبيل النجاة فيها مبين * وهو أخذ الكفاف والقوت منها

* وبلغني أن بالهند يوما يخرج الناس فيه الى البرية فلا يبقى في البلد بشر من طين لا شيخ كبير ولا مولود صغير وهذا اليوم يكون بعد انقراض مائة سنة من يوم مثله فاذا اجتمع الخلق في صعيد واحد نادى منادي الملك لا يصعدن هذا الحجر الذي هنالك منصوب الا من حضر في المجمع الاول الذي قد خلا من مائة سنة فربما جاء الشيخ الهرم الذي قد ذهبت قوته وعمي بصره وفني شبابه ويجيء العجوز ترجف لم يبق منها الارمقها وقد انحنى الدهر عليها فيصعدان على الحجر الذي هنالك ويقول الشيخ حضرت المجمع الاول منذ مائة سنة وأنا طفل صغير وكان الملك فلانا ويصف الجيوش الماضية والامم الخالية وكيف طحنهم البلى وصاروا تحت أطباق الثرى ويقوم خطيبهم فيعظ الناس ويذكرهم سرعة الموت وحسرة الفوت فيبكي القوم ويتوبون من المظالم ويكثرون الصدقات ويخرجون عن التبعات ويصطلحون على ذلك مدة * وقال وهب بن منبه صحب رجل بعض الرهبان سبعة أيام ليستفيد منه شيأ فوجده مشغولا عنه بذكر الله تعالى والفكر لا يفتر ثم التفت اليه في اليوم السابع فقال يا هذا قد علمت ما تريد حب الدنيا رأس كل خطيئة والزهد في الدنيا رأس كل خير والتوفيق تاج كل خير فاحذر رأس كل خطيئة وارغب في رأس كل خير وتضرع الى ربك أن يهب لك تاج كل خير فقال فكيف أعرف ذلك قال كان جدي رجلا من الحكماء قد شبه الدنيا بسبعة أشياء فشبهها بالماء المالح يغر ولا يروي ويضر ولا ينفع وبسحاب الصيف يغر ولا ينفع وبظل الغمام يغر ويخذل وبزهر الربيع ينضر ثم يصفر فتراه هشيما وبأحلام النائم يرى السرور في منامه فاذا استيقظ لم يكن في يده الا الحسرة وبالعسل المشوب بالسم الذعاف يغر ويقتل فتدبرت هذه الاحرف السبعة سبعين سنة ثم زدت حرفا واحدا فشبهتها بالغول التي تهلك من أجابها وتترك من أعرض عنها فرأيت جدي في المنام وقال يا بني أشهد انك مني وأنا منك هي والله الغول التي تهلك من أجابها وتترك من أعرض

منها

واذا وضع الميت في قبره أعيدت روحه الى جسده ليجيب سؤال منكر ونكير وهما شخصان هائلان عظيمان فيسألانه من ربك ومن نبيك فان استعجم ولم يجب عذباه وملئ قبره حيات وعقارب * ويوم القيامة يوم الحساب والمكافأة والمناقشة والمجازاة ترد الروح الى الجسد * وتنشر الصحف وتعرض الاعمال على أربابها فينظر كل انسان في كتابه فيرى أعماله ويشاهد أفعاله * ويعلم مقدار طاعته ومعصيته فتوزن أعماله في ميزان الاعمال ثم يؤمر بالجواز على الصراط والصراط أدق من الشعرة وأحد من الشفرة * فكل من كان في هذا العالم على الطريقة المستقيمة الصالحة وسلوك المحجة الواضحة عبر على الصراط وجازه في راحة واستراحة ومن لم يكن على السيرة المحمودة والاعمال الرشيدة وعصى مولاه واتبع هواه فانه لا يجد الطريق على الصراط ولا يهتدي الى الجواز ويقع في جهنم * والكل يوقفون على الصراط * ويسألون عن أعمالهم * فيسئل الصادقون عن صدقهم * ويحضر المنافقون والمراؤن ويفضحون فمن الناس قوم يدخلون الجنة بغير حساب * وجماعة يحاسبون بالرفق والمسامحة

* وجماعة يحاسبون بالمناقشة والصعوبة والمداققة * ثم يسحب الكفار الى جهنم (١١) بحيث لا يجدون خلاصا * ويدخل

عنها قلت فبأي شيء يكون الزهد في الدنيا قال باليقين واليقين بالصبر والصبر بالعين والعين بالفكر ثم وقف الراهب وقال خذها منا فلا أراك خلق الا متجردا بفعل دون قول فكان ذلك آخر العهد به (قلت) وقد وصف الله تعالى الدنيا وأهلها بصفة أعم من هذه الصفة فقال سبحانه اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد والكفار ههنا الزراع كأن الزرع يكون في أول نباته أخضر ناعما اهتزت الارض به بعد يبسها فجاءت في العيون كأملح ما يكون ثم يهيج فتراه مصفرا أي يكبر ويقوى فيصفر ويحترق ويتكسر أعلاه ويستقل بسنبله ثم يداس فيكون حطاما أي تبنا متكسرا متقطعا وهذا مثل ضربه الله لبني آدم اذ كانوا أطفالا أول الولادة وفي حال الطفولية كأحسن مرأى يعجبون الآباء ويفتنون ذوي الاحلام والنهى ثم يكبرون فيصيرون شيوخا منكسة رؤسهم مقوسة ظهورهم قد ذهب حسنهم ونعومتهم وفني شبابهم وجمالهم وذوت غضارتهم ونضارتهم واستولى عليهم الهرم والشيب ثم يموتون فيصيرون حطاما في القبور كالتبن في الطريق هذا بعد ما وصفها بخمس صفات مذمومة لعب ولهو وزينة وتفاخر وتكاثر وكان الصدر الاول يسمي الدنيا خنزيرة ولو وجدوا اسما أقبح منه لسموها به وكانوا يسمونها أم دفر والدفر النتن وقال مالك بن أنس بلغني أن ملكا من ملوك بني اسرائيل ركب يوما في زي عظيم فنشرت له الناس ينظرون اليه أفواجا حتى مر برجل يعمل شيأ مكبا عليه لم يلتفت اليه ولا رفع رأسه اليه فوقف الملك عليه وقال كل الناس ينظرون الي الا أنت فقال الرجل اني رأيت ملكا مثلك وكان على هذه القرية فهلك هو ومسكين فدفن الى جنبه في يوم واحد وكنا نعرفهما في الدنيا بأجسادهما ثم كنا نعرفهما بقبريهما ثم نسفت الريح قبريهما وكشفت عنهما فاختلطت عظامهما فلم أعرف الملك من المسكين فلذلك أقبلت على عملي وتركت النظر اليك وروي أن داود عليه السلام بينما هو يسيح في الجبال اذ وافى على غار فاذا فيه رجل عظيم الخلق من بني آدم واذا عند رأسه حجر مكتوب بكتاب محفور فيه أنا رستم الملك ملكت ألف عام وفضضت ألف مدينة وهزمت ألف جيش وافترعت ألف بكر من بنات الملوك ثم صرت الى ما ترى فصار التراب فراشي والحجارة وسادي فمن رآني فلا تغره الدنيا كما غرتني وقال وهب بن منبه خرج عيسى بن مريم عليه السلام ذات يوم مع جماعة من أصحابه فلما ارتفع النهار مروا بزرع قد أمكن من الفرك فقالوا يا نبي الله انا جياع فأوحى الله اليه ان ائذن لهم في أقواتهم فأذن لهم فتفرقوا في الزرع يفركون ويأكلون فبينما هم كذلك اذ جاء صاحب الزرع وهو يقول زرعي وأرضي ورثته عن آبائي باذن من تأكلون يا هؤلاء قال فدعا عيسى ربه فبعث الله تعالى جميع من ملك تلك الارض من لدن آدم الى ساعته فاذا عند كل سنبلة أو ما شاء الله رجل أو امرأة كلهم ينادون زرعي وأرضي ورثته عن آبائي ففزع الرجل منهم وكان قد بلغه أمر عيسى عليه السلام وهو لا يعرفه فلما عرفه قال معذرة اليك يا رسول الله اني لم أعرف فلزرعي ومالي لك حلال فبكى عيسى عليه السلام وقال ويحك هؤلاء كلهم قد ورثوا هذه الارض وعمروها ثم ارتحلوا عنها وأنت مرتحل عنها ولاحق بهم ليس لك أرض ولا مال وقال أبو العتاهية

وعظتك أجداث صمت * ونعتك أزمنة خفت

وتكلمت عن أوجه * تبلى وعن صور سبت

وأرتك قبرك في القبو * ر وأنت حي لم تمت

يا شامتا بمنيتي * ان المنية لم تفت

ولربما انقلب الشما * تة فحل بالقوم الشمت

وروي أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما رأى فاطمة رضي الله عنها مسجاة بثوبها بكى حتى رفى له ثم قال

لكل اجتماع من خليلين فرقة * وان الذي دون الممات قليل

أهل الاسلام المطيعون الى الجنة * ويؤمر بالعصاة الى النار * فكل من نالته شفاعة الانبياء والعلماء والاكابر من الصلحاء عفي عنه * وكل من ليس له شفيع عوقب بقدر اثمه * وعذب بقدر جرمه * ثم دخل الجنة ان كان قد سلم ايمانه الى الآخرة

* (الاصل العاشر في ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم) * ولما قدر الله تعالى هذا التقدير * وجعل أفعال الانسان وأحواله واكتسابه وأعماله منها ما هو سبب لشقاوته ومنها ما هو سبب لسعادته والانسان لا يقدر أن يعرف ذلك من تلقاء نفسه خلق الله تعالى بحكمة فضله ورحمته * وطوله ومنته * ملائكة وبعثهم الى أشخاص قد حكم لهم بالسعادة في الازل وهم الانبياء عليهم السلام فأرسلهم الى الخلق ليوضحوا لهم طرق السعادة والشقاوة ولئلا يكون للناس على الله حجة وأرسل رسولنا محمدا صلى الله عليه وسلم أخيرا وجعله بشيرا ونذيرا وأفضل نبوته الى درجة الكمال فلم يبق للزيادة فيها مكان ولا مجال ولهذا جعله خاتم الانبياء فلا نبي بعده وأمر الخلائق من الجن والانس بطاعته وعبادته وجعله سيد الانبياء وجعل أصحابه خير أصحاب الانبياء صلوات الله عليهم أجمعين

* (ذكر فروع شجرة الايمان) *

اعلم يا السلطان انه كل ما كان فى قلب الانسان من معرفة واعتقاد فذلك أصل الايمان وما كان جاريا على أعضائه السبعة (١٢) من الطاعة والعدل فذلك فروع الايمان فاذا كان الفرع ذابلا ذاويا دل على ضعف الاصل فانه لا يثبت عند الموت وعمل البدن عنوان ايمان القلب والاعمال التى هى فروع الايمان هى تجنب المحارم وأداء الفرائض وهى قسمان أحدهما بينك وبين الله تعالى مثل الصوم والصلاة والحج والزكاة واجتناب شرب الشراب والعفة عن الحرام والاخرى ما بينك وبين الخلق وهى العدل فى الرعية والكف عن الظلم والاصل فى ذلك ان تعمل فيما بينك وبين الخالق تعالى من طاعة أمره والازدجار بزجره ما تختار ان يعمله عبدك فى حقك وان تعمل فيما بينك وبين الناس ما تريد ان يعمل معك من سواك اذا كان غيرك السلطان وكنت من رعيته واعلم انه ما كان بينك وبين الخالق تعالى فان عفوه قريب وانه غفور رحيم أما ما يتعلق بمظالم الخلق فانه لا يتجاوز به عنك على كل حال يوم القيامة وخطره عظيم ولا يسلم من هذا الخطر أحد من الملوك الا ملك عمل بالعدل فى رعيته لتعلم كيف يطلب العدل والانصاف منك فى يوم القيامة وأصول العدل والانصاف عشرة ﴿الاصل الاول من ذلك﴾ وهو أن تعرف أولا قدر الولاية

أرى علل الدنيا على كثيرة * وصاحبها حتى الممات عليل
وان افتقادى واحدا بعد واحد * دليل على أن لا يدوم خليل

وقال

ألا أيها الموت الذى ليس تاركى * أرحنى فقد أفنيت كل خليل
أراك بصيرا بالذين أحبهم * كأنك تنحوهم بغير دليل

ولما نفض يديه من ترابها تمثل بقول بعض بنى أمية

أقول وقد فاضت دموعى حسرة * أرى الارض تبقى والاخلاء تذهب
أخلاى لو غير الحمام أصابكم * عتبت ولكن ما على الموت معتب

وقال العتابى

قلت للفرقدين والليل ملق * سود أكنافه على الآفاق
ابقيا ما بقيتما فسيرمى * بين شخصيكما بسهم الفراق
غر من ظن أن يفوت المنايا * وعراها قلائد الاعناق
كم صفيين متعا باجتماع * ثم صارا لغربة وافتراق
لا يدوم البقاء للخلق لكن * دوام البقاء للخلاق

وأنشدنى بعض الادباء

أسعدانى يا نخلتى حلوان * وارثيا لى من ريب هذا الزمان
ولعمرى لو ذقتما حرق الفر * قة أبكاكما الذى أبكانى
واعلما ان بقيتما ان نحسا * سوف يأتيكما فتفترقان

ولما سافر الرشيد الى طوس وعلق فى طريقه من حر أصابه فقال له الطبيب لا يبريك الا جمار النخل وكان نزوله قريبا من هاتين النخلتين فأمر بقطع جمار احدى النخلتين فلما مثل بين يديه أنشده بعض الجلساء هذه الابيات لبعض الشعراء فى هاتين النخلتين فقال الرشيد لو سمعتهما ما أمرت بقطعهما ولما مات الاسكندر قال ارسطاطاليس أيها الملك لقد حركتنا بسكونك وقال بعض الحكماء من أصحابه كان الملك أمس أنطق منه اليوم وهو اليوم أوعظ منه أمس فنظمه أبو العتاهية فقال

كفى حزنا بدفنك ثم انى * نفضت تراب قبرك من يديا
وكانت فى حياتك لى عظات * فأنت اليوم أوعظ منك حيا

ووجد مكتوبا على قبر قهرنا من قهرنا فصرنا للناظرين عبرة (وقال عبد الله بن المعتز)

نسير الى الآجال فى كل ساعة * وأيامنا تطوى وهن مراحل
ولم أر مثل الموت حقا كأنه * اذا ما تخطته الامانى باطل
وما أقبح التفريط فى زمن الصبا * فكيف به والشيب فى الرأس شاعل
ترحل من الدنيا بزاد من التقى * فعمرك أيام تعد قلائل

ولما دخل أبو الدرداء الشام قال يا أهل الشام اسمعوا قول أخ لكم ناصح فاجتمعوا عليه فقال مالى أراكم تبنون ما لا تسكنون وتجمعون ما لا تأكلون ان الذين كانوا قبلكم بنوا شديدا وأملوا بعيدا وجمعوا كثيرا فأصبح أملهم غرورا وجمعهم بورا ومساكنهم قبورا * وروى الحافظ قال وجد مكتوبا فى حجر ابن آدم لو رأيت يسير ما بقى من أجلك لزهدت فى طول ما ترجو من أملك ولرغبت فى الزيادة من عملك ولقصرت عن حرصك وحيلك وانما يلقاك غدا ندمك لو قد زلت بك قدمك وأسلمك أهلك وحشمك وتبرأ منك القريب وانصرف عنك الحبيب فلا أنت فى عملك زائد ولا الى أهلك عائد وقال مالك بن أنس بلغنى ان امرأتين أتتا عيسى عليه السلام فقالتا يا روح الله ادع الله لنا أن يخرج لنا أبانا فانه هلك ونحن غائبتان عنه قال تعرفان قبره فقالتا نعم فذهب معهما فأتيا قبرا فقالتا هذا هو فدعا الله فخرج لهما فاذا هو ليس به فدعا فرده ثم دلتاه على قبر آخر فدعا أن يخرج فخرج فاذا هو فالتزمتاه وسلمتا عليه ثم قالتا يا نبى الله يا معلم الخير ادع الله أن

يبقيه

وتعلم خطرها فان الولاية نعمة من قام بحقها نال من السعادة ما لا نهاية له ولا سعادة (١٣) بعده ومن قصر عن النهوض بحقها حصل فى شقاوة ولا شقاوة بعدها الا الكفر بالله تعالى والدليل على عظم قدرها وجلالة خطرها ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال عدل السلطان يوما واحدا أفضل من عبادة سبعين سنة وقال عليه السلام اذا كان يوم القيامة لا يبقى ظل ولا ملجأ الا ظل الله ولا يستظل بظله الا سبعة أناس سلطان عادل عدل فى رعيته وشاب نشأ فى عبادة ربه ورجل يكون فى السوق وقلبه فى المسجد ورجلان تحابا فى الله ورجل ذكر الله تعالى فى خلوته فأجرى دمعه من مقلته ورجل دعته امرأة ذات جمال ومال الى نفسها فقال انى أخاف الله ورجل تصدق بيمينه ولم تشعر بها شماله وقال عليه السلام أحب الناس الى الله تعالى وأقربهم منه السلطان العادل وأبغضهم الى الله تعالى وأبعدهم عنه السلطان الجائر وقال عليه الصلاة والسلام والذى نفس محمد بيده انه ليرفع للسلطان العادل الى السماء من العمل مثل عمل جملة الرعية وكل صلاة يصليها تعدل سبعين ألف صلاة فاذا كان كذلك فلا نعمة أجل من أن يعطى العبد درجة السلطنة ويجعل ساعة من عمره بجميع عمر غيره ومن لم يعرف قدر هذه النعمة واشتغل بظلمه وهواه يخاف عليه أن يجعله الله من جملة أعدائه وربما

يبقيه معنا فقال وكيف أدعو له ولم يبق له رزق يعيش به ثم رده وانصرف وأنشدنى بعض الادباء

وأسفى من فراق قوم * هم المصابيح والحصون
والمزن والمدن والرواسى * والخير والامن والسكون
لم تتغير بنا الليالى * حتى توفتهم المنون
فكل جمر لنا قلوب * وكل ماء لنا عيون

(وروى) أن النعمان بن المنذر خرج متصيدا ومعه عدى بن زيد فمروا بشجرة فقال عدى بن زيد أيها الملك أتدرى ما تقول هذه الشجرة قال لا قال انها تقول

من رآنا فليحدث نفسه * أنه موف على قرب زوال
وصروف الدهر لا يبقى لها * ولما تأتى به صم الجبال
رب ركب قد أناخوا حولنا * يشربون الخمر بالماء الزلال
عمروا الدهر بعيش حسن * آمنى دهرهم غير عجال
عصف الدهر بهم فانقرضوا * وكذاك الدهر حالا بعد حال

قال ثم جاوزوا الشجرة فمروا بمقبرة فقال له عدى أيها الملك أتدرى ما تقول هذه المقبرة قال لا قال انها تقول

أيا الركب المخبونا * على الارض المجدونا
كما أنتم كذا كنا * كما نحن تكونونا

فقال النعمان قد علمت أن الشجرة والمقبرة لا يتكلمان وقد علمت انك انما أردت تعظنى فجزاك الله عنى خيرا فما السبيل الذى تدرك به النجاة قال تدع عبادة الاوثان وتعبد الله وحده قال فى هذه النجاة قال نعم فترك عبادة الاوثان وتنصر يومئذ وأخذ فى العبادة والاجتهاد (وقال) عبد الله بن المعلم خرجنا من المدينة حجاجا فلما كنا بالرويثة نزلنا فوقف بنا رجل عليه ثياب رثة ليس له منظر وهيئة فقال من يبغى خادما من يبغى ساقيا فقلت دونك هذه القربة فأخذها وانطلق فلم يلبث الا يسيرا حتى أقبل وقد امتلأت أثوابه طينا فوضعها كالمسرور الضاحك ثم قال لكم غير هذا قلنا لا وأطعمناه قرصا باردا فأخذه وحمد الله تعالى وشكره ثم اعتزل وقعد فأكله أكل جائع فأدركتنى عليه الرأفة فقمت اليه بطعام طيب كثير فقلت له قد علمت أنه لم يقع منك القرص بموقع فدونك هذا الطعام فنظر فى وجهى وتبسم وقال يا عبد الله انما هى فورة جوع فما أبالى بأى شئ رددتها فرجعت عنه فقال لى رجل الى جنبى أتعرفه قلت لا قال انه من بنى هاشم من ولد العباس بن عبد المطلب كان يسكن البصرة فتاب فخرج منها فافتقد فما عرف له أثر ولا وقف له على خبر فأعجبنى قوله ثم اجتمعت به وآنسته وقلت له هل لك أن تعادلنى فان معى فضلا من راحلتى فجزانى خيرا وقال لو أردت هذا لكان لى معدا ثم أنس الى فجعل يحدثنى فقال أنا رجل من ولد العباس كنت أسكن البصرة وكنت ذا كبر شديد وبذخ وانى أمرت خادما لى أن تحشو فراشا لى من حرير ومخدة بورد نثر ففعلت وانى لنائم اذا بقمع وردة قد أغفلته الخادم فقمت اليها فأوجعتها ضربا ثم عدت الى مضجعى بعد اخراج القمع من المخدة فأتانى آت فى منامى فى صورة فظيعة فهزنى وقال أفق من غشيتك وأبصر من حيرتك ثم أنشأ يقول

يا خد انك ان توسد لينا * وسدت بعد الموت صم الجندل
فامهد لنفسك صالحا تسعد به * فلتندمن غدا اذا لم تفعل

فانتبهت فزعا فخرجت من ساعتى هاربا الى ربى (وقال) عبد الواحد بن زيد ذكر لى أن فى جوانب الابلة جارية مجنونة تنطق بالحكمة فلم أزل أطلبها حتى وجدتها فى خرابة جالسة على حجر وعليها جبة صوف وهى محلوقة الرأس فلما نظرت الى قالت من غير أن أكلمها مرحبا بك يا عبد الواحد فقلت لها رحمك الله أعرفتنى وعجبت من معرفتها الى ولم ترنى قبل ذلك فقالت ما الذى جاء بك ههنا فقلت جئت لتعظينى فقالت واعجباه لواعظ يوعظ ثم قالت يا عبد الواحد اعلم ان العبد اذا كان فى كفاية ثم مال الى الدنيا سلبه الله حلاوة

الزهد فبطل حيران والهاوان كان له نصيب عند الله عاتبه وحيائى ومره فقال عبدى أردت ان أرفع قدرك عند ملائكتى وحملة عرشى واجعلك دليلا لأوليائى وأهل طاعتى فى أرضى فلت الى عرض من اعراض الدنيا وتركتنى فورثتك بذلك الوحشة بعد الانس والذل بعد العز والفقر بعد الغنى عبدى ارجع الى ما كنت عليه أرجع لك ما كنت تعرفه من نفسك ثم تركتنى وولت عنى وانصرفت عنها وبقلبى حسرة منها وأنشدوا

النك فى دار لهامدة * يقبل فيها عمل العامل
أما ترى الموت محيطا بها * يقطع فيها أمل الآمل
تعجل الذنب بما تشتهى * وتأمل التوبة من قابل
والموت يأتى بعد ذا غفلة * ماذا بفعل الحازم العاقل

* ولما نزل سعد بن أبى وقاص الحيرة قيل له ههنا عجوز من بنات الملوك يقال لها الحرقة بنت النعمان بن المنذر وكانت من أجل قبائل العرب وكانت اذا خرجت الى بيعتها نشرت عليها ألف قطيفة حرير وديباج ومعها ألف وصيف ووصيفة فأرسل اليها سعد فجاءت كالشن البالى فقالت يا سعد كنا ملوك هذا المصر قبلك يحمل الينا خراجه ويطيعنا أهله مدة من المدد حتى صاح بنا صائح الدهر فشتت شملنا والدهر ذو نوائب وصروف فلو رأيتنا فى أيامنا الا وعدت فرائصك فزعا منا فقال لها سعد ما أنعم ما تنعمتم به قالت سعة الدنيا علينا وكثرة الاصوات اذا دعونا ثم أنشأت تقول

وبينا نسوس الناس والامر أمرنا * اذا نحن فيهم سوقة ليس تنصف
فتبا لدنيا لا يدوم نعيمها * تقلب تارات بنا وتصرف

ثم قالت يا سعد انه لم يكن أهل بيت خير الا والدهر يعقبهم غيره حتى يأتى أمر الله على الفريقين فأكرمها سعد وأمر بردها فلما أرادت القيام قالت يا سعد لا أزال الله عنك نعمة ولا جعل لك الى لئيم حاجة ولا أزال عن كريم نعمة ولا أزال عن عبد صالح نعمة الا جعلك الله سببا الى ردها عليه ولبعضهم

من كان يعلم ان الموت يدركه * والقبر مسكنه والبعث مخرجه
وأنه بين جنات ستبهجه * يوم القيامة أو نار ستفضحه
فكل شئ سوى التقوى به سمج * وما أقام عليه منه أسمجه
ترى الذى اتخذ الدنيا له وطنا * لم يدر أن المنايا سوف تزعجه

(وروى) ان عيسى عليه السلام كان مع صاحب له سياحان فأصابهما الجوع وقد انتهيا الى قرية فقال عيسى لصاحبه انطلق فاطلب لنا طعاما من هذه القرية وقام عيسى يصلى فجاء الرجل بثلاثة أرغفة فأبطأ عليه انصراف عيسى فأكل رغيفا فانصرف عيسى فقال أين الرغيف الثالث فقال ما كانا الا رغيفين قال فمرا على وجوههما حتى مر بظباء ترعى فدعا عيسى عليه السلام ظبيا منها فذبحه فأكلا منه ثم قال عيسى عليه السلام للظبى قم باذن الله فاذا هو يشتد فقال الرجل سبحان الله فقال عيسى بالذى أراك هذه الآية من صاحب الرغيف قال ما كانا الا اثنين قال فمضيا على وجوههما فمرا بنهر عجاج عظيم فأخذ عيسى عليه السلام بيده فمشى به على الماء حتى جاوز الماء فقال الرجل سبحان الله فقال عيسى عليه السلام بالذى أراك هذه الآية من صاحب الرغيف قال ما كانا الا اثنين فخرجا حتى أتيا قرية عظيمة خربة واذا قريب منها لبن ثلاث من ذهب فقال الرجل هذا مال فقال عليه السلام أجل هذا مال واحدة لى وواحدة لك وواحدة لصاحب الرغيف فقال أنا صاحب الرغيف فقال عليه السلام هى لك كلها فارقه فأقام عليها ليس معه ما يحملها عليه فمر به ثلاثة نفر فقتلوه وأخذوا اللبن فقال اثنان منهم لواحد انطلق الى القرية فأتنا بطعام فذهب فقال احد الباقين تعال نقتل هذا اذا جاء ونقسم هذا بيننا قال الآخر نعم وقال الذى ذهب يشترى الطعام أجعل فى الطعام سما فأقتلهما وآخذ اللبن ففعل فلما جاء قتلاه وأكلا من الطعام الذى جاء به

بدل على عظم خطر الولاية ماروى ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بعض الايام فلزم حلقة باب الكعبة وكان فى البيت نفر من قريش فقال صلى الله عليه وسلم يا سادات قريش عاملوا رعاياكم وأتباعكم بثلاثة أشياء اذا سألوكم الرحمة فارحموهم واذا حكموكم فاعدلوا فيهم واعملوا بما تقولون فمن لم يعمل بهذا فعليه لعنة الله والملائكة ولا يقبل الله منه فرضا ولا نفلا وقال صلى الله عليه وسلم من حكم بين خصمين فظلم فلعنة الله على الظالمين وقال صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا ينظر الله اليهم يوم القيامة سلطان كاذب وشيخ زان وفقير متكبر يعنى انه يتكبر للطمع وقال صلى الله عليه وسلم للصحابة رضى الله عنهم سيأتى عليكم يوم تفتحون جانب المشرق والمغرب ويصير بأيديكم فكل عمال تلك الاماكن فى النار الا من اتقى الله تعالى وسلك سبيل التقوى وأدى الامانة وقال صلى الله عليه وسلم ما من عبد ولاه الله أمر رعيته فغشهم ولم ينصح لهم ولم يشفق عليهم الا حرم الله عليه الجنة وقال صلى الله عليه وسلم من ولى أمور المسلمين ولم يحفظهم كحفظ أهل بيته فقد تبوأ مقعده من النار وقال صلى الله عليه وسلم رجلان من أمتى يحرمان شفاعتى ملك ظالم ومبتدع غال فى الدين يتعدى الحدود وقال صلى الله عليه وسلم أشد الناس عذابا يوم القيامة السلطان الظالم وقال صلى

فلما

فلما قربهم عيسى عليه السلام وهم حولها منصرعين فقال هكذا تفعل الدنيا بأهلها (وقال عبد الملك) بن عمير رأيت فى هذا القصر عجبا رأيت رأس الحسين بن على بين يدى ابن زياد ثم رأيت رأس ابن زياد بين يدى المختار ثم رأيت رأس المختار بين يدى المصعب بن الزبير ثم رأيت رأس المصعب بن الزبير بين يدى عبد الملك بن مروان (وقال الاصمعى) لما زخرف الرشيد مجالسه وتحرم فيها وزوقها وصنع فيها طعاما كثيرا أرسل الى أبى العتاهية وقال صف لنا ما نحن فيه من نعيم هذه الدنيا فقال

عش ما بدا لك سالما * فى ظل شاهقة القصور
يسعى عليك بما اشتهيـ * ـت لدى الرواح وفى البكور
واذا النفوس تقعقعت * فى ضيق حشرجة الصدور
فهناك تعلم موقنا * ما كنت الا فى غرور

فبكى هرون فقال الفضل بن يحيى بعث اليك أمير المؤمنين لتسره فأحزنته فقال هرون دعه فانه رآنا فى ضلالة وعمى فكره أن يزيدنا عمى (ويروى) ان سليمان بن عبد الملك لبس أفخر ثيابه ومس أطيب طيبه ونظر فى مرآته فأعجبته نفسه وقال أنا الملك الشاب وخرج الى الجمعة وقال لجاريته كيف ترين فقالت

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى * غير أن لا بقاء للانسان
ليس فيما بدا لنا منك عيب * عابه الناس غير أنك فانى

فأعرض بوجهه ثم خرج فصعد المنبر وصوته يسمع آخر المسجد فركبته الحمى فلم يزل صوته ينقص حتى ما سمعه من حوله فصلى ورجع بين اثنين يسحب رجليه فلما صار على فراشه قال لجاريته ما الذى قلت لى فى صحن الدار قالت ما رأيتك ولا قلت شيأ وأنى لى بالخروج الى صحن الدار فقال انا لله وانا اليه راجعون نعيت الى نفسى ثم عهد عهده وأوصى وصيته فلم تدر عليه الجمعة الاخرى الا وهو فى قبره (ووجد) مكتوبا على قصر سيف بن ذى يزن

من كان لا يطأ التراب برجله * وطئ التراب بناعم الخد
من كان بينك فى التراب وبينه * شبران كان بغاية البعد
لو بعثرت للناس أطباق الثرى * لم يعرف المولى من العبد

(وقال الهيثم بن عدى) وجدوا غارا فى جبل لبنان زمان الوليد بن عبد الملك فيه رجل مسجى على سرير من ذهب وعند رأسه لوح من ذهب مكتوب فيه بالرومية أنا سبا بن نواس بن سبا خدمت عيصو بن اسحق بن ابراهيم خليل الرب الديان الملك الأكبر وعشت بعده عمرا طويلا ورأيت عجبا كثيرا ولم أر فيما رأيت أعجب من غافل عن الموت وهو يرى مصارع آبائه ويقف على قبر أحبائه ويعلم انه صائر اليهم ثم لا يتوب وقد علمت ان الاجلاف الجفاة سيزلونى عن سريرى ويحولونه وذلك حين يتغير الزمان وتتأمر الصبيان ويكثر الحدثان فمن أدرك هذا الزمان عاش قليلا ومات ذليلا (ويروى) ان الاسكندر مر بمدينة قد ملكها أملاك سبعة وبادوا فقال هل بقى من نسل الاملاك الذين ملكوا هذه المدينة أحد قالوا رجل يكون فى المقابر فدعا به وقال له ما دعاك الى لزوم المقابر قال أردت أن أعزل عظام الملوك من عظام عبيدهم فوجدت ذلك سواء قال فهل لك أن تتبعنى فأحيى بك شرف آبائك ان كانت لك همة قال ان همتى لعظيمة ان كانت بغيتى عندك قال وما بغيتك قال حياة لا موت فيها وشباب لا هرم فيه وغنى لا يتبعه فقر وسرور لا يعتريه مكروه قال ما أقدر على هذا قال فامض لشأنك وخلنى أطلب بغيتى ممن هى عنده فقال الاسكندر هذا أحكم من رأيت (وروى) فى الاسرائيليات ان عيسى بن مريم عليه السلام بينما هو فى بعض سياحته اذ مر بجمجمة نخرة فأمرها أن تتكلم فقالت يا روح الله أنا بلوام بن حفص ملك اليمن عشت ألف سنة وولد لى ألف ذكر وافتضضت ألف بكر وهزمت ألف عسكر وقتلت ألف جبار وافتتحت ألف مدينة فمن رآنى فلا يغتر بالدنيا كما غرتنى فما كانت الا كحلم نائم فبكى

الله عليه وسلم خمسة قد غضب الله عليهم وان شاء أمضى غضبه ومقرهم النار أمير قوم يأخذ منهم ولا ينصفهم من نفسه ولا يرفع الظلم عنهم ورئيس قوم يطيعونه وهو لا يساوى بين القوى والضعيف ويحكم بالميل والمحاباة ورجل لا يأمر أهله وأولاده بطاعة الله ولا يعلمهم أمور الدين ولا يبالى من أين أطعمهم ورجل استأجر أجيرا فتم عمله ومنعه أجرته ورجل ظلم زوجته فى صداقها وروى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه شيع يوما جنازة فتقدم رجل وصلى بالجنازة فلما دفن الميت وضع ذلك الرجل يده على قبره وقال اللهم ان عذبته فبحقك لانه قد عصاك وان رحمته فانه فقير الى رحمتك وطوبى لك أيها الميت ان لم تكن أميرا أو عريفا أو كاتبا أو عوانيا أو جابيا فلما تكلم هذه الكلمات غاب شخصه عن عيون الناس فأمر عمر رضى الله عنه بطلبه فطلب فلم يوجد فقال عمر رضى الله عنه هذا الخضر عليه السلام وقال النبى صلى الله عليه وسلم ويل للامراء وويل للعرفاء وويل للعوانية فانهم أقوام يعلقون يوم القيامة من السماء بذوائبهم يودون لو لم يعملوا عملا قط وقال صلى الله عليه وسلم ما من رجل ولى أمر عشرة من الناس الا جئ به يوم القيامة ويداه مغلولتان الى عنقه فان كان عمله صالحا فك الغل عنه وان كان عمله سيئا غل آخر وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه ويل لقاضى الارض

Reference: 12964. Copyright for this page: Creative Commons Attribution Licence
View on the Qatar Digital Library: http://www.qdl.qa/en/archive/qnlhc/12964.14

عيسى عليه السلام (ووجد) مكتوبا على قصر بعض الملوك وقد باد أهله وأقفرت ساحته

هذى منازل أقوام عهدتهم * يوفون بالعهد مذ كانوا بالذمم
تبكي عليهم ديار كان يطربها * ترنم المجد بين الحلم والكرم

(وقال) عبد الله بن أبي نوح نزل حي من العرب شعبا من شعاب الجبن فتشاحنوا فيه واختلفوا واستعدوا للقتال فاذا صائح يصيح ياهؤلاء على رسلكم علام القتال فوالله لقد ملكني سبعون أعور كلهم اسمه عمرو *(فصل)* أيها الرجل اعتبر بمن مضى من الملوك والاقيال وخلا من الامم والاجيال وكيف بسطت لهم الدنيا وأنسئت لهم الآجال وانفسح لهم في المنى والآمال وأمدوا بالآلات والعدد والاموال كيف طحنتهم بكلكلها المنون واختدعهم بزخرفه الدهر الخؤون وأسكنوا بعد سعة القصور بين الجنادل والصخور وعاد العين أثرا والملك خبرا فاما اليوم فقد ذهب صفو الزمان وبقي كدره فالموت اليوم تحفة لكل مسلم كان الخير أصبح خاملا والشر أصبح ناظرا وكان الغي أصبح ضاحكا والرشيد باكيا وكان العدل أصبح غائرا وأصبح الجور عاليا وكان العقل أصبح مدفونا والجهل منشورا وكان اللؤم أصبح باسقا والكرم خاويا وكان الود أصبح مقطوعا والبغضاء موصولة وكان الكرامة قد سلبت من الصالحين وتوخى بها الاشرار وكان الخب أصبح مستيقظا والوفاء نائما وكان الكذب أصبح مثمرا والصدق ماحلا وكان الاشرار أصبحوا يسامون السماء وأصبح الاخيار يردون بطن الارض أما ترى الدنيا تقبل اقبال الطالب وتدبر ادبار الهارب وتصل وصال الملول وتفارق فراق العجول فخيرها يسير وعيشها قصير واقبالها خديعة وادبارها فجيعة ولذاتها فانية وتبعاتها باقية فاغتنم غفوة الزمان وانتهز فرصة الامكان وخذ من نفسك لنفسك وتزود من يومك لغدك ولا تنافس أهل الدنيا في خفض عيشهم ولين رياشهم ولكن انظر الى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم قال الشاعر

رب مغروس يعاش به * عدمته عين مغترسه
وكذاك الدهر مأتمه * أقرب الاشياء من عرسه

وقد قال التهامي

تنافس في الدنيا غرورا وانما * قصارى غناها أن تؤول الى الفقر
وانا لفي الدنيا كركب سفينة * تظن وقوفا والزمان بها يجري

ولبعض الشعراء

تروح لك الدنيا بغير الذي غدت * وتحدث من بعد الامور أمور
وتجري الليالي باجتماع وفرقة * وتطلع فيها أنجم وتغور
فمن ظن أن الدهر باق سروره * فذلك محال لا يدوم سرور
عفا الله عمن صير الهم واحدا * وأيقن ان الدائرات تدور

(وقال وهب بن منبه) قرأت في كتب بعض الانبياء عليهم السلام أن المسيح اجتاز بجمجمة هائلة عظيمة نخرة فقال له أصحابه ياروح الله لو سألت الله تعالى أن يستنطق هذه الجمجمة فعسى تخبرنا بما رأته من العجائب ففعل فأنطقها الله تعالى فقالت ياروح الله اني عشت ألف سنة واستولدت ألف ذكر وافتضضت ألف مدينة وهزمت ألف جيش وقتلت ألف جبار وصحبت الدهر واختبرته وامتحنت تقلبه وانقلابه فلم أر شيأ أشد من طالح يلي أمر صالح ولم أجد لهذا الدهر شيأ أنفع من الصبر ومسالمة أهله ولم أر هلاك أهله الا في الحرص والطمع ووجدت العز في الرضا بالقسم (وقال محمد) بن أبي العتاهية آخر شعر قاله أبي في مرضه الذي توفي فيه رحمه الله

الهي لا تعذبني فاني * مقر بالذي قد كان مني
فمالي حيلة الا رجائي * وعفوك ان عفوت وحسن ظني
وكم من زلة لي في البرايا * وأنت علي ذو فضل ومن
اذا فكرت في ندمي عليها * عضضت أناملي وقرعت سني

يجعل كتاب الله مرآته ونصب عينه ويحكم بما فيه وقال صلى الله عليه وسلم يؤتى بالولاة يوم القيامة فيقول الله تعالى انتم كنتم رعاة خليقتي وخزنة ملكي في أرضي ثم يقول لاحدهم لم ضربت عبادي فوق الحد الذي أمرت به فيقول يارب لانهم عصوك وخالفوك فيقول لا ينبغي أن يسبق غضبك غضبي ثم يقول للآخر لم عاقبت عبادي أقل من الحد الذي أمرت به فيقول يارب رحمتهم فيقول الله كيف تكون أرحم مني خذوا الذي زاد والذي نقص فاحشوا بهما زوايا جهنم وقال حذيفة اليماني رضى الله عنه انا لا أثني على أحد من الولاة سواء كان صالحا أو غير صالح لاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى بالولاة العادلين والظالمين يوم القيامة فيوقفون على الصراط فيوحي الله الى الصراط ان ينفضهم في النار مثل من جار في الحكم وأخذ رشوة على القضاء وأعار سمعه لاحد الخصمين دون الآخر فيسقطون من الصراط فيهوون في النار سبعين سنة حتى يصلوا الى قرارها وقد جاء في الخبران داود عليه السلام كان يخرج في الليل متنكرا

بحيث لا يعرفه أحد وكان يسأل كل من يلقاه عن سيرة داود سرا حتى جاء جبريل عليه السلام يوما في صورة فقال اجن

أجن بزهرة الدنيا جنونا * وأقطع طول عمري بالتمني
وبين يدي مبقات عظيم * كأني قد دعيت له كأني
ولو أني صدقت الله فيها * قلبت لاهلها ظهر المجن

(وقال ابن عباس) لما ورد عبد القيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيكم يعرف قس بن ساعدة قالوا كلنا نعرفه يارسول الله قال رجل لست أنساه بعكاظ على جمل أحمر وهو يخطب الناس ويقول أيها الناس اجتمعوا فاذا اجتمعتم فاسمعوا واذا سمعتم فعوا واذا وعيتم فقولوا واذا قلتم فاصدقوا من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت ان في السماء لخبرا وان في الارض لعبرا مهاد موضوع وسقف مرفوع ونجوم تغور وبحر لا يغور أقسم قس قسم حق لا كذب فيه ولا اثم لئن كان في الارض رضا ليكونن سخطا ان لله دينا هو أحب اليه من دينكم هذا الذي أنتم عليه مالي أرى الناس يذهبون ولا يرجعون أرضوا بالمقام فقاموا أو تركوا على حالهم فناموا ثم قال أيكم يروي شعره فأنشدوه

في الذاهبين الاولين * من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردا * للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها * تمضي الاصاغر والاكابر
لا يرجع الماضي الي * ولا من الباقين غابر
سكنوا البيوت فوطنوا * ان البيوت هي المقابر
أيقنت أني لا محا * لة حيث صار القوم صائر

ثم قال الرجل لقد رأيت منه عجبا اقتصت واديا فاذا أنا بعين جارية وروضة مدهامة وشجرة عادية واذا بقس بن ساعدة قاعد في أصل الشجرة وبيده قضيب وقد ورد على العين سباع كثيرة فكلما ورد سبع على صاحبه ضربه بالعصا وقال تنح حتى يشرب الذي ورد قبلك فلما رأيت ذلك ذعرت ذعرا شديدا والتفت الي وقال لا تخف فالتفت واذا بقبرين بينهما مسجد فقلت ما هذان القبران قال هما قبرا أخوين كانا يعبدان الله تعالى معي في هذا الموضع وأنا أعبد الله بينهما حتى ألحق بهما فقلت له ألا تلحق بقومك فتكون في خيرتهم فقال لي ثكلتك أمك أوما علمت ان ولد اسمعيل تركت دين أبيها واتبعت الاصنام وعظمت الانداد ثم تركني وأقبل على القبرين وقال

خليلي هبا طالما قد رقدتما * أجدكما تقضيان كراكما
أرى النوم بين الجلد والعظم منكما * كأن الذي يسقي العقار سقاكما
ألم تعلما أني بسمعان مفرد * ومالي فيه من خليل سواكما
مقيم على قبريكما لست نازحا * طوال الليالي أو يجيب صداكما
أأبكيكما طول الحياة وما الذي * يرد على ذي غصة أن بكاكما
كأنكما والموت أقرب غاية * بروحي في قبريكما قد أتاكما
سلام وتسليم وروح ورحمة * ومغفرة المولى على ساكناكما
فلو جعلت نفس لنفس وقاية * لجدت بنفسي أن تكون فداكما

وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان قس بن ساعدة يبعث أمة وحده يعني ان كل أمة آمنت بنبيها تبعث أمة وحدها لاجتماعها في برها ويبعث قس أيضا وحده أمة ليس معه أحد (ويروى) ان المهدي نام يوما فأنشد في نومه هذه الابيات

كأني بهذا القصر قد باد أهله * وأوحش منه ركنه ومنازله
فلم يبق الا ذكره وحديثه * ينادي بليل معولات ثواكله

فما أتت عليه عاشرة عشرة حتى مات (وأنشدني) القاضي أبو العباس الجرجاني رحمه الله بالبصرة هذه

حزنا وقال الهي علي صنعة آكل بها من تعبي وكد بدني فعلمه الله تعالى عمل الزرد كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كل ليلة يطوف مع العسس حتى يرى خلاية داركه وكان يقول لو تركت عنز جرباء الى جانب ساقية لم تدهن لخشيت ان أسئل عنها يوم القيامة فانظر أيها السلطان الى عمر رضى الله عنه مع احتياطه وعدله وما وصل أحد من الآدميين الى تقواه وصلاحه كيف يتفكر ويتخوف من أهوال يوم القيامة وأنت قد جلست لاهيا عن احوال رعيتك غافلا عن أهل ولايتك قال عبد الله بن عمرو وجماعة من أهل بيته انا كنا ندعو الله تعالى ليرينا عمر في المنام فرأيته في المنام بعد اثنتي عشرة سنة كأنه قد اغتسل وهو متلفع بازار فقلت يا أمير المؤمنين كيف وجدت ربك بأي حسناتك جازاك فقال يا عبد الله كم لي منذ فارقتكم فقلت اثنتا عشرة سنة فقال منذ فارقتكم كنت في الحساب وخفت ان أهلك الا ان الله غفور رحيم جواد كريم فهذا حال عمر رضى الله عنه ولم يكن له في دنياه من أسباب الولاية سوى درة

(حكاية)

أرسل قيصر رسولا الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه لينظر أحواله ويشاهد أفعاله فلما دخل المدينة سأل أهلها وقال أين ملككم

Reference: 12964. Copyright for this page: Creative Commons Attribution Licence
View on the Qatar Digital Library: http://www.qdl.qa/en/archive/qnlhc/12964.15

فقالوا اما الناماك بل لنا أمير قد خرج الى ظاهر المدينة فخرج الرسول فى طلبه فرآه نائما فى الشمس على الارض
فوق الرمل الحار وقد وضع
درته كالوسادة والعرق
يسقط من جبينه الى أن قد
بل الارض فلما رآه على
هذه الحالة وقع الخشوع
فى قلبه وقال رجل يكون
جميع الملوك لا يقرلهم قرار
من هيبته وتكون هذه
حالته ولكنك يا عمر عدلت
فأمنت فنمت وملكنا يجور
فلا جرم أنه لا يزال ساهرا
خائفا أشهد أن دينك الدين
الحق ولولا أنى أتيت
رسولا لاسلمت ولكنى
أعود بعد هذا وأسلم أيها
السلطان خطر الولاية عظيم
وخطبها جسيم والشرح فى
ذلك طويل ولا يسلم الوالى
الا بمقارنة علماء الدين
ويحرص على استماع نصيحتهم
وان يحذر من رؤية علماء
السوء يحرصون على الدنيا
فانهم يثنون عليك
ويعرفونك ويطلبون
رضاك طمعا فيما بيدك من
خبيث الحطام ونيل
الحرام ليحصلوا منه شيأ
بالمكر والحيل والعالم
الصالح هو الذى لا يطمع
فيما عندك من المال
وينصفك فى الوعظ والمقال
كما يقال ان شقيقا البلخى
دخل على هارون الرشيد
فقال أنت شقيق الزاهد
فقال له أنا شقيق
ولست بزاهد فقال له
أوصنى فقال له ان الله
تعالى قد أجلسك مكان
الصديق وانه يطلب منك مثل صدقه وأعطاك موضع عمر بن الخطاب الفاروق وهو يطلب منك الفرق بين الحق والباطل ان

الابيات

بالله ربك كم قصر مررت به * قد كان يعمر باللذات والطرب
طارت عقاب المنايا فى جوانبه * فصاح من بعده بالويل والحرب

وأنشدنى أيضا

أيها الرافع البناء رويدا * لن تذود المنون عنك المبانى
ان هذا البناء يبقى ويفنى * كل شئ أبقى من الانسان

(وقال الحكم بن عمرو) قال أبو جعفر المنصور عند موته اللهم ان كنت تعلم أنى ارتكبت الامور العظام جراءة منى عليك فانك تعلم أنى قد أطعتك فى أحب الاشياء اليك شهادة أن لا اله الا الله منا منك لا منا عليك *وكان سبب احرامه من الخضراء أنه كان يوما نائما فأتاه آت فى منامه فقال

كأنى بهذا القصر قد باد أهله * وأوحش منه أهله ومنازله
وصار عميد القصر من بعد بهجة * الى تربة تسفى عليه جنادله

فانتبه فظعر عوبا ثم نام فأنشد

أبا جعفر حانت وفاتك وانقضت * سنوك وأمر الله لا بد واقع
فهل كاهن أعددته ومنجم * أبا جعفر عنك المنية دافع

فقال يا ربيع ائتنى بطهورى فقام واغتسل ولبى وتجهز للحج ثم قال يا ربيع القنى فى حرم الله تعالى
(وأنشدنى) القاضى أبو العباس الجرجانى بالبصرة

ان كنت تسمو الى الدنيا وزينتها * فانظر الى ملك الاملاك قارون
زم الامور وطاعته مقادتها * ومصر الناس بالتشديد واللين
حتى اذا ظن أن لا شئ غالبه * ومكنت قدماه أى تمكين
راحت عليه المنايا روحه تركت * هذا الملك والعز تحت الماء والطين

وأنشدنى أبو محمد التميمى ببغداد

لمن أبنى لمن أمم المطايا * لمن استأنف الثنى الجديدا
اذا ما صار اخوانى رفاتا * وصرت لفقدهم فردا وحيدا
أعاين معشر الهم شكول * وأشكالى قد اعتنقوا اللحودا

(وممن زهد فى الدنيا) وأبصر عيوبها من أبناء الملوك أبو عقال علوان بن الحسن من بنى الاغلب وهم ملوك المغرب وكان ذا نعمة وملك وله فتوة ظاهرة فتاب الى ربه ورجع عن ذلك رجوعا فارق نظراءه فرفض المال والاهل وهجر البناء والوطن وبلغ من العبادة مبلغا أربى فيه على المجتهدين وعرف باجابة الدعوة وكان عالما أديبا قد صحب عدة من أصحاب سحنون وسمع منهم ثم انقطع الى بعض السواحل فصحب رجلا يكنى أبا هرون الاندلسى منقطعا متبتلا الى الله تعالى فلم ير منه كبير اجتهاد فى العمل فبينا أبو عقال يتهجد فى بعض الليالى وأبو هرون نائم اذ غالبه النوم فقال لنفسه يا نفس هذا عابد جليل القدر ينام الليل كله وأنا أسهر الليل كله فلو أرحت نفسى فوضع جنبه فرأى فى منامه شخصا قائلا عليه أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات الى آخر الآية فاستيقظ فزعا وعلم أنه المراد فأيقظ أبا هرون وقال له سألتك بالله هل أتيت كبيرة قط قال لا يا ابن أخى ولا صغيرة عن تعمد والحمد لله فقال أبو عقال لهذا تنام أنت ولا يصلح لمثلى الا الكد والاجتهاد ثم دخل الى مكة ولزم بيت الله الحرام وحج مرارا وأربى على عباد المشرق وكان يعمل بالقربة على ظهره بقوته ومات بمكة وهو ساجد فى صلاة الفريضة بالمسجد الحرام سنة ست وتسعين ومائتين وقال له رجل كان يصحبه يوما الى الله حاجة فقال له بعد الجهد به حاجتك مقضية قال ان كان لك شهوة أخبرنى بها قال نعم أشتهى أن آكل رأسا قال فاشتريت له رأسين ولففتهما فى رقاق وجئته بهما ثم سألته بعد أيام هل طاب لك الرأسان قال لا ما هو الا أن فتحتهما فاذا هما محشوان دودا ليس فيهما البتة لحم الا الدود فأتيت الرآس فأخبرته فأطرق متعجبا ثم قال ما ظننت

مثله وأقعدك مكان ذى النورين وانه يطلب منك حياءه وكرمه وأقعدك موضع على بن أبى طالب وانه يطلب منك العلم والعدل
كما طلب منه فقال له زدنى
من وصيتك فقال نعم اعلم
ان لله تعالى دارا تعرف
بجهنم وانه جعلك بواب تلك
الدار وأعطاك ثلاثة أشياء
بيت المال والسوط والسيف
وأمرك ان تمنع الخلق من
دخول النار بهذه الثلاثة
فمن جاءك محتاجا فلا تمنعه
من بيت المال ومن خالفك
فيما أمر به تعالى فأدبه بهذا
السوط ومن قتل نفسا
بغير حق فاقتله بالسيف
باذن ولى المقتول فان لم
تفعل ما أمرك فأنت تكون
الزعيم لاهل النار والمتقدم
لاهل دار البوار فقال
زدنى من الوصية فقال
انما مثلك كمثل معين الماء
وسائر العمال فى العالم
كمثل السواقى فاذا كان
المعين صافيا لا يضر كدر
السواقى واذا كان المعين
كدرا لا ينفع صفاء السواقى
خرج هارون الرشيد
والعباس ليلا الى زيارة
الفضيل بن عياض فلما
وصلا الى بابه وجداه يتلو
هذه الآية أم حسب الذين
اجترحوا السيئات أن
نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا
الصالحات سواء محياهم
ومماتهم ساء ما يحكمون
معنى الآية أيظنون ان
الذين يكسبون الخطايا
ويعملون الاعمال المذمومة
ان نساوى بينهم فى الآخرة
وبين الذين يعملون الخيرات
وهم مؤمنون كلا ولما فقال هارون ان كان جئنا لطلب الموعظة فكفى بهذا موعظة ثم أمر العباس ان يطرق عليه الباب فطرق بابه

أن فى زماننا أحدا يحمى عن الحرام هذه الحماية تلك الرؤس كانت من غنم انتهبها بعض العمال ثم أعطانى رأسين من غير تلك الغنم فأتيت بهما أبا عقال فأكلهما فأخبرته بما قال الرآس فبكى ثم قال يا رب ما كان يستحق عبدك أبو عقال مثل هذه الحماية ولكنه يا رب فضلك وكرمك فلك على يا رب أن لا آكل طعاما بشهوة أشتهيها حتى ألقاك ان شاء الله تعالى وكانت له أخت متعبدة فلما مات لحقت قبره بمكة وبكت عليه وكتبت عليه هذه الابيات

ليت شعرى ما الذى عاينته * بعد دوم الصوم مع نفى الوسن
مع عزوف النفس عن أوطارها * والتخلى عن حبيب وسكن
يا شقيقى ليس فى وجدى به * علة تغنى عن أن أحسن
وكما تبلى وجوه فى الثرى * فكذا يبلى عليهن الحزن

(وروى) ان رجلين تنازعا فى أرض فأنطق الله لبنة من جدار تلك الارض فقالت انى كنت ملكا من الملوك ملكت الدنيا ألف سنة ثم مت وصرت رميما ألف سنة فأخذنى خزاف واتخذنى خزفا ثم أخذنى وضربنى لبنا وأنا فى هذا الجدار كذا وكذا سنة فلم تتنازعان فى هذه الارض (ومن أعجب) ما روى فى الاسرائيليات ان ابنة من بنات الملوك تزهدت فى الدنيا وتابت وخرجت من ملكها ففقدت فلم يسمع لها خبر ولا علم لها أثر وكان هنالك دير للمتعبدين فلحق بهم شاب يتعبد فأبصروا منه من الاجتهاد والجد فى العمل وملازمة الاوراد ومواصلة الاعمال ما فاق به جميع من فى الدير وأقام على ذلك ما شاء الله تعالى الى ان انقضت أيامه ووافاه حمامه فقضى الفتى نحبه فخرج له أهل الدير من الزهاد والعباد والمنقطعين وأذروا عليه الدموع ثم أخذوا فى غسله واذا هو امرأة ففحصوا عن أمره واذا هى بنت الملك فزادهم ذلك اعجابا به وتعظيما له وتشاوروا فى أمره ماذا يحدثون له من الكرامة ثم أجمعوا أمرهم أن لا يدفنوها تحت الثرى وان يحملوها فوق أكفهم فغسلوها وكفنوها وجهزوها وصلوا عليها ثم أقبلوا يحملونها على الاكف والسواعد كلما ضجر واحد جاء واحد يحمل مع من يحمل وكل من انقطع فى الدير لعبادة ربه جعل يحمل معهم الى أن بليت وتقطعت أوصالها مع طول الزمان فدفنت حينئذ رحمة الله عليها (وكان) فى بلاد الروم مما يلى أرض الاندلس رجل نصرانى قد بلغ فى التخلى من الدنيا مبلغا عظيما واعتزل الخلق والتزم قلال الجبال والسياحة فى الارض الى الغاية القصوى فورد على المستعين بن هود فى بعض الامر فأكرمه ابن هود ثم أخذ بيده وجعل يعرض عليه ذخائر ملكه وخزائن أمواله وما حوته من البيضاء والحمراء وأحجار الياقوت والجواهر وأمثالها ونفائس الاعلاق والجوارى والحشم والاجناد والكراع والسلاح فأقاموا فى ذلك أياما فلما انقضت قال له كيف رأيت ملكى قال قد رأيت ملكا ولكنه يعوزك فيه خصلة ان أنت قدرت عليها ففيها نظام ملكك وان لم تقدر عليها فهذا الملك لا شئ قال وما تلك الخصلة قال تعمد فتصنع غطاء عظيما حصينا قويا وتكون مساحته قدر البلد ثم تكبه على البلد حتى لا يجد ملك الموت مدخلا اليك فقال المستعين سبحان الله أو يقدر البشر على هذا فقال العلج يا هذا أتفتخر بأمر تتركه غدا ومثال من يفتخر بما يفنى كمن يفتخر بما يراه فى النوم (ويروى) ان ملكا من الملوك بنى قصرا وقال انظروا من عاب منه شيأ فأصلحوه وأعطوه درهمين فأتاه رجل فقال ان فى هذا القصر عيبين قال وما هما قال يموت الملك ويخرب القصر قال صدقت ثم أقبل على نفسه وترك الدنيا (ومن عجائب) أخبار الخضر عليه السلام قالوا سئل الخضر عليه السلام عن أعجب شئ رأيته فى الدنيا فى طول سياحتك وكثرة جولاتك وقطعك القفار والفلوات قال أعجب ما رأيته أنى مررت على مدينة لم أر على وجه الارض أحسن منها فسألت بعضهم متى بنيت هذه المدينة قالوا سبحان الله ما يذكر آباؤنا ولا أجدادنا متى بنيت هذه المدينة وما زالت كذلك من عهد الطوفان ثم غبت عنها نحوا من خمسمائة عام وعبرت عليها بعد ذلك واذا هى خاوية على عروشها ولم أر أحدا أسأله واذا رعاة غنم قد دنوت منهم فقلت أين المدينة التى كانت

Reference: 12964. Copyright for this page: Creative Commons Attribution Licence
View on the Qatar Digital Library: http://www.qdl.qa/en/archive/qnlhc/12964.16

هيهنا قالوا سبحان الله مايدرك آباؤنا ولا أجدادنا أنه قط كانت ههنا مدينة فغبت عنها نحوا من خمسمائة عام ثم انتهيت اليها فاذا موضع تلك المدينة بحر واذا غواصون يخرجون منه شبه الحلية فقلت لبعض الغواصين منذ كم كان هذا البحر ههنا فقال سبحان الله مايدرك آباؤنا ولا أجدادنا الا ان هذا البحر منذ بعث الله الطوفان ثم غبت عنها نحوا من خمسمائة عام ثم انتهيت اليها واذا ذلك البحر قد غاض ماؤه واذا مكانه غيضة ملتفة بالقصب والبردى والسباع واذا صيادون يصيدون السمك فى زوارق صغار فقلت لبعضهم أين البحر الذى كان ههنا فقال سبحان الله مايذكر آباؤنا ولا أجدادنا انه كان ههنا قط بحر فغبت عنها نحوا من خمسمائة عام ثم أتيت الى ذلك المكان فاذا هو مدينة على حاله الاولى والحصون والقصور والاسواق قائمة فقلت لبعضهم أين الغيضة التى كانت ههنا ومتى بنيت هذه المدينة فقالوا سبحان الله مايذكر أحد الا ان هذه المدينة على حالها منذ بعث الله الطوفان فغبت عنها نحوا من خمسمائة عام ثم انتهيت اليها فاذا عاليها سافلها وهى تدخن بدخان شديد فلم أر أحدا أسأله ثم رأيت راعيا فسألته أين المدينة التى كانت ههنا ومتى حدث هذا الدخان فقال سبحان الله مايذكر آباؤنا ولا أجدادنا الا ان هذا الموضع كان هكذا منذ كان فهذا أعجب شئ رأيته فى سياحتى فى الدنيا فسبحان مبيد العباد ومفنى البلاد ووارث الارض ومن عليها ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم (قال الشاعر)

قف بالديار فهذه آثارهم * تبكى الاحبة حسرة وتشوقا
كم قد وقفت بها أسائل مخبرا * عن أهلها أو ناطقا أو مشفقا
فاجابنى داعى الهوى فى رسمها * فارقت من تهوى فعز الملتقى

(ومن الشعر) المتضمن فى هذه الابيات قول القائل

رب ورقاء هتوف بالضحى * ذات شجو صدحت فى فنن
ذكرت الفا ودهرا صالحا * فبكت حزنا فهاجت حزنى
فبكائى ربما أرقها * وبكاها ربما أرقنى
فاذا تسعدنى أسعدها * واذا أسعدها تسعدنى
ولقد تشكو فما أفهمها * ولقد أشكو فما تفهمنى
غير أنى بالجوى أعرفها * وهى أيضا بالجوى تعرفنى

(ونظر) رجل من العباد الى باب ملك من الملوك وقد شيده وأتقنه وزوقه فقال باب جديد وموت عتيد ونزع شديد وسفر بعيد (ولما ثقل) عبد الملك بن مروان رأى غسالا يلوى بيده ثوبا فقال وددت انى كنت غسالا لا أعيش الا بما أكسبه يوما فيوما فبلغ ذلك أبا حازم فقال الحمد لله الذى جعلهم يتمنون عند الموت مانحن فيه ولا نتمنى عند موتهم ماهم فيه (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انى أعوذ بك من علم لا ينفع ونفس لا تشبع وقلب لا يخشع وعين لا تدمع هل يتوقع أحدكم من الدنيا الا غنى مطغيا أو فقرا منسيا أو مرضا مفسدا أو هرما مفندا أو الدجال والدجال شر غائب ينتظر أو الساعة والساعة أدهى وأمر (وقال) عيسى عليه السلام أوحى الله الى الدنيا من خدمنى فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه يادنيا تمررى على أوليائى ولا تحلولى لهم فتفتنيهم (وقال) مورق العجلى يا ابن آدم فى كل يوم يؤتى برزقك وتحزن وينقص عمرك وأنت لا تحزن تطلب ما يطغيك وعندك مايكفيك لا بقليل تقنع ولا بكثير تشبع (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خطبته أيها الناس ان الايام تطوى والاعمار تفنى والابدان فى الثرى تبلى وان الليل والنهار يتراكضان تراكض البريد يقربان كل بعيد ويخلقان كل جديد وفى ذلك عباد الله ماالهى عن الشهوات ورغب فى الباقيات الصالحات (وقال) بعض الحكماء الدنيا كالماء المالح كلما ازداد صاحبه شربا ازداد عطشا وكالكاس من العسل فى أسفله السم للذائق منه حلاوة عاجلة وله فى أسفله الموت الذعاف وكالاحلام للنائم

وقال افتح الباب لامير المؤمنين فقال الفضيل مايصنع عندى أمير المؤمنين فقال له أطع أمير المؤمنين وافتح الباب وكان ليلا والمصباح يتقد فطفاه وفتح الباب فدخل الرشيد وجعل يطوف بيده ليصافح الفضيل فلما وقعت يده عليه قال الويل لهذه اليد الناعمة ان لم تنج من العذاب ثم قال له يا أمير المؤمنين استعد لجواب الله تعالى يوم القيامة فانه يوقفك مع كل مسلم على حدته ويطالب منك انصافك اياه فبكى هارون بكاء شديدا فقال له العباس مهلا يافضيل فقد قتلت أمير المؤمنين فقال له الفضيل ياهامان أنت وقومك اهلكتموه وتقول لى مهلا فقد قتلته فقال الرشيد للعباس ماجعلك هامان الا وقد جعلنى فرعون ثم وضع الرشيد بين يدى الفضيل ألف دينار وقال هذه من وجه حلال من صداق امى ومهرها فقال له الفضيل أنا آمرك أن ترفع يدك عما فيها وتعود الى خالقك وأنت تلقيه الى ولم يقبلها وخرج من عنده سأل عمر بن عبد العزيز محمد بن كعب القرظى فقال صف لى العدل فقال كل مسلم أصغر منك فكن له أبا ومن كان أكبر منك فكن له ولدا ومن كان مثلك فكن له أخا وعاقب كل مجرم على قدر جرمه واياك أن تضرب مسلما سوطا واحدا على حقد منك عليه فانه يصيرك الى النار حضر بعض الزهاد بين يدى خليفة الوقت فقال له عظنى فقال يا أمير

للنائم التى تفرحه فى منامه فاذا استيقظ انقطع الفرح وكالبرق الذى يضئ قليلا ويذهب وشيكا ويبقى راكبه فى الظلام مقيما وكدودة الابريسم التى لا يزداد الابريسم على نفسها لفا الا ازدادت من الخروج بعدا (وفيه قال القائل)

كدود كدود القز ينسج دائما * ويهلك غما وسط ماهو ناسجه

ومثال من يستعجل زهرة الدنيا ويعرض عن الدار الآخرة مثال رجلين لقطا من الارض حبتى عنب فأما أحدهما فجعل يمص الحبة استلذاذا بها ثم بلعها وأما الآخر فزرع الحبة فلما كان بعد زمان التقيا فأما الذى زرع الحبة وجدها قد صارت له كرما وكثرت ثمرته وفكر الآخر فى صنعه فى الحبة فوجدها قد صارت عذرة وليس عنده منها شئ الا الحسرة على تفريطه والغبطة لصاحبه (وقال) وهب بن منبه أوحى الله تعالى الى نبى من أنبياء بنى اسرائيل ان أردت ان تسكن معى فى حضرة القدس فكن فى الدنيا وحيدا فريدا مهموما وحشيا بمنزلة الطير الوحدانى الذى يظل فى الارض الفلاة ويأكل من رؤس الشجر ويشرب من ماء العيون فاذا كان الليل أوى وحده ولم يأو مع الطير استئناسا بربه (ولبعضهم)

كم للحوادث من صروف عجائب * ونوائب موصولة بنوائب
ولقد تقطع من شبابك وانقضى * مالست أعلمه الليالى تبيب
تبغى من الدنيا الكثير وانما * يكفيك منها مثل زاد الراكب

(وقال مالك بن أنس) بلغنى ان عيسى عليه السلام انتهى الى قرية قد خربت حصونها وجفت أنهارها وتشعث شجرها فنادى ياخراب أين أهلك فلم يجبه أحد ثم نادى ياخراب أين أهلك فلم يجبه أحد فنودى عيسى بن مريم بادوا وتضمنتهم الارض وعادت أعمالهم قلائد فى أعناقهم الى يوم القيامة فبكى عيسى عليه السلام (قال مالك) سئلت امرأة من بقية قوم عاد يقال لها هرقمة أى عذاب الله رأيت أشد قالت كل عذاب الله شديد وسلام الله ورحمته على ليلة لا ريح فيها ولقد رأيت العير تحملها الريح بين السماء والارض (وقال) مجاهد كان طعام يحيى بن زكريا العشب وان كان ليبكى من خشية الله تعالى ما لو كان القار على عينيه لاحرقه ولقد كانت الدموع اتخذت مجرى فى وجهه (ومر) بعض الملوك بسقراط الحكيم وهو نائم فركضه برجله وقال قم فقام غير مرتاع منه ولا ملتفت اليه فقال له الملك ماتعرفنى قال لا ولكن أرى فيك طبع الدواب فهى تركض بأرجلها فغضب وقال أتقول لى هذا وأنت عبدى فقال له سقراط بل أنت عبد عبدى قال وكيف ذلك قال لان شهوتك قد ملكتك وأنا ملكت الشهوات فقال أنا الملك ابن الاملاك السادة أملك من البلاد كذا ومن الاموال والرجال كذا قال أراك تفتخر على بما ليس من نفسك وانما ينبغى لك أن تفتخر على بنفسك ولكن تعال نخلع ثيابنا ونلبس جميعا ثوبا من ماء فى هذا النهر ونتكلم اذ يتبين الفاضل من المفضول فانصرف الملك خجلا بهوها أنا أحكى لك أمرا أصابنى طيش عقلى وبلبل حرمى وقطع نياط قلبى فلا يزال مر آملى حتى يوارينى التراب وذلك أنى كنت يوما بالعراق وأنا أشرب ماء فقال لى صاحب لى وكان له عقل يافلان لعل هذا الكوز الذى تشرب فيه الماء قد كان انسانا يوما من الدهر فمات فصار ترابا فاتفق للفخارى أن أخذ تراب القبر وضربه خزفا وشواه بالنار فانتظم كوزا كما ترى وصار آنية تمتهن ويستخدم بعد أن كان بشرا سويا يأكل ويشرب وينعم ويلذ ويطرب فاذا الذى قاله من الجائزات فان الانسان اذا مات عاد ترابا كما كان فى النشأة الاولى ثم قد يتفق أن يحفر لحده ويعجن بالماء ترابه فيتخذ منه آنية فتمتهن فى البيوت أو لبنة فتبنى فى الجدار أو طين به سطح البيت أو يفرش فى البلد فيوطأ بالاقدام أو يجعل طينا على الجدار وقد يجوز أن يغرس عند قبره شجرة فيستحيل تراب الانسان شجرة وورقا وثمرة فترعى البهائم أوراقها ويأكل الانسان ثمرها فينبت منها لحمه وينشر منها عظمه أو تأكل تلك الثمرة الحشرات والبهائم فبينما كان بقنات صار قوتا وبينما كان يأكل صار مأكولا ثم يعود فى بطن الانسان رجيعا فيقذف فى بيت الراحة أو بعرا ينبذ بالعراء ويجوز اذا حفر قبره ان

المؤمنين انى سافرت الى الصين وكان ملك الصين قد أصابه الصمم وذهب سمعه فرأيته يبكى ويقول ما أبكى لزوال سمعى وانما أبكى لاجل مظلوم يقف ببابى ويستغيث ولا أسمع استغاثته ولكن الشكر لله اذ بصرى سالم وامر مناديا ينادى كل من كانت له ظلامة فليلبس عليه ثوبا أحمر وكان يركب الفيل كل يوم فمن رأى عليه ثوبا أحمر دعاه واستمع شكواه وانصفه من خصمه فانظر يا أمير المؤمنين الى شفقة ذلك الكافر الى عباد الله تعالى وأنت مؤمن ومن أهل بيت الرسول فانظر كيف تكون شفقتك حضر ابو قلابة مجلس عمر بن عبد العزيز فقال له عظنى فقال من عهد آدم الى يومنا هذا لم يبق خليفة سواك فقال زدنى فقال أنت أول خليفة يموت فقال زدنى فقال ان كان الله معك فمن تخاف وان لم يكن معك فالى من تلتجئ وان كان الله عليك فمن ترجو فقال حسبى الله عاقلت كان سليمان بن عبد الملك خليفة فذكر يوما وقال قد تنعمت فى الدنيا طولا فكيف يكون حالى فى الآخرة وأنفذ الى أبى حازم وكان عالم أهل زمانه وأزهدهم وقال ابعث لى شيأ من قوتك الذى تفطر عليه فانفذ له قليلا من نخالة قد شواها وقال هذا فطورى فلما رأى سليمان ذلك بكا واثر فى قلبه الخشوع تأثيرا كبيرا فصام ثلاثة أيام وطوى لياليها وافطر الليلة الثالثة على تلك النخالة المشوية فقيل انه فى تلك الليلة تغشى أهله فكان منها عبد العزيز

Reference: 12964. Copyright for this page: Creative Commons Attribution Licence

View on the Qatar Digital Library: http://www.qdl.qa/en/archive/qnlhc/12964.17

تسفي الرياح ترابه فتتفرق أجزاؤه في بطون الاودية والتلول والوهاد أليس في هذا ما أذهل العقول
وطيش الحلوم ومنع اللذات وهان عنده مفارقة الاهلين والمال والعوق بقلل الجبال والانس
بالوحوش حتى يأتي أمر الله أليس في هذا ما صغر الدنيا وما فيها أليس في هذا ما حقر الملك عند من عظمه
والمال عند من جمعه أليس في هذا ما زهد في اللذات وسلى عن الشهوات (وقال) كم من مستقبل يوما
لا يستكمله ومنتظر غدا وليس من أجله انكم لو أبصرتم الاجل ومسيره لابغضتم الامل وغروره (ولما)
بنى المأمون بن ذي النون وكان من ملوك الاندلس قصره وأنفق فيه بيوت الاموال جاء على أكمل
بنيان في الارض وكان من عجائبه ان صنع فيه بركة ماء كأنها بحرة وبنى في وسطها قبة وساق الماء من
تحت الارض حتى علا على رأس القبة على تدبير قد أحكمه المهندسون وكان الماء ينزل من أعلى القبة
حواليها محيطا بها متصلا بعضه ببعض فكانت القبة في غلالة من ماء سكبا لا يفتر والمأمون قاعد فيها
فروي عنه أنه بينما هو نائم اذ سمع منشدا ينشد هذين البيتين

أتبني بناء الخالدين وانما * بقاؤك فيها لو عقلت قليل
لقد كان في ظل الاراك كفاية * لمن كل يوم يقتضيه رحيل

فلم يلبث بعدها الا يسيرا حتى قضى نحبه (ووجد) مكتوبا على قصر قد باد أهله وأقفرت منازله

هذي منازل أقوام عهدتهم * في خفض عيش نفيس ماله خطر
صاحت بهم نائبات الدهر فانقلبوا * الى القبور فلا عين ولا أثر

ولو قيل للدنيا صفي نفسك لما عدت هذا البيت

ومن يأمن الدنيا يكن مثل قابض * على الماء خانته فروج الاصابع

(وروي) أن الحجاج قال في خطبته أيها الناس ان ما بقي من الدنيا أشبه بما مضى من الماء بالماء ولو
أعطيت ما مضى من الدنيا بعمامتي هذه ما قبلته فكيف آسى على ما بقي منها (وروي) ان النبي صلى
الله عليه وسلم ضرب مثلا لابن آدم عند الموت كمثل رجل له ثلاثة أخلاء فلما حضره الموت قال لاحدهم
قد كنت لي خليلا مكرما موقرا وقد حضرني من أمر الله تعالى ما ترى فماذا عندك فيقول هذا أمر الله غلبني
عليك لا أستطيع أن أنفس كربك ولكن ها أنا بين يديك فخذ مني زادا ينفعك ثم يقول للثاني قد كنت
عندي آثر الثلاثة وقد نزل بي من أمر الله تعالى ما ترى فما عندك قال هذا أمر الله غلبني عليك ولا
أستطيع ان أنفس كربك ولكن سأقوم عليك في مرضك فاذا مت أتقنت غسلك وجودت كسوتك
وسترت جسدك وعورتك وقال للثالث قد نزل بي من أمر الله ما ترى وكنت أهون الثلاثة علي فماذا
عندك قال اني قرينك وحليفك في الدنيا والآخرة أدخل معك قبرك حين تدخله وأخرج معك حين تخرج
منه ولا أفارقك أبدا فقال النبي صلى الله عليه وسلم الاول ماله والثاني أهله والثالث عمله (ولما) لقي
ميمون بن مهران الحسن البصري قال له قد كنت أحب لقاءك فعظني فقرأ الحسن أفرأيت ان متعناهم
سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون فقال عليك السلام أبا سعيد فقد وعظت
أحسن موعظة واعجبا كل العجب للمكذب بالنشأة الاخرى وهو يرى الاولى واعجبا كل العجب للشاك
في قدرة الله تعالى وهو يرى خلقه واعجبا كل العجب للمكذب بالنشور وهو يموت في كل يوم وليلة ويحيا
واعجبا كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور واعجبا كل العجب للمختال الفخور
وانما خلق من نطفة ثم يعود جيفة وهو بين ذلك لا يدري ما يفعل به (وروي) ان الله تعالى أوحى الى آدم
عليه السلام جماع الخير كله في أربع واحدة لي وواحدة لك وواحدة بيني وبينك وواحدة بينك
وبين الناس فأما التي لي فتعبدني لا تشرك بي شيأ وأما التي لك فأعمل ما شئت فاني أجزيك به وأما التي
بيني وبينك فعليك الدعاء وعلي الاجابة وأما التي بينك وبين الناس فكن لهم كما تحب أن يكونوا لك (وقال)
سليمان بن داود عليهما السلام أوتينا ما أوتي الناس وما لم يؤتوا وعلمنا ما علم الناس وما لم يعلموا فلم نجد شيأ

وجاء منه عمر بن عبد العزيز وكان واحد زمانه في عدله وانصافه وزهده واحسانه وكان على طريقة عمر بن الخطاب
رضي الله عنه وقيل ان ذلك ببركة نيته وصيامه وأكله من ذلك الطعام سئل عمر بن عبد العزيز ما كان بدء توبتك فقال
كنت يوما أضرب غلاما لي فقال اذكر تلك الليلة التي تكون صبيحتها القيامة فعمل ذلك الكلام في قلبي
رأى بعض الاكابر هرون الرشيد في عرفات وهو حاف حاسر قائم على الرمضاء الحارة وقد رفع
يديه وهو يقول الهي أنت أنت وأنا أنا دأبي كل يوم أن أعود الى عصيانك ودأبك أن تعود علي
بمغفرتك ورحمتك فقال انظروا الى تضرع جبار الارض بين يدي جبار السماء سأل عمر بن
عبد العزيز يوما لابي حازم الموعظة فقال له أبو حازم اذا نمت فضع الموت تحت
رأسك وكلما تختار ان يأتيك الموت وأنت مصر عليه فاقلعه والزمه وكلما لا تؤثر
ان يأتيك الموت وأنت عليه فاجتنبه فربما كان الموت منك قريبا فينبغي
لصاحب الولاية أن يجعل هذه الحكاية نصب عينيه وان يقبل الموعظة التي
وعظ غيره وكل ما رآى عالما سأله ان يعظه وينبغي للعالم ان يعظ الملوك
بمثل هذه المواعظ ولا يغرهم ولا يدخر عنهم كلمة
الحق وكل من غرهم فهو مشارك لهم في ظلمهم ﴿الاصل الثالث﴾ أن لا تقنع بدفع يدك عن الظلم لكن تهذب غلمانك

افضل

أفضل من خشية الله تعالى في الغيب والشهادة وكلمة الحق في الرضا والغضب والقصد في الغنى والفقر
(وكتب) معاوية الى عائشة رضي الله عنها ان اكتبي لي كتابا توصيني فيه ولا تكثري علي فكتبت اليه
سلام عليك أما بعد فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من التمس رضا الناس بسخط الله وكله
الله الى الناس والسلام (ولما) ضرب ابن ملجم عليا رضي الله عنه دخل منزله فاعترته غشية ثم أفاق ودعا
الحسن والحسين رضي الله عنهما (فقال) أوصيكما بتقوى الله والرغبة في الآخرة والزهد في الدنيا ولا
تأسفا على شئ فاتكما منها اعملا الخير وكونا للظالم خصما وللمظلوم عونا ثم دعا محمدا وقال له أما سمعت
ما أوصيت به أخويك قال بلى قال فاني أوصيك به وعليك ببر أخويك وتوقيرهما ومعرفة فضلهما ولا
تقطع أمرا دونهما ثم أقبل عليهما فقال أوصيكما به خيرا فانه أخوكما وابن أبيكما وأنتما تعلمان ان أباكما كان
يحبه فأحباه ثم قال يابني أوصيكم بتقوى الله في الغيب والشهادة وكلمة الحق في الرضا والغضب والقصد
في الغنى والفقر والعدل في الصديق والعدو والعمل في النشاط والكسل والرضا عن الله في الشدة
والرخاء * يابني ما شر بعده الجنة بشر ولا خير بعده النار بخير وكل نعيم دون الجنة حقير وكل بلاء دون
النار عافية * يابني من أبصر عيب نفسه شغل عن عيب غيره ومن رضي بقسم الله لم يحزن على ما فاته
ومن سل سيف البغي قتل به ومن حفر لاخيه بئرا وقع فيها ومن هتك حجاب أخيه انكشفت عورات
بنيه ومن نسي خطيئته استعظم خطيئة غيره ومن أعجب برأيه ضل ومن استغنى بعقله زل ومن
تكبر على الناس ذل ومن خالط الانذال احتقر ومن جالس العلماء وقر ومن صحب صاحب السوء لا يسلم
ومن صحب صاحبا صالحا يغنم ومن دخل مداخل السوء اتهم ومن لا يملك نفسه ندم ومن مزح استخف
به ومن أكثر من شئ عرف به ومن كثر كلامه كثر خطؤه ومن كثر خطؤه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل
ورعه ومن قل ورعه مات قلبه ومن مات قلبه دخل النار * يابني الادب خير ميراث وحسن الخلق
خير قرين * يابني العافية عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت الا عن ذكر الله تعالى والواحدة في ترك مجالسة
السفهاء * يابني لا شرف أعلى من الاسلام ولا كرم أعلى من التقوى ولا معقل أحرز من الورع ولا
شفيع أنجح من التوبة ولا لباس أجمل من العافية الحرص مفتاح التعب ومطية النصب التدبير قبل
العمل يؤمنك من الندم بئس الزاد للمعاد العدوان على العباد فطوبى لمن أخلص لله عمله وعلمه
وحبه وبغضه وأخذه وتركه وكلامه وصمته وقوله وفعله (وروي) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
أنه لما طعن دعا بلبن فشربه فخرج من طعنته فقال الله أكبر فجعل جلساؤه يثنون عليه فقال وددت
أن أخرج منها كفافا كما دخلت فيها لو أن لي اليوم ما طلعت عليه الشمس وغربت لافتديت به من هول
المطلع (قال) ابن عمر ولما حضرت الوفاة عمر غشي عليه فأخذت رأسه فوضعته في حجري فقال ضع
رأسي بالارض لعل الله يرحمني فمسح خديه بالتراب وقال ويل لعمر وويل لامه ان لم يغفر له فقلت وهل
فخذي والارض الا سواء يا أبتاه فقال ضع رأسي بالارض لا أم لك كما آمرك فاذا قضيت فأسرعوا بي في
حفرتي وانما هو خير تقدموني اليه أو شر تضعونه عن رقابكم ثم بكى فقيل له ما يبكيك قال خبر السماء
لا أدري الى جنة ينطلق بي أو الى نار (ولما) حضرت عمر بن عبد العزيز الوفاة قال اللهم انك أمرتني
فقصرت ونهيتني فعصيت وأنعمت علي فأفضلت فان عفوت فقد مننت وان عاقبت فما ظلمت ألا اني
أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله ثم قضى رحمه الله (ولما) حضرت هشام
ابن عبد الملك الوفاة نظر الى أهله يبكون حوله فقال جاد لكم هشام بالدنيا وجدتم له بالبكا وترك لكم
ما جمع وتركتم عليه ما حمل ما أعظم منقلب هشام ان لم يغفر الله له (ودخل) على المأمون في مرضه
الذي مات فيه فاذا هو قد أمر أن يفرش له جل الدابة ويبسط عليه الرماد وهو راقد عليه يتضرع ويقول
يامن لا يزول ملكه ارحم من يزول ملكه (وروي) أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه مر على طائر واقع على
شجرة فقال طوبى لك يا طائر تطير فتقع على الشجر وتأكل من الثمر ليس عليك حساب ولا عقاب ياليتني

وأصحابك وعمالك ونوابك ولا ترى لهم بالظلم فانك تسأل عن ظلمهم كما تسأل عن ظلمك نقل كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى
عامله أبي موسى الاشعري أما بعد فان أسعد الولاة من سعدت به رعيته وان أشقى الولاة من شقيت به
رعيته فاياك والتبسط فان عمالك يقتدون بك وانما مثلك مثل دابة رأت مرعى مخضرا فأكلت منه حتى
سمنت فكان سمنها سبب هلاكها لانها بذلك السمن تذبح وتؤكل وفي التوراة مكتوب كل ظلم علمه
السلطان من عماله فسكت عنه كان ذلك الظلم منسوبا اليه وأوخذ به وعوقب عليه وينبغي للوالي أن
يعلم انه ليس أحد أشد غبنا ممن باع دينه وآخرته بدنيا غيره وجميع العمال والغلمان لاجل نصيبهم
من الدنيا يغرون الوالي ويحسنون الظلم عنده فيلقونه في النار ليصلوا الى أغراضهم وأي عدو أشد
عداوة ممن يسعى في هلاكك لاجل درهم حرام يكتسبه ويحصله وفي الجملة ينبغي لمن أراد
حفظ العدل على الرعية أن يرتب غلمانه وعماله للعدل ويحفظ أحوال أهله وأولاده ومنزله ولا يتم لهم
ذلك الا بحفظ العدل أولا من باطنه وذلك أن لا يسلط شهوته وغضبه على عقله ودينه ولا يجعل
عقله ودينه أسير شهوته وغضبه بل يجعل شهوته
وغضبه أسير عقله ودينه وأكثر الخلق في خدمة شهواتهم يستنبطون الحيل ليصلوا الى مرادهم من الشهوات ولا يعلمون ان العقل

Reference: 12964. Copyright for this page: Creative Commons Attribution Licence
View on the Qatar Digital Library: http://www.qdl.qa/en/archive/qnlhc/12964.18

كنت مثلك والله لوددت أني شجرة الى جنب طريق فمر علي بعير فأخذني فلاكني ثم ازدردني ثم أخرجني بعرا ولم أك بشرا (وقال) عاصم بن عبد الله أخذ عمر بن الخطاب رضي الله عنه تبنة من الارض فقال ياليتني كنت مثل هذه التبنة ياليتني لم تلدني أمي ياليتني كنت نسيا منسيا (وقال) ابن مسعود وددت أني طائر في منكبي ريش (وسمع) رجلا يقول ياليتني كنت من أصحاب اليمين فقال ابن مسعود ياليتني اذا مت لم أبعث (وقال) عمران بن حصين لوددت اني رماد فتنسفني الرياح في يوم عاصف (وقال) أبو الدرداء ياليتني كنت شجرة تعضد وتؤكل ثمرتي ولم أك بشرا (وروى) أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما رجع من صفين فدخل أوائل الكوفة فاذا هو بقبر فقال قبر من هذا فقالوا قبر خباب بن الارت فوقف عليه وقال رحم الله خبابا أسلم راغبا وهاجر طائعا وعاش مجاهدا وابتلي في جسمه آخرا الا ولن يضيع الله أجر من أحسن عملا ثم مضى فاذا قبور فجاء حتى وقف عليها فقال السلام عليكم أهل الديار الموحشة والمحال المقفرة أنتم لنا سلف ونحن لكم تبع وبكم عما قليل لاحقون اللهم اغفر لنا ولهم وتجاوز عنا وعنهم طوبى لمن ذكر المعاد وعمل للحساب وقنع بالكفاف ورضي عن الله تعالى ثم قال يا أهل القبور أما الازواج فقد نكحت وأما الديار فقد سكنت وأما الاموال فقد قسمت فهذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم ثم التفت الى أصحابه وقال أما انهم لو تكلموا لقالوا وجدنا أن خير الزاد التقوى

﴿الباب الثاني في مقامات العلماء والصالحين عند الامراء والسلاطين﴾

دخل الاحنف بن قيس على معاوية وعليه شملة ومدرعة صوف فلما مثل بين يديه اقتحمته عينه فأقبل عليه وقال مه فقال الاحنف يا أمير المؤمنين أهل البصرة عدد يسير وعظم كسير مع تتابع المحول واتصال من الذحول فالمكثر منها قد اطرق والمقل منها قد أملق وبلغ به المخنق فان رأى أمير المؤمنين أن ينعش الفقير ويجبر الكسير ويسهل العسير ويصفح عن الذحول ويداوي المحول ويأمر بالعطاء ليكشف البلاء ويزول اللأواء الا وان السيد من يعم ولا يخص ويدعو الجفلى ولا يدعو النقرى ان أحسن اليه شكر وان أسيء اليه غفر ثم يكون من وراء الرعية عمادا يدفع عنهم الملمات ويكشف عنهم المعضلات فقال معاوية ههنا يا أبا بحر ثم قرأ ولتعرفنهم في لحن القول (وقال) سفيان الثوري لما حج المهدي قال لابد لي من سفيان فوضعوا لي الرصد حول البيت فأخذوني بالليل فلما مثلت بين يديه ادناني ثم قال لاي شيء لا تأتينا فنستشيرك في أمرنا فما أمرتنا من شيء صرنا اليه وما نهيتنا عن شيء انتهينا عنه فقلت له كم أنفقت في سفرك هذا قال لا أدري لي امناء ووكلاء قلت فما عذرك غدا اذا وقفت بين يدي الله تعالى فسألك عن ذلك لكن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما حج قال لغلامه كم أنفقت في سفرنا هذا قال يا أمير المؤمنين ثمانية عشر دينارا قال ويحك أجحفنا ببيت مال المسلمين (وقال) الزهري ما سمعت بأحسن من كلام تكلم به رجل عند سليمان بن عبد الملك فقال يا أمير المؤمنين اسمع مني أربع كلمات فيهن صلاح دينك وملكك وآخرتك ودنياك قال ما هن قال لا تعد احدا عدة وأنت لا تريد انجازها ولا يغرنك مرتقى سهل اذا كان المنحدر وعرا واعلم ان للاعمال جزاء فاحذر العواقب وان للدهر تارات فكن على حذر (ولما دخل) ابن السماك على هارون الرشيد قال له عظني قال يا أمير المؤمنين ان الله لم يرض لخلافته في عباده غيرك فلا ترض من نفسك الا بما رضي الله به عنك فانك ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت أولى الناس بذلك يا أمير المؤمنين من طلب فكاك رقبته في مهلة من أجله كان خليقا أن يعتق نفسه يا أمير المؤمنين من ذوقته الدنيا حلاوتها بركونه منه اليها اذاقته الآخرة مرارتها بتجافيه عنها يا أمير المؤمنين ناشدتك الله أن تقدم الى جنة عرضها السموات والارض وقد دعيت اليها وليس لك فيها نصيب يا أمير المؤمنين انك غرست وحدك وتحاسب وحدك وانك لا تقدم الا على نادم مشغول ولا تخاف الا مفتونا مغرورا وانك واياها في دار سفر وجيران ظعن (ولما) حج سليمان بن عبد الملك استحضر أبا حازم فقال له تكلم يا أبا حازم فقال فيم أتكلم قال في الخروج من هذا الامر قال يسير ان أنت فعلته قال وماذاك قال لا تأخذ

من جوهر والملائكة من جند الباري جلت قدرته وان الشهوة والغضب من جند الشيطان فمن يجعل جند الله وملائكته أسرا لجند الشيطان كيف يعدل في غيرهم وأول ما تظهر شمس العدل في الصدر ثم تنشر نورها في أهل البيت وخواص الملك فيشتد شعاعها الى الرعية ومن طلب الشعاع من غير الشمس فقد طلب وطمع فيما لا ينال واعلم أيها السلطان وتيقن ان ظهور العدل من كمال العقل وكمال العقل ان ترى الاشياء كما هي وتدرك حقائق باطنها ولا تغتر بظاهرها مثلا ان كنت تجور على الناس لاجل الدنيا فانظر أي شيء مقصودك من الدنيا فان كان مقصودك أكل الطعام الطيب فيجب أن تعلم ان هذه شهوة بهيمية في صورة آدمي فان الشره الى الاكل من طبائع البهائم وان كان مقصودك لبس الديباج فانك امرأة في صورة رجل لان التزين والرعونة من أعمال النساء وان كان مقصودك ان تمضي غضبك على أعدائك فأنت أسد وسبع في صورة آدمي لان احضار الغضب من طبائع السباع وان كان مقصودك ان يخدمك الناس فأنت جاهل في صورة عاقل لانك لو كنت عاقلا لعلمت ان الذين يخدمونك اغلمهم خدم وغلمان لبطونهم وفروجهم وشهواتهم وانهم قد جعلوك شركا الى تناول شهواتهم وان خدمتهم ومعبودهم الاشياء

الاشياء الا بحقها ولا تضعها الا في أهلها قال ومن يقوى على ذلك قال من قلده الله من الامر ما قلدك قال عظني يا أبا حازم قال يا أمير المؤمنين ان هذا الامر لم يصل اليك الا بموت من كان قبلك وهو خارج عنك بمثل ما صار اليك ثم قال يا أمير المؤمنين نزه ربك في عظمته عن أن يراك حيث نهاك أو يفقدك حيث أمرك يا أمير المؤمنين انما أنت سوق فما نفق عندك حمل اليك من خير أو شر فاختر لنفسك أيهما شئت قال فمالك لا تأتينا قال وما أصنع باتيانك ان أدنيتني فتنتني وان أقصيتني أحزنتني وليس عندي ما أخافك عليه ولا عندك ما أرجوك له قال فارفع الينا حوائجك قال قد رفعتها الى من هو أقدر منك عليها فما أعطاني منها قبلت وما منعني منها رضيت يقول الله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا فمن ذا الذي يستطيع أن ينقص من كثير ما قسم الله أو يزيد في قليل ما قسم الله قال فبكى سليمان بكاء شديدا فقال رجل من جلسائه اسأت الى أمير المؤمنين قال أبو حازم اسكت فان الله تعالى أخذ ميثاق العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه ثم خرج من عنده فلما وصل الى منزله بعث اليه بمال فرده وقال للرسول قل له يا أمير المؤمنين والله ما أرضاه لك فكيف أرضاه لنفسي (وقال) الفضل بن الربيع حج هرون الرشيد فبينا أنا نائم ليلة اذ سمعت قرع الباب فقلت من هذا فقال أجب أمير المؤمنين فخرجت مسرعا فاذا أنا به فقلت يا أمير المؤمنين لو أرسلت الي أتيتك فقال ويحك قد حاك في نفسي شيء لا يخرجه الا عالم انظر لي رجلا أسأله قلت له ههنا سفيان بن عيينة قال امض بنا اليه فأتيناه فقرعت عليه الباب فقال من هذا فقلت أجب أمير المؤمنين فخرج مسرعا فقال يا أمير المؤمنين لو أرسلت الي أتيتك فقال جد لما جئناه له فحادثه ساعة ثم قال له عليك دين قال نعم قال يا عباسي اقض دينه ثم انصرفنا فقال ما أغنى عني صاحبك شيئا فانظر لي رجلا أسأله فقلت ههنا عبد الرزاق بن همام قال امض بنا اليه فأتيناه فقرعت عليه الباب فقال من هذا فقلت أجب أمير المؤمنين فخرج مسرعا فقال يا أمير المؤمنين لو أرسلت الي أتيتك فقال جد لما جئناه له فحادثه ساعة ثم قال له عليك دين قال نعم فقال يا عباسي اقض دينه ثم انصرفنا فقال ما أغنى عني صاحبك شيئا فانظر لي رجلا أسأله فقلت ههنا الفضيل بن عياض قال امض بنا اليه فأتيناه واذا هو قائم يصلي في غرفة يتلو آية من كتاب الله ويرددها فقرعت الباب فقال من هذا فقلت أجب أمير المؤمنين فقال مالي ولامير المؤمنين فقلت سبحان الله أما عليك طاعة فقال أوليس قد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ليس للمؤمن ان يذل نفسه فنزل ففتح الباب ثم ارتقى الغرفة فأطفأ السراج ثم التجأ الى زاوية من زوايا الغرفة فجعلنا نجول عليه بأيدينا فسبقت كف الرشيد كفي اليه فقال أواه من كف ما ألينها ان نجت غدا من عذاب الله تعالى قال فقلت في نفسي ليكلمنه الليلة بكلام نقي من قلب تقي فقال جد لما جئناه له رحمك الله قال وفيم جئت حملت على نفسك وجميع من معك حملوا عليك حتى لو سألتهم عند انكشاف الغطاء عنك وعنهم أن يحملوا عنك شقصا من ذنب ما فعلوا ولكان أشدهم حبا لك أشدهم هربا منك ثم قال ان عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة دعا سالم بن عبد الله ومحمد بن كعب القرظي ورجاء بن حيوة فقال لهم اني قد ابتليت بهذا البلاء فأشيروا علي فعد الخلافة بلاء وعددتها أنت وأصحابك نعمة فقال له سالم بن عبد الله ان أردت النجاة غدا من عذاب الله فصم عن الدنيا وليكن افطارك فيها الموت وقال له محمد بن كعب ان أردت النجاة من عذاب الله غدا فليكن كبير المسلمين لك أبا وأوسطهم عندك أخا وأصغرهم ولدا فبر أباك وارحم أخاك وتحنن على ولدك وقال له رجاء بن حيوة ان أردت النجاة من عذاب الله غدا فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك واكره لهم ما تكره لنفسك ثم مت متى شئت واني لاقول لك هذا واني لاخاف عليك أشد الخوف يوم تزل الاقدام فهل معك رحمك الله مثل هذا القوم من يأمرك بمثل هذا فبكى هرون بكاء شديدا حتى غشي عليه فقلت ارفق بأمير المؤمنين فقال يا ابن أم الربيع قتلته أنت وأصحابك وأرفق به انا ثم أفاق فقال له زدني فقال يا أمير المؤمنين بلغني ان عاملا لعمر بن عبد العزيز شكا اليه سهرا فكتب اليه عمر بن عبد العزيز يا أخي اذكر سهر أهل النار في النار وخلود الابد فان ذلك

لانفسهم لا لك وعلامة ذلك انهم لو سمعوا أرجافا ان الولاية تؤخذ منك وتعطى لسواك لاعرضوا باجمعهم عنك وتقربوا الى ذلك الشخص وفي أي موضع علموا الدرهم فيه خدموا وسجدوا لذلك الموضع فعلى الحقيقة ليست هذه خدمة وانما هي ضحكة والعاقل من نظر أرواح الاشياء وحقائقها ولم يغتر بصورها وحقيقة هذه الاعمال ما ذكرناه فكل من لم يتيقن ذلك فليس بعاقل ومن لم يكن عاقلا لم يكن عادلا ومقره النار فلهذا السبب كان رأس مال كل السعادات العقل

﴿الاصل الرابع﴾

الوالي في الاغلب فيكون متكبرا ومن التكبر تحدث غلبة السخط الداعية الى الانتقام والغضب وغول العقل وعدوه وآفته وقد ذكرنا علاج ذلك في كتاب الغضب في ربع المهلكات واذا كان الغضب غالبا فينبغي ان يميل الى جانب العفو وتعود الكرم والتجاوز فاذا صار ذلك عادة لك ماثلت الانبياء والاولياء ومتى جعلت امضاء الغضب عادة ماثلت السباع

﴿حكاية﴾

أبو جعفر المنصور أمر بقتل رجل والمبارك بن الفضيل حاضر فقال يا أمير المؤمنين اسمع مني خبرا قبل ان تقتله روى الحسن البصري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كان يوم القيامة وجمع الخلائق في صعيد واحد نادى مناد من كان له عند الله يد فليقم فلا

Reference: 12964. Copyright for this page: Creative Commons Attribution Licence

View on the Qatar Digital Library: http://www.qdl.qa/en/archive/qnlhc/12964.19

يطردك الى ربك نائما ويقظان واياك ان تزل قدم لك عن هذا السبيل فيكون آخر العهد بك ومنقطع الرجاء منك فلما قرأ كتابه طوى البلاد حتى قدم عليه فقال له عمر ما أقدمك قال له خلعت قلبي بكتابك لا وليت لك ولاية أبدا حتى ألقى الله تعالى فبكى هرون بكاء شديدا ثم قال زدني فقال يا أمير المؤمنين ان العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم جاءه فقال يا رسول الله أمرني على امارة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا عباس يا عم النبي نفس تحييها خير من امارة لا تحصيها ان الامارة حسرة وندامة يوم القيامة فان استطعت أن لا تكون أميرا فافعل فبكى هرون الرشيد بكاء شديدا ثم قال زدني رحمك الله قال يا حسن الوجه أنت الذي يسألك الله تعالى عن هذا الخلق يوم القيامة فان استطعت ان تقي هذا الوجه من النار فافعل واياك ان تصبح وتمسي وفي قلبك غش لرعيتك فان النبي صلى الله عليه وسلم قال من أصبح لهم غاشا لم يرح رائحة الجنة فبكى هرون بكاء شديدا ثم قال عليك دين قال نعم دين لربي لم يحاسبني عليه فالويل لي ان سألني والويل لي ان ناقشني والويل لي ان لم يلهمني حجتي قال انما أعني دين العباد قال ان ربي لم يأمرني بهذا أمرني أن أصدق وعده وأطيع أمره فقال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين فقال له هذه ألف دينار خذها فانفقها على عيالك وتقو بها على عبادة ربك فقال سبحان الله أنا أدلك على النجاة وتكافئني بمثل هذا سلمك الله ووفقك ثم صمت فلم يكلمنا فخرجنا من عنده فقال لي هرون اذا دللتني على رجل فدلني على مثل هذا هذا سيد المسلمين اليوم (وروى) ان امرأة من نسائه دخلت عليه فقالت له يا هذا قد ترى ما نحن فيه من ضيق الحال فلو قبلت هذا المال فتفرجنا به فقال انما مثلي ومثلكم كمثل قوم كان لهم بعير يأكلون من كسبه فلما كبر نحروه فأكلوا لحمه موتوا يا أهلي جوعا ولا تذبحوا فضيلا فلما سمع الرشيد ذلك قال ادخل فعسى أن يقبل المال قال فدخلنا فلما علم بنا الفضيل خرج وجلس على التراب على السطح فجاء هرون الرشيد فجلس الى جنبه فجعل يكلمه فلا يجيبه فبينا كذلك اذ خرجت جارية سوداء فقالت يا هذا قد آذيت الشيخ منذ الليلة فانصرف يرحمك الله فانصرفنا (ووعظ) شبيب بن شبة المنصور فقال يا أمير المؤمنين ان الله لم يجعل فوقك أحدا فلا تجعل فوق شكر الله شكرا (ودخل) عمرو بن عبيد على المنصور فقرأ والفجر وليال عشر حتى بلغ ان ربك لبالمرصاد لمن فعل مثل فعالهم فاتق الله يا أمير المؤمنين فان ببابك نيرانا تأجج لا يعمل فيها بكتاب الله ولا بسنة رسول الله وأنت مسؤل عما اجترحوا وليسوا مسؤلين عما اجترحت فلا تصلح دنياهم بافساد آخرتك أما والله لو علم عمالك أنه لا يرضيك منهم الا العدل لتقرب به اليك من لا يريده فقال له سليمان بن مجالد اسكت فقد غممت أمير المؤمنين فقال له عمرو ويلك يا ابن أم مجالد أما كفاك أنك خزنت نصيحتك عن أمير المؤمنين حتى أردت أن تحول بينه وبين من ينصحه اتق الله يا أمير المؤمنين فان هؤلاء قد اتخذوك سلما الى شهواتهم فأنت كالماسك بالقرون وغيرك يحلب وان هؤلاء لن يغنوا عنك من الله شيأ (وقال) الاوزاعي للمنصور في بعض كلامه يا أمير المؤمنين أما علمت انه كان بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يابسة يستاك بها ويردع بها المنافقين فأتاه جبريل عليه السلام فقال يا محمد ما هذه الجريدة بيدك اقذفها لا تملأ قلوبهم رعبا فكيف من سفك دماء المسلمين وشقق أستارهم وانتهب أموالهم ان المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر دعا الى القصاص من نفسه بخدشة خدشها اعرابيا من غير تعمد فقال له جبريل عليه السلام ان الله لم يبعثك جبارا تكسر قرون رعيتك يا أمير المؤمنين لو أن ثوبا من النار نشر على ما في الارض لاحرقته فكيف بمن يتقمصه ولو أن ذنوبا من النار صب على ما في الارض لاحرقته فكيف بمن يتجرعه ولو ان حلقة من سلاسل جهنم وضعت على جبل لذاب فكيف بمن يسلك فيها ويرد فضلها على عنقه (ودخل) بعض العلماء على سلطان فقال له ان أحق الناس بالاحسان من أحسن الله اليه وأولاهم بالانصاف من بسط يديه بالقدرة فاستدم ما أوتيت من النعم بتأدية ما عليك من الحق (وروى) ان اعرابيا قام بين يدي هشام بن عبد الملك فقال أيها الامير

عليهم فيسعون في سفك دمه قال عيسى بن مريم عليه السلام ليحيى بن زكريا اذا ذكرك رجل بشيء وقال فيك صحيحا فاشكر الله تعالى وان قال كذبا فازدد في الشكر فانه يزيد في ديوان أعمالك وأنت مستريح يعني ان حسناته تكتب في ديوانك وذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فقيل ان فلانا قوي شجاع فقال وكيف ذلك فقالوا انه يقوى بكل أحد وما صارع أحدا الا صرعه فقال صلى الله عليه وسلم ثلاثة من كن فيه فقد كمل ايمانه من كظم غيظه وأنصف في حال رضاه وغضبه وعفا عند القدرة وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا تعتمد على خلق رجل حتى تجربه عند الغضب خرج زين العابدين رضي الله عنه يوما الى المسجد فسبه رجل فقصده غلمانه ليضربوه فنهاهم زين العابدين وقال كفوا أيديكم عنه ثم التفت الى ذلك الرجل وقال يا هذا ما لا تعرفه مني أكثر مما عرفته فان كان لك حاجة فاذكرها فخجل ذلك الرجل واستحيى فخلع زين العابدين عليه قميصه وأمر له بألف درهم فمضى الرجل وهو يقول أشهد أنك ابن رسول الله

وروى ان زين العابدين استدعى غلامه وناداه مرتين فلم يجبه فقال له زين العابدين أما سمعت ندائي فقال بلى قال فلم

انت

أتت على الناس سنون ثلاث أما الاولى فأكلت اللحم وأما الثانية فأذابت الشحم وأما الثالثة فهاضت العظام وعندك فضول أموال فان كانت لله فاقسمها بين عباده وان كانت لهم فلم تحصرها عليهم وان كانت لكم فتصدقوا فان الله يجزي المتصدقين فأمر هشام بمال فقسم بين الناس وأمر للاعرابي بمال فقال أكل المسلمين له مثل هذا قال لا يقوم بذلك بيت المال قال لا حاجة لي فيما يبعث لائمة الناس على أمير المؤمنين (وقال) رجل لعمر بن عبد العزيز يا أمير المؤمنين اذكر بمقامي هذا الا يشغل الله عنك كثرة من يخاصم من الخلائق يوم تلقاه بلا ثقة من العمل ولا براءة من الذنب فبكى عمر بكاء شديدا ثم استرده الكلام فجعل يردده وعمر يبكي وينتحب ثم قال ما حاجتك قال عاملك باذربيجان أخذ مني اثني عشر ألف درهم قال ألا تكتبون له حتى يرد عليه ماله (ولما) دخل زياد على عمر بن عبد العزيز قال يا زياد ألا ترى ما ابتليت به من أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقال زياد يا أمير المؤمنين والله لو ان شعرة منك نطقت ما بلغت كنه ما أنت فيه فاعمل لنفسك في الخروج مما أنت فيه يا أمير المؤمنين كيف حال رجل له خصم ألد قال سيء الحال قال فان كان له خصمان الدان قال اسوأ حالة قال فان كانوا ثلاثة قال لا يهنئه عيش قال فوالله ما أحد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم الا وهو خصمك قال فبكى حتى تمنيت أن لا أكون قلت له ذلك (وقال) محمد بن كعب لعمر بن عبد العزيز يا أمير المؤمنين انما الدنيا سوق فمنها خرج الناس بما يصلحون فيها لآخرتهم وخرجوا بما يضرهم فكم من قوم غرهم مثل الذي أصبحنا فيه حتى أتاهم الموت فخرجوا من الدنيا ملومين لم يأخذوا من الدنيا للآخرة واقتسم ما لهم من لا يحمدهم وصاروا الى من لا يعذرهم فانظر الى الذي تحب أن يكون معك فقدمه بين يديك حتى تخرج اليه وانظر الى الذي تكره أن يكون معك اذا قدمت فابتغ به البدل حيث يجوز البدل ولا تذهبن الى سلعة قد بارت على غيرك ترجو جوازها عنك يا أمير المؤمنين افتح الابواب وسهل الحجاب وانصر المظلوم (وحضر) رجل بين يدي بعض الملوك فأغلظ له السلطان فقال له الرجل انما أنت كالسماء اذا أرعدت وأبرقت فقد قرب خيرها فسكن غيظه وأحسن اليه * ولما احتاج المنصور بن أبي عامر ملك الاندلس ان يأخذ أرضا محبسة ويعاوض عنها خيرا منها استحضر الفقهاء في قصره فأفتوا بأنه لا يجوز فغضب السلطان وأرسل اليهم رجلا من الوزراء مشهورا بالحدة والعجلة فقال لهم يقول لكم أمير المؤمنين يا مشيخة السوء يا مستحلي أموال الناس يا آكلي أموال اليتامى ظلما يا شهداء الزور يا آخذي الرشا وملقني الخصوم وملقحي الشرور وملبسي الامور وملتمسي الروايات لاتباع الشهوات تبا لكم ولآرائكم فهو أعزه الله واقف على فسوقكم وقديم خونكم لامانتكم مغض عنه صابر عليه ثم احتاج الى دقة نظركم في حاجة مرة واحدة في دهره فلم تسعفوا ارادته ما كان هذا ظنه بكم والله ليعارضنكم وليكشفن ستوركم وليناصحن الاسلام فيكم والغش عليهم بهذا ونحوه فأجابه شيخ منهم ضعيف المنة فقال نتوب الى الله مما قاله أمير المؤمنين ونسأله الاقالة فرد عليه زعيم القوم محمد بن ابراهيم بن حيويه وكان جلدا صارما فقال للمتكلم مم نتوب يا شيخ السوء ونحن برآء من مقالك ثم أقبل على الوزير فقال يا وزير بئس المبلغ أنت وكما نسبته الينا عن أمير المؤمنين فهو صفتكم معاشر خدمه فأنتم الذين تأكلون أموال الناس بالباطل وتستحلون ظلمهم بغير حق وتصيفون معايشهم بالرشا والمصانعة وتبغون في الارض بغير الحق وأما نحن فليست هذه صفاتنا ولا كرامة لا يقولها لنا الا متهم في الديانة فنحن أعلام الهدى وسرج الظلمة بنا يحصن الاسلام ويفرق بين الحلال والحرام وتنفذ الاحكام وبنا تقام الفرائض وتثبت الحقوق وتحقن الدماء وتستحل الفروج فهلا اذ عتب علينا سيدنا أمير المؤمنين بشيء لا ذنب فيه لنا وقال بالغيظ ما قاله تأنيت لابلاغ رسالته بأهون من الخاشن وعرضت لنا بانكاره حتى نفهمه منك فأجبناك عنه بما يصلح الجواب عنه به فكنت تزين على السلطان ولا تفشي سره وتصيب ما عابه استقبلتنا به فنحن نعلم ان أمير المؤمنين لا يتمادى على هذا الرأي فينا ولا يعتقد هذا المعتقد في صفاتنا

انه كان له غلام فعمد الى شاة فكسر رجلها فقال له لم فعلت هذا فقال كسرتها عمدا لاغضبك فقال له وأنا أغيظ الذي علمك وهو ابليس اذهب فأنت حر لوجه الله تعالى ويروى عنه أيضا أن رجلا سبه فقال له زين العابدين يا هذا بيني وبين جهنم عقبة ان أنا جزتها فلا أبالي بما قلت وان أنا لم أجزها فأنا أكثر مما تقول وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد يبلغ الرجل بحلمه وعفوه درجة الصائم القائم ويكون رجل يكتب في جريدة الجبارين ولا ولاية له ولا حكم الا على أهل منزله وقال صلى الله عليه وسلم باب لا يدخله الا من اتبع غضبه بخلاف الشرع ويروى أن ابليس أتى موسى عليه السلام فقال يا موسى أعلمك ثلاثة أشياء وتطلب لي من ربي حاجة فقال موسى وما الثلاثة أشياء فقال يا موسى احذر من الحدة والحرد فان الحرد أن يكون خفيف الرأس وأنا ألعب به كما يلعب الصبيان بالكرة واحذر من النساء فاني ما نصبت للخلق شركا أعتمد عليه مثل النساء واحذر من البخل فاني أفسد على البخيل دينه ودنياه وقال صلى الله

عليه وسلم من كظم غيظه وهو قادر على ان يكظمه ملأ الله قلبه بالامن والايمان ومن لم يلبس ثوبا طويلا خوفا من التكبر والخيلاء

Reference: 12964. Copyright for this page: Creative Commons Attribution Licence
View on the Qatar Digital Library: http://www.qdl.qa/en/archive/qnlhc/12964.20

وانه سيراجع بصيرته في ايثارنا وتعزيزنا فلو كان عنده على هذه الحال التي وصفتها عنا والعياذ بالله من ذلك ابطل عليه كل ما صنعه وعقده من أول خلافته الى هذا الوقت فما يثبت له كتاب من حرب ولا سلم ولا شراء ولا بيع ولا صدقة ولا حبس ولا هبة ولا عتق ولا غير ذلك الا بشهادتنا هذا ما عندنا والسلام ثم قاموا منصرفين فلم يكادوا يبلغوا باب القصر الا والرسل تناديهم فادخلوا القصر فتلقاهم الوزراء بالاعظام ورفعوا منازلهم واعتذروا اليهم مما كان من صلبهم وقالوا لهم أمير المؤمنين يعتذر اليكم من فرط موجدته ويستجير بالله من الشيطان الرجيم ونزغته التي حملته على الجفاء عليكم ويعلمكم انه نادم على ما كان منه اليكم وهو مستبصر في تعظيمكم وقضاء حقوقكم وقد أمر لكل واحد منكم مائة ومن صلة وكسوة عامة لرضاه عنكم فدعوا له وقبضوا ما أمر لهم وانصرفوا غالبين لم يمسسهم سوء (ولما) نظر مالك ابن دينار الى المهلب بن أبي صفرة يجر أذياله ويتبختر في أثواب خيلائه ناداه أن ارفع من ثيابك فقال له المهلب أوما تعرفني قال له مالك بلى اني أعرفك أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وأنت فيما بين ذلك تحمل العذرة ويروى ان رجلا قال لعبد الله العمري هذا هرون الرشيد في الطواف قد أخلى له المسعى فقال له لا جزاك الله عني خيرا كلفتني أمرا كنت عنه غنيا ثم جاء اليه فقال له يا هرون فلما نظر اليه قال لبيك يا عم قال كم ترى ههنا من خلق الله فقال لا يحصيهم الا الله عز وجل فقال اعلم أيها الرجل أن كل واحد منهم يسئل عن خاصة نفسه وأنت واحد تسئل عنهم كلهم فانظر كيف تكون قال فبكى هرون وجلس وجعل يعطونه منديلا لامنديلا للدموع ثم قال له فيما قال ان الرجل ليسرع في مال نفسه فيستحق الحجر عليه فكيف فمن أسرع في مال المسلمين فيقال ان هرون كان يقول بعد ذلك اني أحب أن أحج في كل عام وما يمنعني من ذلك الا عبد الله العمري ويروى ان الحسن بن محمد بن الحسين رضي الله عنهم دخل على عمر بن عبد العزيز فقال له يا عمر ثلاث من كن فيه فقد استكمل الايمان فقال له عمر ايه أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة وجثا على ركبتيه فقال الحسن من اذا رضي لم يدخله رضاه في باطل ومن اذا غضب لم يخرجه غضبه من الحق ومن اذا قدر لم يتناول ما ليس له (ولما) ولي عمر بن عبد العزيز وفدت الوفود من كل بلد فوفد عليه الحجازيون فقدم غلام منهم للكلام وكان حديث السن فقال له عمر لينطق من هو أسن منك فقال الغلام أصلح الله أمير المؤمنين انما المرء بأصغريه قلبه ولسانه فاذا منح الله عبدا لسانا لافظا وقلبا حافظا فقد استحق الكلام وعرف فضله من سمع خطابه ولو أن الامر يا أمير المؤمنين بالسن لكان في الامة من هو أحق بمجلسك هذا منك فقال صدقت قل ما بدا لك فقال الغلام أصلح الله أمير المؤمنين نحن وفد تهنئة لا وفد رزئة وقد أتينا لمن الله الذي من علينا بك ولم يقدمنا اليك رغبة ولا رهبة أما الرغبة فقد أتيناك من بلادنا وأما الرهبة فقد أمنا جورك بعدلك فقال له عمر عظني يا غلام فقال الغلام أصلح الله أمير المؤمنين ان ناسا من الناس غرهم حلم الله عنهم وطول أملهم وكثرة ثناء الناس عليهم فزلت بهم الاقدام فهووا في النار فلا يغرنك حلم الله عنك وطول أملك وكثرة ثناء الناس عليك فتزل بك قدمك فتلحق بالقوم فلا جعلك الله منهم وألحقك بصالحي هذه الامة ثم سكت فسأل عمر الغلام عن سنه فاذا هو ابن احدى عشرة سنة ثم سأل عنه فاذا هو من ولد الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم فتمثل عمر عند ذلك فقال

تعلم فليس المرء يولد عالما * وليس أخو علم كمن هو جاهل
وان كبير القوم لا علم عنده * صغير اذا التفت عليه المحافل

وفي مثل هذا قيل للعتابي وكان لا يبالي ما لبس مالك لا تجيد الملبوس فقال انما يرفع الرجل أدبه وعقله لا حليته وحلته لحى الله امرأ أرضى ان ترفعه هيئته وجماله لا والله حتى يشرفه أصغراه لسانه وقلبه ويعلو به أكبراه همته ولبه ولما دخل ضمرة بن ضمرة على المنذر بن المنذر وهو ملك وكان ضمرة ذا رأي وعقل احتقرته عيناه لدمامته فقال لان تسمع بالمعيدي خير من أن تراه فقال ضمرة أبيت اللعن ان

الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال علمني عملا أدخل به الجنة قال لا تغضب قال وماذا قال استغفر الله بعد صلاة العصر سبعين مرة ليكفر عنك ذنوب سبعين سنة فقال مالي ذنوب سبعين سنة فقال لامك فقال مالامي ذنوب سبعين سنة فقال لابيك فقال وليس لابي ذنوب سبعين سنة فقال لاخوتك وروى ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوما يقسم مالا فقال رجل ما هذه القسمة لله يعني انها ليست بانصاف فحكيت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فغضب واحمر وجهه ولم يقل شيأ سوى أن رحم الله أخي موسى فانه أوذي وصبر على الاذى هذه الجملة والحكايات والاخبار تقنع في نصيحة الولاة واذا كان أصل ايمانهم ثابتا أثر فيهم هذا القدر وان لم يؤثر ما ذكرناه فيهم فسبب ذلك خلو قلوبهم من الايمان وانه ما بقي من ايمانهم الا الحديث باللسان عامل يتناول من أموال المسلمين في كل سنة كذا كذا ألف دينار ودرهم لاجل غيره ويبقى في ذمته ويطالب بها في يوم القيامة ويحصل عفوها سواه ويبوء بالعقوبة والعذاب يوم المرجع والمآب كيف يؤثر عنده هذه الاسباب وهذا نهاية الغفلة وقلة الدين وضعف الجلدة (الاصل الخامس)

القوم

القوم ليسوا بجزور نحزر انما المرء بأصغريه قلبه ولسانه فاذا نطق نطق ببيان واذا قاتل قاتل بجنان والرجال لا تكال بالقفزان ولا توزن بالقبان فأعجب المنذر بكلامه ويروى ان روح بن زنباع وكان في طريق مكة في يوم شديد الحر مع أصحابه فنزلوا فضربت لهم الخيام والاظلال وقدم اليهم الطعام والشراب المبرد فبينما هم كذلك اذا هم براع فدعاه للطعام فأبى وقال اني صائم قال له روح في مثل هذا اليوم الحار قال أأدع أيامي تذهب باطلا فقال روح لقد ضننت بأيامك يا راعي اذ جاد بها روح بن زنباع ويروى ان اعرابيا قام بين يدي سليمان بن عبد الملك وقال يا أمير المؤمنين اني مكلمك بكلام فاحتمله ان كرهته فان وراءه ما تحب ان قبلته قال هات يا اعرابي قال سأطلق لساني بما خرست به الالسن اداء لحق الله وحق امانتك انك قد اكتنفتك رجال أساؤا الاختيار لانفسهم وابتاعوا دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك فلا تصلح دنياك بفساد آخرتك فأعظم الناس غبنا يوم القيامة من باع آخرته بدنيا غيره فقال له سليمان اما أنت فقد نصحت وأرجو ان الله يعيننا على ما قلدنا وقد جردت لسانك فهو سيفك فقال أجل يا أمير المؤمنين وهو لك لا عليك وقال ابن أبي عروبة حج الحجاج فنزل بعض المياه بين مكة والمدينة ودعا بالغداء وقال لحاجبه انظر من يتغدى معي واسأله عن بعض الامر فنظر نحو الجبل واذا هو براع بين مضربين نائم فضربه برجله وقال له ائت الامير فأتاه فقال له الحجاج اغسل يدك وتغد معي فقال دعاني من هو خير منك فأجبته قال ومن هو قال الله تعالى دعاني الى الصيام فصمت قال في هذا الحر الشديد قال نعم صمت ليوم هو أشد منه حرا قال فافطر وصم غدا قال ان ضمنت لي البقاء الى غد قال ليس ذلك الي قال فكيف تسألني عاجلا بآجل لا تقدر عليه قال لانه طعام طيب قال لم تطيبه أنت ولا الطباخ ولكن طيبته العافية ولما حج هرون الرشيد بعث الى مالك ابن أنس بكيس فيه خمسمائة دينار فلما قضى نسكه وانصرف ودخل المدينة بعث الى مالك بن أنس ان أمير المؤمنين يحب ان تنتقل معه الى مدينة السلام فقال للرسول قل له ان الكيس بخاتمه وقال الرسول عليه السلام والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون وقال وهب بن منبه ان ملكا كان يفتن الناس ويحملهم على أكل لحم الخنزير فأتي برجل أفضل أهل زمانه وأعظم الناس مكانه وهالهم أمره فراوده على أكل لحم الخنزير فلم يفعل فرق له صاحب شرطة الملك فقال له أنا آتيك بجدي تذبحه مما يحل لك أكله فاذا دعا الملك بلحم خنزير أتيتك به فكل ثم أتي به الملك فدعا بلحم الخنزير فأتي صاحب الشرطة بذلك الجدي فأمر به الملك ان يأكله فأبى ان يأكله فجعل صاحب الشرطة يغمزه ان يأكله فأبى ان يأكله فأمر الملك صاحب الشرطة ان يقتله فلما ذهب به قال ما منعك ان تأكل وهو اللحم الذي ذبحته أنت أظننت اني جئت بغيره قال لا قد علمت انه هو ولكني خفت أن يفتتن الناس بي فان أكرهوا على أكل الخنزير قالوا قد أكله فلان فيستن بي فأكون فتنة لهم فقتل رحمه الله ويروى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لكعب الاحبار يا كعب خوفنا قال أوليس فيكم كتاب الله وسنة رسوله قال بلى يا كعب ولكن خوفنا قال يا أمير المؤمنين اعمل عمل رجل لو وافيت يوم القيامة بعمل سبعين نبيا لازدريت عملك مما ترى فنكس عمر وأطرق مليا ثم أفاق ثم قال يا كعب خوفنا فقال يا أمير المؤمنين لو فتح من جهنم قدر منخر ثور بالمشرق ورجل بالمغرب لغلى دماغه حتى يسيل من حرها فنكس عمر ثم أفاق فقال يا كعب زدنا فقال يا أمير المؤمنين ان جهنم لتزفر زفرة يوم القيامة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا خر على ركبتيه حتى يخر ابراهيم خليل الرحمن على ركبتيه يقول يا رب لا أسألك اليوم الا نفسي واستأذن أبو دهمان على بعض الامراء فحجبه ثم أذن له فلما دخل قال ان هذا الامر الذي صار اليك قد كان في يد غيرك فامسوا والله حديثا فان خيرا فخير وان شرا فشر فتحبب الى عباد الله بحسن البشر ولين الجانب وتسهيل الحجاب فان حب عباد الله موصول بحب الله وبغضهم موصول ببغضه لانهم شهداء الله على خلقه (ولما) دخل محمد بن واسع سيد العباد في زمانه على بلال بن أبي بردة أمير البصرة وكان ثوبه الى نصف ساقه فقال له بلال ما هذه الشهرة يا ابن واسع فقال له ابن واسع أنتم

من المسلمين وان رضيت لهم ما لا ترضاه لنفسك فقد خنت رعيتك وغششت أهل ولايتك ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قاعدا يوم بدر في ظل فهبط جبريل عليه السلام فقال أتقعد في الظل وأصحابك في الشمس فعوتب بهذا القدر وقال صلى الله عليه وسلم من أحب النجاة من النار والدخول الى الجنة فينبغي أن يكون اذا جاءه الموت وجد كلمة الشهادة وكل ما لا يرضى به لنفسه لا يرضى به لاحد من المسلمين وقال صلى الله عليه وسلم من أصبح وفي قلبه همة سوى الله تعالى فليس من الله في شيء ومن لم يشفق على المسلمين فليس منهم

* (الاصل السادس) *

أن لا تحقر انتظار أرباب الحوائج ووقوفهم ببابك واحذر من هذا الخطر ومهما كان للمسلمين اليك حاجة فلا تشتغل بنوافل العبادة كان عمر ابن عبد العزيز يقضي حوائج الناس فجلس الى الظهر فتعب ودخل بيته ليستريح من تعبه فقال له ولده ما الذي يؤمنك أن يأتيك الموت في هذه الساعة وعلى بابك منتظر حاجة وأنت مقصر في حقه فقال صدقت ونهض وعاد الى مجلسه

* (الاصل السابع) *

انك لا تعود نفسك الاشتغال بالشهوات من لبس الثياب الفاخرة وأكل الاطعمة الطيبة لكن

Reference: 12964. Copyright for this page: Creative Commons Attribution Licence
View on the Qatar Digital Library: http://www.qdl.qa/en/archive/qnlhc/12964.21

فلا عدل بلا قناعة سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعض الصالحين هل رأيت من
شهر غوناه هكذا كان الباس من مضى وانما أنتم طولتم ذيولكم فصارت السنة بينكم بدعا وشهرة وأما أنا فلما
دخلت على ملك مصر وهو الافضل بن أمير الجيوش فقلت سلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد السلام
على ثم ما سلمت ردا جميلا وأكرم اكراما جزيلا وأمرني بدخول مجلسه وأمرني بالجلوس فيه فقلت أيها
الملك ان الله سبحانه وتعالى قد أحلك محلا عاليا شامخا وأنزلك منزلا شريفا باذخا وملكك طائفة من ملكه
وأشركك في حكمه ولم يرض ان يكون أمر أحد فوق أمرك فلا ترض ان يكون أحد أولى بالشكر منك وان
الله تعالى قد ألزم الورى طاعتك فلا يكونن أحد أطوع لله منك وان الله تعالى أمر عباده بالشكر وليس
الشكر باللسان ولكنه بالفعال والاحسان قال الله تعالى اعملوا آل داود شكرا واعلم ان هذا الملك الذي
أصبحت فيه انما صار اليك بموت من كان قبلك وهو خارج عن يدك مثل ما صار اليك فاتق الله فيما خولك
من هذه الامة فان الله سائلك عن النقير والقطمير والفتيل قال الله تعالى فوربك لنسألنهم أجمعين عما
كانوا يعملون وقال تعالى وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين واعلم أيها الملك ان الله
تعالى قد آتى ملك الدنيا بحذافيرها سليمان بن داود عليهما السلام فسخر له الانس والجن والشياطين
والطير والوحش والبهائم وسخر له الريح تجري بامره رخاء حيث أصاب ثم رفع عنه حساب ذلك اجمع فقال
له هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب فوالله ما عدها نعمة كما عددتموها ولا حسبها كرامة كما
حسبتموها بل خاف ان تكون استدراجا من الله تعالى ومكرا به فقال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر
أم أكفر فافتح الباب وسهل الحجاب وانصر المظلوم أعانك الله على ما قلدك وجعلك كهفا للملهوف وأمانا
للخائف ثم اتممت المجلس بان قلت قد دوخت البلاد شرقا وغربا فما اخترت مملكة تزوجت فيها وولدلي
غير هذه المملكة ثم أنشدت شعرا

والناس أكيس من أن يحمدوا رجلا * حتى يروا عنده آثار احسان

وكتب حكيم الى حكيم اني سائلك عن ثلاثة أشياء ان اجبت عنها صرت لك تلميذا أي الناس أولى بالرحمة
ومتى تضيع أمور الناس وبم تتلقى النعمة من الله تعالى فكتب اليه ان أولى الناس بالرحمة ثلاثة البر يكون
في سلطان فاجر فهو الدهر حزين لما يرى ويسمع والعاقل يكون في تدبير الجاهل فهو الدهر مغموم
والكريم يحتاج الى اللئيم فهو الدهر خاضع له ذليل وتضيع أمور الناس اذا كان الرأي عند من لا يقبل
منه والسلاح عند من لا يستعمله والمال عند من لا ينفقه وتتلقى النعمة من الله تعالى بكثرة شكره ولزوم
طاعته واجتناب معصيته فصار تلميذا له الى ان مات (وقال يحيى بن سعيد) حج سليمان بن عبد الملك ومعه
عمر بن عبد العزيز فلما أشرفا على عقبة عسفان نظر سليمان الى السرادقات قد ضربت له فقال له يا عمر كيف
ترى قال أرى دنيا عريضة يأكل بعضها بعضا وأنت المسؤول عنها المأخوذ بما فيها فبيناهما كذلك اذ طار
غراب من سرادقات سليمان في منقاره كسرة فصاح فقال سليمان ما يقول هذا الغراب قال عمر ما أدري
ما يقول ولكن ان شئت أخبرتك بعلم قال أخبرني قال هذا غراب طار من سرادقاتك في منقاره كسرة
أنت بها مأخوذ وعنها مسؤول من أين دخلت ومن أين خرجت قال انك لتخبرنا بالعجائب قال أفلا أخبرك
بأعجب من هذا قال بلى قال من عرف الله كيف عصاه ومن عرف الشيطان كيف أطاعه ومن أيقن
بالموت كيف يهنيه العيش قال لقد غصصت علينا ما نحن فيه ثم ضرب فرسه وسار (وروي) أن بلال بن أبي
بردة خرج في جنازة وهو أمير على البصرة فنظر الى جماعة وقوفا فقال ما هذا قالوا مالك بن دينار يذكر
الناس فقال لوصيف معه اذهب الى مالك بن دينار فقل له يرتفع البنا الى القبر فجاء الوصيف فأدى الرسالة
الى مالك فصاح به مالك مالي اليه حاجة فان كانت له حاجة فأجيئه فيها وان تكن له حاجة فليجئ الى حاجة نفسه فلما دفنوا
ميتهم قام بلال بمن معه الى حلقة مالك فلما دنا منه نزل ونزل من معه ثم جاء يمشي الى الحلقة حتى جلس فلما
رآه مالك بن دينار سكت وأطال السكوت فقال له بلال يا أبا يحيى ذكرنا فقال ما نسيت شيئا فأذكرك به فقال
حدثنا قال اما هذا فنعم قدم علينا أمير من قبلك على البصرة فمات فدفناه في هذه الجبانة ثم أتينا بنعي

تستعمل القناعة في جميع الاشياء
أحوالي شيأ كرهته
فقال سمعت أنك وضعت
رغيفين على مائدتك وان
لك قميصين أحدهما لليل
والآخر للنهار فقال هل
غير هذين شيء فقال لا والله
فقال ان هذين أيضا
لا يكونان

*(الاصل الثامن)

*انه مهما أمكنك أن
تعمل الامور بالرفق فلا
تعملها بالشدة والعنف
قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم كل وال لا يرفق
برعيته لا يرفق به يوم
القيامة ودعا صلى الله عليه
وسلم فقال اللهم الطف بكل
وال يلطف برعيته واعف
عن كل وال يعفو عن رعيته
وقال صلى الله عليه وسلم
الولاية والامر حسنتان
لمن قام بحقهما وسيئتان
لمن قصر فيهما كان هشام
ابن عبد الملك من خلفاء بني
أمية فسأل يوما أبا حازم
وكان من العلماء المدبرين
في النجاة من أمور الخلافة
فقال ان تأخذ كل درهم
تأخذه من وجه حلال
وان تضعه في موضع حق
فقال من يقدر على هذا
فقال من رغب في نعيم
الجنان ورهب من عذاب
النيران

(الاصل التاسع)

أن تجتهد في أن يرضى عنك
جميع رعيتك بموافقة
الشرع قال صلى الله عليه
وسلم لاصحابه خير أمتي الذين تحبونهم ويحبونكم وشر أمتي الذين يبغضونكم وتبغضونهم

فدفناه

ويلعنونكم وتلعنونهم وينبغي للوالي ان لا يغتر بكل من يصل اليه واثنى عليه وان يعتقد أن جميع الرعية مثله راضون
عنه وان الذي يثني عليه
من خوفه منه يثني عليه
بل ينبغي ان يرتب معتمدين
يسألون عن أحوال من
الرعية ويتجسسون ليعلم
عيبه من ألسنة الناس

(الاصل العاشر)

ان لا يطلب رضا أحد من
الناس بمخالفة الشرع فان
من سخط بخلاف الشرع
لا يضر سخطه كان عمر بن
الخطاب رضي الله عنه
يقول اني أصبح كل يوم
ونصف الخلق علي ساخط
ولا بد لكل من يؤخذ منه
الحق ان يسخط ولا يمكن ان
يرضى الخصمان وأكثر
جهلا من ترك رضى الحق
لاجل رضى الخلق كتب
معاوية رضي الله عنه الى
عائشة رضي الله عنها أن
عظيني عظة مختصرة
فكتبت اليه سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم
يقول من طلب رضاء الله
في سخط الناس رضي الله
عنه وأرضى عنه الناس
ومن طلب رضى الناس
بسخط الله مثل أن
لا يأمرهم بالطاعة ولا
يعلمهم أمور دينهم ويطعمهم
الحرام ويمنع الاجير اجرته
والمرأة مهرها سخط الله
عليه وأسخط عليه الناس

{بيان العينين اللتين هما
مشرب شجرة الايمان}

واذا عرفت أصول شجرة
الايمان وعلمت فروعها
فاعلم ان هناك عينين للعلم تستمد الشجرة منهما الماء العين الاولى معرفة الدنيا ما هي ولم أوجد فيها الانسان اعلم أيها السلطان

فدفناه الى جنبه فوالله ما أدري أيهما كان أكرم على الله سبحانه فقال بلال يا أبا يحيى أتدري ما الذي
جرأك علينا وما الذي اسكتنا عنك لانك لم تأكل من دراهمنا شيأ اما والله لو أخذت من دراهمنا شيأ
ما اجترأت علينا هذه الجرأة وأفاد هذا الحديث علما ألا فانفروا دراهمهم (ودخل) ابن شهاب على الوليد
ابن عبد الملك فقال يا ابن شهاب ما حديث يحدثنا به أهل الشام قال وما هو يا أمير المؤمنين قال حدثونا أن
الله تبارك وتعالى اذا استرعى عبدا رعية كتب له الحسنات ولم يكتب عليه السيئات قال كذبوا يا أمير
المؤمنين أنبي خليفة أقرب الى الله أم خليفة ليس بنبي قال بل نبي خليفة قال فانا أحدثك يا أمير المؤمنين
بما لا تشك فيه قال الله تعالى لنبيه داود يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا
تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب
يا أمير المؤمنين فهذا وعيد الله لنبي خليفة فما ظنك بخليفة غير نبي فقال الوليد ان الناس ليغروننا عن
ديننا (وروى) زياد عن مالك بن أنس قال بعث الي أبو جعفر والى ابن طاوس فدخلنا عليه فاذا هو جالس
على فرش قد نضدت وبين يديه أنطاع قد بسطت وبين يديه جلاوزة بأيديهم السيوف يضربون الاعناق
وأومأ الينا ان اجلسا فجلسنا فأطرق عنا طويلا ثم رفع رأسه والتفت الى ابن طاوس وقال حدثنا عن أبيك
قال نعم اني سمعت أبي يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل
أشركه الله في ملكه فادخل عليه الجور في حكمه فامسك أبو جعفر ساعة قال مالك فضممت ثيابي مخافة
ان ينضحني بدمه فامسك أبو جعفر ساعة حتى اسود ما بيننا وبينه ثم قال يا ابن طاوس ناولني هذه الدواة
فامسك عنه ثم قال ناولني هذه الدواة فامسك عنه ثم قال ما يمنعك ان تناولنيها قال اخشى ان تكتب بها
معصية فاكون شريكك فيها فلما سمع ذلك قال قوما عني قال ابن طاوس ذلك ما كنا نبغي منذ اليوم قال
مالك فما زلت أعرف لابن طاوس فضله من ذلك اليوم (وقال أحمد بن أبي الحواري) سمعت رجلا يحدث
عن ابن السماك قال بعث الي هرون فلما انتهيت الى باب القصر أخذني حرسيان بضبعي فادخلاني في دهليز
القصر فلما انتهيت الى باب القاعة لقيني خصيان فأخذاني من الحرسيين فادخلاني في قاعة القصر فانتهيت
الى البهو الذي هو فيه فتلقاني خصيان دونهما فأخذاني فادخلاني في البهو فقال لهما هرون ارفقا بالشيخ
فلما وقفت بين يديه قلت له يا أمير المؤمنين ما مر بي يوم منذ ولدتني أمي أتعب فيه من يومي هذا فاتق الله
في خلقه واحفظ محمدا في أمته وانصح لنفسك في رعيتك فان لك مقاما بين يدي الله تعالى أنت فيه أذل من
مقامي هذا بين يديك فاتق الله واعلم ان من أخذ الله وسطوته على أهل المعصية كيت وكيت قال
فاضطرب على فراشه حتى نزل الى مصلى بين يدي فراشه فقلت يا أمير المؤمنين هذا ذل الصفة فكيف ولو
رأيت ذل المعاينة قال فكادت نفسه تخرج فقال يحيى الخصيين أخرجوه فقد أبكى أمير المؤمنين ثم دخل
مرة أخرى فقال عظني وأوجز قال يا أمير المؤمنين ان الذي أكرمك بما أكرمك به لحقيق ان تحب ما يحب
وتبغض ما يبغض فوالله لقد أحب الله دارا وأبغض دارا وأبغضتها وأحببتها كأنما أردت خلاف ربك
أو أردت سواه واعلم يا أمير المؤمنين ان الذي في يدك لو بقي على من كان قبلك لم يصل اليك فكذلك لا يبقى
لك كما لم يبق لغيرك فاتق الله في خلافته واحفظ وصية محمد صلى الله عليه وسلم في أمته * ودخل هرون على
بعض النساك فسلم عليه فقال وعليك السلام ثم قال أيها الملك تحب الله قال نعم قال فتعصيه قال نعم قال
كذبت والله في حبك اياه انك لو أحببته اذا ما عصيته ثم انشأ يقول

تعصى الاله وأنت تظهر حبه * هذا لعمري في المقال بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته * ان المحب لمن يحب مطيع
في كل يوم يبتديك بنعمة * منه وأنت لشكر ذاك مضيع

(وروى زيد بن أسلم عن أبيه) قال قال لجعفر بن سليمان بن عبد الله بن أبي طالب الهاشمي والي المدينة
احذر ان يأتي رجل غدا ليس له في الاسلام نسب ولا أب ولا حد فيكون أولى برسول الله صلى الله عليه وسلم

Reference: 12964. Copyright for this page: Creative Commons Attribution Licence
View on the Qatar Digital Library: http://www.qdl.qa/en/archive/qnlhc/12964.22

منك كما كانت امرأة فرعون أولى بنوح ولوط عليهما السلام من زوجيهما وكما كانت زوجة نوح ولوط أولى بفرعون من زوجته من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه ومن أسرع به عمله لم يبطئ به نسبه * وقال بشر بن السري بينما الحجاج جالس في الحجر اذ دخل رجل من أهل اليمن فجعل يطوف فوكل به بعض من معه فقال اذا خرج من طوافه فأتني به فلما فرغ من طوافه اتاه به فقال له ممن أنت قال من أهل اليمن قال أفلك علم بمحمد بن يوسف قال نعم قال فاخبرني عنه قال لقد تركته أبيض بضا سمينا طويلا عريضا قال ويلك ليس عن هذا أسألك قال فعمه قال عن سيرته وطعمته قال فأجور السير وأخبث الطعم واعدى العداة على الله وأحكامه قال فغضب الحجاج وقال ويلك أما علمت أنه أخي قال بلى قال افأنت ما علمت ان الله ربي والله اهو امنع بي منك أكثر منك لاخيك قال أجل أرسله يا غلام (وقال الاصمعي) حدثني رجل من أهل المدينة قال سمعت محمد بن ابراهيم يحدث قال شهدت أبا جعفر بالمدينة وهو ينظر فيما بين رجل من قريش وأهل بيت من المهاجرين ليسوا القريش فقالوا لابي جعفر اجعل بيننا وبينهم ابن أبي ذئب قال أبو جعفر لابن أبي ذئب ماتقول في بني فلان قال أشرار من أهل بيت أشرار قالوا سله يا أمير المؤمنين عن الحسن بن زيد وكان عامله على المدينة قال ماتقول في الحسن قال يأخذ بالاحنة ويقضي بالهوى فقال الحسن والله يا أمير المؤمنين لو سألته عن نفسك لرماك بداهية ونعتك بشر قال ماتقول في قال اعفني يا أمير المؤمنين قال لابد ان تقول قال انك لاتعدل في الرعية ولا تقسم بالسوية فتغير وجه أبي جعفر فقام ابراهيم ابن محمد بن علي صاحب الموصل وقال طهرني بدمه يا أمير المؤمنين قال له ابن أبي ذئب اقعد يا بني فليس في دم رجل يشهد ان لا اله الا الله طهور ثم تدارك ابن أبي ذئب الكلام فقال دعنا يا أمير المؤمنين مما نحن فيه بلغني انك زوجت ابنا صالحا بالعراق يعني المهدي قال أما ان قلت ذلك انه ليصوم اليوم البعيد ما بين الطرفين قال ثم قام ابن أبي ذئب فخرج فقال أبو جعفر اما والله ماهو بمعتوق العقل ولقد قال بذات نفسه (ودخل أبو النصر) سالم مولى عمر بن عبيد الله على عامل للخليفة فقال له يا أبا النصر انه تأتينا كتب من عند الخليفة فيها وفيها ولا نجد بدا من انفاذها فماذا ترى قال أبو النصر قد اتاك كتاب الله قبل كتاب الخليفة فأيهما اتبعت كنت من أهله

﴿الباب الثالث فيما جاء في الولاة والقضاة وما في ذلك من الغرر والخطر﴾

قال الله تعالى يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله جاء في التفسير من اتباع الهوى ان يحضر الخصمان بين يديك فتود أن يكون الحق للذي لك منه خاصة وبهذه الخصلة سلب سليمان بن داود عليهما السلام ملكه قال ابن عباس رضي الله عنهما كان الذي أصاب سليمان بن داود عليهما السلام ان ناسا من أهل جرادة امرأته وكانت من أكرم نسائه عليه تحاكموا اليه مع غيرهم فأحب أن يكون الحق لاهل جرادة فيقضي لهم فعوتب حين لم يكن هواه فيهم واحدا ومن ذلك آية الملوك التي أنزلها الله تعالى في السلاطين لما اقتضته من السياسة العامة التي فيها بقاء الممالك وثبوت الدول قال الله تعالى ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز ثم سمى المنصورين وأوضح شرائط النصر فقال تعالى الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر فضمن الله تعالى النصر للملوك وشرط عليهم شرائط كما ترى فمن تضعضعت قواعدهم وانتقص عليهم من أطراف ممالكهم أو ظهر عليهم عدو أو باغ فتنة أو حاسد نعمة أو اضطربت عليهم الامور أو رأوا أسباب الغير فيلجؤا الى الله تعالى ويستجنوا من سوء أقداره باصلاح ما بينهم وبينه باقامة الميزان القسط الذي شرعه الله تعالى لعباده وركوب سبيل العدل والحق الذي قامت به السموات والارض واظهار شرائع الدين ونصر المظلوم والاخذ على يد الظالم وكف يد القوي عن الضعيف ومراعاة الفقراء والمساكين وملاحظة ذوي الخصاصة والمستضعفين وليعلموا انهم قد أخلوا بشئ من الشرائط الاربع التي شرطت في النصر (وروى) ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ألا كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته

ان الدنيا بمنزلة وليست بدار قرار والانسان فيها على صورة مسافر فأول منازله بطن أمه وآخر منازله لحد قبره وانما وطنه وقراره ومكثه واستقراره بعدها فكل سنة تنقضي من عمر الانسان كالمرحلة وكل شهر ينقضي عنه كاستراحة المسافر في سفره وكل أسبوع فكقرية تلقاه في طريقه وكل يوم فكفرسخ يقطعه وكل نفس فكخطوة يخطوها وبقدر كل نفس يتنفسه يقرب من الآخرة وهذه الدنيا قنطرة فمن عبر القنطرة واشتغل بعمارتها فني فيها زمانه ونسي المنزلة التي اليها مصيره وهي مكانه وكان جاهلا غير عاقل وانما العاقل الذي لا يشتغل في دنياه الا باستعداد زاده لمعاده ويكتفي منها بقدر حاجته ومهما جمعه منها فوق كفايته كان سما قاتلا وتمنى ان تكون جميع خزائنه وسائر ذخائره قمامة ورمادا وترابا لا فضة وذهبا ولو جمع مهما جمع فانما نصيبه ما يأكله ويلبسه لا سواه وجميع ما يخلفه يكون حسرة وندامة ويصعب عليه نزعه عند موته فحلالها حساب وحرامها عذاب ان كان قد جمع المال من حلال طلب منه الحساب وان كان قد جمعه من حرام أوجب عليه العقاب وكان أشد عليه من حسرة حلول العذاب به في حفرته وآخرته ومع هذا جميعه اذا كان ايمانه صحيحا سالما بحضرة الديان فلا وجه لبأسه من الرحمة والغفران فان الله

فالامام

فالامام الذي على الناس راع وهو مسؤل عن رعيته والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤل عن رعيته والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولدها وهي مسؤلة عنهم وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسؤل عنه ألا كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته فجعل النبي صلى الله عليه وسلم كل ناظر في حق غيره راعيا له واللفظ مأخوذ من الرعاية والمراعاة فاذا تقدم لرعاية غيره من يأكله فهو الهلاك كما قال الشاعر

وراعي الشاة يحمي الذئب عنها * فكيف اذا الذئاب لها رعاء

(وروى مسلم) في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من امرئ يلي أمر المسلمين ثم لم يجتهد لهم وينصح الا لم يدخل الجنة معهم وقال معقل بن يسار سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد يسترعيه الله رعية فلم يحطها بنصحه الا لم يجد رائحة الجنة (وروى) عبد الرحمن بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن لا تسأل الامارة فانك ان أعطيتها عن مسئلة وكلت اليها وان أعطيتها عن غير مسئلة أعنت عليها (وروى) أبو هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انكم ستحرصون على الامارة وستكون ندامة يوم القيامة فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة وقال أبو ذر رضي الله عنه قلت أمّرني يا رسول الله قال انها امانة وانها حسرة وندامة يوم القيامة الا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها (وروى البخاري) ان النبي صلى الله عليه وسلم قال تجدون من خير الناس أشد الناس كراهية لهذا الامر حتى يقع فيه (وفي الحديث) من ولي من أمر المسلمين شيأ ثم لم يحطهم بنصحه كما يحوط أهل بيته فليتبوأ مقعده من النار وروى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعث الى عاصم يستعمله على الصدقة فأبى وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا كان يوم القيامة يؤتى بالوالي فيوقف على جسر جهنم فيأمر الله سبحانه الجسر فينتفض انتفاضة فيزول كل عظم منه عن مكانه ثم يأمر الله العظام فترجع الى مكانها ثم يسائله فان كان لله تعالى طائعا أخذ بيده وأعطاه كفلين من رحمته وان كان لله عاصيا انخرق به الجسر فيهوي به في جهنم مقدار سبعين خريفا فقال عمر سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم ما لم أسمع قال نعم وكان سلمان وأبو ذر حاضرين فقال سلمان أي والله يا عمر ومع السبعين سبعين خريفا في واد يلتهب التهابا فقال عمر بيده على جبهته انا لله وانا اليه راجعون من يأخذها بما فيها قال سلمان من سلب الله أنفه وألصق خده بالارض (وروى) ان العباس رضي الله عنه قال أمّرني يا رسول الله فأصيب وأستريش فقال له يا عباس يا عم النبي صلى الله عليه وسلم نفس تحييها خير من امارة لا تحصيها ألا أحدثكم عن الامارة أولها ملامة وأوسطها ندامة وآخرها حسرة يوم القيامة (وروى) أبو داود في السنن جاء رجل فقال يا رسول الله ان أبي عريف على الماء واني أسألك ان تجعل لي العرافة من بعده فقال النبي صلى الله عليه وسلم العرفاء في النار (وروى) الساجي عن أبي سعيد الخدري قال قال النبي صلى الله عليه وسلم أشد الناس عذابا يوم القيامة الامام الجائر * وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ليس من وال ولا قاض الا ويؤتى به يوم القيامة حتى يقف بين يدي الله سبحانه على الصراط ثم تنشر الملائكة سيرته فيقرؤنها على رؤس الخلائق فان كان عادلا نجاه الله بعدله وان كان غير ذلك انتفض به الصراط انتفاضة صار بين كل عضو من أعضائه مسيرة سنة ثم ينخرق به الصراط فما يلقى قعر جهنم الا بحر وجهه (وروى) معاذ بن جبل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان القاضي يزل في مزلقة أبعد من عدن في جهنم (وقالت) عائشة رضي الله عنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى بالقاضي العدل يوم القيامة فيلقى في شدة الحساب على ما قضى حتى يود أنه لم يقض بين اثنين في تمرة (وروى) الحسن البصري ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا عبد الرحمن بن سمرة يستعمله فقال يا رسول الله خر لي فقال اقعد في بيتك وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليودن أقوام يوم القيامة لو وقعوا من الثريا ولم يكونوا أمراء على شئ وكم من متخول في مال الله ومال رسوله له النار غدا (وفي) الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال صنفان من أمتي لا تنالهما شفاعتي يوم القيامة امام ظالم غشوم وغال في الدين مارق منه (وقال) أبو هريرة

غفور رحيم جواد كريم واعلم أيها السلطان ان راحة الدنيا أيام قلائل وأكثرها منغص بالتعب ومشوب بالنصب وبسببها تفوت راحة الدار الآخرة التي هي الدائمة الباقية والملك الذي لا يفنى ولا نهاية له فسهل على العاقل ان يصبر في هذه الايام القلائل لينال راحة دائمة بلا انقضاء لو كان لانسان معشوقة وقيل له ان كنت في هذه الليلة تزورها فانها لا تعود تراها أبدا وان صبرت عنها هذه الليلة سلمت اليك ألف ليلة بلا تعب ولا نصب فانه وان كان عشقه لها عظيما وصبره عنها أليما لكن يهون عليه صبره على البعد عنها ليلة لينال قربها ألف ليلة وهذه الدنيا ليست واحدة من ألف من مدة الآخرة بل ليست بشئ في جنب الآخرة ولا نسبة بينهما لان الآخرة لا نهاية لها ولا يدرك الوهم طولها وقد أفردنا في صفة الدنيا كتابا لكن نقنع الآن بما نورده من أحوال الدنيا وقد أوضحنا حالها على عشرة أمثال

﴿المثال الاول في بيان سحر الدنيا﴾

قال النبي صلى الله عليه وسلم احذروا الدنيا فانها أسحر من هاروت وماروت وأول سحرها تريك كأنها ساكنة عندك مستقرة معك واذا تأملتها خلتها ساكنة وهي هاربة نافرة عنك على الدوام وانما تتسلل على التدريج ذرة ذرة ونفسا نفسا ومثل الدنيا كمثل الظل اذا رأيته حسبته ساكنا وهو غير

Reference: 12964. Copyright for this page: Creative Commons Attribution Licence
View on the Qatar Digital Library: http://www.qdl.qa/en/archive/qnlhc/12964.23

دائماً فكذلك عمر الانسان عمر بالتدريج (٣٤) على الدوام و ينقص كل لحظة وكذلك الدنيا تدعو لك وتهرب منك وانت غافل

رضى الله عنه ما من أمير يؤمر على عشرة الاجئ به يوم القيامة مغلولا لا نجاه عمله أو أهلكه (وقال) طاوس لسليمان بن عبد الملك هل تدرى يا أمير المؤمنين من أشد الناس عذابا يوم القيامة من أشركه الله فى ملكه فجار فى حكمه فاستلقى سليمان على سريره وهو يبكى ومازال يبكى حتى قام عنه جلساؤه (وقال) حذيفة بن اليمان من اقتراب الساعة ان يكون أمراء فجرة ووزراء كذبة وأمناء خونة وعلماء فسقة وعرفاء ظلمة (وقال) عبيد بن عمير ما ازداد رجل من السلطان قربا الا ازداد من الله بعدا ولا كثر أتباعه الا كثر شيطانه ولا كثر ماله الا كثر حسابه (وفى الحديث) عن النبى صلى الله عليه وسلم القضاة ثلاثة اثنان فى النار وواحد فى الجنة رجل قضى بغير علم فهو فى النار ورجل قضى بعلم فجار فهو فى النار ورجل قضى بالحق فهو فى الجنة رواه بريدة عن النبى صلى الله عليه وسلم (وقال) ابن سيرين جاء صبيان الى عبيدة السلمانى يتخايرون اليه فى ألواحهم فلم ينظر فيها وقال هذا حكم ولا أتولى حكما أبدا (وتخاير) غلامان الى ابن عمر فجعل ينظر الى كتابتهم وقال هذا حكم ولا بد من النظر فيه * والمصنفون يسلمون فى كتبهم حديثا مرفوعا رواه أبو داود فى سننه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال من قدم الى القضاء فقد ذبح بغير سكين (وفى أخبار) القضاة ان قاضيا قدم الى بلد فجاءه رجل له عقل ودين فقال له أيها القاضى أبلغك قول النبى صلى الله عليه وسلم من قدم للقضاء فقد ذبح بغير سكين قال نعم قال فبلغك ان أمور الناس ضائعة فى بلدنا لخبث تجبرها قال لا قال أفأكرهك السلطان على ذلك قال لا قال فاشهد أنى لا أطأ لك مجلسا ولا أؤدى عندك شهادة أبدا (وروى) ان أبا بكر الصديق رضى الله عنه قال فى بعض خطبه ان الملك اذا ملك زهده الله فى ماله ورغبه فيما فى يد غيره واشرب قلبه الاشفاق فهو يحسد على القليل ويسخط الكثير جذل الظاهر حزين الباطن فاذا وجبت نفسه ونضب عمره ومحى ظله حاسبه الله فاشد حسابه وأقل عفوه (وذكر) السلطان لاعرابى فقال والله لئن عزوا فى الدنيا بالجور لقد ذلوا فى الآخرة بالعدل ويقليل فان رضوا عن كثير باق وانما يكون الندم حين لا ينفع الندم (وقال) أبو بكر بن أبى مريم حج قوم فمات صاحب لهم بارض فلاة فلم يجدوا ماء فأتاهم رجل فقالوا دلنا على الماء قال احلفوا لى ثلاثا وثلاثين يمينا انه لم يكن فيكم صراف ولا مكاس ولا عريف ولا بريد ولا بريدى ولا عراف فانا ادلكم على الماء فحلفوا له ثلاثا وثلاثين يمينا فدلهم على الماء ثم قالوا له عاونا على غسله فقال احلفوا لى ثلاثا وثلاثين يمينا كما تقدم ذكره فحلفوا له فاعانهم على غسله ثم قالوا تقدم وصل عليه قال لا حتى تحلفوا لى أربعا وثلاثين يمينا كما تقدم فصلى عليه ثم التفتوا فلم يجدوا أحدا وكانوا يرون انه الخضر عليه السلام (وقال) ابن مسعود قال النبى صلى الله عليه وسلم أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل قتل نبيا أو قتله نبى وامام ضلالة وممثل من الممثلين (وقال) أبو ذر قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ست أيام اعقل يا أبا ذر ما أقول لك ثم لما كان فى اليوم السابع قال أوصيك بتقوى الله فى أمر سرك وعلانيتك فاذا أسأت فاحسن ولا تسألن أحدا وان سقط سوطك ولا تؤوين أمانة ولا تؤوين يتيما ولا تقضين بين اثنين (وقال) أبو ذر أيضا قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا ذر انى أحب لك ما أحب لنفسى وانى أراك ضعيفا لا تأمرن على اثنين ولا تلين مال يتيم (وروى) أبو ذر أيضا قلت يا رسول الله الا تستعملنى فضرب بيده على منكبى وقال لى يا أبا ذر انك ضعيف وانها أمانة وانها يوم القيامة خزى وندامة الا من أخذها بحقها وأدى الذى عليه فيها (وروى) على بن أبى طالب رضى الله عنه قال بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن وأنا حديث السن فقلت يا رسول الله انك تبعثنى الى قوم شيوخ ذوى أسنان ولا علم لى بالقضاء فقال ان الله سيهدى قلبك ولسانك فاذا جلس الخصمان فلا تقض للاول حتى تسمع كلام الآخر فانك اذا سمعت ذلك عرفت كيف تقضى (فان قال قائل) كيف نهى أبا ذر عن القضاء وأمر عليا بالقضاء مع ما فيه من التغرير وما روى بان من قدم للقضاء فقد ذبح بغير سكين وفيه البعد عن حضرته والتمن بالمشاهدة وتعلم سننه وشرائع دينه والتخلق باخلاقه وشيمه وأيما أفضل المثول بين يديه والكون بحضرته ومشاهدة والصلاة خلفه أو القضاء فى غيبته مع البعد عنه

لا تخبرو ذا هل لا تشعر

(المثال الثانى)

انها تظهر لك محبة لتعشقها وتريك انها لك مساعدة وانها لا تنتقل عنك الى غيرك ثم تعود عدوة لك على غفلة ومثلها كمثل امرأة فاجرة خادعة للرجال حتى اذا عشقوها دعتهم الى بيتها فاغتالتهم وأهلكتهم رآى عيسى عليه السلام الدنيا فى مكاشفاته وهى على صورة عجوز هرمة فقال لها كم كان لك زوج فقالت لا يحصون كثرة فقال ماتوا عنك أم طلقوك فقالت بل أنا قتلتهم وأفنيتهم فقال يا عجباه لها وللحمق الآخرين الذين يشاهدون ما بسواهم صنعت وهم فيك يرغبون و بغيرهم لا يعتبرون

(المثال الثالث)

ومن مصرها انها تزين ظاهرها بمحاسنها وتخفى محنها وقبائحها فى باطنها لتغر الجاهل بما يراه من ظاهرها ومثلها كمثل عجوز قبيحة المنظر تخفى وجهها وتلبس أحسن الثياب وتتزين وتتجمل لتفتن الخلق من بعيد فاذا كشفوا غطاءها وخمارها والقوا عنها ازارها ندموا على محبتها لما شاهدوا من قبائحها وعاينوا من فضائحها وقد جاء فى الخبر ان الدنيا يؤتى بها يوم القيامة فى صورة عجوز قبيحة مشوهة زرقاء العين وحشة الوجه قد فغرت عن أنيابها وكثرت عن أسنانها

(قلنا)

فاذا رآها الخلائق قالوا نعوذ بالله منها ما هذه القبيحة المشوهة فيقال لهم هذه الدنيا (٣٥) التى كنتم عليها تحاسدون ولاجلها

(قلنا) انما نهى أبا ذر لمعنى فيه يقصر به عن رتبة القضاء بما كان ضده فى على رضى الله عنه ثم قال فى آخره الا من أخذها بحقها وأدى الذى عليه فيها فاستند التنابذ لك على أن من استجمعت فيه شروط القضاء وكان قويا على انفاذه لم يدخل تحت النهى ومما يعد ضعفا عن القضاء طلبه اياه اذ لم يدر عواقبه وقد وصف الله سبحانه المتسرع الى الامانة بالجهل فقال تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا أى ظلوما لنفسه جهولا بعاقبة أمره والدليل على صحة هذا التأويل قول النبى صلى الله عليه وسلم القضاة ثلاثة اثنان فى النار وواحد فى الجنة رجل عرف الحق فقضى به فهو فى الجنة ورجل عرف الحق فلم يقض به وجار فى الحكم فهو فى النار ورجل لم يعرف الحق فقضى للناس على جهل فهو فى النار (قلت) فهذان الرجلان ضعيفان عن رتبة القضاء أحدهما بفسقه وظلمه والآخر بجهله وقد عابت جهلة بنى اسرائيل طالوت فقالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال فعابوه بخصلتين الفقر وأنه ليس من سبط المملكة فقال لهم نبيهم ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم فبين شروط الولايات والممالك وأنها تفتقر الى العلم الذى به يحكم والى القوة التى بها تنفذ الاحكام دون ما ظنه بنو اسرائيل وأما قولك أيهما أفضل القضاء فى غيبته أو الحضور بين يديه والكون فى حضرته فالجواب ان أوامره عليه السلام فرض يعصى بتركه والكون فى حضرته منصب بعد الهجرة لا يعصى بتركه فعلمنا بهذا انه انما بعث عليا رضى الله عنه للقضاء لانه أفضل من سكناه بحضرته لانه مبلغ عنه الى الخلائق شرعته التى بعثه الله بها فهو خليفته فى ذلك يدل على هذا أنه أوجب الجنة لمن قضى بالحق

(الباب الرابع فى بيان معرفة ملك سليمان بن داود عليهما السلام وجه طلبه الملك وسؤاله أن لا يؤتى لاحد من بعده)

قال هب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى فطلب الملك ثم زاد على ذلك بان لا يؤتى مثله أحدا بعده وكان ظاهره يؤذن بالبخل والكلام على هذه الآية من وجوه (أحدها) انه انما سأل هذا بعد أن سلبه الله تعالى ملكه ثم أعاده اليه فعين طلب الملك كان ملكا فكأنه قال هذا الملك الذى جدد تمليكه لى هب لى على صفات لا أعصيك فيما فتسلبنى اياه وتعاقبنى يدل عليه انه بدأ بالمغفرة فقال رب اغفر لى وهب لى ملكا أى ملكا لا أعصيك فيه فتؤاخذنى والدليل على صحة هذا قوله تعالى هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب فكأنه أجاب دعاءه فقال تصرف كيف شئت فلا حساب عليك فيه وقيل ان أعطيت أجرت وان أمسكت فلا تبعة عليك فيه وهذا تخصيص لسليمان بن داود عليهما السلام ولم يخص به أحد من ولد آدم سواه لان الله تعالى قال للخلائق فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون وأما قوله لا ينبغى لاحد من بعدى فمعناه لا أسلبه فى باقى عمرى فيصير لغيرى كما سلبته فيما مضى من عمرى وقيل لا تسلط على فيه شيطانا مثل الذى قد سلطت على وقيل انما سأل ذلك ليكون علما على المغفرة وقبول التوبة فاجيب الى ذلك فعلم أنه قد غفر له وقيل انما سأل ذلك ليكون آية لنبوته وعلما على معجزته وقال مقاتل كان سليمان بن داود ملكا ولكنه أراد بقوله لا ينبغى لاحد من بعدى تسخير الرياح والطير يدل عليه ما بعده وهو قوله تعالى فسخرنا له الريح الى آخر الآية وقيل ان سليمان كان ملكه فى خاتمه ولهذا ذهب ملكه بذهاب خاتمه فقال لا ينبغى لاحد من بعدى يعنى اجعل ملكى فى نفسى لا فى خاتمى حتى لا يملكه أحد غيرى فان ابليس لما أخذ خاتم سليمان تحول ملك سليمان الى ابليس وقعد على كرسيه يحكم فيه حتى أنكرت بنو اسرائيل أحكامه وكان قد ألقى عليه شبهه (وقال) عمرو بن عثمان المكى انما أراد به ملك النفس وقهر الهوى يدل عليه ما روى سلامان الشعبانى قال بلغنى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال أرأيتم سليمان وما آتاه الله من ملكه فانه لم يرفع طرفه الى السماء تخشعا لله تعالى حتى قبضه الله تعالى وزاد غيره انما أراد ملك النفس وقهرها لئلا يفتتن بالمملكة ولهذا قدم سؤال المغفرة على طلب المملكة وقال بعض الوعاظ

تعاقدون وتسفكون الدماء بغير حق وتقطعون أرحامكم وتغترون بزخرفها ثم تزهم بها الى النار فتقول الهى أين أحبابى فيؤمر بهم فيلقون معها فى النار

(المثال الرابع)

أن يحسب الانسان كم كان من الازل قبل أن يوجد فى الدنيا وكم تكون مدة عدمه بالموت وكم قدر هذه المدة التى بين الازل والابد وهى مدة حياته فى الدنيا فيعلم مثال الدنيا كطريق المسافر أوله المهد وآخره اللحد وفيما بينهما منازل معدودة وان كل سنة كمنزلة وكل شهر كفرسخ وكل يوم كميل وكل نفس كخطوة وهو يسير دائما فيبقى لواحد من طريقه فرسخ ولآخر أقل وآخر أكثر وهو قاعد ذاهل ساكن غافل كأنه مقيم لا يبرح وقاطن لا يتزحزح قد اشتغل بتدبير أعمال لا يحتاج اليها بعد عشر سنين وربما حصل بعد عشرة أيام فى التراب

(المثال الخامس)

اعلم ان مثل الدنيا وما يحتقب أهلها فيها بشهواتهم ولذاتهم من الفضائح التى يشاهدونها فى الآخرة كمثل انسان أكل فوق حاجته من طعام حلو دهين الى ان ساء هضمه وهاضت معدته فرأى فضيحة من خلاء معدته وتتونه نفسه وكثرة برازه حاجته فندم بعد ذهاب لذته وبقاء فضيحته فكذلك كلما ألف الانسان لذات الدنيا كانت عاقبته أصعب وتبين له ذلك عند

Reference: 12964. Copyright for this page: Creative Commons Attribution Licence

View on the Qatar Digital Library: http://www.qdl.qa/en/archive/qnlhc/12964.24

زعه وخروج روحه لا كمن كان له نعم كثيرة (٣٦) وذهب وفضة وجواهر وجوار وغلمان وكرم وبستان كان ألم فراق روحه عليه أصعب

انما أراد حتى أنتقم لآدم من ابليس وذريته حيث كان سببا في اخراجه وذريته من الجنة (وروى) البخاري في صحيحه ان النبي عليه السلام قال ان عفريتا من الجن جعل يتفلت علي البارحة ليقطع علي صلاتي وان الله تعالى أمكنني منه فصرعته ولقد هممت ان اربطه الى سارية من سواري المسجد حتى يصبح فتنظرون اليه كلكم فذكرت قول سليمان هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي فرده الله خاسئا (فان قيل) فما معنى قول يوسف عليه السلام اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم (قلت) يستفاد من الآية ان من حصل بين يدي ملك لا يعرف قدره أو أمة لا يعرفون فضله فخاف على نفسه أو أراد ابراز فضله جاز له ان ينبههم على مكانه وما يحسنه دفعا للشر عن نفسه أو اظهارا للفضل فيحصل في مكانته وفيه فائدة أخرى وهو أنه اذا رأى الامور في يد الخونة واللصوص ومن لا يؤدي الامانة ويعلم من نفسه أداء الامانة مع الكفاية جاز له أن ينبه السلطان على أمانته وكفايته ولهذا قال بعض العلماء من أصحاب الشافعي من كمل فيه الاجتهاد وشروط القضاء جاز له أن ينبه السلطان على مكانه ويخطب خطة القضاء وقال بعضهم بل يجب ذلك عليه اذا كان الامر في يدي من لا يقوم به

(الباب الخامس في فضل الولاة والقضاة اذا عدلوا)

قال الله تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض يعني لولا أن الله تعالى أقام السلطان في الارض يدفع القوي عن الضعيف وينصف المظلوم من الظالم لاهلك القوي الضعيف وتواثب الخلق بعضهم على بعض فلا ينتظم لهم حال ولا يستقر لهم قرار فتفسد الارض ومن عليها ثم امتن الله تعالى على الخلق باقامة السلطان فقال تعالى ولكن الله ذو فضل على العالمين يعني في اقامة السلطان فيأمن الناس به فيكون فضله على الظالم كف يده عن المظلوم وفضله على المظلوم كف يد الظالم عنه (وروى) أبو هريرة ان النبي عليه السلام قال ثلاثة لا ترد دعوتهم الامام العادل والصائم حتى يفطر ودعوة المظلوم (وروى) ان النبي عليه السلام قال سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه معلق بالمسجد ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال اني أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه (وروى) كثير بن مرة قال قال النبي عليه السلام السلطان ظل الله في أرضه يأوي اليه كل مظلوم من عباده فاذا عدل كان له الاجر وعلى الرعية الشكر واذا جار كان عليه الاصر وعلى الرعية الصبر (وروى) أبو هريرة يرفعه قال لعمل الامام العادل في رعيته يوما أفضل من عبادة العابد في أهله مائة سنة أو خمسين سنة (وقال) قيس بن سعد ليوم من امام عادل خير من عبادة رجل في بيته ستين سنة (وروى) أن سعد بن ابراهيم وأبا سلمة بن عبد الرحمن ومحمد بن مصعب بن شرحبيل ومحمد بن صفوان قالوا لسعد بن سليمان بن زيد بن ثابت لقضاء يوم بالحق أفضل عند الله من صلاتك عمرك وسيتضح لك صحة هذه الاقوال اذا وقفت على ما تناله الرعية من الصلاح بصلاح السلطان (واعلم) أرشدك الله ان الانسان أعز جواهر الدنيا وأغلاها قدرا وأشرفها منزلة وبالسلطان صلاح الانسان اذ فهو أعز أعلاق الدنيا وأعمارها ولذلك خلق الله تعالى دارين دار الدنيا ودار الآخرة ثم لما كان السلطان صلاح الدارين فاختص بشخص يعم نفعه العباد والبلاد ويصلح بصلاحه الدنيا والآخرة أن يكون شرفه عند الله عظيما كما كان قدره في العقول جسيما ومقامه عند الله كريما كما كان نفعه عميما وعلى قدر عموم المنفعة تشرف الاعمال وعلى قدر النعمة تكون المنة ألا ترى ان الانبياء عليهم السلام أعم خلق الله نفعا فهم أجل خلق الله قدرا لانهم تعاطوا اصلاح الخلائق واخراجهم من الظلمات الى النور كذلك سلطان الله في الارض هو خلافة النبوة في اصلاح الخلائق ودعائهم الى فناء الرحمن واقامة دينهم وتقويم أودهم وليس فوق السلطان العادل منزلة الا نبي مرسل أو ملك مقرب فاتخذ عظم قدر السلطان عندك حجة لله تعالى على نفسك وناصحه على قدر ما نفعك وليس نفعه مقصورا على

من ألم من ليس له الا القليل فان ذلك الالم والعذاب لا يزول بالموت بل يزيد بالموت لان تلك المحبة صفة القلب والقلب بحاله لا يموت

﴿المثال السادس﴾

اعلم أيها السلطان ان أمور الدنيا أول ما يبدأ بطلبها الانسان قريبة مختصرة لا يخاف ان شغلها يطول وربما كان من بعض أشغالها وأحوالها أمر يتسلسل منه مائة أمر وينفق فيه بضاعة العمر قال عيسى عليه السلام طالب الدنيا كشارب ماء البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشا ولا يزال يشرب منه الى أن يهلك ولا يروى قال النبي صلى الله عليه وسلم كما لا يمكن من خاض البحر ان لا يناله البلل كذا لا يمكن من دخل في أمر الدنيا أن لا يتدنس

﴿المثال السابع﴾

مثل من حصل في الدنيا كمثل ضيف دعي الى مائدة وعادة المضيف أن يزين للاضياف داره ويدعو اليها قوما بعد قوم وفوجا أثر فوج ويضع بين يدي أضيافه طبقا من ذهب مملوا بالجواهر ومجمرة من فضة فيها عود وبخور ليتطيبوا وليتبخروا وينالهم طيبها ثم يعاد الطبق

والمجمرة بحالهما لمالكهما ليدعو غيرهم كما دعاهم فمن كان عاقلا عارفا برسم الدعوة وضع من ذلك البخور

بحالة

وتطيب وانطلق ولم يطمع في أن يتناول المجمرة والطبق وتركهما بطيب نفس من قلبه وشكر (٣٧) لصاحب البيت وربه وانصرف راشدا

بحالة من حطام الدنيا يعجبونك بها ولكن صيانة جمعتك وصيانة حريمك وحراسة مالك عن البغاة أعم نفعا لك ان عقلت وليس لله سلطان الا وقد أخذ عليه شرائط العدل ومواثيق الانصاف وشرائع الاحسان وكما أنه ليس فوق رتبة السلطان العادل رتبة كذلك ليس دون رتبة السلطان الشرير الجائر رتبة لشرير لان شره يعم كما ان خير الاول يعم وكما ان بالسلطان العادل تصلح البلاد والعباد وتنال الزلفى الى الله تعالى والفوز بجنة المأوى كذلك بالسلطان الجائر تفسد البلاد والعباد وتقترف المعاصي والآثام وتورث دار البوار وذلك ان السلطان اذا عدل انتشر العدل في رعيته فأقاموا الوزن بالقسط وتعاطوا الحق فيما بينهم ولزموا قوانين العدل فمات الباطل وذهبت رسوم الجور وانتعشت قوانين الحق فأرسلت السماء غيثها وأخرجت الارض بركاتها ونمت تجاراتهم وزكت زروعهم وتناسلت أنعامهم ودرت أرزاقهم ورخصت أسعارهم وامتلأت أوعيتهم فواسى البخيل وأفضل الكريم وقضيت الحقوق وأعيرت المواعين وتهادوا فضول الاطعمة والتحف فهان الحطام لكثرته وذل بعد عزته فتماسكت على الناس مروآتهم وانحفظت عليهم أديانهم وبهذا تبين لك أن الوالي مأجور على ما يتعاطاه من اقامة العدل ومأجور على ما يتعاطاه الناس بسببه واذا جار السلطان انتشر الجور في البلاد وعم العباد فرقت أديانهم واضمحلت مروآتهم ففشت فيهم المعاصي وذهبت أماناتهم فضعفت النفوس وقنطت القلوب فمنعوا الحقوق وتعاطوا الباطل وبخسوا المكيال والميزان وجوزوا البهرج فرفعت منهم البركة وأمسكت السماء غيثها ولم تخرج الارض ريعها ونباتها فقل في أيديهم الحطام فقنطوا وأمسكوا الفضل الموجود وتأخروا عن المفقود فمنعوا الزكوات المفروضة وبخلوا بالمواساة المسنونة وقبضوا أيديهم عن المكارم وتنازعوا المقدار اللطيف وتجاحدوا القدر الخسيس ففشت فيهم الايمان الكاذبة والحيل في البيع والخداع في المعاملة والمكر والحيلة في القضاء والاقتضاء ولا يمنعه من السرقة الا العار ومن الزنا الا الحياء فيظل أحدهم عاريا عن محاسن دينه ومتجردا عن جلباب مروآته وأكثر همه قوت دنياه أعظم مسراته من هذا الحطام ومن عاش كذلك فبطن الارض خير له من ظاهرها (قال) وهب ابن منبه اذا هم الوالي بالجور أو عمل به أدخل الله النقص في أهل مملكته في الاسواق والزرع والضرع وكل شيء واذا هم بالخير والعدل أو عمل به أدخل الله البركة في أهل مملكته كذلك وقال عمر بن عبد العزيز تهلك العامة بعمل الخاصة ولا تهلك الخاصة بعمل العامة والخاصة هم الولاة وفي هذا المعنى قال الله سبحانه واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة (وقال) الوليد بن هشام ان الرعية لتفسد بفساد الوالي وتصلح بصلاحه (وقال) سفيان الثوري لابي جعفر المنصور اني لاعلم رجلا ان صلح صلحت الامة قال ومن هو قال أنت (وقال) ابن عباس ان ملكا من الملوك خرج يسير في مملكته مستخفيا فنزل على رجل له بقرة فراحت البقرة فحلبت له قدر حلاب ثلاثين بقرة فعجب الملك لذلك وحدث نفسه بأخذها فلما راحت عليه من الغد حلبت على النصف مما حلبت بالامس فقال له الملك ما بال حلابها نقص أرعت في غير مرعاها بالامس قال لا ولكن أظن ملككم هم بأخذها فنقص لبنها فان الملك اذا ظلم أو هم بالظلم ذهبت البركة فعاهد الملك الله سبحانه في نفسه ان لا يأخذها فراحت من الغد فحلبت حلاب ثلاثين بقرة فتاب الملك وعاهد ربه لاعدلن ما بقيت * ومن المشهور في أرض المغرب ان السلطان بلغه ان امرأة لها حديقة فيها القصب الحلو وان قصبة منها تعصر قدحا فعزم على أخذها منها ثم أتاها وسألها عن ذلك فقالت نعم ثم انها عصرت قصبة فلم تبلغ نصف قدح فقال لها أين الذي كان يقال فقالت هو الذي بلغك الا ان يكون السلطان قد عزم على أخذها مني فارتفعت بركتها فتاب السلطان وأخلص لله نيته ان لا يأخذها أبدا ثم أمرها فعصرت فجاء ملء القدح * وحدثني بعض الشيوخ ممن كان يروي الاخبار بمصر قال كان بصعيد مصر نخلة تحمل عشرة أرادب تمرا ولم يكن في الزمان نخلة تحمل نصف ذلك فغصبها السلطان فلم تحمل في ذلك العام شيأ ولا تمرة واحدة (قال) شيخنا رحمه الله قال لي شيخ من أشياخ الصعيد أعرف هذه النخلة في الغربية تجني عشرة

ومن كان أحمق ابله توهم ان ذلك الطبق والمجمرة قد أعد له وانهم يريدون ان يهبوه ماله فلما هم بالخروج من الدار أخذ الطبق والمجمرة فاستعادوهما منه فضاق صدره وتعب قلبه وطلب الاقالة اذ ظهر ذنبه والدنيا كمثل دار الضيافة يتزودون فيها الطريق ولا يطمعون فيما في الدار

﴿المثال الثامن﴾

مثل أهل الدنيا واشتغالهم واهتمامهم بأحوالها ونسيان الآخرة واهمالها كمثل قوم ركبوا مركبا في البحر فعدلوا الى جزيرة لاجل الطهارة وقضاء الحاجة فنزلوا الى الجزيرة والملاح يناديهم لا تطيلوا المكث لئلا يفوت الوقت ولا تشتغلوا بغير الوضوء والصلاة فان المركب سائر فمضوا وتفرقوا في الجزيرة وانتشروا في نواحيها فالعقلاء منهم لم يمكثوا وشرعوا في الطهارة وعادوا الى المركب فوجدوا الاماكن خالية فجلسوا في أطهر أماكنه وأوفقها وأطيب مواضعه وأرفقها ومنهم قوم نظروا الى عجائب تلك الجزيرة ووقفوا يتنزهون في زهرها وأثمارها ورياضها وأشجارها ويسمعون ترنم أطيارها ويتعجبون من حصبائها الملونة وأحجارها

فلما عادوا الى المركب لم يجدوا فيه موضعا ولا رأوا متسعا فقعدوا في أضيق مواضعه وأظلمها ومنهم قوم لم يقنعوا بالنزهة ولم يقتصروا على

Reference: 12964. Copyright for this page: Creative Commons Attribution Licence

View on the Qatar Digital Library: http://www.qdl.qa/en/archive/qnlhc/12964.25

أرادب ستين ويبة وكان صاحبها يبيعها فى سنين الغلاء كل ويبة بدينار (قال) الشيخ رضى الله عنه وشهدت انا بالاسكندرية والصيد فى الخليج مطلق للرعية والسمك فيه يغلى الماء به كثرة ويصيده الاطفال بالخرق ثم حجره الوالى ومنع الناس من صيده فذهب السمك حتى لا يكاد يرى فيه الا الواحدة الى يومنا هذا وهكذا تتعدى سرائر الملوك وعزائمهم ومكنون ضمائرهم الى الرعية ان خيرا فخير وان شرا فشر (وروى) أصحاب التواريخ فى كتبهم قالوا كان الناس اذا أصبحوا فى زمان الحجاج يتلاقون يتساءلون من قتل البارحة ومن صلب ومن جلد ومن قطع وامثال ذلك وكان الوليد صاحب ضياع واتخاذ مصانع فكان الناس يتساءلون فى زمانه عن البنيان والمصانع والضياع وشق الانهار وغرس الأشجار ولما ولى سليمان ابن عبد الملك وكان صاحب نكاح وطعام فكان الناس يتحدثون فى الاطعمة الدقيقة ويتوسعون فى الانكحة والسرارى ويعمرون مجالسهم بذكر ذلك ولما ولى عمر بن عبد العزيز كان الناس يتساءلون كم تحفظ من القرآن وكم وردك فى كل ليلة وكم يحفظ فلان ومتى يختم وكم تصوم من الشهر وامثال ذلك

﴿الباب السادس فى ان السلطان مع رعيته مغبون غير غابن وخاسر غير رابح﴾

اعلموا أرشدكم الله ان السلطان خطره عظيم وبليته عامة وقد يطرقه من الآفات ويحتوشه من الامور المهلكات ما يجب على كل ذى لب ان يستعيذ بالله مما حله ويشكره على ما عصمه لا تهدأ فكره ولا تسكن خواطره ولا يصفو قلبه ولا يستقر به الخلق فى شغل عنه وهو مشغول بهم والرجل يخاف عدوا واحدا وهو يخاف ألف عدو والرجل يضيق بتدبير أهل بيته واما القضية وتقدير معيشته وهو مدفوع لسياسة جميع أهل مملكته وكلما رتق فتقا من حواشى مملكته انفتق آخر وكلما رم منها شعثا رث آخر وكلما قمع عدوا أرصد له أعداء الى سائر ما يعانيه من أخلاق الناس ويقاسيه من خصوماته ونصب الولاة والقضاة وبعث الجيوش وسد الثغور واستيفاء الاموال ودفع المظالم ثم من العجب العجاب ان له نفسا واحدة وانه يرزأ من الدنيا قوتها كما يرزأ آحاد الرعايا ثم يسأل غدا من جميعهم ولا يسألون عنه فيالله ويا للعجب من رجل رضى ان ينال رغيفا ويحاسب منها على آلاف آلاف رغيف ويأكل فى معى واحد ويحاسب على آلاف آلاف معى ويستمتع بنفس واحدة ويحاسب على آلاف آلاف من الانفس وعلى هذا النمط فى جميع أحواله يحمل أثقالهم ويريح أسرارهم ويجاهد عدوهم ويسد ثغورهم ويدافع مناويهم ومناصبيهم ويعصى ربه فيهم ويخالف أمره ويركب نهيه من أجلهم ويقتحم جرائيم جهنم على بصيرة فيهم ثم تجدهم له قالين وعنه غير راضين ولولا ان الله تعالى يحول بين المرء وقلبه لم يرض عاقل بهذه منزلة ولا اختارها لبيب مرتبة وكل ما ذكرته فى هذا الباب أحكمه النبى عليه السلام فى كلمة فقال مالكم ولامرائى لكم صفو أمرهم وعليهم كدره ومثال السلطان مع الرعية كالطباخ مع الاكلة له العناء ولهم الهناء وله الحار ولهم القار طلب لقومه الراحة فحصل على التعب وطلب لهم النعيم فأخطأ الصراط المستقيم وعن هذا قالوا سيد القوم أشقاهم وفى الحديث ساقى القوم آخرهم شربا وكان بعض سلاطين المغرب يسير يوما وبين يديه الوزراء اذ نظر الى جماعة من التجار فقال لوزيره اتحب ان أريك ثلاث طوائف طائفة لهم الدنيا والآخرة وطائفة لا دنيا ولا آخرة وطائفة دنيا بلا آخرة قال وكيف ذلك أيها الملك فقال الذين لهم الدنيا والآخرة فهؤلاء التجار يكسبون أقواتهم ويصلون صلاتهم ولا يؤذون أحدا وأما الذين لا دنيا ولا آخرة فهؤلاء الشرط والخدمة الذين بين أيدينا وأما الذين لهم دنيا بلا آخرة فأنا وأنت وسائر السلاطين فحق على جميع الورى ان يمدوا السلطان بالمناصحات ويخصوه بالدعوات ويعينوه على سائر المحاولات ويكونوا له أعينا ناظرة وايديا باطشة وجننا واقية وألسنة ناطقة وقوادم تنهضه وقوائم تقله وهيهات منه السلامة وأنى له بالسلامة وعن هذا قال بعض السلاطين يوما لاصحابه اعلموا ان السلطان والجنة لا يجتمعان (قال) شيخنا رحمه الله وحدثنى رجل له قدر قال أرسل الى السلطان أن طلق امرأتك وكان قد أرادها لبعض أصحابه فأبيت ذلك وراجعت الرسل غير مرة فقال لى ناصح منهم خذ الامر مقبلا فانه لا حيلة لك فان

وحلوا اما استحجروا من تلك الاحجار على أعناقهم فلم يمض الا يوم أو يومان حتى تغير ألوان تلك الاحجار واسودت وفاح منها أكره رائحة ولم يجدوا لخلاصا من الزحام ليلقوا اثقالها عن أعناقهم فندموا على ما فعلوا وحصلوا بنقل الاحجار على أعناقهم اذ كانوا بتحصيلها اشتغلوا ومنهم قوم وقفوا مع عجائب تلك الجزيرة تنزهوا وفى الرجوع لم يتفكروا حتى سار المركب فبعدوا عنه وانقطعوا فى اماكنهم وتخلفوا اذ لم يصغوا الى المنادى ولم يسمعوا فمنهم من هلك من الجوع ومنهم من أكلته السباع ونهشته الضباع فالقوم المتقدمون هم المؤمنون المتقون والقوم المتخلفون الهالكون هم الكفار والمشركون الذين نسوا الله ونسوا الآخرة وسلموا كليتهم الى الدنيا وركنوا اليها كما قال جل جلاله الذين استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة أى ركنوا اليها واما الجماعة المتوسطون فهم العصاة الذين حفظوا أصل الايمان ولكنهم لم يكفوا ايديهم عن الدنيا فمنهم من تمتع بغناه ونعمته ومنهم من تمتع مع فقره وحاجته الى ان ثقلت أوزارهم وكثرت أوساخهم وآصارهم

﴿المثال التاسع﴾ روى أبو هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله

السلطان لا يخاف فى الدنيا عارا ولا فى الآخرة نارا فارقتها (وروى) عن عبد الملك بن مروان انه لما ولى الخلافة أخذ المصحف فوضعه فى حجره ثم قال هذا فراق بينى وبينك ولما حج هرون الرشيد لقيه عبد الله العمرى فى الطواف فقال له يا هرون قال لبيك يا عم قال كم ترى ههنا من الخلق قال لا يحصيهم الا الله فقال اعلم أيها الرجل ان كل واحد منهم يسأل عن خاصة نفسه وأنت واحد تسأل عنهم كلهم فانظر كيف تكون فبكى هرون وجلس فجعلوا يعطونه منديلا بعد منديل للدموع ثم قال له والله ان الرجل ليسرع فى مال نفسه فيستحق الحجر عليه فكيف بمن أسرع فى مال المسلمين ويقال ان هرون كان يقول والله انى أحب ان أحج كل سنة وما يمنعنى الا رجل من ولد عمر يسمعنى ما أكره وقال مالك بن دينار قرأت فى بعض الكتب القديمة يقول الله تعالى من أحمق من السلطان ومن أجهل ممن عصانى ومن أعز ممن اعتز بى ايا راعى السوء دفعت اليك غنما سمانا صحاحا فأكلت اللحم وشربت اللبن وائتدمت بالسمن ولبست الصوف وتركتها عظاما تتقعقع ولم تأو الضالة ولم تجبر الكسير اليوم انتقم لها منك

﴿الباب السابع فى بيان الحكمة فى كون السلطان فى الارض﴾

اعلموا أرشدكم الله ان فى وجود السلطان فى الارض حكمة لله تعالى عظيمة ونعمة على العباد جزيلة لان الله سبحانه جبل الخلق على حب الانتصاف وعدم الانصاف ومثلهم بلا سلطان مثل الحيتان فى البحر يزدرد الكبير الصغير فتى لم يكن لهم سلطان قاهر لم ينتظم لهم أمر ولم يستقم لهم معاش ولم يهنؤا بالحياة ولهذا قال بعض القدماء لو رفع السلطان من الارض ما كان لله فى أهل الارض من حاجة ومن الحكم التى فى اقامة السلطان انه من حجج الله تعالى على وجوده سبحانه ومن علاماته على توحيده لانه كما لا يمكن استقامة أمور العالم واعتداله بغير مدبر ينفرد بتدبيره كذلك لا يتوهم وجوده وترتيبه وما فيه من الحكمة ودقائق الصنعة بغير خالق خلقه وعالم اتقنه وحكيم دبره وكما لا يستقيم سلطانان فى بلد واحد لا يستقيم الهان للعالم والعالم بأمره فى سلطان الله تعالى كالبلد الواحد فى يد سلطان الارض ولهذا قال على ابن أبى طالب رضى الله عنه امران جليلان لا يصلح أحدهما بالتفرد ولا يصلح الآخر بالمشاركة وهما الملك والرأى فكما لا يستقيم الملك بالشركة لا يستقيم الرأى بالانفراد به ومثال السلطان القاهر لرعيته والرعية بلا سلطان مثال بيت فيه سراج منير وحوله فئام من الخلق يعالجون صنائعهم فبينما هم كذلك طفئ السراج فقبضوا أيديهم للوقت وتعطل جميع ما كانوا فيه فتحرك الحيوان الشرير وخشخش الهام الخسيس فدبت العقرب من مكمنها وفسقت الفارة من جحرها وخرجت الحية من معدنها وجاء اللص بحيلته وهاج البرغوث مع حقارته فتعطلت المنافع واستطارت فيهم المضار كذلك اذا كان قاهرا لرعيته كانت المنفعة به عامة وكانت الدماء فى أهلها محقونة والحرم فى خدورهن مصونة والاسواق عامرة والاموال محروسة والحيوان الفاضل ظاهر والمرافق حاصلة والحيوان الشرير من أهل الفسوق والدعارة خامل واذا اختل أمر السلطان دخل الفساد على الجميع ولو جعل ظلم الناس حولا فى كفة كان هرج ساعة أعظم وأرجح من ظلم السلطان حولا وكيف لا وفى زوال السلطان أو ضعف شوكته سوق أهل الشر ومكسب الاجناد ونفاق أهل العيارة والسوقة واللصوص والمناهبة وقال الفضيل جور ستين سنة خير من هرج سنة ولا يتمنى زوال السلطان الا جاهل مغرور او فاسق يتمنى كل محذور فحقيق على كل رعية ان ترغب الى الله تعالى فى اصلاح السلطان وان تبذل له نصحه وتخصه بصالح دعائها فان فى صلاحه صلاح العباد والبلاد وفى فساده فساد العباد والبلاد وكان العلماء يقولون اذا استقامت لكم أمور السلطان فأكثروا حمد الله تعالى وشكره وان جاءكم منه ما تكرهون وجهوه الى ما تستوجبونه بذنوبكم وتستحقونه بآثامكم وأقيموا عذر السلطان لانتشار الامور عليه وكثرة ما يكابده من ضبط جوانب المملكة واستئلاف الاعداء وارضاء الاولياء وقلة الناصح وكثرة التدليس والطمع وفى كتاب التاج هموم الناس صغار وهموم الملوك كبار وألباب الملوك مشغولة بكل شئ وألباب السوقة مشغولة

ملقاة وبقايا عظام نخرة وخرق قد تمزقت وتلوثت بنجاسات الآدميين فقال يا أبا هريرة هذه رؤس الناس التى تراها كانت مثل رؤسكم كانت مملوءة من الحرص والاجتهاد على جمع الدنيا وكانوا يرجون من طول الاعمار ما ترجون وكانوا يجدون فى جمع المال وعمارة الدنيا كما تجدون فاليوم تعرت عظامهم وتلاشت أجسامهم كما ترى وهذه الخرق كانت أثوابهم التى كانوا يتزينون بها عند التجمل وقت الرعونة والتجمل والتزين فاليوم قد ألقتها الريح فى النجاسات وهذه عظام دوابهم التى كانوا يطوفون اقطار الارض على ظهورها وهذه النجاسات كانت أطعمتهم اللذيذة التى كانوا يحتالون فى تحصيلها ينهبها بعضهم من بعض قد ألقيت عنهم بهذه الفضيحة التى لا يقربها أحد من نتنها فهذه جملة أحوال الدنيا كما تشاهد وترى فمن أراد ان يبكى على الدنيا فليبك فانها موضع البكاء قال أبو هريرة فبكى جماعة الحاضرين

﴿المثال العاشر﴾

كان فى زمن عيسى روح الله عليه السلام ثلاثة سائرون فوجدوا كنزا فقالوا قد جعنا فليمض واحد منا فليبتع لنا طعاما فمضى ليأتيهم بطعام فقال

الصواب أن أجعل لهما فى الطعام سما فاقتلهما فآكله فيموتوا وأنفرد أنا بالكنز دونهما ففعل ذلك وسم الطعام واتفق الرجلان الآخران

Reference: 12964. Copyright for this page: Creative Commons Attribution Licence

View on the Qatar Digital Library: http://www.qdl.qa/en/archive/qnlhc/12964.26

انهما اذا وصل اليهما بالطعام قتلاه (٤٠) وانفردا بالكنز دونه فلما وصل اليهما بالطعام المسموم قتلاه وأكلا من الطعام فماتا فاجتاز

يسرني والجاهل منهم يعذر نفسه مع ماهو عليه من الراحة ولا يعذر سلطانه مع شدة ماهو عليه من المؤنة ومن هنالك يعز الله سلطانه ويرشده وينصره ومن هذا قالت حكماء العجم لا تستوطن الا بلدا فيه سلطان قاهر وقاض عادل وسوق قائمة وطبيب عالم ونهر جار

﴿الباب الثامن في منافع السلطان ومضاره﴾

(قال) حكماء العرب والعجم مثل مضار السلطان في جنب منافعه مثل الغيث الذي هو سقيا الله تعالى وبركات السماء وحياة الارض ومن عليها وقد يتأذى به المسافر ويتداعى له البنيان وتكون فيه الصواعق وتدرس سيوله فتهلك الناس والدواب والذخائر ويموج له البحر فتشتد بليته على أهله ولا يمنع ذلك الخلق اذا نظروا الى آثار رحمة الله تعالى في الارض التي أحيا والنبات الذي أخرج والرزق الذي بسط والرحمة التي نشر أن يعظموا رحمة ربهم ويشكروها ويلغوا ذكر خواص الاذية التي دخلت على خواص الخلق (ومثاله) أيضا مثل الرياح التي يرسلها الله تعالى نشرا بين يدي رحمته فيسوق بها السحاب ويجعلها لقاحا للثمرات وروحا للعباد ويتنسمون منها ويتقلبون فيها وتجري بها مياههم وتقد بها نيرانهم وتسير بها في البحر أفلاكهم وقد تضر بكثير من الناس في برهم وبحرهم وتخلص الى أنفسهم فيشكرها الشاكرون وقد يتأذى بها كثير من الناس ولا يزيلها ذلك عن منزلتها من قوام عبادته وتمام نعمته (ومثاله) أيضا مثال الشتاء والصيف اللذين جعل الله حرهما وبردهما صلاحا للحرث والنسل ونتاجا للحب والثمر يجمعهما البرد باذن الله ويخرجهما الحر باذن الله فينضج على اعتدال الى غير ذلك من منافعهما وقد يكون الاذى في حرهما وبردهما وسمومهما وزمهريرهما وهما مع ذلك لا ينسبان الى الصلاح والخير وقد غمر صلاحهما أذيتهما (ومثاله) أيضا مثل الليل الذي جعله الله تعالى سكنا ولباسا ونوما وراحة وسباتا وقد يستوحش له أخو الفقر ويسارع فيه أهل الدعارة والفساد واللصوص وتعدو فيه السباع وتنتشر فيه الهوام وذوات الحمة والسموم القاتلة ثم لا ينسى العباد نعم الله تعالى عليهم به ولا يرزأ صغير ضرره بكبير نفعه (ومثاله) أيضا مثال النهار الذي جعله الله ضياء ونورا ونشورا واكتسابا وانتشارا وقد تكون فيه الحروب والغارات والتعب والنصب والشخوص والخصومات فتستريح الخلق منه الى الليل ثم لم ينس العباد نعمة الله عليهم فيه وهكذا كل جسيم من أمور الدنيا يكون ضرره خاصا ونفعه عاما فهو نعمة عامة وكل شئ يكون نفعه خاصا فهو بلاء عام ولو كانت نعم الدنيا صفوا من غير كدر وميسورها من غير معسور لكانت الدنيا هي الجنة التي لا تعب فيها ولا نصب (وقد قال الشاعر)

لا ترج شيأ خالصا نفعه * فالغيث لا يخلو من العيب

﴿الباب التاسع في بيان منزلة السلطان من الرعية﴾

اعلموا ان منزلة السلطان من الرعية بمنزلة الروح من الجسد فاذا صفت الروح من الكدر سرت الى الجوارح سليمة وسرت في جميع أجزاء الجسد فأمن الجسد من الغير فاستقامت الجوارح والحواس وانتظم أمر الجسد وان تكدرت الروح أو فسد مزاجها فاوج الجسد فتسري الى الحواس والجوارح كدرة وهي منصرفة عن الاعتدال فأخذ كل عضو وحاسة بقسطه من الفساد فرضت الجوارح وتعطلت فتعطل نظام الجسد وجر الى الفساد والهلاك (ومثال) السلطان أيضا مثال النار ومثال الخلق مثال الخشب فما كان منها معتدلا لم يحتج الى النار وما كان منها منآدا احتاج الى النار ليقام أوده فيعدل عوجه فان أفرطت النار احترق الخشب قبل ان يستقيم أوده وان قصرت النار لم يلن الخشب لقبول الاعتدال فيبقى منآدا واذا كانت النار معتدلة اعتدل الخشب كذلك السلطان في أطواره ان أفرط أهلك الخلق وان فرط لم يستقيموا وان اعتدل اعتدلوا (ومثاله) أيضا مثال عين خرارة في أرض خوارة فان حلا مشربه وعذب طعمه وسلمت من الكدر والفساد أوصافه اختلج في الارض فابتلعته صافيا صرفا ثم شربته عروق الاشجار فاغتذت به كذلك فغلظت سوقها وفرعت أغصانها وامتدت أفنانها

عيسى عليه السلام بذلك المكان فقال للحواريين هذه الدنيا فانظروا كيف قتلت هؤلاء الثلاثة وبقيت بعدهم ويل لطلاب الدنيا من الديان

﴿العين الثانية في معرفة النفس﴾

اعلم أيها السلطان العالم ان بني آدم طائفتان طائفة نظروا الى شاهد حال الدنيا وتمسكوا بتأميل العمر الطويل ولم يتفكروا في النفس الاخير وطائفة عقلاء جعلوا النفس الاخير نصب أعينهم لينظروا الى ماذا يكون مصيرهم وكيف يخرجون من الدنيا ويفارقونها وايمانهم سالم وما الذي يدخل معهم من الدنيا في قبورهم وما الذي يتركونه لاعدائهم من بعدهم ويبقى عليهم وباله ونكاله وهذه الفكرة واجبة على جميع الخلق وهي على الملوك وأهل الدنيا أوجب لانهم كثيرا أزعجوا قلوب الخلق وأنفذوا الى الناس الغلمان بالتلبيسات وأزعجوا الخليقة وأدخلوا في قلوبهم الرعب فان بحضرة الحق تعالى ذكره غلاما يقال له عزرائيل يعرف بملك الموت لا مهرب لاحد من مطالبته وتشنيته وكل موكلي الملوك يأخذون جعالهم ذهبا وطعاما وصاحب هذا التوكل لا يأخذ سوى الروح جعلا وسائر موكلي السلاطين تنفع عندهم الشفاعة وهذا الموكل

ثم

لا ينفع عنده شفاعة شافع وجميع الموكلين يمهلون من يوكلون به اليوم والساعة وهذا الموكل (٤١) لا يمهل نفسا واحدا وعجائب أحواله

ثم أخرجت أوراقها وأبرزت أزهارها ثم قذفت ثمارها فجاءت على أتم طبيعتها كبرا وطعما ولونا ورائحة فتقوت بها العباد وأكلت حظوظها البهائم والحشرات وسقط عليها الطير فاحرز كل منها قوته واستقام النظام وان كان في حواشي الارض ما يدق من الانبات والنفع ويكدي عن الزكاة والريع أو كان فيها من الشجر ما يبرز حمله ويقل ريعه اعطى كل ذلك الغاية من نفسه وأطلع ما في قواه ولم يغادر ممكنا الا وفاه وان كان في العين كدر أو فساد أو ملح شربتها الاشجار كذلك ففسد مزاجها وأضر الجزء الفاسد بالطيب فرقت سوقها وضعفت أغصانها وتغيرت أوراقها وقلت أزهارها وثمارها ودخل الفساد على جميع ذلك فجاءت الثمرة وهي نزر قدرها ردئ طعمها كاسف لونها ودخل بذلك من النقص على جميع الحيوان مثل ما دخل عليهم في الاولى ولهذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم ان الحشرات لتموت في أجحرتها هزالا بذنب ابن آدم يعني اذا كثرت المعاصي في الارض حبست السماء غيائها ومنعت الارض نباتها فهلك الهوام والحشرات والدواب

(الباب العاشر في بيان معرفة خصال ورد الشرع بها فيها نظام الملك والدول)

وهي ثلاثة اللين وترك الفظاظة والمشاورة وان لا يستعمل على الاعمال والولايات راغب فيها ولا طالب لها ولما علم الله تعالى ما فيهما من انتظام أمر الملة واستقامة الامر نص عليها الله سبحانه ورسوله * اعلم ان هذه الخصال من أساس الممالك وقل من يعمل بها من الملوك اثنتان نزلتا من السماء وواحدة قالها الرسول صلى الله عليه وسلم اما الالهية فقال الله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر وفي الآية اشارتان احداهما ان الفظاظة تنفر الاصحاب والجلساء وتفرق الجموع والحشم وانما الملك ملك بجلسائه وأصحابه وحشمه واتباعه وأخلق بخصلة تنفر الاولياء وتطمع الاعداء فقمن بكل سلطان رفضها والاحتراز من سوء مغبتها ولتكن كما قال الله تعالى واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين * وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان جالسا مع أصحابه فجاء رجل فقال أيكم ابن عبد المطلب فقالوا هذا الابيض المتكئ فقال الرجل يا ابن عبد المطلب فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد أجبتك ذل الارض على انما استأثر بشرف المجلس ولا فاتهم بزي ولا مقعد وقد يبلغ باللين ما لا يبلغ بالغلظة ألا ترى أن الرياح تهون أصواتها فيتداخل لها الشجر وتنعطف الافنان والاغصان وفي الفرط تتكسر الاغصان والماء بلينه في أصول الشجر يقلعها من أصلها واذا كانت الحية مع صعوبتها وسمها وتغيبها في جحرها ترقى بالكلام حتى تنعطف فتخرج فالانسان أحرى ان يستمال بلين القول وحسن المنطق فاذا أردت ان تنتقم ممن يسئ اليك فكافئه بكل كلمة سوء قالها كلمة جميلة وحسن ثناء عليه * والاشارة الثانية انه قال وشاورهم في الامر فاذا قيل لنا كيف يشاورهم وهو نبيهم وامامهم وواجب عليهم مشاورته وان لا يفصلوا أمرا دونه قلنا هذا أدب أدب الله تعالى نبيه عليه السلام به وجعله مأدبة لسائر الملوك والامراء والسلاطين لما علم الله تعالى ما في المشاورة من حسن الادب مع الجليس ومساهمته في الامور فان نفوس الجلساء والنصحاء والوزراء تصلح عليه وتميل اليه وتخضع عنوة بين يديه شرعة لنبيه عليه السلام ولذوي الامرة من أهل ملته صلى الله عليه وسلم ألا ترى ان النبي عليه السلام كان في غزوة فأمرهم بالنزول فقال له سعد يا رسول الله ان كان هذا بأمر فسمع وطاعة وان كان غير ذلك فليس بمنزل فسمع منه النبي عليه السلام وقال ارتحلوا ومن أقبح ما يوصف به الرجال ملوكا كانوا أو سوقة الاستبداد بالرأي وترك المشاورة وسنعقد للمشاورة بابا ان شاء الله تعالى والخصلة الثالثة ما روى البخاري ومسلم وغيرهما ان رجلا قال يا رسول الله استعملني فقال النبي عليه السلام انا لا نستعمل على عملنا من أراده والسر فيه ان الولايات أمانات وتصرف في أرواح الخلائق وأموالهم والتسرع الى الامانة دليل على الخيانة وانما يخطبها من يريد أكلها واذا ائتمن خائن على موضع الامانات كان كاسترعاء الذئب على الغنم ومن هذه الخصلة تفسد قلوب الرعايا على ملوكها لانه اذا

كثيرة الا انا نذكر من أحواله خمس حكايات

﴿الحكاية الاولى﴾

وهي ما رواه وهب بن منبه وكان من علماء اليهود وأسلم روى ان ملكا عظيما أراد ان يركب يوما في جملة أهل مملكته ويرى الخلائق عجائب زينته فأمر أمراءه بالركوب ليظهر للناس سلطنته فأمر باحضار فاخر الثياب وأمر بعرض خيوله الموصوفة وعتاقه المعروفة فاختار من جملتها جوادا يوصف بالمشي والسبق فركبه بالمركب والطوق المرصع بالجواهر وجعل يركض الحصان بين عسكره ويفتخر بتيهه وتجبره فجاء ابليس فوضع فمه على منخره ونفخ هواء الكبر في انفه فقال في نفسه من في العالم مثلي وجعل يركض بالكبر يأمر وينهى بالخيلاء ولا ينظر الى أحد من تيهه وكبره وعجبه وفخره فوقف بين يديه رجل عليه ثياب رثة فسلم عليه فلم يرد سلامه فقبض عنان فرسه فقال الملك ارفع يدك فانك لا تدري بعنان من قد مسكت فقال لي اليك حاجة فقال له اصبر الى أن أنزل فقال حاجتي هذه الساعة اليك لا عند نزولك فقال اذكر حاجتك فقال انها سر لا أقولها الا في أذنك فأصغى بسمعه اليه فقال أنا ملك الموت

أريد أقبض روحك فقال امهلني بقدر ما أعود الى بيتي وأودع أهلي وأولادي وزوجتي فقال كلا لا تعود

Reference: 12964. Copyright for this page: Creative Commons Attribution Licence

View on the Qatar Digital Library: http://www.qdl.qa/en/archive/qnlhc/12964.27

اهتضمت حقوقهم وأكلت أموالهم فسدت نياتهم وأطلقوا ألسنتهم بالدعاء والتشكى وذكر واساءة الملوك بالعدل والاحسان فكانوا كالبيت السائر الذى أنشدناه

وراعى الشاة يحمى الذئب عنها * فكيف اذا الرعاة لها ذئاب

فاذا خان أهل الامانات وفسد أهل الولايات كان الامر كما قال الاول

بالملح يصلح ما يخشى تغيره * فكيف بالملح ان حلت به الغير

(وقال آخر)

ذئب تراه مصليا * فاذا مررت به ركع
يدعو وجل دعائه * ماللفريسة ما تقع
عجل بها ياذا العلا * ان الفؤاد قد انصدع

* ومن اشراط الساعة التصدى للامانة وخطبة الولاية (وروى) عن النبى عليه السلام انه قال من اشراط الساعة ان تكون الزكاة مغرما والامانة مغنما فحينئذ يدعو عليه الضعيف وأهل الصلاح ويقعد له بالمراصد الشرير ويخاصم عليه القوى ويقبح ثناؤه عند الجماعة ويتمنون الراحة منه وينظرون من يصلح لها سواه

(الباب الحادى عشر فى بيان معرفة الخصال التى هى قواعد السلطان ولاثبات له دونها)

فأول الخصال وأحقها بالرعاية العدل الذى هو قوام الملك ودوام الدول وأس كل مملكة سواء كانت نبوية أو اصلاحية اعلم أرشدك الله أن الله تعالى أمر بالعدل ثم علم سبحانه ان ليس كل النفوس تصلح على العدل بل تطلب الاحسان وهو فوق العدل فقال ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى فلو وسع الخلق العدل ما قرن الله به الاحسان فمن لم يصلح حتى يزاد على العدل كيف يصلح اذا لم يبلغ به العدل والعدل ميزان الله فى الارض الذى به يؤخذ للضعيف من القوى وللمحق من المبطل وليس موضع الميزان بين الرعية فقط بل بين السلطان والرعية أيضا فمن أزال ميزان الله الذى وضعه من القيام بالقسط فقد تعرض لسخط الله تعالى * واعلم أيها الوالى أن الملك بمنزلة رجل فرأسه أنت وقلبه وزيرك ويداه أعوانك ورجلاه رعيتك وروحه عدلك وما بقاء جسد بلا روح واذا أردت ذروة العدل فاعلم أن الرعية ثلاثة أنفس كبير وصغير ووسط فاجعل كبيرهم أبا ووسطهم أخا وصغيرهم ابنا فبر أباك وأكرم أخاك وارحم ابنك فانك واصل بذلك الى بر الله وكرامته ورحمته * واعلم أن عدل الملك يوجب الاجتماع عليه وجوره يوجب الافتراق عنه عدل الملك حياة رعيته وفى منثور الحكم سلطان جائر أربعين عاما خير من رعية مهملة ساعة واحدة من النهار اذا عدل السلطان فيما قرب منه صلح له ما بعد عنه فضل الملوك فى الاعطاء وشرفها فى العفو وعزها فى العدل عدة السلطان ثلاثة مشاورة النصحاء وثبات الاعوان واقامة سوق العدل أفضل الازمنة أزمنة أئمة العدل ثم العدل ينقسم قسمين قسم الهى جاءت به الرسل والانبياء عليهم السلام عن الله تعالى والثانى ما شابه العدل وهو السياسة الاصلاحية التى هرم عليها الكبير ونشأ عليها الصغير وبعيد أن يبقى سلطان أو تستقيم رعية فى حال ايمان أو كفر بلا عدل قائم ولا ترتيب للامور ثابت فذلك مالا يجوز ولا يمكن وقد ذكرنا فى أول الكتاب ان سليمان بن داود سلب ملكه حين جلس الخصمان بين يديه وكان لاحدهما خاصة بسليمان فقال فى نفسه وددت أن يكون الحق لخاصتى فأقضى له فسلبه الله تعالى ملكه وقعد الشيطان على كرسيه فاجعل العدل رأس سياستك فقد سقط عنك جميع الآفات المفسدة للسياسة وتقوم لك جميع الشرائط التى تقوم بها المملكة قال على بن أبى طالب رضى الله عنه امام عادل خير من مطر وابل وأسد حطوم خير من سلطان ظلوم وسلطان ظلوم خير من فتنة تدوم وقال ابن مسعود اذا كان الامام عادلا فله الاجر وعليك الشكر وان كان جائرا فعليه الوزر وعليك الصبر وقال سليمان بن داود عليهما السلام الرحمة والعدل يحرزان الملك واتفق حكماء العرب

رضى ربه عنه فقال له لى اليك حاجة وهى سر فقال الصالح قل حاجتك فى أذنى فقال أنا ملك الموت فقال مرحبا بك الحمد لله على مجيئك فانى كنت كثير الترقب لمجيئك ووصولك ولقد طالت غيبتك وكنت مشتاقا الى قدومك فقال له ملك الموت ان كان لك شغل فاقضه قال فليس لى شغل أهم من لقاء ربى فقال كيف تحب أن أقبض روحك فانى أمرت أن أقبض روحك كيف آثرت واخترت فقال از كى ريثما أتوضأ وأصلى فاذا أنا سجدت تخذ روحى وأنا ساجد ففعل ملك الموت ما أمره ونقل الى رحمة ربه

(الحكاية الثانية)

روى انه كان ملك كثير المال قد جمع مالا عظيما واحتشد من كل نوع خلقه الله تعالى من متاع الدنيا ليرفه نفسه ويتفرغ لاكل ماجمعه فجمع نعما طائلة وبنى قصرا عاليا مرتفعا شامخا يصلح للملوك والامراء والاكابر والعظماء وركب عليه بابين محكمين وأقام عليه الغلمان الاجلاء والحرسة والاجناد والبوابين كما أراد وأمر بعض الايام أن يصطنع له من أطايب الطعام وجمع أهله وحشمه وأصحابه وخدمه ليأكلوا عنده وينالوا رفده وجلس على سرير مملكته واتكأ على وسادته وقال يا نفس قد جمعت نعم الدنيا بأسرها

والعجم

والعجم على هذه الكلمات فقالوا الملك بناء والجند أساسه فاذا قوى الاساس دام البناء وان ضعف الاساس انهار البناء فلا سلطان الا بجند ولا جند الا بمال ولا مال الا بجباية ولا جباية الا بعمارة ولا عمارة الا بعدل فصار العدل أساسا لسائر الاساسات فاما العدل النبوى فأن يجمع السلطان الى نفسه حملة العلم الذين هم حفاظه ورعاته وفقهاؤه وهم الادلاء على الله تعالى والقائمون بأمر الله والحافظون لحدود الله والناصحون لعباد الله وروى أبو هريرة ان النبى عليه السلام قال ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم فاتخذ أيها الملك العلماء شعارا والصالحين دثارا فتدور المملكة بين نصائح العلماء ودعوات الصلحاء وأخلق بملك يدور بين هاتين الخصلتين ان تقوم عمده ويطول أمده وكيف لا وقد فرقهم الله فى سلطانه واصطفاهم بخالص معرفته فقال جل من قائل شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط فبدأ بنفسه وثنى بملائكته وثلث بأولى العلم وهم ورثة الانبياء عليهم السلام الموقعون عن الله تعالى لان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم ففى تعظيمهم وتكريمهم امتثال لامر الله تعالى وتعظيم لمن أثنى الله عليه ويجب ترفيع مجالسهم وتمييز مواضعهم عمن سواهم قال الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات وفيه استمالة قلوب الرعية وخلوص نياتهم لسلطانهم واجتماعهم على محبته فواجب على السلطان أن لا يقطع أمرا دونهم ولا يفصل حكما الا بمشاورتهم لانه فى ملك الله يحكم وفى شريعته يتصرف وأقل الواجبات على السلطان ان ينزل نفسه مع الله منزلة ولاته معه أليس اذا خالف واليه أمره وما رسمه له من الاحكام عزله وعاقبه ولم يأمن سطوته واذا امتثل أوامره وازدجر من زواجره حل منه محل الرضا فواعجبا لمن يغضب على واليه اذا خالفه ثم لا يخاف سطوة ربه عليه اذا خالفه فهذه طريق اقامة العدل الشرعى والسياسة الاسلامية الجامعة لوجوه المصلحة الآخذة لازمة التدبير السالمة من العيوب الممهدة لاستقامة الدنيا والدين وكما أن الملك الحازم لا يتم حزمه الا بمشاورة الوزراء والاخيار كذلك لا يتم عدله الا باستفتاء العلماء الابرار وقد وقع المأمون فى قصة متظلم من عمرو بن مسعدة يا عمرو عمر نعمتك بالعدل فان الجور يهدمها وفى اشاعة العدل قوة القلب وطيبة النفس ولزوم اليقين وأمان من العدو ولما استأذن الهرمزان على عمر بن الخطاب رضى الله عنه لم يجد عنده حاجبا ولا بوابا فقيل له هو فى المسجد فأتى المسجد فوجده مستلقيا متوسدا كوما من الحصباء ودرته بين يديه فقال له عدلت فأمنت فنمت وقال الحسن رأيت عثمان بن عفان رضى الله عنه وقد جمع الحصباء فى مسجد النبى عليه السلام عند رأسه وقد وضع أحد جانبى ردائه عليه وهو يومئذ أمير المؤمنين ما عنده أحد من الناس ودرته بين يديه وكتب عامل حمص الى عمر بن عبد العزيز ان مدينة حمص قد تهدمت واحتاجت الى اصلاح فكتب اليه عمر حصنها بالعدل ونق طرقها من الجور والسلام وقالت الحكماء من حرم العدل فلا خير فيه ولا للناس فى سلطانه وقال يحيى بن أكثم ماشيت المأمون فى بستان والشمس عن يسارى والمأمون فى الظل فلما رجعنا وقعت الشمس أيضا على فقال لى المأمون تحول مكانى وأتحول مكانك حتى تكون فى الظل كما كنت وأقيك الشمس كما وقيتنى فان أول العدل ان يعدل الرجل على بطانته ثم الذين يلونهم حتى يبلغ العدل الطبقة السفلى فعزم على فتحولت وكان يقال ليس شئ أبعد من بقاء ملك الغاصب وقيل للاسكندر لو أكثرت من النساء حتى يكثر نسلك ويحيا ذكرك فقال انما يحيى الذكر الافعال الجميلة والسيرة الحميدة ولا يحسن بمن يغلب الرجال ان تغلبه النساء وقال الحكيم من اتخذ العدل سنة كان له أحسن جنة ومن استشعر حلة العدل استكمل زينة الفضل وقال أبو عبيد بن عبد الله بن مسعود ان الامام العادل ليسكت الاصوات عن الله وان الامام الجائر لتكثر منه الشكاية الى الله تعالى وقال الحكيم لا يزال السلطان مهملا حتى يتخطى الى أركان العمارة ومبانى الشريعة فحينئذ يريح الله منه وقالوا لا تظلم الضعفاء فتكون من أشرار الاقوياء وقال بعض الحكماء

ظاهر القصر عليه ثياب خلقة ومخلاة فى عنقه معلقة على هيئة سائل يسأل الطعام فجاء وطرق حلقة باب القصر طرقة عظيمة هائلة بحيث تزلزل القصر وتزعزع السرير وخاف الغلمان ووثبوا الى الباب وصاحوا بالطارق وقالوا يا ضعيف ما هذا الحرص وسوء الادب اصبر الى أن نأكل ونطعمك مما يفضل فقال لهم قولوا لصاحبكم يخرج الى فلى اليه شغل مهم وأمر ملم فقالوا للشيخ أيها الضعيف من أنت حتى نأمر صاحبنا بالخروج اليك فقال أنتم عرفوه ما ذكرت لكم فلما عرفوه قال هلا نهرتموه وجردتم عليه وزجرتموه ثم طرق حلقة الباب أعظم من الطرقة الاولى فنهضوا من أماكنهم بالسلاح ليحاربوه فصاح بهم صيحة وقال الزموا أماكنكم فأنا ملك الموت فرعبت قلوبهم وطاشت جلودهم وارتعدت فرائصهم وبطلت عن الحركة جوارحهم فقال لهم الملك قولوا له يأخذ بدلا منى وعوضا عنى فقال ما آخذ ولا أتيت الا لاجلك لافرق بينك وبين النعم التى جمعتها والاموال التى قد حويتها وخزنتها فتنفس الصعداء وقال لعن الله هذا الذى غرنى وأضرنى ومنعنى عن عبادة ربى وكنت أظن انه ينفعنى فاليوم صار حسرتى وبلائى وخرجت صفر اليدين منه وبقى لاعدائى

Reference: 12964. Copyright for this page: Creative Commons Attribution Licence
View on the Qatar Digital Library: http://www.qdl.qa/en/archive/qnlhc/12964.28

أمير بلا عدل كغيم بلا مطر وعالم بلا ورع كأرض بلا نبات وشاب بلا توبة كشجر بلا ثمر وغني بلا سخاء كقفل بلا مفتاح وفقير بلا صبر كسراج بلا ضوء وامرأة بلا حياء كطعام بلا ملح وقال كسرى اتفقت ملوك العجم على أربع خصال ان الطعام لا يؤكل الا على شهوة والمرأة لا تنظر الا الى زوجها والملك لا يصلحه الا الطاعة والرعية لا يصلحها الا العدل وأحق الناس باجبار نفسه على العدل الملوك الذين بعد انهم يعدل من دونهم والذين اذا قالوا أو فعلوا كان نافذا غير مردود وقالت الحكماء ربما شئت بالانصاف وأنا زعيم لك بالظفر به والظلم ادعى شيء الى تغيير نعمة أو تعجيل نقمة وقال الحكيم شر الزاد الى المعاد الذنب بعد الذنب وشر من هذا العدوان على العباد ومتى أراد السلطان حسن الصيت وجميل الذكر فليقم سوق العدل وان أحب الزلفى عند الله وشرف المنزلة عنده فليقم سوق العدل وان أحبهما جميعا فليقم سوق العدل والذي يخلد بذكر الملوك على غابر الدهور عدل واضح أو جور فاضح هذا يوجب له الرحمة وهذا يوجب له اللعنة

(فصل) فأما القسم الثاني من العدل وهو السياسة الاصلاحية وان كان أصلها على الجور فيقوم بها أمر الدنيا وكأنها تشاكل مراتب الانصاف على نحو ما كانت عليه ملوك الطوائف في أيام الفرس وكانوا كفارا يعبدون النيران ويتبعون هواجس الشيطان فوضعوا بينهم سننا وأسسوا لهم أحكاما وأقاموا لهم مراتب في النصفة بين الرعايا واستيفاء الخراجات وتوظيف المكوس على التجارات كل ذلك بعقولهم على وجوه ما أنزل الله بها من سلطان ولا نصب عليها من برهان بيد أنه لما جاءت الشريعة من عند الله تعالى على لسان نبيه صاحب المعجزة محمد صلى الله عليه وسلم فمنها ما أقرته في نصابه ومنها ما نسخته وأبطلت حكمه فعادت الحكمة البالغة الى الله تعالى والحكم بما أنزل الله وبطل ما سواه وكان ملكهم محفوظا برعاياتهم للقوانين المألوفة بينهم فانقطع بذلك حبل الهمل فكانوا يقيمون بها واجب الحقوق ويتعاطون بها أمالهم وعليهم ومن هذا كان يقال ان السلطان الكافر الحافظ لشرائط السياسة الاصلاحية أبقى وأقوى من السلطان المؤمن العدل في نفسه المضيع للسياسة النبوية العدلية والجور المرتب أبقى من العدل المهمل اذ لا شيء أصلح لامر السلطان من ترتيب الامور ولا شيء أفسد له من اهمالها واعلم ان درهما يؤخذ من الرعية على وجه الاهمال والخرق وان كان عدلا أفسد لقلوبها من عشرة تؤخذ منها سياسة على زمام معروف ورسم مألوف وان كان جورا فلا يقوم السلطان لاهل الايمان ولا لاهل الكفران الا باقامة العدل النبوي وما يشبه العدل من الترتيب الاصطلاحي وقال ابن المقفع الملوك ثلاثة ملك دين وملك حزم وملك هوى فاما ملك الدين فانه اذا أقام لاهل المملكة دينهم كانوا راضين وكان الساخط فيه بمنزلة الراضي واما ملك الحزم فيقوم به الامر ولا يسلم من الطعن والسخط ولن يضر طعن الذليل مع حزم القوي واما ملك الهوى فلعب ساعة ودمار دهر ولقد بلغنا أن ملكا من ملوك الهند نزل به صمم فأصبح متوجعا مهتما بأمور المظلومين وانه لا يسمع استغاثتهم فأمر مناديه أن لا يلبس أحد في مملكته ثوبا أحمر الا مظلوم وقال لئن منعت سمعي لم أمنع بصري فكان كل من ظلم لبس ثوبا أحمر ووقف تحت قصره فيكشف عن ظلامته قال شيخنا وأخبرني أبو العباس الحجازي وكان ممن دخل الصين سيرة عجيبة غريبة لملوكها في سياستهم وذلك ان البيت الذي يكون فيه الملك ناقوسا موصولا بسلسلة وطرف السلسلة في خارج الطريق وعليها أمناء السلطان وحفظة فيأتي المظلوم فيحرك السلسلة فيسمع الملك صوت الناقوس فيأمر بادخال المظلوم فكل من حرك السلسلة تمسكه تلك الحفظة حتى تدخله على السلطان

(الباب الثاني عشر في التنصيص على الخصال التي زعم الملوك انها أزالت دولتهم وهدمت سلطانهم)

أيها الملك احرص كل الحرص ان تكون خبيرا بأمور عمالك فان المسيء يفرق من خبرتك به قبل ان تصيبه عقوبتك والمحسن يستبشر بعلمك به قبل ان يأتيه نوالك قال أبو جعفر المنصور ما زال أمر بني أمية

مستقيما

فأنطق الله تعالى المال حتى قال لأي سبب تلعنني العن نفسك فان الله تعالى بجده خلقني واياك من تراب وجعلني في يدك لتتزود بي الى آخرتك وتتصدق بي على الفقراء وتزكي على الضعفاء وتعمر بي الربط والمساجد والجسور والقناطر لاكون عونا لك في اليوم الآخر وأنت جمعتني وخزنتني وفق هواك أنفقتني ولم تشكر حقي بل كفرتني فالآن تركتني لاعدائك وأنت بحسرتك وضرائك فأي ذنب لي فتسبني وتلعنني ثم ان ملك الموت قبض روحه قبل أكل الطعام فسقط عن سريره صريع الحمام

(الحكاية الثالثة)

قال يزيد الرقاشي كان في بني اسرائيل جبار من الجبابرة وبينما هو في بعض الايام جالس على سرير مملكته فرأى رجلا قد دخل من باب الدار ذا صورة منكرة وهيئة هائلة فاشتد خوفه من هجومه وهيبة قدومه وثب في وجهه وقال له من أنت أيها الرجل ومن أذن لك في الدخول الى داري فقال أمرني صاحب الدار وأنا الذي لا يحجبني حاجب ولا احتاج في دخولي على الملوك الى اذن ولا أرهب سياسة سلطان ولا يفزعني جبار ولا لاحد من قبضتي فرار فلما سمع هذا الكلام خر على وجهه ووقعت الرعدة في جسده وقال أنت ملك الموت فقال له نعم فقال أقسم عليك بالله الا ما أمهلتني يوما واحدا لاتوب من ذنبي وأطلب العذر من ربي وأرد الاموال التي أودعتها

مستقيما حتى أفضى أمرهم الى أبنائهم المترفين فكانت همتهم من عظيم شأن الملك وجلالة قدره قصد الشهوات وايثار اللذات والدخول في معاصي الله وما سخطه جهلا منهم باستدراج الله تعالى وامنا لمكره فسلبهم الله العز ونقل عنهم النعمة قال عبيد الله بن مروان ومروان هذا هو المعروف بمروان الحمار وهو آخر ملوك بني أمية قتل في أرض مصر في كورة بوصير لما زال ملكنا وهربت الى أرض النوبة فجاءني أتبعني من أصحابي فسمع ملك النوبة بمجيئي فجاءني فقعد على الارض ولم يقعد على فراش افترشته فقلت له الا تقعد على ثيابنا قال لا قلت ولم قال لاني ملك وحق على كل ملك ان يتواضع لامر الله سبحانه اذ رفعه ثم قال لي لم تشربون الخمور وهي محرمة عليكم ولم تطؤن الزرع بدوابكم والفساد محرم عليكم ولم تستعملون الذهب والفضة وتلبسون الديباج والحرير وهو محرم عليكم فقلت زال عنا الملك فقل أنصارنا وانتصرنا بقوم من الاعاجم دخلوا ديننا ولنا عبيد وأتباع فعلوا ذلك على كره منا فأطرق مليا يقلب كفيه وينكت في الارض ثم قال ليس كما ذكرت بل أنتم قوم استحللتم ما حرم الله وظلمتم فيما ملكتم فسلبكم الله العز بذنوبكم ولله فيكم نقمة لم تبلغ غايتها وأخاف ان يحل بكم العذاب وأنتم ببلدي فيصيبني معكم وانما الضيافة ثلاثة أيام فتزودوا ما احتجتم اليه وارتحلوا عن بلدي فتزودنا وارتحلنا وسئل بزرجمهر ما بال ملك آل ساسان صار الى ما صار اليه بعدما كان فيه من قوة السلطان وشدة الاركان فقال ذلك لانهم قلدوا كبار الاعمال صغار الرجال وعن هذا قالت الحكماء موت ألف من العلية أقل ضررا من ارتفاع واحد من السفلة وفي الامثال ان زوال الدول باصطناع السفل وقال الشافعي رضي الله عنه أظلم الناس لنفسه اللئيم اذا ارتفع جفا أقاربه وانكر معارفه واستخف بالاشراف وتكبر على ذوي الفضل وسئل بعض الملوك بعد زوال ملكه ما الذي سلبك ملكك قال اعطاؤنا من بطر وطغى ورفع عمل اليوم لغد وسئل بعض الملوك بعد ان سلبوا ملكهم ما الذي سلب عزكم وهدم ملككم فقال شغلتنا لذاتنا عن التفرغ لمهماتنا ووثقنا بكفاتنا فآثروا مرافقهم علينا وظلم عمالنا رعيتنا فانفسدت نياتهم لنا وتمنوا الراحة منا وحمل على أهل خراجنا فقل دخلنا وبطل عطاء عبيدنا فزالت الطاعة منهم لنا وقصدنا عدونا فقل ناصرنا وكان أعظم ما زال به ملكنا استتار الاخبار عنا وقالت الحكماء أسرع الخصال في هدم السلطان وأعظمها وأسرعها في افساده وتفريق الجمع عنه اظهار المحاباة لقوم دون قوم والميل الى قبيلة دون قبيلة في اعلان بحب قبيلة فقد برئ من قبائل وقد عاقبل المحاباة مفسدة وقال مهبوذ الموبذان من زوال السلطان تقريب من ينبغي ان يباعد ومباعدة من ينبغي ان يقرب وحينئذ مان أوان الغدر وقيل لملك بعد ذهاب ملكه ما الذي أذهب ملككم قال ثقتي بدولتي واستبدادي بمعرفتي واغفالي استشارتي واعجابي بشدتي واضاعتي الحيلة وقت حاجتي والتأني عند العجلة ولما أحيط بمروان الجعدي وهو آخر ملوك بني أمية قال لهفاه على دولة ما نصرت وكف ما ظفرت ونعمة ما شكرت فقال له خادمه نسيل وكان من أولاد أشراف الروم من أغفل الصغير حتى يكبر والقليل حتى يكثر والخفي حتى يظهر أصابه مثل هذا وسئل بعض العلماء ما الذي أذهب ملك بني مروان قال تحاسد الاكفاء وانقطاع الاخبار وذلك ان زيد بن عمر كان يحب أن يضع من نصر بن سيار وكان لا يمده بالرجال ولا يرفع الى السلطان ما يورد عليه من أخبار خراسان فلما رأى ذلك نصر بن سيار قال

أرى خلل الرماد وميض نار * فيوشك ان يكون لها ضرام
وان النار بالعودين تذكو * وان الحرب أولها الكلام
فقلت تعجبا يا ليت شعري * أأيقاظ أمية أم نيام

وكان العباسيون يؤسسون لدولتهم ولا تصل أخبارهم الى بني أمية حتى استفحل أمرهم وضعف أمر بني أمية وسئل مروان بن محمد الجعدي وهو آخر ملوك بني أمية ما الذي أضعف ملكك بعد قوة السلطان وثبات الاركان فقال الاستبداد برأيي لما كثرت علي كتب نصر بن سيار ان أمده بالاموال والرجال

خزائني الى أربابها ولا أتحمل مشقة عذابه فقال كيف أمهلك وأيام عمرك محسوبة وأوقاته مثبوتة مكتوبة فقال أمهلني ساعة فقال ان الساعات في الحساب وقد عبرت وأنت غافل وانقضت وأنت ذاهل وقد استوفيت أنفاسك ولم يبق لك نفس واحد فقال من يكون عندي اذا نقلت الى لحدي فقال لا يكون عندك سوى عملك فقال مالي عمل قال له فلا جرم يكون مقيلك في النار ومصيرك الى غضب الجبار وقبض روحه فخر من سريره ووقع وعلا الضجيج من أهل مملكته وارتفع ولو علموا ما يصير اليه من سخط ربه لكان بكاؤهم عليه أكثر وعويلهم أوفر

(الحكاية الرابعة)

روى ان ملك الموت عليه السلام دخل يوما على سليمان بن داود عليهما السلام فجعل يحد بصره ويطيل نظره الى رجل من ندمائه فقال ذلك النديم يا نبي الله من كان هذا الرجل الذي دخل علينا فقال ملك الموت فقال أخاف أن يريد قبض روحي فخلصني منه فقال كيف أخلصك فقال تأمر الريح أن تحملني هذه الساعة الى أقصى بلاد الهند لعله يضل عني ولا يجدني فأمر سليمان الريح فحملته الى أقصى بلاد الهند في الوقت والحال فعاد ملك الموت ودخل على سليمان فقال له لأي سبب كنت تطيل النظر الى ذلك الرجل فقال كنت أتعجب منه لاني أمرت ان أقبض روحه بالهند وكان بعيدا عنها الى أن اتفق بحمل الريح له الى هناك ما قدره الله

Reference: 12964. Copyright for this page: Creative Commons Attribution Licence
View on the Qatar Digital Library: http://www.qdl.qa/en/archive/qnlhc/12964.29

Lamp of Kings

قلت في نفسي هذا رجل يريد الاستكثار من الاموال بما يظهر من فساد الدولة قبله وهيهات ان ينتقض على خراسان فانتقضت دولته من خراسان

(الباب الثالث عشر في الصفات الرائبة التي زعم الحكماء انها لا دام معها مملكة)

ومن أعجب العجاب دوام الملك مع الكبر والاعجاب اعلموا ان الكبر والاعجاب يسلبان الفضائل ويكسبان الرذائل لان الكبر يكون بالمنزلة والعجب يكون بالفضيلة والمتكبر يجل نفسه من رتبة المتعلمين والمعجب يستكثر فضله عن استزادة المتأدبين وحسبك من رذيلة تمنع من سماع النصح وقبول التأديب والكبر يكسب المقت ويمنع من المسئلة وكل كبر ذكره الله في القرآن فمقرون بالشرك ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم للعباس أنهاك عن الشرك بالله والكبر فان الله سبحانه يغضب منهما وقال اردشير بابك انما الكبر الافضل حتى لم يدر صاحبه اين يذهب به فصرفه الى الكبر وقال الاحنف ابن قيس ما تكبر أحد الا من ذلة يجدها في نفسه ولم تزل الحكماء تتحامى الكبر وتأنف منه قال الشاعر

فتى كان عذب الروح لا من خصاصة * ولكن كبرا أن يقال به كبر

ونظر افلاطون الى رجل جاهل معجب بنفسه فقال وددت انى مثلك فى ظنك وان أعدائى مثلك فى الحقيقة قالت الحكماء قد يدوم الملك مع معظم النقائص فرب فقير ساد قومه ورب أحمق ساد قبيلته منهم الاقرع ابن حابس الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الاحمق المطاع قالوا ولا يدوم الملك مع الكبر وحسبك من رذيلة تسلب السيادة وأعظم من ذلك ان الله تعالى حرم الجنة على المتكبرين فقال سبحانه وتعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا فقرن الكبر بالفساد ومنعاهما من دخول الجنة وقال جل وعز سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق وقال بعض الحكماء ما رأيت متكبرا الا تحول داؤه فى يعنى انى اتكبر عليه واعلم ان الكبر يوجب المقت ومن مقته رجاله لم يستقم حاله ومن أبغضته بطانته كان كمن غص بالماء ومن كرهه الحماة تطاولت عليه الاعداء واما الاعجاب فيحمله على الاستبداد وترك مشورات الرجال ومن الصفات التى لا تقوم معها المملكة الكذب والغدر والخبث والجور والسخف وقالت حكماء العرب والعجم ست خصال لا تغتفر من السلطان الكذب والخلف والحسد والحدة والبخل والجبن فانه اذا كان كذابا لم يوثق بوعده ولا بوعيده فلم يرج خيره ولم يخف شره ولا بهاء لسلطان لا يرهب وقال الحكماء خراب البلاد وفساد العباد مقرونان بابطال الوعد والوعيد من الملوك والكذب أسقط الاخلاق وأغلب شئ على صاحبه وأحرى أن لا ينزع عنه اضراوته وقيل لاعرابى لم لم تكذب قال لو تعززت بمما تركته وهو نوع من الفحش وضرب من الدناءة وأصله استعذاب المنى وهو أضغاث فكر الحمق ومن بليته انه يحمل على صاحبه ذنب غيره فاذا سمعت كذبة طائحة نسبت اليه قال الشاعر

حسب الكذوب من المها * نة بعض ما يحكى عليه
واذا سمعت بكذبة * من غيره نسبت اليه

(وقال غيره)

لى حيلة فيمن ينم وليس فى الكذاب حيله
من كان يخلق ما يقو * ل فحيلتى فيه قليله

وقال الله تعالى انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأما الحسد فانه اذا كان حسود الم يشرف أحدا واذا ضاعت الاشراف هلكت الاتباع ولا يصلح الناس الا على اشرافهم قال الشاعر

لا تصلح الناس فوضى لا سراة لهم * ولا سراة اذا جهالهم سادوا

وأما البخل فاذا كان بخيلا لم يناصحه أحد ولا تصلح الولاية الا بالمناصحة وليس للملك ان يبخل لان بيوت الاموال فى يديه وأما الجبن فاذا كان جبانا اجترأ عليه عدوه وضاعت ثغوره واذا كان حديدا غضوبا

والقدرة

سبحانه وتعالى * (الحكاية الخامسة) * يروى ان ذا القرنين اجتاز بقوم لا يملكون شيأ من أسباب الدنيا وقد حفروا قبور موتاهم على أبواب دورهم وهم كل وقت يتعهدون تلك القبور ويكنسونها وينظفونها ويزورونها ويعبدون الله تعالى بينها وما لهم طعام الا الحشيش ونبات الارض فبعث ذو القرنين اليهم رجلا يستدعى ملكهم فلم يجبه وقال مالى اليه حاجة فجاء ذو القرنين اليه وقال له كيف حالكم فانى لا أرى لكم شيأ من ذهب ولا فضة ولا أرى عندكم شيأ من نعم الدنيا فقال أرى نعم الدنيا لا يشبع منها أحد قط فقال لهم لم حفرتم القبور على أبوابكم فقال لتكون نصب اعيننا فننظر اليها ويتجدد لنا ذكر الموت ويبرد حب الدنيا فى قلوبنا فلا نشتغل بها عن عبادة ربنا فقال كيف تأكلون الحشيش فقال لاننا نكره أن نجعل بطوننا مقابر الحيوان ولان لذة الطعام لا تتجاوز الحلق ثم مد يده الى طاقة فيها قحف رأس آدمى فوضعه بين يديه وقال ياذا القرنين تعلم ما كان من هذا قال لا قال كان صاحب القحف ملكا من ملوك الدنيا وكان يظلم رعيته ويجور على الضعفاء ويستفرغ زمانه فى جمع الدنيا فقبض الله روحه وجعل النار مقره وهذا قحفه ثم مد يده ووضع قحفا آخر بين يديه وقال له اتعرف هذا فقال لا فقال كان هذا ملكا عادلا مشفقا على رعيته محبا لاهل مملكته

والقدرة من ورائه هلكت رعيته وليس للملك ان يغضب لان القدرة من وراء حاجته ولما دخل أسقف نجران على مصعب بن الزبير ضرب وجهه بالقضيب فأدماه فقال الاسقف ان شاء الامير أخبرته بما أنزل الله على عيسى عليه السلام قال قل قال لا تغضب بعدها قال هات قال لا ينبغى للامام ان يكون سفيها ومنه يلتمس الحلم ولا جائرا ومنه يلتمس العدل وقال الاوزاعى يهلك السلطان بالاعجاب والاحتجاب فاما الاعجاب فقد ذكرناه وأما الاحتجاب فهو أوحى الخلال فى هدم السلطان وأسرعها خرابا للدول فانه اذا احتجب السلطان فكانه قد مات لان الحجبة موت حكمى فتعبث بطانته بارواح الخلائق وحرمهم وأموالهم لان الظالم قد أمن ان لا يصل المظلوم الى السلطان ومعظم ما رأينا فى أعمارنا وسمعنا عمن سمعنا من دخول الفساد على الملوك من حجبتهم عن مباشرة الامور ولا تزال الرعية ذا سلطان واحد ما وصلوا الى سلطانهم فاذا احتجب فهناك سلاطين كثيرة يا أيها الملك المغرور احتجبت عن الرعية بالحجاب والابواب وجعلت دونهم بروجا مشيدة وحظائر بالحجارة والماء والطين مانعة وباب الله مفتوح للسائلين ليس هناك لا حاجب ولا بواب قال الله تعالى الا من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا وقال معاوية ليس بين أن يملك السلطان رعيته أو تملكه الا الحزم والتوانى وكماله أمران شدة فى غير افراط ولين فى غير امتهان وسئل بزرجمهر أى الملوك أحزم قال من ملك جده هزله وقهر لبه هواه وأعرب عن ضميره فعله ولم يختدعه رضاه عن حظه ولا غضبه عن كيده وقال بعض الحكماء زوال الدول فى اصطناع السفل ومن طال عدوانه زال سلطانه وقالوا من لم يستظهر باليقظة لم ينتفع بالحفظة وقال يحيى بن خالد أحسن ما وجدت فى طراز الحكم من البلاغة البخل والجهل مع التواضع خير من السخاء والعلم مع الكبر فيالها حسنة غطت على سيئتين ويالها سيئة غطت على حسنتين

(الباب الرابع عشر فى الخصال المحمودة فى السلطان)

وقد اتفقت العلماء والحكماء عليها فقالوا أيها الملك ان قصرت قولك عن عدوك فتخلق بالاخلاق الجميلة التى ليس لعدوك مثلها فان الكفاية من الغارة الشعواء وقال معاوية لصعصعة بن صوحان صف لى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال كان عالما برعيته عادلا فى قضيته عاريا من الكبر قبولا للعذر سهل الحجاب مصون الباب متحريا للصواب رفيقا بالضعيف غير محاب للقوى ولا يجافى للقريب وقالوا المنفعة توجب المحبة والمضرة توجب البغضة والمخالفة توجب العداوة والمتابعة توجب الالفة والصدق يوجب الثقة والامانة توجب الطمأنينة والعدل يوجب اجتماع القلوب والجور يوجب الفرقة وحسن الخلق يوجب المودة وسوء الخلق يوجب المباعدة والانبساط يوجب المؤانسة والانقباض يوجب الوحشة والكبر يوجب المقت والتواضع يوجب المقة والجود يوجب الحمد والبخل يوجب المذمة والتوانى يوجب التضييع والجد يوجب رجاء الاعمال والهوينى توجب الحسرة والحزم يوجب السرور والتغرير يوجب الندامة والحذر يوجب العذر واصابة التدبير توجب بقاء النعمة وبالتانى تسهل المطالب وبلين كنف المعاشرة تدوم المودة وبخفض الجانب تأنس النفوس وبسعة خلق المرء يطيب عيشه والاستهانة توجب التباعد وبكثرة الصمت تكون الهيبة وعدل المنطق يوجب الجلالة وبالنصفة تكثر المواصلة وبالافضال يعظم القدر وبصالح الاخلاق تزكو الاعمال وباحتمال المؤن يجب السودد وبالحلم عن السفيه تكثر أنصارك عليه وبالرفق والتؤدة تستحق اسم الكرم وبترك ما لا يعنيك يتم لك الفضل واعلم ان السياسة تكسو أهلها المحبة والفظاظة تخلع عن صاحبها ثوب القبول ومن صغر الهمة الحسد للصديق على النعمة والنظر فى العواقب نجاة ومن لم يحلم ندم ومن صبر غنم ومن سكت سلم ومن خاف حذر ومن اعتبر أبصر ومن أبصر فهم ومن فهم علم ومن أطاع هواه ضل ومع العجلة الندامة ومع التأنى السلامة زارع البر يحصد السرور وصاحب العاقل مغبوط وصديق الجاهل تعب اذا جهلت فاسأل واذا زللت فارجع واذا أسأت فاندم واذا ندمت فاقلع واذا أفضلت فاكتم واذا منعت

فقبض الله روحه وأسكنه جنته ورفع درجته ثم انه وضع يده على رأس ذى القرنين وقال ترى أى هذين الرأسين يكون هذا الرأس فبكا ذو القرنين بكاء شديدا وضمه الى صدره وقال ان رغبت فى صحبتى فانى أسلم اليك وزارتى واقاسمك مملكتى فقال مالى فى ذلك رغبة فقال لم قال لان جميع الخلق أعداؤك بسبب المال والمملكة وجميعهم أصدقائى بسبب القناعة والصعلكة فالله معك قال الآن يجب ان تعلم حكايات النفس الاخير وتتدبرها وتتيقن معرفتها وتتصورها وينبغى أن تعلم أن هذه الغفلة المغترين بالمهلة لا يحبون استماع ذكر الموت لئلا يبرد حب الدنيا فى قلوبهم وتتنغص عليهم لذة مأكولهم ومشروبهم وقد جاء فى الخبر ان من أكثر ذكر الموت وظلمة اللحد كان قبره روضة من رياض الجنة ومن نسى الموت وغفل عن ذكره كان قبره حفرة من حفر النار كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصف يوما ثواب الشهداء وأجر السعداء الذين قتلوا فى معركة حرب الكفار فقالت عائشة رضى الله عنها هل ينال مثل ثواب من لم يمت شهيدا فقال صلى الله عليه وسلم من ذكر الموت بكل يوم عشرين مرة كان له مثل أجر الشهداء ودرجتهم وقال صلى الله عليه وسلم أكثروا من ذكر الموت فانه يمحو الذنوب ويبرد حب الدنيا فى القلوب وسئل صلى الله عليه وسلم من احزم الناس وأعقلهم فقال اعقل الناس أكثرهم للموت ذكرا واحزمهم

Reference: 12964. Copyright for this page: Creative Commons Attribution Licence
View on the Qatar Digital Library: http://www.qdl.qa/en/archive/qnlhc/12964.30

أحسنهم له استعدادا له شرف الدنيا (٤٨) وكرامة الآخرة ومن عرف الدنيا كما ذكرناه وكرر في قلبه ذكر النفس الاخير سهلت عليه

فأجل واذا أعطيت فاجزل واذا غضبت فاحلم من بدا لك بيره فقد شغلك بشكره المروآت كلها تبع للعقل الرأى تبع للتجربة العقل أصله التثبت وثمرته السلامة والتوفيق أصله العقل وثمرته النجح والتوفيق والاجتهاد زوجان فالاجتهاد سبب والتوفيق ينجح الاجتهاد قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا والاعمال كلها تبع للمقدور واختار العلماء أربع كلمات من أربع كتب من التوراة من قنع شبع ومن الزبور من سكت سلم ومن الانجيل من اعتزل نجا ومن القرآن ومن اعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم الحلم شرف والصبر ظفر والمعروف كنز والجهل سفه والايام دول والدهر غير والمرء منسوب الى فعله ومأخوذ بعمله اصطناع المعروف يكسب الحمد أكرموا الجليس يعمر ناديكم أنصفوا من نفوسكم يوثق بكم اياكم والاخلاق الدنيئة فانها تضيع الشرف وتهدم المجد نهمة الجاهل أهون من جريرة رأس العشيرة يحمل اثقالها وأجمعت حكماء العرب والعجم على أربع كلمات لا تحمل بطنك ما لا تطيق ولا تعمل عملا لا ينفعك ولا تغتر بامرأة ولا تثق بمال وان كثر

(الباب الخامس عشر فيما يعز به السلطان)

وهى الطاعة قال ملك فارس لموبذان موبذ هما شئ واحد يعز به السلطان قال الطاعة قال فما ملاك الطاعة قال التودد الى الخاصة والعدل على العامة قال صدقت الامانة معقل الطاعة والطاعة زينة الملك وكان يقال طاعة السلطان على أربعة أوجه على الرغبة والرهبة والمحبة والديانة ولما دخل سعد العشيرة على بعض ملوك حمير قال له يا سعد ما صلاح الملك قال معدلة شائعة وهيبة وازعة ورعية طائعة فان في المعدلة حياة الانام وفي الهيبة نفي الظلام وفي طاعة الرعية التآلف والالتئام طاعة الائمة فرض على الرعية كما أن طاعة السلطان مقرونة بطاعة الله اتقوا الله بحقه والسلطان بطاعته من اجلال الله اجلال السلطان عادلا كان أو جائرا الطاعة تؤلف شمل الدين وتنظم أمور المسلمين عصيان الائمة يهدم أركان الملة أولى الناس بطاعة السلطان ومناصحته أهل الدين والنعم والمروآت اذ لا يقوم الدين الا بالسلطان ولا تكون النعم والحرم محفوظة الا به الطاعة ملاك الدين الطاعة معاقد السلامة وأرفع منازل السعادة الطريقة المثلى والعروة الوثقى قوام الامة وقيام السنة بطاعة الائمة الطاعة عصمة من كل فتنة ونجاة من كل شبهة طاعة الائمة عصمة لمن لجأ اليها وحرز لمن دخل فيها وليس للرعية ان تعترض على الائمة في تدبيرها وان سولت لها أنفسها بل عليها الانقياد وعلى الائمة الاجتهاد بالطاعة تقوم الحدود وتؤدى الفرائض وتحقن الدماء وتأمن السبل الامامة عصمة للعباد وحياة للبلاد أوجب الله لمن خصه بفضلها وحمله أعباءها الطاعة فقرنها بطاعته وطاعة رسوله فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم طاعة الائمة هدى لمن استضاء بنورها وموئل لمن حافظ عليها الخارج من الطاعة منقطع العصمة برئ من الذمة مبدل بالكفر النعمة طاعة الائمة حبل الله المتين ودينه القويم وجنته الواقية وكفايته العالية اياكم والخروج من أنس الطاعة الى وحشة المعصية ولا تسروا غش الائمة وعليكم بالاخلاص والنصيحة ما مشى قوم الى سلطان ليذلوه الا أذلهم الله قبل أن يموتوا الطاعة مقرونة بالمحبة طاعة المحبة أفضل من طاعة الهيبة للرعية على السلطان الاستصلاح لهم والتعهد لامورهم وحسن السيرة فيهم والعدل عليهم والتعديل بينهم وحق السلطان عليهم الطاعة والاستقامة والشكر والمحبة بالرعية من الحاجة الى الراعى ما ليس بالراعى من الحاجة اليهم لولا الرعاة هلكت الرعية ولولا المسيم هلكت السوائم

(الباب السادس عشر في ملاك أمور السلطان)

قال سليمان بن داود عليهما السلام الرحمة والعدل يحرزان الملك وقال زياد ملاك السلطان ثلاثة أشياء الشدة على المذنب والمجازاة للمحسن وصدق القول ولما غزا سابور ذو الاكتاف ملك الروم وأخرب بلاده وقتل جنده وأفنى بطارقته قال له ملك الروم انك قد قتلت وأخربت فاخبرني ما الامر الذى تثبت به حتى

امور دنياه وقوى أصل شجرة الايمان في قلبه ولولم يأخذ في عملها الظالمون لتفرق أهل الولايات الى ولايات غيرها ويقع النقص في الملك ويقل في البلاد الدخول وتخلو الخزائن من الاموال ويتكدر عيش الرعايا لان الرعايا لا يحبون جائرا ولا يزال دعاؤهم عليه متواترا فلا يتمتع بمملكته وتسرع اليه دواعى هلكته وقال مؤلف الكتاب الظلم نوعان أحدهما ظلم السلطان لرعيته وجور القوى على الضعيف والغنى على الفقير والثانى ظلمك لنفسك وذلك شؤم معصيتك فلا تظلم ليرفع عنك الظلم كما جاء في الحكاية

(حكاية)

يقال انه كان في بنى اسرائيل رجل يصيد السمك ويقوت بصيده اطفاله وزوجته فكان في بعض الايام يتصيد فوقعت في شبكته سمكة عظيمة ففرح بها وقال أمضى بهذه السمكة الى السوق فأبيعها وأخرجها في نفقة الاولاد فلقيه بعض العوانية فقال له تبيع هذه السمكة فقال الصياد في نفسه ان قلت له نعم اشتراها منى بنصف ثمنها فقال ما أبيعها فغضب العوانى وضربه بخشبة كانت معه على صلبه وأخذ السمكة منه غصبا بلا ثمن فدعا الصياد عليه وقال الهى خلقتنى مسكينا ضعيفا وخلقته قويا عنيفا

قويت

فخذلى بحقى منه في هذه الدنيا فما أصبر الى الآخرة ثم ان ذلك الغاصب انطلق بالسمكة الى منزله وسلمها (٤٩) الى زوجته وأمرها أن تشويها

فوبت على ما أرى وبلغت في السياسة ما لم يبلغه ملك فان كان مما يضبط الامر عنه أديت اليك الخراج وصرت كبعض الرعية في الطاعة لك فقال له سابور انى لم أزد في السياسة على ثمان خصال لم أهزل في أمر ولا نهى ولم أخلف في وعد ولا وعيد ووليت أهل الكفاية وأثبت على العناء لا على الهوى وضربت للادب لا للغضب وأودعت قلوب الرعية المحبة من غير جرأة والهيبة من غير ضغينة وعممت بالقوت ومنعت الفضول فأذعن له وأدى اليه الخراج وكتب الوليد الى الحجاج ان يكتب له بسيرته فكتب اليه انى أيقظت رأيى وأنمت هواى وأدنيت السيد المطاع في قومه ووليت الحرب الحازم في أمره وقلدت الخراج الموفر لامانته وقسمت لكل خصم من نفسى قسما يعطيه حظا من نظرى ولطيف عنايتى وصرفت السيف الى البطر والمسئ فخاف المذنب صولة العقاب وتمسك المحسن بحظه من الثواب وقال أبو عبيدة اذا كان الملك محصنا لسره بعيدا من أن يعرف ما في نفسه متخيرا للوزراء مهيبا في أنفس العامة مكافئا بحسن البلاء لا يخافه البرئ ولا يأمنه المجرم كان خليقا ببقاء ملكه

(الباب السابع عشر في خير السلطان وشر السلطان)

أفضل الملوك من كان شكره بين الرعايا الكل واحد منهم فيه قسطه ليس أحد أحق به من أحد لا يطمع القوى في حيفه ولا ييأس الضعيف من عدله كان النبى صلى الله عليه وسلم تأخذ بيده الامة من اماء المدينة فتطوف به على سكك المدينة حتى تقضى حاجتها وفي حكم الهند أفضل السلطان من أمنه البرئ وخافه المجرم وشر السلطان من خافه البرئ وأمنه المجرم وقال عمر للمغيرة لما ولاه الكوفة يا مغيرة ليأمنك الابرار وليخفك الفجار وفي حكم الهند أيضا شر المال مال لا ينفق منه وشر الاخوان الخاذل وشر السلطان من خافه البرئ وشر البلاد ما ليس فيه خصب ولا أمن وخير السلطان من أشبه النسر وحوله الجيف لا من أشبه الجيفة وحولها النسور وعن هذا المعنى قالوا سلطان تخافه الرعية خير للرعية من سلطان يخافها وفي الامثال العامة رهبوت خير لك من رحموت وكان يقال شر خصال الملوك الجبن عن الاعداء والقسوة على الضعفاء والبخل عند الاعطاء وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ثلاثة من الفواقر جار ملازم ان رأى حسنة سترها وان رأى سيئة أذاعها وامرأة ان دخلت عليها ألسنتك وان غبت عنها لم تأمنها وسلطان ان أحسنت لم يحمدك وان أسأت قتلك وقال رجل لبعض العلماء منى أضل وأنا أعلم فقال اذا ملكتك أمراء ان أطعتهم أذلوك وان عصيتهم قتلوك وقال أبو حازم لسليمان بن عبد الملك السلطان سوق ما نفق عنده أتى به وفي كتاب ابن المقفع الناس على دين الملك الا القليل فان يكن للبر والمروءة عنده نفاق فسيكسد بذلك الفجور والدناءة في آفاق الارض وسمع زياد رجلا يذم الزمان فقال لو كان يدرى ما الزمان لعاقبته ان الزمان هو السلطان وقال معاوية لابن الكواء صف لى الزمان فقال أنت الزمان ان تصلح يصلح وان تفسد يفسد والمثل السائر في كل زمان وعلى كل لسان الناس على دين الملك وقال بعض الحكماء ان أحق الناس ان يحذر العدو الفاجر والصديق الغادر والسلطان الجائر وقال بزرجمهر أدوم التعب صحبة السلطان السئ الخلق وقال بعض الحكماء اذا ابتليت بصحبة سلطان لا يريد صلاح رعيته فقد خيرت بين أمرين ليس بينهما خيار اما الميل مع الوالى على الرعية فهو هلاك الدين وأما الميل مع الرعية على الوالى فهو هلاك الدنيا فلا حيلة لك الا الموت أو الهرب منه وقالوا الملك العادل كالنهر الصافى ينتفع به الاشرار والاخيار ولا يضر أحدا والملك السوء مثل الجيفة يسرع اليها شرار الحيوان ويتحاماها الناس

(الباب الثامن عشر في منزلة السلطان من القرآن)

روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله ليرعى بالسلطان ما لا يرعى بالقرآن معناه أى يدفع وقال كعب مثل الاسلام والسلطان والناس مثل الفسطاط والعمود والاطناب والاوتاد فالفسطاط الاسلام والعمود السلطان والاطناب والاوتاد الناس لا يصلح بعضهم الا ببعض وقال أردشير لابنه يا بنى ان

فلما شوتها ووضعتها بين يديه على المائدة مد يده ليأكل منها فنخست السمكة فاه ولكزت اصبعه لكزة سلبت قراره وأزالت بشدة عضتها اصطباره فقصد الطبيب وشكا اليه حاله وذكر له ما ناله فقال الطبيب ينبغى أن تقطع هذه الاصبع لئلا يسرى الالم الى جميع اليد فقطع اصبعه فانتقل الوجع الى يده وازداد تألمه وزال قراره فقال الطبيب ينبغى أن تقطع اليد من المعصم لئلا يسرى الالم الى الساعد فقطع يده فتوجع ساعده فقال الطبيب ينبغى أن يقطع ساعده لئلا يسرى الالم الى الكتف فقطع ساعده فتوجع كتفه فخرج من مكانه هاربا على وجهه داعيا الى ربه ليكشف ما قد نزل به فرأى شجرة فأتكأ اليها فأخذه النوم فنام فرأى في منامه قائلا يقول له يا مسكين الى كم تقطع أعضاءك أرض خصمك فانتبه من نومه وتفكر فتذكر وقال أنا أخذت السمكة غصبا وأوجعت الصياد ضربا وهى التى لكزتنى فنهض وقصد المدينة وطلب الصياد فوجده فوقع بين يديه والتمس الاقالة وأعطاه شيأ من ماله وتاب من فعاله فرضى عنه خصمه ففى

الحال سكن المه وبات تلك الليلة على فراشه وقد تاب وأقلع عما كان يصنع ونام على توبة خالصة ففى

Reference: 12964. Copyright for this page: Creative Commons Attribution Licence

View on the Qatar Digital Library: http://www.qdl.qa/en/archive/qnlhc/12964.31

الملك والدين اخوان لاغنى لاحدهما عن الآخر فالدين أس والملك حارس وما لم يكن له أس فهو مهدوم وما لم يكن له حارس فضائع يابنى اجعل حديثك مع أهل المراتب وعطيتك لاهل الجهاد وبشرك لاهل الدين وسرك لمن عناه ماعناك وتكن من أهل العقل وكان يقال الدين والسلطان توأمان

﴿الباب التاسع عشر فى خصال جامعة لامر السلطان﴾

قالوا اظفر الملك بعدوه على حسب عدله فى رعيته ونكوبه فى حروبه على حسب جوره فى عساكره واصلاح الرعية أنفع من كثرة الجنود وقالوا تاج الملك عفافه وحصنه انصافه وسلاحه كفاته وماله رعيته وقالت حكماء الهند لاظفر مع بغى ولا صحة مع نهم ولا بناء مع كبر ولا شرف مع سوء أدب ولا بر مع شح ولا اجتناب محرم مع حرص ولا ولاية حكم مع عدم فقه ولا سودد مع انتقام ولا ثبات ملك مع تهاون وجهالة وزارة ولما ولى أبو بكر رضى الله عنه خطب فقال أيها الناس انه لا أحد أقوى عندى من المظلوم حتى آخذ له بحقه ولا أضعف من الظالم حتى آخذ الحق منه وقيل للاسكندر بم نلت ما نلت قال باستمالة الاعداء والاحسان الى الاصدقاء وقال بزرجمهر سوسوا أحرار الناس بمحض المودة والعامة بالرغبة والرهبة والسفلة بالمخافة وقال الموبذان السياسة التى بها اصلاح الملك الرفق بالرعية وأخذ الحق منهم فى غير مشقة وسد الفروج وأمن السبل وان ينصف المظلوم من الظالم ولا يحمل القوى على الضعيف وقالوا الوالى من الرعية كالروح من الجسد لاحياة له الا به وبعد الوالى من اصلاح الرعية مع افساد نفسه كبعد الجسد مع البقاء بعد ذهاب الرأس والسلطان خليق أن يعود نفسه الصبر على من خالف رأيه من ذوى النصيحة والتجرع لمرارة قولهم ولا ينبغى أن يحسد الا على حسن التدبير ولا ان يكذب لان أحدا لا يقدر على استكراهه ولا أن يغضب لان الغضب والقدرة لقاح الشر والندامة ولا أن يبخل لانه أقل الناس خوفا من الفقر ولا أن يحقد لان قدره جل عن المجازاة ولا ينبغى للوالى أن يستعمل سيفه فيما يكتفى فيه بالسوط ولا سوطه فيما يكتفى فيه بالحبس ولا حبسه فيما يكتفى فيه بالجفاء والوعيد وقال معاوية انى لا أضع سيفى حيث يكفينى سوطى ولا سوطى حيث يكفينى لسانى ولو أن بينى وبين الناس شعرة ما انقطعت اذا مدوها خليتها واذا خلوها مددتها ونحو هذا قول الشعبى كان معاوية كالجمل الطب والجمل الطب هو الحاذق بالشئ لا يضع يده الا حيث تبصر عينه وينبغى له أن يعلم رعيته أنه لا يصاب خيره الا بالمعونة له على الخير ولا ينبغى له أن يدع تفقد لطيف أمور الرعية اتكالا على نظره فى جسيمها فان للطيف موقعا ينتفع به وقد آتى الله ملك الدنيا سليمان بن داود عليهما السلام ثم تفقد الطير فقال مالى لا أرى الهدهد لان التهاون باليسير أساس الوقوع فى الكبير وقد قال الشاعر

لا تحقرن شيئا * كم جمرة أشيب

وقالوا أصل الاشياء كلها شئ واحد ولا تدع مباشرة جسيم أمره فليس موضع ان غفل عنه تفاقم ولا يلزم نفسه مباشرة الصغير أبدا فيضيع الكبير وقال زياد لحاجبه وليتك حجابتى وعزلتك عن أربع المؤذن للصلاة وصاحب الطعام فان الطعام اذا أعيد سخنه فسد وطارق الليل لشر دهاه وصاحب البريد فالتهاون بالبريد ساعة يخرب عمل سنة وكان أبو العباس السفاح يقول لاعملن اللين حتى لا ينتفع الا بالشدة ولا كرمن الخاصة ما أمنتهم على العامة ولا غمدن سيفى حتى يسله الحق ولا عطين حتى لا أرى للعطية موضعا وقال أردشير لما كمل ملكه وأباد أعداءه انه لم يحكم حاكم على العقول كالعبر ولم يحكمها محكم كالتجربة وليس شئ أجمع للعقل من خوف وحاجة يتأمل بها صفحات حاله وكان عمر يقول ان هذا الامر لا يصلح له الا اللين فى غير ضعف والقوة فى غير عنف وقال الاصمعى قال لى الرشيد هل تعرف كلمات جامعات لمكارم الاخلاق يقل لفظها ويسهل حفظها تكون لاغراضها افقا ولمقاصدها وفقا تشرح المستبهم وتوضح المستعجم قلت نعم ياأمير المؤمنين دخل أكثم بن صيفى حكيم العرب على بعض ملوكها فقال له انى سائلك عن أشياء لا تزال بصدرى محتلجة وما تزال الشكوك عليها والجة فأنبئنى عما

(الهامش) لولا ان الرجل أرضى خصمه لعذبته مهما امتدت حياته

﴿حكاية﴾

كان موسى عليه السلام يناجى ربه على الطور فقال فى مناجاته الهى أرنى عدلك وانصافك فقال له تعالى ياموسى أنت رجل حاد حرى لا تقدر أن تصبر فقال اقدر على الصبر بتوفيقك فقال اقصد العين الفلانية واختف بازائها وانظر الى قدرتى وعلمى بالغيوب فمضى موسى وصعد الى تل بازاء تلك العين وقعد مختفيا فوصل الى العين فارس ونزل عن فرسه وتوضأ من العين وشرب من مائها وحل من وسطه هميانا فيه ألف دينار ووضعه الى جانبه وصلى ركعتين ثم ركب ونسى الهميان فى موضعه وسار فجاء بعده صبى صغير فشرب من الماء وأخذ الهميان ومضى فجاء بعد الصبى شيخ أعمى فشرب من الماء وتوضأ ووقف فى الصلاة فذكر الفارس الهميان فعاد من طريقه الى العين فوجد الشيخ الاعمى فلزمه وقال انى نسيت هميانا فيه ألف دينار فى هذا الموضع فى هذه الساعة وماجاء أحد الى هذا المكان سواك فقال أنا رجل أعمى كيف أبصر هميانك فغضب الفارس

من ذلك وجرد سيفه وضرب به الاعمى فقتله وفتشه عن الهميان فلم يجده فتركه ومضى فقال عدلك

عندك فيها فقال أيت اللعن سألت خبيرا واستنبأت بصيرا والجواب يشفعه الصواب فسل عما بدا لك قال ما السودد قال اصطناع المعروف عند العشيرة واحتمال الجريرة قال فما الشرف قال كف الاذى وبذل الندى قال فما المجد قال حمل المغارم وابتناء المكارم قال فما الكرم قال صدق الاخاء فى الشدة قال فما العز قال شدة العضد وكثرة العدد قال فما السماحة قال بذل النائل وحب السائل قال فما الغنى قال الرضا بما يكفى وقلة التمنى قال فما الرأى قال لب تعينه تجربة قال له الملك أوريت زناد بصيرتى وأذكيت نار حيرتى فاحتكم قال لكل كلمة هجمة قال هى لك قال الاصمعى فقال لى الرشيد ولك بكل كلمة بدرة فانصرفت بثمانين ألفا وكان قس بن ساعدة يفد على قيصر فيكرمه فقال له يوما ما أفضل العقل قال معرفة الرجل بنفسه قال ما أفضل العلم قال وقوف الرجل عند علمه قال فما أفضل المروءة قال استبقاء الرجل ماء وجهه قال فما أفضل المال قال ما قضى به الحقوق

(الباب الموفى عشرين فى الخصال التى هى أركان السلطان)

قال أبو جعفر المنصور ما كان أحوجنى أن يكون على بابى أربعة لا يكون على بابى أعف منهم قيل من هم ياأمير المؤمنين قال هم أركان الملك لا يصلح الملك الا بهم كما أن السرير لا يصلح الا بأربع قوائم فان نقص قائمة واحدة عابه ذلك أحدهم قاض لا تأخذه فى الله لومة لائم والآخر صاحب شرطة ينصف الضعيف من القوى والثالث صاحب خراج يستقصى ولا يظلم الرعية فانى غنى عن ظلمهم ثم عض على اصبعه السبابة ثلاث مرات يقول فى كل مرة آه آه قال من هو ياأمير المؤمنين قال صاحب بريد يكتب بخبر هؤلاء على الصحة وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لا يصلح الوالى الا أربع خصال ان نقصت واحدة لم يصلح له أمر ولا نهى قوة على جمع المال من أبواب حله ووضعه فى حقه وشدة لا جبروت فيها ولين لا وهن فيه

(الباب الحادى والعشرون فى بيان حاجة السلطان الى العلم)

قال ابن المقفع اذا أكرمك الناس لمال أو سلطان فلا يعجبنك ذلك فان زوال الكرامة بزوالهما ولكن يعجبك ان أكرموك لادب أو علم أو دين * اعلم أرشدك الله أن أكثر الناس حاجة الى التفقه أكثرهم عيالا وأتباعا وحشما وأصحابا والخلق مستمدون من السلطان ماله من الخلائق السنية والطرائق العلية مفتقرون اليه فى الاحكام وقطع التشاجر وفصل الخصام فهو أحوج خلق الله الى معرفة العلوم وجمع الحكم وتخصص بالاعلم كبار بلا أهل وأفضل ما فى السلطان خصوصا وفى الناس عموما محبة العلم والتحلى به والشوق الى استماعه والتعظيم لحملته فان ذلك دليل على قوة الانسانية فيه وبعده من البهيمة ومضاهاته للعالم العلوى وهو من أوكد ما يتحبب به الى الرعية واذا كان الملك خاليا من العلوم ركب هواه وأضر برعيته كالدابة بلا رسن تمرق غير طريق وقد تتلف ما تمر به * واعلم أن زهر الفضائل وحسن المناقب وبهاء المحاسن وما ضاد ذلك من قبح المثالب وفحش الرذائل كل ذلك يظهر عليك ويعظم منك بقدر ما أوتيته من علو المنزلة وشرف الحظوة فيكون حسنك أحسن كما يكون قبحك أقبح وليس أحد من أهل الدرجات السنية والمراتب العلية أحوج الى مجالسة العلماء وصحبة الفقهاء ودراسة كتب العلوم والحكم ومطالعة دواوين العلماء ومجامع الفقهاء وسير الحكماء من السلطان وانما كان كذلك من وجهين * أحدهما انه قد نصب نفسه لممارسة أخلاق الناس وفصل خصوماتهم وتعاطى حكوماتهم وكل ذلك يحتاج الى علم بارع ونظر ثاقب وبصيرة بالعلم قوية ودراسة طويلة فكيف يكون حاله لو لم يعد لهذه الامور عدتها ولم يقدم لها أهبتها والثانى أن من سواه من الناس لا يعدمون من ينكر عليهم ويعارضهم ويذكر لهم مساويهم ويخالفهم فى مذاهبهم فيكون ذلك باعثا لهم على رياضة أنفسهم وتعلمهم مراشدهم ومناظرة الاكفاء ومعاشرة النظراء تلقح العقول وتهذب النفوس وتدرب أخذ الاحكام بخلاف السلطان فان ارتفاع درجته يقطع عنه جميع ذلك اذ لا يلقاه ولا يجالسه الا معظم لقدره مبجل لشأنه وساتر لمساويه ومادح له بما ليس فيه وانما جوابه لهم صدق الامير

(الهامش) يقول لك أنا عالم الاسرار أعلم ما لا تعلم أما الصغير الذى أخذ الهميان فانه أخذ حقه وملكه وكان أبو هذا الصبى أجير ذلك الفارس واجتمع له عليه بقدر ما فى ذلك الهميان فالآن وصل الصبى الى حقه وأما ذلك الشيخ الاعمى فانه قبل ان يعمى قتل أبا ذلك الفارس فقد اقتص منه ووصل كل ذى حق الى أهله وعدلنا وانصافنا دقيق كما ترى فلما علم موسى ذلك تحير واستغفر وهذه الحكاية أوردناها ليعلم العقلاء ويتصور الالباء ان الله تعالى لا يخفى عليه شئ وانه ينصف المظلوم فى الدنيا ونحن غافلون اذا جاءنا بلاء لا نعلم من أين جاء سئل ذو القرنين أى شئ من مملكتك أنت أكثر به سرورا فقال بشيئين أحدهما العدل والانصاف والثانى ان أكافئ من أحسن الى بأكثر من احسانه وقال النبى صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يحب الاحسان فى كل شئ حتى انه يحب انا اذا ذبح شاة ان يحمى لها المدية ليعجل خلاصها من ألم الذبح وقال ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يخلق الله فى الارض شيئا أفضل من العدل والعدل ميزان الله فى

الارض من تعلق به أوصله الى الجنة وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للمحسنين فى الجنة منازل

وعلى قدر المرتبة يكون علو السقطة كما ان على قدر ارتفاع الحائط يكون صوت الوجبة

(فصل) يا أيها الملك ليس أحد فوق أن يؤمر بتقوى الله ولا أحد دون أن يؤمر بتقوى الله ولا أحد أجل قدرا من أن يقبل أمر الله ولا أرفع خطرا من أن يتعلم حكم الله ولا أعلى شأنا من أن يتصف بصفات الله ومن صفات الله العلم الذي وصف به سبحانه نفسه وتمدح بسعته فقال تعالى وسع كرسيه السموات والارض والكرسي هو العلم والكرامي هم العلماء واذا كان العلم فضيلة فرغبة الملوك وذوي الاخطار والاقدار والاشراف والشيوخ فيه أولى لان الخطأ فيهم أقبح والابتداء بالفضيلة فضيلة (حكي) أن ابراهيم بن المهدي دخل على المأمون وعنده جماعة يتكلمون في الفقه فقال يا عم ما عندك فيما يقول هؤلاء فقال يا أمير المؤمنين شغلونا في الصغر واشتغلنا في الكبر فقال المأمون لم لا تتعلم اليوم فقال أو يحسن بمثلي طلب العلم فقال نعم والله لأن تموت طالبا للعلم خير من أن تعيش قانعا بالجهل قال والى متى يحسن العلم قال ما حسنت بك الحياة * وروي أن بعض الحكماء رأى شخصا يطلب العلم ويحب النظر فيه ويستحيي فقال يا هذا أتستحيي أن تكون في آخر عمرك أفضل مما كنت في أوله ولان الصغير أعذر وان لم يكن في الجهل عذر * وفي منثور الحكم جهل الشباب معذور وعلمه محقور فاما الكبير فالجهل به أقبح ونقصه عليه أفضح لان علو السن اذا لم يكسبه فضلا ولم يفده علما كان الصغير أفضل منه لان الأمل فيه أقوى وحسبك نقيصة في رجل يكون الصغير المساوي له في الجهل أفضل منه وكما ذكرنا من حاجة الشيخ الى العلم فحاجة السلطان اليه أكثر ودواعيه الى اكتسابه أشد لان من عداه انما تخصه نفسه الواحدة فيقرب عليه تحصيل ما يقومها به والملك منتصب لسياسة أهل مملكته وتعليمهم وتقويم أودهم فهو الى العلم أحوج قال الشاعر

اذا لم يكن مر السنين مترجما * عن الفضل في الانسان سميته طفلا
وما تنفع الاعوام حين تعدها * ولم تستفد فيهن علما ولا عقلا
أرى الدهر من سوء التصرف مائلا * الى كل ذي جهل كأن به جهلا

وقال بعض الحكماء كل عز لا يوطده علم مذلة وكل علم لا يؤكده عقل مضلة وكيف يستنكف ملك أو ذو منزلة علية عن طلب العلم وهذا موسى عليه السلام ارتحل من الشام الى مجمع البحرين في أقصى المغرب على بحر الظلمات الى لقاء الخضر ليتعلم منه فلما خاطبه قال هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا هذا وهو نبي الله وكليمه وهذا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفوته من جميع خلقه قد أوصاه ربه وعلمه كيف يستنزل ما في خزائنه فقال وقل رب زدني علما فلو كان في خزائنه أشرف من العلم لنبهه عليه وهذا آدم عليه السلام لما افتخرت الملائكة بتسبيحها وتقديسها لربها افتخر آدم بالعلم فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين فلما عجزوا أمرهم بالسجود له وأخلق بخصلة تستدعي السجود لحاملها أن يتنافس فيها كل ذي لب وهذا أفصل الخطاب لمن تدبره ولا تتصبن لك عذرا عما روي في بعض الاخبار مثل الذي يتعلم العلم في الصغر كالوشم على الصخر والذي يتعلم في الكبر كالنقش على الماء فقد سمع الاحنف رجلا يقول التعلم في الصغر كالنقش في الحجر فقال الكبير أكبر عقلا ولكنه أشغل قلبا فقصص عن المعنى ونبه عن العلة * وقد كان أصحاب النبي عليه السلام يسلمون شيوخا وكهولا وأحداثا وكانوا يتعلمون العلم والقرآن والسنن وهم بحور العلم وأطواد الحكم والفقه غير أن العلم في الصغر أرسخ أصولا وأبسق فروعا وليس اذا لم يحرزه يفوته كله * قال رجل لابي هريرة رضي الله عنه اني أريد ان أتعلم العلم وأخاف أن أضيعه فقال أبو هريرة كفى بتركك له تضييعا وبعض الخير خير من كل الشر وانما مثل الجاهل تحت عبء الجهل مثل الحمال تحت حمل ثقيل فانه كلما أعيا نقصه قليلا قليلا يوشك أن ينقصه كله فيستريح منه وان هو لم يطرح القليل حتى يطرح الكثير فما أوشكه أن يصرعه حمله وكذلك الجاهل اذا تعلم قليلا قليلا يوشك أن يأتي على بقيته وان لم يتعلم في الكبر لما فاته في الصغر فأوشك به أن يموت تحت عبء الجهل

آدم اعدل كما تحب ان يعدل الله فيك وعن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى لما أهبط آدم الى الارض أوحى اليه أربع كلمات وقال يا آدم عليك وعلى جميع ذريتك على هذه الكلمات الاربع وهي كلمة لي وكلمة لك وكلمة بيني وبينك وكلمة بينك وبين الناس اما الكلمة التي هي لي فهي ان تعبدني ولا تشرك بي وأما الكلمة التي هي لك فاني أجازيك بعملك وأما الكلمة التي بيني وبينك فمنك الدعاء ومني الاجابة وأما الكلمة التي بينك وبين الناس فهي ان تعدل فيهم وتنصف بينهم قال قتادة الظلم ثلاثة اضرب ظلم لا يغفر لصاحبه وظلم لا يدوم وظلم يغفر لصاحبه فاما الظلم الذي لا يغفر لصاحبه فهو الشرك بالله تعالى لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم وأما الظلم الذي لا يدوم فانه ظلم العباد بعضهم لبعض وأما الظلم الذي يغفر لصاحبه فهو ظلم العبد لنفسه بارتكاب المعاصي ثم يرجع الى ربه ويتوب فان الله يغفر له برحمته ويدخله الجنة بفضله ومنه الدين والملك توأمان فينبغي أن يكون الملك دينا محبا للدين لان الدين والملك مثل أخوين ولدا في بطن واحد فيجب ان يهتم الملك بامور الدين ويؤدي الفرائض في أوقاتها ويجتنب الهوى والبدعة

الباب

(الباب الثاني والعشرون في وصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب)

رضي الله عنه لكميل بن زياد في العلم وأهله قال كميل بن زياد النخعي خرجت مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه الى الجبانة فلما أصحر تنفس الصعداء ثم قال يا كميل بن زياد ان القلوب أوعية فخيرها أوعاها للخير احفظ عني ما أقول لك الناس ثلاثة فعالم رباني ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجؤوا الى ركن وثيق العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال والعلم يزكو على الانفاق والمال تنقصه النفقة والعلم حاكم والمال محكوم عليه ومحبة العالم دين يدان الله به يكسبه الطاعة في حياته وجميل الاحدوثة بعد وفاته مات خزان الاموال وهم أحياء والعلماء باقون ما بقي الدهر أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة ها ان ههنا وأشار بيده الى صدره لعلما جما لو أصبت له حملة بل قد أصبت له لقنا غير مأمون عليه يستعمل آلة الدين للدنيا فيستظهر بحجج الله تعالى على كتابه أو كما قال وبنعمته على عباده أو منقادا لاهل الحق لا بصيرة له في احيائه ينقدح الشك في قلبه باول عارض من شبهة الا لا ذا ولا ذاك أو منهوما باللذات سريع الانقياد للشهوات أو مغرما بجمع المال والادخار ليسا من رعاة الدين أقرب شبها بهما الانعام السائمة اللهم فكذلك يموت العلم بموت حامليه ولكن لن تخلو الارض من قائم لله سبحانه بحجة لئلا تبطل حجج الله وبيناته ومن أولئك وأين أولئك أولئك الاقلون عددا الاكثرون عند الله قدرا تحرز الحكمة في قلوبهم حتى يزرعوها في قلوب أشباههم ويودعوها في صدور نظرائهم هجم بهم العلم على حقيقة الامر فباشروا روح اليقين فاستلانوا ما استوحشه المترفون واستأنسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بأجساد أرواحها متعلقة بالمحل الاعلى أولئك خلفاء الله في بلاده ودعاته الى دينه آه شوقا الى رؤيتهم

(الباب الثالث والعشرون في العقل والدهاء والخبث)

قد ذكرت في كتاب الاسرار حقيقة العقل وأقسامه ومحله وأحكامه بما لا مزيد عليه ونذكر ههنا منافعه ومداركه ولباب ما تحرر من القول فيه انه الاستشهاد بالشاهد على الغائب فمن كان في طوقه ان يستدل بما شاهد على ما غاب عنه كان معه عقل ويسمى عاقلا عند الموحدين وبه يتوجه التكليف عليه وذلك ان من نظر الى قصر قد كمل بنيانه وحصنت أركانه وجعلت فيه من الآلات ما يكتفي به ساكنوه فأشرف عليه انسان فرأى بيوتا مقطوعة وأبوابا منصوبة وفرشا مفروشة وزرابي مبثوثة وموائد موضوعة وصحافا مصفوفة وأرائك منصوبة وحبالا ممدودة وطسوتا وأباريق وبيوت ماء وميازيب تصب الماء وتحتها بلاليع لغيض الماء الى سائر ما يستعده العقلاء للانتفاع ثم فكر هل هذا القصر [illegible] صنعه قادر صانع عالم حي أو اتفق لنفسه وتركب على صورته بلا صانع فيستقر في عقله بالضرورة استحالة وجوده من غير صانع وانه مفتقر الى صانع صنعه وهذا علم يهجم على العقول لا يفتقر الى نظر واستدلال وانما كثرت لك هذه الامثلة لان ما في الانسان من الاعضاء ولطيف الصنعة والعجائب أكثر مما في القصر باضعاف مضاعفة فاذا نظر الى ما في نفسه فرأى فيها من العجائب والتركيب ومنفعة كل عضو وتخصيصه اما بجلب نفع أو دفع ضرر فاذا ثم نظره في عضو واحد مثلا وهو فمه فيرى في أوله أسنانا تشبه الفاس تصلح للقطع وفي آخره طواحين مضرسة تصلح للطحن وشدقين كأنهما ثفال الرحى عنهما ان يتم رق الطعام الى خارج ولسانا يرد ما انقلب من الطعام اليه على الطواحين ثم يلي ذلك بلعوم لازدراده بعد الطحن علم بادنى تأمل ان هذه الخلقة ما انفعلت بنفسها اتفاقا بل هي مفتقرة الى قصد قاصد وجعل جاعل وعلى هذا النمط لو ذهبنا نذكر منفعة كل عضو لوقفت على العجب ولكن تركناه كراهية التطويل وعلى هذا المعنى نبه الكتاب المهيمن فقال تعالى وفي أنفسكم أفلا تبصرون وبهذه العبرة تستقل العقول باثبات الصانع وتستغني عن النظر في الجواهر والاعراض فالعلم المفيد لاثبات الصانع في الشاهد مثل البناء والنجار والخياط وأشباههم بعد النظر في صنائعهم على اضطرار والعلم

ووعيده فان تاب وأناب والا أوقع به العقاب ونفاه عن ولايته ليطهر الولاية عن اغوائه وبدعته ويخلو من أهل الاهوية ويعز الاسلام ويستديم عمدة الثغور بانفاذ العساكر والحماة اليها ويجتهد في اعزاز الخلق ويحتاط في اعادة رونق السنة والنبوة والسيرة المرضية لتحمد عند الله تعالى طريقته وتعظم في القلوب هيبته وتخاف سطوته اعداؤه ويعلو قدره ومنزلته وبهاؤه ويكبر في عيون اضداده ويعظم عند أنداده ويجب ان تعلم ان صلاح الناس في حسن سيرة الملك فينبغي للملك ان ينظر في أمور رعيته ويقف على قليلها وكثيرها وعظيمها وحقيرها ولا يشارك رعيته في الافعال المذمومة ويجب عليه احترام الصالحين وان يثبت على الفعل الجميل ويمنع من الفعل الردىء الوبيل ويعاقب على ارتكاب القبيح ولا يحابي من أصر على القبيح ليرغب الناس في الخيرات ويحذروا من السيئات ومتى كان السلطان بلا سياسة وكان لا ينهى المفسد عن فساده ويتركه على مراده أفسد سائر أموره في بلاده وقال الحكماء ان طباع الرعية نتيجة طباع الملك لان العوام انما يضلون ويركبون الفساد وتضيق أعينهم اقتداء منهم بملوكهم فانهم يتعلمون منهم ويلزمون طباعهم الا

Reference: 12964. Copyright for this page: Creative Commons Attribution Licence

View on the Qatar Digital Library: http://www.qdl.qa/en/archive/qnlhc/12964.33

المثبت للصانع سبحانه عند النظر في حدوث العالم علم استدلال اعتبار الغائب بالشاهد اذ لا فرق في العقول بين صنعة وصنعة في اقتضاء صانع وانما كان العلم في الشاهد ضروريا لان الانسان لم يزل يرى البناء يبني والخياط يخيط والنجار ينجر الخشب ولم نر العقلاء القديم سبحانه يخلق ويخترع وانما استفادوه من النظر في الشاهد فان قيل فاي العلمين أقوى في النفوس وأثبت في العقول العلم بالصانع النظر في السرير واقتضائه للنجار أم العلم بالاله عند النظر في السموات والارضين وما بينهما فالجواب ان هذا يستدعي تفصيلا وتدقيقا وليس هذا الكتاب موضوعا لذلك فحينئذ تعلم ان معه عقلا غريزيا ونسميه عاقلا ونوجه التكليف عليه وهو العقل التكليفي واذا ثبت هذا فاعلم ان الله تعالى خلق الخلق على أربعة انحاء ملائكة وآدميين وشياطين وبهائم فاما الملائكة فعقول بلا شهوات ولا هوى يقارنه وأما البهائم فشهوات بلا عقول وأما الشياطين والجن فركب الله فيها العقول والشهوات والهوى وهكذا ركب في بني آدم العقل والهوى والشهوة فغلبت شهوات الشياطين وهواهم عقولهم فقطعوا أوقاتهم بالاخلاق المذمومة بالكبر والعجب والمقت والفخر والدعوى والحسد والاذية وسائر الاخلاق المهلكة وأما البهائم فتقضت أوقاتها في شهوات البطن والفرج وأما الآدميون فركب فيهم عقول الملائكة وأخلاق الشياطين وشهوات البهائم فمن غلب عقله هواه منهم فكأنه من عالم الملائكة كالانبياء والرسل والاولياء والاصفياء وقليل ماهم وأما من كان عقله مغلوبا بهواه وشهواته فان كان ذلك من المباحات من المطاعم والملابس والمراكب والنساء والخيل المسومة والانعام والحرث فاكل وتمتع بعد ان كسبه من حله فهذا من عالم البهائم وانما ألحقناه بعالم البهائم لانه لا تكليف على البهائم وكذلك هذه المباحات لا حرج في الاستمتاع بها بعد ان يكون كسبه من حله وان كان الغالب عليه أخلاق الشياطين من الكبر والعجب والحسد والغش الى سائر الاخلاق المذمومة فهذا من عالم الشياطين وان اجتمع في الشخص افراط الشهوات واتباع الهوى والاخلاق المذمومة فيكون آدميا في صورته شيطانا في خلائقه بهيمة في شهواته فلا يصلح للصحبة وان ثبت هذا فاعلم ان هذا العقل الغريزي أطول رقدة من العين وأحوج الى الشحذ من السيف

﴿فصل﴾ فاما العقل المكتسب وهو نتيجة العقل الغريزي فهو نهاية المعرفة واصابة الفكرة وليس له حد ينتهي اليه لانه ينمو اذا استعمل وينقص ان أهمل ونماؤه يكون بأحد وجهين اما ان يقارنه من مبدا النشوء ذكاء وحسن فطنة كالذي قال الاصمعي قلت لغلام حدث من أولاد العرب كان يحدثني وأمتعني الله بفصاحته وملاحته أيسرك ان يكون لك مائة ألف درهم وانك أحمق قال لا والله قلت ولم قال أخاف ان يجني على حمقي جناية تذهب بمالي ويبقى على حمقي فاستخرج هذا الصبي بفرط ذكائه مايدق على من هو أكبر منه سنا وقيل لبعض الصبيان ألك أب قال فكأني في عيسى بن مريم وقد قالت الحكماء آية العقل سرعة الفهم وغايته اصابة الوهم وليس للذكاء غاية ولا لجودة القريحة نهاية ألا ترى ان اياس بن معاوية الذي يضرب المثل بذكائه قال لابيه وهو طفل وكان أبوه يؤثر أخاه عليه يا أبت تعلم ما مثلي ومثل أخي معك أنا كفرخ الحمام أقبح مايكون أصغر مايكون وكلما كبر ازداد ملاحة وحسنا فتبنى له العلالي وتتخذ له المربعات وتقتنيه الملوك ومثل أخي مثل الجحش أملح مايكون أصغر مايكون وكلما كبر قبح وصار الى القهقرى انما يصلح لحمل الزبل والتراب والوجه الثاني مايصلح لذوي الحنكة وصحة الروية لطول ممارسة الامور وكثرة التجارب ومرور الغير على اسماعهم وتقلب الايام وتصرف الحوادث وتناسخ الدول قد مرت على عيونهم وجوه الغير وتصدت لاسماعهم أنواع الاخبار وآثار العبر قال بعض الحكماء كفى بالتجارب تأديبا وبتقلب الايام عظة وقالوا التجربة مرآة العقل والغرة ثمرة الجهل ولذلك حمدت آراء الشيوخ حتى قالوا المشايخ أشجار الوقار وينابيع الاخبار لا يطيش لهم سهم ولا يسقط لهم وهم وعليكم بآراء الشيوخ فانهم ان عدموا ذكاء الطبع فقد أفادتهم الايام حنكة وتجربة

ترى انه قد ذكر في التاريخ ان الوليد بن عبد الملك من بني أمية كان مصروف الهمة الى العمارة والزراعة وكان سليمان بن (٥٤) عبد الملك همته في كثرة الاكل وتطييب الطعام وقضائه الاوطار وبلوغ الشهوات وكانت همة عبد العزيز في العبادة والزهادة قال محمد بن علي ابن الفضيل ما كنت اعلم ان أمور الرعية تجري على عادة ملوكها حتى رأيت الناس في أيام الوليد ابن عبد الملك قد اشتغلوا بعمارة الكرم والبساتين واهتموا ببناء الدور وعمارة القصور ورأيتهم في زمان سليمان بن عبد الملك قد اهتموا بكثرة الاكل وطيب الطعام حتى كان الرجل يسأل صاحبه أي لون اصطنعت وما الذي أكلت ورأيتهم في أيام عبد العزيز قد اشتغلوا بالعبادة وتفرغوا لتلاوة القرآن وأعمال الخيرات واعطاء الصدقات لتعلم ان في كل زمان تقتدي الرعية بالسلطان ويعملون بأعماله ويقتدون بأفعاله من القبيح والجميل واتباع الشهوات وادراك الارادات كما يقال

﴿حكاية﴾

ذكروا ان في زمن الملك العادل كسرى أنوشروان ابتاع رجل من رجل ارضا فوجد فيها كنزا فمضى سريعا الى البائع وأخبره بذلك فقال انما بعتك ارضا ولا أعلم مافيها والكنز الذي وجدته فهو لك ومبارك عليك فقال لا أريده ولا أطمع في أموال الناس فترافعا بهذه الدعوى الى الملك العادل ففرح

وقد

وقد قال الشاعر

ألم تر أن العقل زين لاهله * ولكن تمام العقل طول التجارب

وقال آخر

اذا طال عمر المرء في غير آفة * أفادت له الايام في كرها عقلا

غير ان للعقل آفات كما قال بعض الحكماء كيف يرجو العاقل النجاة والهوى والشهوة قد اكتنفاه والهوى أبعد من ان ينفذ فيه حيلة الحازم المحتال وهو أغمض مسلكا في الجنان من الروح في الجثمان وأملك بالنفس من النفس والمالك المتئ ولهذا قيل كم من عقل أسير عند هوى أمير فمن أحب أن يكون حرا فلا يهوى والا صار عبدا كما قال علي بن الجهم

أنفس حرة ونحن عبيد * ان رق الهوى لرق شديد

واختلف الناس في العقل المكتسب اذا تناهى وزاد في الانسان هل يكون فضيلة أم لا فقال معظم العقلاء انه فضيلة اذا كان مجموع آحاد والآحاد فضائل ولا شك ان كثرة الفضائل فضيلة اما الشئ المحدود فتكون الزيادة فيه نقصا من المحدود كالتهور في الشجاعة والتبذير في الكرم فاما الزيادة في العقل المكتسب فزيادة علم بالامور وحسن اصابة بالظنون ومعرفة مالم يكن بما قد كان وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال أفضل الناس أعقل الناس وقال عليه السلام العقل حيث كان الف مألوف وقال القاسم بن محمد من لم يكن عقله أغلب خصال الخير عليه كان حتفه في أغلب الخصال عليه ولما مات بعض الخلفاء احتشدت الروم واجتمعت ملوكها وقالوا الآن يشتغل المسلمون بعضهم ببعض فيمكننا الغرة منهم والوثبة عليهم وهم فيما في ذلك مشاورات وتراجعوا فيه بالمناظرات وأجمعوا على انه فرصة الدهر وثغرة النصر وكان رجل منهم من ذوي الرأي والمعرفة غائبا عنهم فقالوا من الحزم عرض الرأي عليه فلما أخبروه بما أجمعوا عليه قال لا أرى ذلك صوابا فسألوه عن علة ذلك فقال غدا أخبركم ان شاء الله فلما أصبحوا اغدوا عليه للوعد وقالوا قد وعدتنا قال نعم فأمر باحضار كلبين عظيمين قد أعدهما ثم حرش بينهما وألب كل واحد على الآخر فتواثبا وتهارشا حتى سالت دماؤهما فلما بلغا الغاية فتح باب بيت عنده وأرسل منه على الكلبين ذئبا عنده قد أعده فلما أبصراه تركا ماكانا عليه وتألفت قلوبهما ووثبا جميعا على الذئب فنالا منه ما أحبا ثم أقبل الرجل على أهل الجمع فقال لهم مثلكم مع المسلمين مثل هذا الذئب مع الكلاب لا يزال الهرج والقتال بينهم مالم يظهر لهم عدو من غيرهم فاذا ظهر لهم عدو من غيرهم تركوا العداوة بينهم وتألفوا على العدو فاستحسنوا قوله وتفرقوا عن رأيهم وأما المذموم في هذا الباب فصرف العقل الى الدهاء والمكر قال الشعبي ودهاة العرب ستة معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وزياد بن أمية وقيس بن سعد بن عبادة وعبد الله بن بديل بن ورقاء وقال الاصمعي كان معاوية يقول أنا للاناة وعمرو للبديهة وزياد للصغار والكبار والمغيرة للامر العظيم قال قبيصة بن جابر ما رأيت أعطى لجزيل مال بغير سلطان من طلحة بن عبيد الله ولا رأيت أثقل حلما ولا أطول اناة من معاوية ولا رأيت أغلب للرجال ولا أبذلهم حين يجتمعون من عمرو بن العاص ولا أشبه سرا بعلانية من زياد ولو ان المغيرة كان في مدينة لها ثمانية أبواب لا يخرج من باب منها الا بالمكر لخرج من أبوابها كلها (وقال) أبو الدرداء قال النبي عليه السلام يا عويمر ازدد عقلا تزدد من ربك قربا قلت بابي وأمي ومن لي بالعقل قال اجتنب محارم الله وأد فرائض الله تكن عاقلا ثم تنفل صالح الاعمال تزدد في الدنيا عقلا وتزدد من ربك قربا وعليه عزا (ويروى) لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه شعر

ان المكارم اخلاق مطهرة * فالعقل أولها والدين ثانيها
والعلم ثالثها والحلم رابعها * والجود خامسها والعرف سادسها
والبر سابعها والصبر ثامنها * والشكر تاسعها واللين عاشيها
والنفس تعلم اني لا أصدقها * ولست أرشد الا حين أعصيها
والعين تعلم في عيني محدثها * ان كان من حزبها أو من أعاديها

قرابة وصلة وان تزوجا الابن بالبنت وتنفقا هذا الكنز في جهازهما ليكون الكنز لكما ولاولادكما ففعلا ما أمرهما راضيا عارضهما الملك ولو كان الرجلان في زمن سلطان جائر لقال كل واحد منهما الكنز لي ولكنهما لما علما ان مليكهما عادل طلبا الحق وآثرا الصدق وقالت الحكماء الملك كالسوق وكل واحد يجلب الى السوق مايعلم انه نافق فيه غير كاسد ومايعلم انه كاسد لا يجلبه الى السوق والرجلان اللذان وجدا الكنز وترافعا الى السلطان علما ان الزهد والعدل والصدق يعز عند ذلك السلطان وان الحق له عنده نفاق فلذلك حملاه اليه وعرضاه عليه اما الآن في هذا الزمان فكلما يجري على أيدي امرائنا والسنة ولاتنا فهو جزاؤنا واستحقاقنا فكما انا رديئو الاعمال قبيحو الافعال ذوو خيانة وقلة امانة فأمراؤنا ظلمة جائرون وغشمة متعدون كما تكونوا يولى عليكم فقد صح بهذا الحديث ان أفعال الخلق عائدة الى أفعال الملوك ألا ترى انه اذا وصف بلد من البلاد بالعمارة وان أهله في أمان وراحة ودعة وغبطة فان ذلك دليل على عقل الملك وحسن نيته مع رعيته وانه ليس ذلك من الرعية فقد صح ماقاله الحكماء ان الناس على ملوكهم أشبه منهم بزمانهم وقد جاء

Reference: 12964. Copyright for this page: Creative Commons Attribution Licence
View on the Qatar Digital Library: http://www.qdl.qa/en/archive/qnlhc/12964.34

وقال بعض الحكماء العاقل من عقله في ارشاد ومن رأيه في امداد فقوله سديد وفعله حميد والجاهل من جهله في اغواء فقوله سقيم وفعله ذميم فاما من صرف فضل عقله الى الدهاء والمكر والشر والحيل والخديعة كالحجاج وزياد واشباههما فمذموم وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لست بالخب والخب لا يخدعني وقال المغيرة كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أفضل من أن يخدع وأعقل من أن يخدع والموصوف بالدهاء والمكر مذموم وصاحبه محذور تخاف غوائله وتحذر عواقب حبائله وقد أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه أبا موسى الاشعري ان يعزل زيادا عن ولايته فقال زياد أعن موجدة أو خيانة يا أمير المؤمنين قال لا عن واحدة منهما ولكن كرهت ان أحمل الناس على فضل عقلك وكتب زياد الى معاوية رضي الله عنه ان العراق في شمالي ويميني فارغة فولني الحجاز أكفك أهله فبلغ ذلك ابن عمر فقال اللهم اكفه فطعن في اصبعه بعد أيام فمات فمن وان كان رغب عن الدهاء والمكر فما رغب في الحيلة ورضي بها والاتساع في الحيلة مما تواصى به العقلاء قديما وحديثا وليس شئ من أمور الدنيا لطالب الرفعة وباغي الوسيلة وهو تادى أمر كان دق أو جل خير من الحيلة وأضعف الحيلة أنفع من كثرة الشدة وقالت الحكماء ملاك العقل الحيلة والتأني للسبب الضعيف والقوي من الامور (وروى) ان رجلا وقف لكسرى فقال أنا أصنع ما تعجز الخلائق عنه قال ما هو قال يشد برجلي حبل طرفه برقبة الفيل وبرجلي الاخرى كذلك ويشد طرفه برقبة الفيل ثم يساق الفيل بالضرب والزجر فلا أتزحزح ثم طلب ان يفعل ذلك بأربع من الفيلة فرت بحدتها فقسموه شطرين فقال كسرى من لم يكن أكبر ما فيه عقله هلك بأكبر ما فيه فنظمه بعض الشعراء فقال

من لم يكن أكبره عقله * أهلكه أكبر ما فيه

(وسمعت) استاذنا أبا الوليد يحكي ان رجلا استأذن على هرون الرشيد وقال اني أصنع ما تعجز الخلائق عنه قال الرشيد هات فاخرج انبوبة قصب فيها ابر عدة ثم وضع واحدة في الارض وقام على قدميه وجعل يرمي ابرة ابرة من قامته فتقع كل ابرة في عين الابرة الموضوعة حتى فرغ دسته فأمر الرشيد بضربه مائة سوط ثم أمر له بمائة دينار فسئل عن جمعه بين الكرامة والهوان فقال وصلته لجودة ذكائه وأدبته كي لا يصرف فرط ذكائه في الفضول ومن زعم أن العقل المكتسب اذا تناهى لا يكون فضيلة قال لان الفضائل هيئات متوسطة بين فضيلتين ناقصتين فما جاوز التوسط خرج عن حد الفضيلة كالكرم الذي هو متوسط بين البخل والتبذير والشجاعة وسط بين التهور والجبن (وقالت الحكماء للاسكندر) أيها الملك عليك بالاعتدال في كل الامور فان الزيادة عيب والنقصان عجز (وفي الحديث) أن النبي عليه السلام قال خير الامور أوساطها (وقال) علي بن أبي طالب رضي الله عنه خير الامور الاوسط اليه يرجع العالي ومنه يلحق التالي قالوا ولان زيادة العقل تفضي بصاحبها الى الدهاء والمكر وذلك مذموم (قلنا) هذا كله باطل بما قدمنا لنصرة القول الاول وهو منقوض بالعقل الغريزي وبالعلوم وبسائر الفضائل وأما قولهم انه يفضي بصاحبه الى الدهاء والمكر قلنا الدهاء والمكر كسب معان أخر غير العقل ليست من لوازم العقل فان شاء تداهى ومكر وان شاء كف عما يقول في كل شئ يكتسبه العاقل باختياره وليس عقله أوقعه فيه بل انما أوقعه فيه قلة عقله * وكان بزرجمهر لما فرغ من كتاب أمثاله ونسق كل باب على حياله يقول ليس العجب ممن حفظ هذه الامثال فصار عالما انما العجب ممن حفظها ولم يصر عالما وأنا أقول ليس العجب ممن قرأ كتابي هذا وصار مهذبا كاملا انما العجب ممن قرأه ولم يصر مهذبا كاملا

(الباب الرابع والعشرون في الوزراء وصفاتهم والجلساء وآدابهم)

قال الله تعالى في قصة موسى عليه السلام واجعل لي وزيرا من أهلي فلو كان السلطان يستغني عن الوزراء لكان أحق الناس بذلك كليم الله موسى بن عمران ثم ذكر حكمة الوزراء فقال اشدد به أزري وأشركه في أمري دلت الآية على ان موضع الوزارة أن تشد قواعد المملكة وأن يفضي اليه السلطان بعجزه

في موضعه لم يقدر أحد على ازالته من مكانه الا صاحبه وكان نوبان وزير أنوشروان فقال له يوما لا تكن موافقا للاشرار فتخرب ولا تبخل فتفتقر رعيتك فتصير حينئذ مالك الخراب وسلطان الفقراء ويقبح اسمك في الدنيا فكتب أنوشروان الى عماله ان خبرت أنه قد بقي في مملكتي أرض خراب سوى أرض سبخة لا تقبل الزرع صلبت عامل تلك الولاية وخراب الارض من شيئين أحدهما عجز السلطان والثاني جوره وكان الملوك في ذلك الزمان يتفاخرون بالعمارة ويتحاسدون على اجتماع الرعية

«حكاية»

أرسل ملك هندوستان رسولا الى أنوشروان وقال أنا أولى بالملك منك فانفذ لي خراج ولايتك فأمر أنوشروان بانزال الرسول ثم جمع في اليوم الثاني أرباب دولته وأعيان مملكته وأذن للرسول في الدخول عليه فلما دخل عليه ومثل بين يديه قال له اسمع جواب رسالتك ثم أمر أنوشروان باحضار صندوق ففتحه وأخرج منه صندوقا صغيرا وأخرج منه قبضة من كبر وسلمها الى الرسول وقال هل في ولايتكم شئ من هذا قال نعم هذا عندنا كثير فقال له أنوشروان ارجع وقل لملك الهند يجب عليك أن تعمر ولايتك فانها

وبجره

وبجره اذا استكملت فيه الخلال المحمودة ثم قال كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا دلت هذه الكلمة على ان بصحبة العلماء والصالحين وأهل الخبرة والمعرفة تنتظم أمور الدنيا وأمور الآخرة وكان أحوج الناس يحتاج الى السلاح وأفره الخيل الى السوط وأحد الشفار الى المسن كذلك يحتاج أجل الملوك وأعظمهم وأعلمهم الى الوزير (وروى أبو سعيد الخدري) قال ما بعث الله نبيا ولا استخلف خليفة الا كانت له بطانتان بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه والمعصوم من عصمه الله تعالى وانما اشتقت الوزارة من الوزر وهو الثقل يريد أنه يحمل من أمر المملكة واعبائها وأثقالها مثل الاوزار * أسعد الملوك من له وزير صدق ان نسي ذكره وان ذكر أعانه * وقال وهب بن منبه قال موسى عليه السلام لفرعون آمن ولك الجنة ولك ملكك قال حتى أشاور هامان فشاوره في ذلك فقال بينما أنت اله تعبد اذ صرت تعبد فأنف واستكبر وكان من أمره ما كان * وعلى هذا النمط كان وزير الحجاج يزيد بن أبي مسلم لا يألوه خبالا ولبئس القرناء شر قرين لشر خدين وأشرف منازل الآدميين النبوة ثم الخلافة ثم الوزارة الوزير عون على الامور وشريك في التدبير وظهير على السياسة ومفزع عند النازلة الوزير مع الملك بمنزلة سمعه وبصره ولسانه وقلبه * وفي الامثال نعم الظهير الوزير (واعلم) ان أول ما يستفيد الملك من الوزراء أمران علم ما كان يجهله ويقوى عنده علم ما كان يعلمه فيزول شكه وأول ما يظهر نبل السلطان وقوة تمييزه وجودة عقله في استنخاب الوزراء واستنقاد الجلساء ومحادثة العقلاء فهذه ثلاث خلال تدل على كماله وبها يجمل في الخلق ذكره ويجل في العقول قدره وترسخ في النفوس عظمته والمرء موسوم بقرينه * وكان يقال حلية الملوك وزينتهم وزراؤهم * وفي كتاب كليلة ودمنة لا يصلح السلطان الا بالوزراء والاعوان الا بالمودة والنصيحة والمودة والنصيحة الا بالستر والعفاف وأعظم الاشياء ضررا على الناس عامة وعلى الولاة خاصة أن يحرموا صالح الوزراء والاعوان فتكون أعوانهم غير ذي جدوى وغناء و يحذر الملك ان يولي الوزارة غير المتصرين كي لا تضيع الامور كما يحذر ان يتطبب بغير طبيب بصير مأمون (قال شريح بن عبيد) لم يكن في بني اسرائيل ملك الا ومعه رجل حكيم اذا رآه غضبان كتب له ثلاث صحائف في كل صحيفة ارحم المسكين واخش الموت واذكر الآخرة فكلما غضب الملك ناوله صحيفة حتى يسكن غضبه (وقال أردشير) يحق على الملك أن الطف ما يكون نظرا أعظم ما يكون خطرا ولا يذهب حسن أثره في الرعية خوفه لها ولا يستغني بتدبير اليوم عن تدبير غد وأن يكون حذره للملاقين أكثر من حذره للمتباعدين وان يتقي بطانة السوء أشد من اتقائه العامة ولا يطمعن في اصلاح العامة الا بالخاصة (وقال أردشير) لكل ملك بطانة حتى يجمع بذلك جميع المملكة فاذا أقام الملك بطانته على حال الصواب أقام كل امرئ منهم بطانته على مثل ذلك حتى يجتمع على الصلاح عامة الرعية * ومثال الملك الخير والوزير السوء الذي يمنع الناس خيره ولا يمكنهم من الدنو منه كالماء الصافي فيه التمساح فلا يستطيع المرء دخوله وان كان سابحا وكان الى الماء محتاجا ومثل السلطان مثل الطبيب ومثل الرعية كمثل المرضى ومثل الوزير كمثل السفير بين المرضى والاطباء فان كذب السفير بطل التدبير وكان السفير اذا أراد أن يقتل أحدا من المرضى وصف للطبيب نقيض دائه فاذا سقاه الطبيب على صفة السفير هلك العليل كذلك الوزير ينقل الى الملك ما ليس في الرجل فيقتله الملك فمن ههنا شرطنا أن يكون الوزير صدوقا في لسانه عدلا في دينه مأمونا في الخلافة بصيرا بأمور الرعية وتكون بطانة الوزير من أهل الامانة والبصيرة ويحذر الملك أن يولي الوزارة لئيما فاللئيم اذا ارتفع جفا أقاربه وانكر معارفه واستخف بالاشراف وتكبر على ذوي الفضل * ولما أراد سليمان بن عبد الملك أن يستكتب كاتب الحجاج يزيد بن أبي مسلم قال له عمر بن عبد العزيز أسألك بالله يا أمير المؤمنين أن لا تحيي ذكر الحجاج باستكتابك اياه فقال يا أبا حفص اني لم أجد عنده خيانة دينار ولا درهم قال عمر أنا أوجدك من هو أعف منه في الدينار والدرهم قال ومن هو قال ابليس ما مس دينارا ولا درهما وقد أهلك

من ولايتي أصلا واحدا من كبر لصلبت عامل تلك الولاية فيجب على الملك ان يسلك طريق الملوك الذين تقدموا ويعمل على سنتهم في الخير ويقرأ كتب مواعظهم ووصاياهم لانهم كانوا أطول أعمارا وأكثر تجاربا واعتبارا وانهم فرقوا بين الجيد والرديء وعرفوا الجلي والخفي وكان أنوشروان مع حسن سيرته يقرأ كتب المتقدمين ويطلب استماع حكاياتهم ويمضي على منهاجهم وسنتهم وملوك هذا الزمان أجدر أن يفعلوا ذلك

(حكاية)

سأل أنوشروان العادل يوما وزيره يونان وقال أريد تخبرني بسيرة الملوك المتقدمين فقال له يونان تريد أن أمدحهم بثلاثة أشياء أم بشيئين أو بشيء واحد فقال امدحهم بثلاثة أشياء فقال يونان ما وجدت لهم في شغل من الاشغال ولا في عمل من الاعمال قط كذبا ولا رأيت لهم بشيء جهلا ولا رأيت لهم في حال من الاحوال غضبا فقال امدحهم بالشيئين فقال كانوا يسارعون في أعمال الخير وكانوا أبدا يحذرون من أعمال الشر فقال امدحهم بشيء واحد فقال يونان كانت سلطنتهم وجراءتهم على أنفسهم أكثر مما كانت على غيرهم فطلب أنوشروان الكاس وقال ولهذا الكاس سرور بالكرام الذين يأتون بعدنا

Reference: 12964. Copyright for this page: Creative Commons Attribution Licence
View on the Qatar Digital Library: http://www.qdl.qa/en/archive/qnlhc/12964.35

هذا الخلق (ودخل) رجل له عقل وأدب على بعض الخلفاء فوجد عنده رجلا ذميا كان الخليفة يميل اليه ويقربه فقال

يا ملك طاعته فى الورى * وحبه مفترض واجب
ان الذى شرفت من أجله * يزعم هذا انه كاذب

وأشار الى الذمى فسأله يا أمير المؤمنين عن ذلك فسأله فلم يجد بدا من أن يقول هو صادق فاعترف بالاسلام *لا يعرف وزير الملك ماله وما عليه حتى يراعى من صاحبه الوائق به ما يراعيه العاشق الغيور من المعشوقة المتهومة (وكان بعض) الملوك قد كتب ثلاث رقاع وقال لوزيره اذا رأيتنى غضبان فادفع الى رقعة فكان فى الواحدة انك لست باله وانك ستموت وتعود الى التراب فيأكل بعضك بعضا وفى الثانية ارحم من فى الارض يرحمك من فى السماء وفى الثالثة اقض بين الناس بحكم الله فانهم لا يصلحهم الا ذلك *اذا كان الوزير يساوى الملك فى الرأى والهيبة والطاعة فليصرعه الملك فان لم يفعل فليعلم انه المصروع (وفى الامثال) اذا كثرت الدهماء خاف الوزراء *ولما كانت أمور المملكة عائدة الى الوزراء وازمة الملوك فى أكف الوزراء سبق فيهم من العقلاء المثل السائر فقالوا لا تغتر بمودة الامير اذا غشك الوزير واذا أحبك الوزير فلا تخش الامير ويقال الخرق مماراة الامراء ومعاداة الوزراء ورب أمر كرهه الامير فتم بالوزير وكم من أمر أراده الامير فثناه عنه الوزير وانما السلطان كالدار والوزير بابها فمن أتى الدار من بابها ولج ومن أتاها من غير بابها أزعج (وقال أنوشروان) لا يتم الملك أمره حتى يرفع نفسه عن كل عيب ويكون له جليس مأمون الغيب وخادم ناصح الجيب وموقع الوزارة من المملكة كموقع المرآة من النظر فكما ان من لم ينظر الى المرآة لا يرى محاسن وجهه وعيوبه كذلك السلطان اذا لم يكن له وزير لا يعرف محاسن دولته وعيوبها وكاتب الملك مستقر اسراره ولسانه الناطق عنه فى آفاق مملكته والمخصوص بقربه ولزومه دون نظرائه ظهير الامير وزيره وزينه حاجبه ولسانه كاتبه ورسوله عينه الكتابة قوام الخلافة وقرينة الرياسة وعمود المملكة * للكاتب على الملك ثلاثة أشياء رفع الحجاب عنه واتهام الوشاة عليه وبفشى سره اليه (وقد قالت الحكماء) لا يطمعن ذو الكبر فى الثناء ولا الخب فى كثرة الصديق ولا السيء الادب فى الشرف ولا الشحيح فى البر ولا الحريص فى قلة الذنوب ولا الملك المتهاون الضعيف الوزراء فى بقاء الملك وكما ان المرآة لا تريك وجهك الا بصفاء جوهرها وجودة صقلها ونقائها من الصدا كذلك الامير لا يكمل أمره الا بجودة عقل الوزير وصحة فهمه وصفاء نفسه ونقاء قلبه (ومن شروط الوزير) أن يكون متمكن الرحمة للخلق رؤفا بهم ليأسو برحمته ما يجرحه السلطان بغلظته (ومن شروطه) أن يكون نقى الجيب ناصح الغيب لا يقبل دقيقة ولا يكتم نصيحة وقال بعض الملوك لوزيره لا تكونن الى ما تسرنى به أسرع مبادرة منك الى اذا رأى فيما يخاف على منه وقال بعض الملوك أعط من أتاك بما تكره كما تعطى من أتاك بما تحب فان من أنذرك كمن بشر (ومن شروطه) أن يكون معتدلا كليل تمامه لا حر ولا قر وموقع الوزير من الملك موقع الملك من العامة وكما ان السلطان اذا صلح صلحت الرعية واذا فسد فسدوا كذلك الوزراء اذا فسدوا فسد الملك واذا صلحوا صلح الملك (وكان) يقال آفة العقل الهوى وآفة الامير مخالفة الوزير وقال المقتدر بالله لوزيره على بن عيسى اتق الله يعطفنى عليك ولا تعصه فيسلطنى عليك * وقال المأمون لمحمد بن يزداد اياك أن تعصى الله فيما تتقرب به الى فيسلطنى عليك (واعلم) انه ليس للوزير أن يكتم السلطان نصيحة وان استقلها وموقع الوزير من المملكة كموقع العينين من الانسان وكاليدين فانه اذا صح قبضهما وبسطهما صح التدبير واذا استعمادخل النقص على الجسد ولا تصلح الوزارة أن تكون فى غير أهلها كما لا يصلح الملك أن يكون فى غير أهله وشر الوزراء من كان للاشرار قبله وزيرا وبطانة ودخلا وأوصت امرأة ابنها وكان ملكا فقالت يا بنى ينبغى للملك أن يكون له ستة أشياء وزير يثق برأيه ويفضى اليه باسراره وحصن يلجأ اليه اذا فزع وسيف اذا نازل الاقران لم يخنه وذخيرة خفيفة المحمل اذا نابه نائبة كانت معه وامرأة اذا دخل عليها أذهبت همه

أن يعيش فيها فيعبر دنياه بالتعب ويحصل فى الآخرة بالندم السرمد والعذاب المؤبد وانما كان قصد أولئك الملوك واجتهادهم فى عمارة الدنيا ليبقى فيها بعدهم طيب الذكر مدى الايام والدهر كما جاء فى الحكاية

﴿حكاية﴾

كان لانوشروان كرم يعرف بجزاركام فاجتمع يوما فيه قيصر ملك الروم وفغفور چين وملك هندوستان فى ضيافة أنوشروان فتكلم كل واحد منهم بكلمة حكمة فقال قيصر ليس شئ فى هذه الدنيا أجود من فعل الخير والاسم الصالح والذكر الطيب فانه يذكر به صاحبه دائما فيقال بعده لم لا نكون نحن مثله فقال أنوشروان تعالوا حتى نفعل الخير ونتفكر فى الخير فقال قيصر اذا تفكرت فى الخير عملت الخير واذا عملت الخير نلت المراد فقال فغفور چين الله يبعد عنا فكرة ان ظهرت استحيينا وان ذكرناها خجلنا وان فعلناها ندمنا وقال قيصر لانوشروان أى شئ أحب اليك قال أحب الاشياء الىّ أن أقضى حاجة من رآنى أهلا لقضاء حاجته فقال قيصر أنا أحب أن لا أذنب حتى لا أخاف ملوكا يكون هذا حديثهم وكلامهم انظر كيف كان سيرهم مع رعيتهم يا سلطان الاسلام يجب أن تسمع أقوال

وطباخ

وطباخ اذا لم يشته الطعام طبخ له ما يشتهيه

﴿الباب الخامس والعشرون فى الجلساء وآدابهم﴾

قال الله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وقال سبحانه ياويلتى ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا لقد أضلنى عن الذكر بعد اذ جاءنى وكان الشيطان للانسان خذولا وينبغى للملك أن يجالس أهل العقل والادب وذوى الرأى والحسب وذوى التجارب والعبر فمجالسة العقلاء لقاح العقل ومادته ولذلك حدث آراء الشيوخ فقال القدماء المشايخ أشجار الوقار وينابيع الاخبار لا يطيش لهم سهم ولا يسقط لهم وهم وقالوا عليك بآراء المشايخ فانهم ان فقدوا ذكاء الطبع فقد مرت على عيونهم وجوه العبر وتصدت لاسماعهم آثار الغير وقالوا رأى الشيخ خير من مشهد الغلام (وقال عبد الملك) لجلسائه جنبونى ثلاثا لا تطرونى فانى أعرف بنفسى منكم ولا تكذبونى فانه لا رأى لكذوب ولا تغتابوا عندى أحدا فيفسد قلبى عليكم (وقال بعض الحكماء) كفى بالتجارب تأديبا وبتقلب الايام عظة وقالوا التجربة مرآة العقل والغرة ثمرة الجهل وقد قال هرم بن قطبة وهو أحد حكماء العرب حين تنافر اليه عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة عليكم بالحديث السن الحديد النظر (وقال كثير من حكماء العرب) عليكم بمشاورة الشباب فانهم يتصورن رأيا لم يعله طول القدم ولا استولت عليه رطوبة الهرم والمذهب الاول أصدق على العقول وقال عبد العزيز بن زرارة لمعاوية عليك بمجالسة الالباء أعداء كانوا أو أصدقاء فان العقل يقع على العقل (وقال ابن عباس) مجالسة العقلاء تزيد فى الشرف وقال سفيان ابن عيينة ان الرجل ممن كان قبلكم ليلقى الرجل العاقل فيكون عاقلا أياما وقال مالك بن أنس مر سليمان ابن داود عليهما السلام بقصر بارض مصر فوجد فيه مكتوبا

غدونا من قرى اصطخر * الى القصر فحللناه
فمن يسأل عن القصر * فبنيا وجدناه
يقاس المرء بالمرء * اذا ما هو ماشاه
وفى الشئ على الشئ * علامات واشباه
فلا تصحب أخا الجهل * واياك واياه
فكم من جاهل أردى * حليما حين آخاه

قال ووجدنا عليه نسرا واقعا فدعاه فقال من بنى هذا القصر قال لا أدرى قال كم لك منذ وقعت عليه قال تسعمائة سنة (وفى الامثال) يظن بالمرء ما يظن بخليله (ولما) حج عبيد الله بن جعفر نزل مكة ليلا فلما أصبح قال يا أهل مكة عرفنا أخياركم من أشراركم فى ليلة واحدة قالوا كيف ذلك قال نزلنا ومعنا أخيار وأشرار فنزل أخيارنا على أخياركم وأشرارنا على أشراركم فعرفناكم واعلم أنه ليس الدخان على النار بادل من الصاحب على الصاحب وقال الاوزاعى الصاحب للصاحب كالرقعة فى الثوب ان لم تكن فى مثله شانته وقال مالك بن مسمع للاحنف بن قيس يا أبا بحر ما أشتاق الى غائب اذا حضرت ولا أنتفع بحاضر اذا غبت فاخذه ابراهيم بن العباس الكاتب فنظمه فقال

وأنت هوى النفس من بينهم * وأنت الحبيب وأنت المطاع
وما بك ان بعدوا وحشة * وما معهم ان بعدت اجتماع

* وقال عبد الله بن طاهر المال غاد ورائح والسلطان ظل زائل والاخوان كنوز وافرة وقال الاصمعى تناظر رجلان واعرابى حاضر فقال لاحدهما مناظرة مثلك فى الدين فرض والاستماع منك أدب ومجالسة المتأزين ومعرفتك عز ومذاكرتك تلقيح للعقول وشحذ واخاؤك شرف وفخر وقال السمانى غنى مخارق بين يدى المأمون

وانى لمشتاق الى ظل صاحب * يروق ويصفو ان كدرت عليه

خبرهم وذكرهم الجارى على ألسنة الخلق الى يوم القيامة كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه من العدل والسياسة الى حد أقام فيه الحد والعقاب على ولده حتى مات وكان اذا أنفذ عمالا الى أعمال قال لهم اشتروا دوابكم وأسلحتكم من أرزاقكم ولا تمدوا أيديكم الى بيت مال المسلمين ولا تغلقوا أبوابكم دون أرباب الحوائج قال عبد الرحمن ابن عوف دعانى عمر بن الخطاب ذات ليلة وقال قد نزل بباب المدينة قافلة وأخاف عليهم اذا ناموا أن يسرق شئ من متاعهم فمضيت معه فلما وصلنا قال لى نم أنت ثم انه جعل يحرس القافلة طول ليلته وقال عمر رضى الله عنه يجب على ان اسافر لاقضى حوائج المسلمين فى أقطار الارض لانهم ضعفاء لا يقدرون على قصدى فى حوائجهم لبعد المكان فينبغى أن أطوف فى البلاد لاشاهد أحوال العمال وأسبر سيرهم وأقضى حاجات المسلمين فلا يكون فى سنى عمرى أبرك من هذه السنة

(حكاية)

قال زيد بن أسلم رأيت ذات ليلة عمر بن الخطاب رضى الله عنه يطوف مع العسس فتبعته وقلت أتأذن لى أن أصحبك فقال نعم فلما خرجنا من المدينة رأينا نارا من بعد فقلنا يكون هناك مسافر فقصدنا النار

Reference: 12964. Copyright for this page: Creative Commons Attribution Licence

View on the Qatar Digital Library: http://www.qdl.qa/en/archive/qnlhc/12964.36

فرأينا امرأة أرملة ومعها ثلاثة أطفال صغار وهم يبكون وقد صنعت لهم قدرا على النار وهي تقول الهي انصفني من

عذيري من الانسان لا ان جفوته * صفا لي ولا ان صرت طوع يديه

فطرب المأمون وقال ويحك يامخارق خذ مني نصف الخلافة وأعطني هذا الانسان وقالت الحكماء النظر في عواقب الامور تلقيح العقول وقالوا العاقل لا تنقطع صداقته والاحمق لا تدوم مودته فاتخذ من نصحاء أصحابك مرآة لطبائعك وما تك كما تتخذ لوجهك المرآة المجلوة فانك الى صلاح طبائعك أحوج منك الى تحسين صورتك وقال المأمون للحسن بن سهل نظرت في اللذات فوجدتها كلها مملولة خلا سبعة قال وما السبع يا أمير المؤمنين قال خبز الحنطة ولحم الغنم والماء البارد والثوب الناعم والرائحة الطيبة والفراش الوطئ والنظر الى الحسن من كل شئ قال فاين أنت يا أمير المؤمنين من محادثة الرجال قال صدقت وهي أولاهن وقال هشام بن عبد الملك قد قضيت الوطر من كل شئ فاكلت الحلو والحامض حتى لا أجد منهما طعما وشممت الرائحة حتى لا أجد لها رائحة وأتيت النساء حتى ما أبالي امرأة أتيت أم حائطا فما وجدت شيأ ألذ من جليس يسقط بيني وبينه مؤنة التحفظ وقال عبد الملك بن مروان قد قضيت الوطر من كل شئ الا من محادثة الاخوان في الليالي الزهر على التلال العفر وقال عبد الملك من قرب السفلة وأدناهم وباعد ذوي العقل وأقصاهم استحق الخذلان ومن منع المال من الحمد ورثه من لا يحمده ومن الكلام الشريف قول الحكماء ما أحوج ذا القدرة الى دين يحجزه وحياء يكفه وعقل يعدله والى تجربة طويلة وعبر محفوظة والى اعراق تسري اليه واعلاق تسهل الامور عليه والى جليس رفيق ورائد شفيق والى عين تنظر العواقب وعقل يخاف الغير ومن لم يعرف يوم ظفر الايام لم يحترس من سطوات الدهر ولم يتحفظ من فلتات الزلل ولم يتعاظمه ذنب وان عظم ولا ثناء وان سمج واذا رأيت من جليسك أمرا تكرهه أو خلة لا تحبها أو صدرت منه كلمة عوراء أو هفوة غبراء فلا تقطع حبله ولا تصرم وده ولكن داو كلمه واستر عورته وابقه وابرأ من عمله قال الله تعالى فان عصوك فقل اني برئ مما تعملون فلم يأمر بقطعهم وانما أمر بالبراءة من عملهم السوء قال الشاعر

اذا راب مني مفصل فقطعته * بقيت ومابي للنهوض مفاصل
ولكن أداويه فان صح سرني * وان هو أعيا كان فيه تحامل

* وأتى رجل الى بعض الحكماء فشكا اليه صديقه وعزم على قطعه والانتقام منه فقال له الحكيم أتفهم ما أقول لك فاني كلمك أم بك من فورة الغضب ماشغلك عنه فقال اني لما تقول واع فقال أسرورك بعودته كان أطول أم غمك بذنبه قال بل سروري قال أفحسناته عندك أكثر أم سيآته قال بل حسناته قال فاصفح بصالح أيامك عن ذنبه وهب لسرورك جرمه واطرح مؤنة الغضب والانتقام منه ولعلك لا تنال ما أملت فتطول مصاحبة الغضب وأنت صائر الى ما تحب

(الباب السادس والعشرون في بيان معرفة الخصال التي هي جمال السلطان)

قد ذكرنا الخصال التي تجري من المملكة مجرى الاساس من البنيان ونذكر الآن الخصال التي تجري من المملكة مجرى التاج والطيلسان وحسن الهيئة والكمال فاكلها وقاعدتها العفو قال الله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين فلما نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم قال ياجبريل ماهذا قال لا أدري حتى أسأل العالم فذهب جبريل ثم عاد فقال يامحمد ربك يقرؤك السلام ويأمرك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك واعلموا أرشدكم الله أن الله تعالى أمر بالعفو وندب اليه وذكر فضله وحث عليه ووصف به نفسه فقال سبحانه والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين فاوجب الله تعالى محبته للعافين وأثنى عليهم بالاحسان فقال ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور وعزائم الامور من صفات المصطفين من الرسل قال الله تعالى فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل وقال سبحانه واذا ماغضبوا هم يغفرون وقال سبحانه وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم فاستعطف الخلق وندبهم الى أن يعفوا عن الجناة والظالمين والخاطئين كما

عمر وتخلي منه بالحق فانه شبعان ونحن جياع فلما سمع عمر بن الخطاب ذلك تقدم وسلم عليها وقال لها أتأذنين أن أدنو اليك فقالت المرأة ان دنوت بخير فبسم الله فتقدم وسألها عن حالها وحال أطفالها فقالت وصلت وهؤلاء الاطفال معي من مكان بعيد وانا جائعة والاطفال جياع وقد بلغ مني ومنهم الجهد والجوع وقد منعهم عن الهجوع فقال عمر وأي شئ في هذه القدر فقالت تركت لهم فيها ماء أشاغلهم به ليظنوا انه طعام قال زيد فعاد أمير المؤمنين وقصد دكانا يباع فيه الدقيق فابتاع منه ملئ جراب ومضى الى دكان القصاب فابتاع منه دسما ووضع الجميع على كاهله وجعله يطلب به المرأة والاطفال فقلت يا أمير المؤمنين ناولنيه لاحمله عنك فقال ان حملته عني فمن يحمل عني ذنوبي ومن يحول بيني وبين دعاء تلك المرأة علي وجعل يسعى ويبكي الى أن وصلنا الى المرأة فقالت المرأة جزاك الله عني خير الجزاء فأخذ عمر جزأ من الدقيق وشيأ من الدسم فوضعه في القدر وجعل يوقد النار وكلما ارادت ان تخمد نفخها وكان الرماد يسقط على وجهه ومحاسنه حتى انطبخت القدر فوضع الطبيخ في القصعة وقال للاطفال كلوا فأكلت المرأة

يحبون

والاطفال فقال عمر أيتها المرأة لا تدعين على عمر فانه لم يكن عنده منك ومن أطفالك خبر وأول من دعي بامير المؤمنين عمر بن

يحبون أن يفعل الله بهم وقال فمن انتصر ولم يعف ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ماعليهم من سبيل فرفع الحرج عن المنتصر والمنتقم ولم يوجب له فضيلة ثم كشف الغطاء وأزاح العذر وصرح بتفضيل العافين على المنتصرين والواهبين حقوقهم على المنتقمين فقال سبحانه وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين وهذا نص لا يحتمل التأويل وتحقيق القول في ذلك ان الانتصار عدل والعفو فضل وفضل الله أحب الينا من عدله لانه ان عدل علينا أخذنا بحقه هلكنا وان عفا عنا برحمته تخلصنا ولو كان العدل يسع الخلائق لما قرنه الله بالاحسان فلما علم ان العدل استقصاء ومناقشة وذلك مما تضيق عنده النفوس وتحرج له الصدور ناط الاحسان بالعدل فقال ان الله يأمر بالعدل والاحسان وأيضا فان الانتصار انتقام وعذاب بلا امتنان والعفو محبة من الله واحسان وأيضا فالانتصار سيئة والعفو حسنة قال الله تعالى ولا تستوي الحسنة ولا السيئة والدليل على ان الانتصار سيئة قوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها غير انها انما سميت سيئة لما كانت نتيجة سيئة لانه لا يجوز الانتصار وهو كقول عمرو بن كلثوم التغلبي

الا لا يجهلن أحد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا

فسمى الجزاء على الجهل جهلا وان لم يكن في الحقيقة جهلا ومن هذا روت عائشة رضي الله عنها قالت ما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط غير انه اذا انتهك شئ من محارم الله فلا يقوم لغضبه شئ (وروي) انه قال ينادي مناد يوم القيامة من كان له على الله أجر فليقم فلا يقوم الا من عفا في الدنيا فان عفوت أيها الطالب كان أجرك على الله وان لم تعف كان حقك قبل من ظلمك ولان يكون أجرك في ضمان الله تعالى أوثق من أن يكون قبل مخلوق وأيضا فان لم تعف نلت حقك بلا زيادة عليه وان عفوت كان حسنة أسديتها اليك والله تعالى يقول من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وشفع الاحنف بن قيس في محبوس الى السلطان فقال له ان كان مجرما فالعفو يسعه وان كان بريأ فالعدل يسعه (وقيل) لبعض الكتاب بين يدي أمير المؤمنين بلغ أمير المؤمنين عنك أمر فقال لا أبالي فقيل له ولم لا تبالي قال ان صدق الناقل وسعني عفوه وان كذب الناقل وسعني عدله * ولما دخل عيينة بن حصن على عمر بن الخطاب قال يا ابن الخطاب والله ما تعطينا الجزل وما تحكم بيننا بالعدل فغضب عمر وهم بان يوقع به فقال ابن أخيه يا أمير المؤمنين ان الله تعالى يقول خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وان هذا من الجاهلين فوالله ماجاوزها عمر حين تلاها عليه وكان عمر وقافا عند كتاب الله تعالى (وقال) النبي صلى الله عليه وسلم ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء وقال ارحم ترحم وكان يقال أولى الناس بالسلطان أحقهم بالرأفة والرحمة وفي الانجيل أفلح أهل الرحمة لانهم سيرحمون (وقال) سليمان بن داود عليهما السلام لقد أبغض الله المتسرعين الى اراقة الدماء فالبهم انتهت القسوة والغلظة والتباعد من الرحمة * ولما تمكن داود من قتل جالوت أبقى عليه وهو يومئذ عدوه وطالبه وقال يارب أعظم دمي في عين أعدائي كما عظمت في عيني دم عدوي وكذلك خلصني من جميع الهموم * وقالت حكماء الهند لا سودد مع انتقام ولا رياسة مع عزازة نفس وعجب (وقالت) الحكماء ليس الافراط في شئ أجود منه في العفو ولا هو في شئ أقبح منه في العقوبة وكذلك التقصير مذموم في العفو محمود في العقوبة * واعلم أنك ان تخطئ في العفو في ألف قضية خير من أن تخطئ في العقوبة في قضية واحدة (وقال) معاوية اني لارفع نفسي أن يكون ذنب أعظم من عفوي وجهل أكبر من حلمي وعورة لا يواريها ستري (وقال) المأمون ليس علي في الحلم مؤنة ولوددت ان أهل الجرائم علموا رأيي في العفو فيذهب الخوف عنهم فتخلص لي قلوبهم * وقال رجل للمنصور يا أمير المؤمنين ان الانتقام انتصاف والتجاوز فضل والمتجاوز قد جاوز حد المنصف ونحن نعيذ أمير المؤمنين أن يرضى لنفسه بأوكس النصيبين وأن لا يرتفع الى أعلى الدرجتين فاعف عنا يعف الله عنك فعفا عنهم وأنشدوا

واذا بغى باغ عليك بجهله * فاقتله بالمعروف لا بالمنكر

الخطاب فان أبا بكر رضي الله عنه دعوه بخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما وصل الامر الى عمر كانوا يقولون يا خليفة خليفة رسول الله فكان يطول ذلك فقال يا أيها المؤمنون سموني أميرا فاني أميركم وان دعوة بني أمير المؤمنين فاني ذلك ابن الخطاب

(حكاية)

سئل خازن بيت المال هل انبسط عمر في بيت المال فقال كان في أول الامر اذا لم يكن له شئ يتقوت به أخذ قليلا برسم القوت فاذا حصل عنده شئ لما عاده الى بيت المال وخطب يوما فقال أيها الناس قد كان الوحي ينزل علينا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكنا نعرف به ظاهر الناس وباطنهم وجيدهم ورديئهم والآن قد انقطع الوحي عنا فصرنا ننظر من كل أحد الى علانيته والله أعلم بسريرته وأنا على الجهد وعمالي لا نأخذ شيأ بغير حق ولا نعطي شيأ بغير حق فان شئت أن تعلم ان عدل السلطان وتقيته سبب لجميل ذكره ونبيل فخره فانظر في اخبار عمر ابن عبد العزيز فانه لم يكن لاحد من بني أمية وبني مروان مثل مدحه ومحمدته ولا يدعى لاحد من بني أمية وبني مروان سواه ولا يثني الا عليه لانه كان عادلا تقيا كريما حسن السيرة نقي السريرة *(حكاية)* كان في عهد عمر بن عبد

وقال بعضهم لمسلم بن قتيبة لما عفا عنه والله ما أدرى أيها الامير أى يوميك أشرف أيوم ظفرت أم يوم عفوت وقال الشاعر

مازلت فى العفو للذنوب واطلاق جان بجرمه علق
حتى تمنى العفاة أنهم * عندك أسرى فى القيد والحلق

ورفع الى انوشروان ان العامة تؤنب الملك فى معاودة الصفح عن المذنبين مع تتابعهم فى الذنوب فوقع المذنبون مرضى ونحن أطباء وليس معاودة الداء اياهم بمانعنا من معاودة العلاج لهم (وقال) عمر بن عبد العزيز رحمه الله ما قرن شئ الى شئ أفضل من حلم الى علم ومن عفو الى قدرة (وقال) رجل لعبد الملك ابن مروان لما ظفر بالمهلب ما رأيت أحدا يا أمير المؤمنين ظلم ظلمك ولا نصر نصرك ولا عفا عفوك (وقال) بعض التابعين المعاقب مستدع لعداوة أولياء المذنب والعافى مستدع لشكرهم أو مكافأتهم أيام قدرتهم ولان يثنى عليك باتساع الصدر خير من أن تنسب الى ضيقه واقالة العثرة موجبة اقالة عثرتك من ربك وعفوك من الناس موصول بعفو الله عنك وعقابك موصول بعقاب الله تعالى لك والله يحب العافين (وقال) المنصور عقوبة الاحرار التعريض وعقوبة الاشرار التصريح (وقال) المأمون لما رأيت الذنوب جلت عن المجازاة بالعقاب جعلت العقاب فيها عفوا أمضى من الضرب للرقاب وقال الاحنف لا تزال العرب بينة الفضل ما لم تعد العفو ضيما والبذل سرفا * وفى الحكمة اذا انتقمت فقد انتصفت واذا عفوت فقد تفضلت (وقال) بعض الحكماء اقبل العذر وان كان مصنوعا الا ان يكون ممن أوجبت المروءة قطيعته أو يكون فى قبولك عذره تشجيعه على المكروه أو عونه على الشر فان قبولك العذر فيه اشتراك فى المنكر (ولما دخل) الفيل دمشق حشر الناس لرؤيته وصعد معاوية الى علية له متطلعا فبينما هو كذلك اذ تطرق بعض الحجر فى قصره رجلا مع بعض حرمه فأتى الحجرة ودق الباب فلم يكن من فتحه بد فوقعت عينه على الرجل فقال يا هذا أفى قصرى وتحت جناحى ثم تلتحرمى وأنت فى قبضتى ما حملك على ذلك فبهت الرجل وقال حلمك أوقعنى قال له معاوية فان عفوت عنك تسترها على قال نعم فخلى سبيله وهذا من الدهاء العظيم والحلم الواسع أن يطلب الستر من الجانى وهو عروض قول الشاعر

اذا مرضنا أتيناكم نعودكم * وتذنبون فنأتيكم فنعتذر

(وأتى موسى الهادى) برجل قد جنى فجعل يقرعه بذنوبه ويتهدده فقال اعتذارى مما تقرعنى به رد عليك واقرارى بما ذكرته ذنب ولكنى أقول

فان كنت ترجو فى العقوبة راحة * فلا تزهدن عند المعافاة فى الاجر

فأمر باطلاقه (وقال المهلب) لا شئ أبقى للملك من العفو فان الملك اذا وثقت رعيته منه بحسن العفو لم يوحشها الذنب وان عظم وان خشيت منه العقوبة أوحشها الذنب وان صغر حتى يضطره ذلك الى المعصية ومن الحكمة البالغة فى مثل هذا قول سابور وقد جمع أولاده فقال يا بنى ان أعجزكم أن تملؤا قلوب الرعية حبا فاملؤها خوفا وليس ذلك بان تحمل العقوبة على من لا يستحقها ولكن تعجيلها لمن يستحقها وفى هذا المعنى قال الله تعالى فشرد بهم من خلفهم وهذا معنى لا يحتمل عما أوجبناه وهو معنى قول سابور ولا يخالف ما قررناه من حسن العفو بل هذا محمول على الواجب المستحق أو على ما فى تركه اغراء بركون أمثاله فههنا يكون العفو مفسدة فيا أيها المعاقب اذا أقبلت على مذنب بعقوبة فلا تكن كالمتشفى المتلذذ بعذابه لانك واياه أخوان لابويك آدم وحواء لم تفضله بحولك وقوتك بل بما فضلك الله به تطولا عليك فاذكر لو كنت فى مقامه وكان فى مقامك ولا تأمن تقلب الدهر فتقوم مقامه بين يدى من لا يرحم ولا ينظر فى العواقب واحذر التفريط والتقصير وأقم نفسك مذنبا أقيم للعقوبة وليكن عقابك مقدرا كما كان خطاؤك مقدرا وليكن عقابك للتقويم لا للانتقام وللزجر لا للهوى وعن هذا قال بزرجمهر لا ينبغى للملوك أن يكرموا أحدا بهوان من ليس للهوان أهلا ولا أن يهينوا أحدا باكرام من ليس

العزيز قحط عظيم فوفد عليه وفد من العرب واختاروا رجلا منهم لخطابه فقال ذلك الرجل يا أمير المؤمنين انا أتيناك من ضرورة عظيمة وقد يبست جلودنا على أجسادنا لفقد الطعام وراحتنا فى بيت المال وهذا المال لا يخلو من ثلاثة أقسام اما أن يكون لله أو لعباد الله أو لك فان كان لله فان الله غنى عنه وان كان لعباد الله فآتهم اياه وان كان لك فتصدق به علينا ان الله يجزى المتصدقين فتغرغرت عينا عمر بن عبد العزيز بالدموع وقال هو كما ذكرت وأمر ان تقضى حوائجهم من بيت المال فهم الاعرابى بالخروج فقال له عمر أيها الانسان الحر كما أوصلت حوائج عباد الله الى وأسمعتنى كلامهم فأوصل كلامى وارفع حاجتى الى الله فحول الاعرابى رأسه ووجهه قبل السماء وقال الهى بعزتك وجلالك اصنع مع عمر بن عبد العزيز كصنيعه فى عبادك فما استتم كلامه حتى ارتفع غيم فأمطر مطرا غزيرا وجاء فى المطر بردة كبيرة فوقعت على آجرة فانكسرت فخرج منها كاغد عليه مكتوب هذه براءة من الله العزيز لعمر بن عبد العزيز من النار ويقال ان عمر بن عبد العزيز كان ينظر ليلا فى قصص الرعية وبرنامجاتهم فى ضوء السراج فجاء غلام له فحدثه فى معنى سبب كان يتعلق ببيته فقال له عمر اطف السراج ثم حدثنى لان هذا الدهن من بيت مال المسلمين ولا يجوز استعماله الا فى أشغال المسلمين هكذا يكون حذر

للكرامة

للكرامة أهلا لا تكن على الاساءة أقوى منك على الاحسان ولا على البخل أسرع منك الى البذل قال الشاعر

صفوح عن الاجرام حتى كأنه * من العفو لم يعرف من الناس مجرما
فليس يبالى أن يكون به الاذى * اذا ما الاذى بالكره لم يغش مسلما

(وقال سليمان بن داود) عليهما السلام التنكيل والعقوبة أمنية الملك الشرير وعلى مثله يبعث الله ملكا غير رحيم وقال معاوية لا ينبغى للملك أن يظهر منه غضب أو رضا الا بثواب أو عقاب وقال اردشير فضل الملك على السوقة انما هو بقدرته على اقتناء المحامد واستفادة المكارم فكلما استكثر منهما بانت فضيلته واستحقاقه لموضعه من الولاية عليهم وكلما نقص منهما قرب من السوقة (وقال المأمون) انى لاجد لعفوى لذة أعظم من لذة الانتقام واعلم انه اذا عاقب الملك أو أهان على ظن بغير يقين أدخل على نفسه من قبح الخطأ فى الرأى أعظم مما أدخل على صاحبه من العقوبة وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه الغالب بالشر مغلوب وما ظفر من ظفر بالاثم (وقيل) لافلاطون أى شئ من أفعال الناس يشبه أفعال الله تعالى فقال الاحسان الى الناس وقال الحكيم الحلم فدام السفيه والعفو زكاة العقل وقال الحكيم السيد الذى لا يشين حسن الظفر بقبح الانتقام وخير مناقب الملوك العفو وكان يحيى بن معاذ يقول سبحان من أذل العبد بالذنب وأذل الذنب بالعفو الهى ان عفوت فخير راحم وان عذبت فغير ظالم الهى ان كنت لا ترضى الا عن أهل طاعتك فكيف يصنع الخاطؤن وان كان لا يرجوك الا أهل وفائك فبمن يستغيث المستغيثون وقال الشاعر

وان الله ذو حلم ولكن * اعز الحلم ينتقم الحليم

(وروى ان الحجاج) أخذ القطرى بن الفجاءة فقال لاقتلنك قال ولم قال لخروج أخيك على قال فان معى كتاب أمير المؤمنين أن لا تأخذنى بذنب أخى قال هاته قال ان معى أوكد منه قال الله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى فتعجب من جوابه وخلى سبيله ولما وفد عقيل بن أبى طالب على معاوية أمر له بمائة ألف درهم فلما أراد الانصراف رأى فى الطريق جارية بأربعين ألف درهم فرجع الى معاوية فأخبره قال وما تصنع بها قال تلد لى غلاما فان أغضبتنى يضرب مفرقك بالسيف فأمر له بها فابتاعها فولدت له مسلم بن عقيل ثم قدم مسلم الشام فابتاع منه معاوية ضيعة فبلغ الحسين بن على الخبر فكتب الى معاوية انى لا أجيز بيع مسلم فأرسل معاوية الى مسلم فقال هذا كتاب الحسين يأمر برد المال فقال مسلم أما دون أن أضرب مفرقك بالسيف فلا فضحك معاوية وقال والله لقد تهددنى أبوك بذلك قبل أن يشترى أمك وسوغه المال فقال الحسين غلبنا معاوية حلما وجودا

﴿الباب السابع والعشرون فى المشاورة والنصيحة﴾

وهذا الباب مما يعده الحكماء من أساس المملكة وقواعد السلطنة ويفتقر اليه الرئيس والمرؤس وقد ذكرناه فى باب الخصال القرقابية ونذكر ههنا فوائدها ومحاسنها اعلموا ان المستشير وان كان أفضل رأيا من المشير فانه يزداد برأيه رأيا كما تزداد النار بالسليط ضوأ فلا يقذفن فى روعك انك اذا استشرت الرجال ظهر للناس منك الحاجة الى رأى غيرك فيقطعك ذلك عن المشاورة فانك لا تريد الرأى للفخر به ولكن للانتفاع به وان أردت الذكر كان أحسن الذكرين وأحسن عند ذوى الالباب لسياستك أن يقولوا لا ينفرد برأيه دون ذوى الرأى من اخوانه ولا يمنعك عزمك على انفاذ رأيك وظهور صوابه لك عن الاستشارة ألا ترى ان ابراهيم عليه السلام أمر بذبح ابنه عزمة لا مشورة فيها فحمله حسن الادب وعلمه بموقعه فى النفوس على الاستشارة فيه فقال فيه يا بنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى وهذا من أحسن ما سمع فى هذا الباب وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه الرأى الفرد كالخيط السحيل والرأيان كالخيطين والثلاثة الآراء لا تكاد تنقطع وروى أن روميا وفارسيا تفاخرا فقال الفارسى نحن لا نملك علينا من يشاور وقال الرومى ونحن لا نملك علينا من لا يشاور وقال بزرجمهر اذا أشكل الرأى على

السلطان وتقواه وتوقيه اذا كان عادلا كما جاء فى الحكاية ﴿حكاية﴾ كان لعمر بن عبد العزيز غلام وكان خازنا لبيت المال وكان لعمر ثلاث بنات فجئنه يوم عرفة وقلن له غدا العيد ونساء الرعية وبناتهم يلمننا ويقلن انتن بنات أمير المؤمنين وتراكن عريانات لا أقل من ثياب بيضاء تلبسنها وبكين عنده فضاق صدر عمر فدعا غلامه الخازن وقال له أعطنى مشاهرتى لشهر واحد فقال الخازن يا أمير المؤمنين تأخذ المشاهرة من بيت المال سلفا انظر ان كان لك عمر شهر تأخذ مشاهرة شهر فتحير عمر وقال نعم ما قلت أيها الغلام بارك الله فيك ثم قال لبناته أكظمن شهواتكن فان الجنة لا يدخلها أحد بغير مشقة لما كان الامراء كذلك كان حواشيهم وخدمهم على قاعدتهم والعدل التام هو ان يساوى بين المجهول الذى لا يعرف وبين المحتشم صاحب الجاه المعروف فى مقام واحد فى الدعاوى وينظر اليهما بعين واحدة فى الدعاوى ولا يفضل أحدهما على الآخر لاجل ان أحدهما غنى والآخر فقير فان الجوهر والخزف فى الآخرة بسعر واحد ولا يحرق عاقل نفسه بالنار لحشمة الاغيار واذا كان لرجل ضعيف على سلطان من السلاطين دعوى فينبغى أن يقوم من صدر مملكته ويعمل بحكم الله تعالى فينصف ذلك الضعيف ويرضيه ولا يخاف ولا يستحى من الحق ويعمل بقول الله عز وجل ان الله يأمر بالعدل

Reference: 12964. Copyright for this page: Creative Commons Attribution Licence

View on the Qatar Digital Library: http://www.qdl.qa/en/archive/qnlhc/12964.38

الحازم كان بمنزلة من أضل لؤلؤة فجمع ما حول مسقطها فالتمسها فوجدها كذلك الحازم يجمع وجوه الرأى في الامر المشكل ثم يضرب بعضها ببعض حتى يخلص له الصواب (وكان) يقال من كثرت استشارته حمدت امارته وفي حكم الهند قال بعض الملوك ان الملك الحازم يزداد برأى الوزراء الحزمة كما يزداد البحر بمواده من الانهار وينال بالحزم والرأى ما لا يناله بالقوة والجنود ولم تزل حزمة الرجال يستحلون مر اثر قول النصحاء كما يستحلى الجاهل المساعدة على الهوى وقال المأمون لطاهر بن الحسين صف لى أخلاق المخلوع يعني أخاه الامين فقال كان واسع الصدر ضيق الادب يبيح من نفسه ما تأباه همم الاحرار لا مصغيا الى نصيحة ولا يقبل مشورة يستبد برأيه فيرى سوء عاقبته فلا يردعه ذلك عما يهم به قال فكيف حروبه قال يجمع الكتائب بالتبذير ويفرقها بسوء التدبير فقال المأمون لذلك ما حل محله أما والله لو ذاق لذاذة النصائح واختار مشورة الرجال وملك نفسه عند شهوتها ما ظفر به وقال بعضهم انفاذ الملوك الامور بغير روية كالعبادة بغير نية ولم تزل العقلاء على اختلاف آرائهم تشهد بدرك الغيوب ويستشيرون صواب الرأى من كل أحد حتى الائمة الوعظ هذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول رحم الله امرأ أهدى الى عيوبى وكان يقال من أعطى أربعا لم يمنع أربعا من أعطى الشكر لم يمنع المزيد ومن أعطى التوبة لم يمنع القبول ومن أعطى الاستخارة لم يمنع الخيرة ومن أعطى المشورة لم يمنع الصواب وقال بعضهم خمير الرأى خير من فطيره وتأخيره خير من تقديمه (وذكر صاحب كتاب التاج) أن بعض ملوك العجم استشار وزراءه فقال أحدهم لا ينبغى للملك أن يستشير منا أحدا الا خاليا فانه أموت للسر وأحزم في الرأى وأجدر بالسلامة وأعفى لبعضنا من غائلة البعض وكان بعض ملوك العجم اذا شاور مرازبته فقصروا في الرأى دعا الموكلين بارزاقهم فعاقبهم فيقولون تخطئ مرازبتك وتعاقبنا فيقول نعم لم يخطؤا الا لتعلق قلوبهم بارزاقهم واذا اهتموا أخطؤا وكانوا اذا اهتموا بمشاورة رجل بعثوا اليه بقوته وقوت عياله سنته ليتفرغ له وكان يقال النفس اذا أحرزت قوتها اطمأنت واذا شاورت فاصدق الخبر تصدقك المشورة ولا تكتم المستشار فتؤتى من قبل نفسك وقال بعض ملوك العجم لا يمنعك شدة بأسك في باطنك ولا علو مكانك في نفسك من أن تجمع الى رأيك رأى غيرك فان أحدث أصبت وان أخطأت عذرت فان في ذلك خصالا منها ان وافق رأيك رأى غيرك ازداد رأيك شدة عندك وان خالفه عرضته على نظرك فان رأيته معتليا لما رأيته قبلته وان رأيته متضعا استغنيت عنه وتجدد بذلك النصيحة ممن شاورته وان أخطأ وتمحض لك مودته وان قصر ولو لم يكن من فضيلة المشاورة الا انك ان أصبته مستبدا سلبت فائدة الاصابة بألسنة الحسدة وقال قائل هذا اتفاق ولو فعل كذا لكان أحسن واذا شاورت فاصبت أحد الجماعة رأيك لانهم لنفوسهم يحمدون وان اخطأت حمل الجماعة خطأك لانهم عن نفوسهم يكافحون واعلم أن القول الغليظ يستمع لفضل عاقبته كما يتكاره شرب الدواء المر لفضل مغبته (وقال اعرابى) ما غبنت قط حتى غبن قومى قالوا وكيف ذلك قال لا أفعل شيأ حتى أشاورهم (وقيل) لرجل من بنى عبس ما أكثر صوابكم يا بنى عبس فقال نحن ألف رجل وفينا حازم واحد ونحن نطيعه فكأنا ألف حازم وكان ابن هبيرة أمير البصرة يقول اللهم انى أعوذ بك من صحبة من غايته خاصة نفسه والانحطاط في هوى مستشيره (وفي حكم الهند) من التمس من الاخوان الرخصة عند المشورة ومن الاطباء عند المرض ومن الفقهاء عند الشبه أخطأ الرأى وازداد مرضا وحمل الوزر وقالت الحكماء لا تشاور معلما ولا راعى غنم ولا كثير القعود مع النساء ولا صاحب حاجة يريد قضاءها ولا خائفا ولا من يرهقه احد السبيلين وقالوا لا رأى لحاقن ولا حازق ولا حاقب ولا تشاور من لا دقيق عنده والحازق هو الذي ضغطه الخف الضيق والحاقب هو الذي يجد في بطنه ثقلا وقالوا من شكا الى عاجز أعاره عجزه وأمده من جزعه (ومن لطيف ما جرى في الاستشارة) ان زياد بن عبيد الله الحارثي استشار عبيد الله بن عمر في أخيه أبي بكر ان يوليه القضاء فاشار به فبعث الى

بسيرته لئلا يسأل من رعيته يوم القيامة فقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كل راع يسأل عن غنمه وكل سلطان يسأل عن رعيته والحال على هذه الصفة تعلم ذلك

﴿حكاية﴾

يقال ان اسمعيل بن أحمد أمير خراسان نزل بمرو وكان رسمه في كل موضع ينزله ان يأمر المنادى أن ينادى في العسكر ان الجند ما لهم مع الرعية شغل فقضى رجل من الخربندية في جملة أصحابه فدخل مبطخة وتناول من البطيخ قدرا يسيرا فخافوا الى باب الملك واستغاثوا فأمر الامير باحضاره فاحضر بين يديه فقال له ألك علينا أجرة أم لا قال بلى قال فما سمعت المنادى فقال قد سمعته قال ولأى سبب آذيت رعيتى فقال أخطأت فقال انا لا أقدر لاجل خطئك على دخولى النار وأمر به فقطعت يده

﴿حكاية﴾

ويحكى عن اسمعيل الساماني في كتاب سير الملوك انه كان ينزل بجو امولبان وكان كل وقت يصل الى مدينة كندر يأمر المنادى أن ينادى وقت العصر في الناس وكان يرفع الحجاب ويبعد الحجاب ويريح البواب ليجئ كل من له ظلامة ويقف على جانب البساط ويخاطبه ويعود مقضي الحاجة وكان يقضي بين الخصوم مثل

ابى

أبى بكر فامتنع عليه فبعث زياد الى عبيد الله يستعين على أبى بكر فقال أبو بكر لعبيد الله أنشدك الله أترى لى القضاء قال اللهم لا قال زياد سبحان الله استشرتك فاشرت على به ثم اسمعك تنهاه فقال أيها الامير استشرتنى فاجتهدت لك الرأى ونصحتك ونصحت للمسلمين واستشارنى فاجتهدت له رأيى ونصحته (وروى ان الحجاج) بعث الى المهلب يستعجله حرب الازارقة فكتب اليه المهلب ان من البلاء ان يكون الرأى لمن يملكه دون من لا يبصره

(فصل في النصيحة) اعلموا ان النصح للمسلمين وللخلائق أجمعين من سنن المرسلين قال الله تعالى اخبارا عن نوح عليه السلام ولا ينفعكم نصحى ان أردت ان أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم وقال شعيب عليه السلام ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين وقال عليه السلام ان العبد اذا نصح لسيده وأحسن عبادة الله فله أجره مرتين (وروى) أبو هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة قيل لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين ولعامتهم فالنصح في الجملة فعل الشئ الذى به الصلاح ودفع الملامة مأخوذ من النصاحة وهى السلوك التى يخاط بها وتصغيرها نصيحة تقول العرب هذا قميص منصوح أى مخيط ونصحته نصحا اذا خطته ويختلف النصح في الاشياء لاختلاف الاشياء فالنصح لله هو وصفه بما هو أهله وتنزيهه عما ليس باهل له عقدا وقولا والقيام بتعظيمه والخضوع له ظاهرا وباطنا والرغبة في محابه والتباعد من مساخطه وموالاة من اطاعه ومعاداة من عصاه والجهاد في رد العصاة الى طاعته قولا وفعلا وارادة بث جميع ما ذكرناه في عباده والنصيحة لكتابه اقامته في التلاوة وتحسينه عند القراءة وتفهم ما فيه واستعماله والذب عنه من تأويل المحرفين وطعن الطاعنين وتعليم ما فيه للخلائق أجمعين قال الله تعالى كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الالباب والنصيحة للرسول عليه السلام موازرته ونصرته والحماية من دونه حيا وميتا واحياء سنته بالطلب واحياء طريقته في بث الدعوة وتأليف الكلمة والتخلق بالاخلاق الطاهرة والنصيحة للائمة معاونتهم على ما تكلفوا القيام به في تنبيههم عند الغفلة وارشادهم عند الهفوة وتعليمهم ما جهلوا وتحذيرهم ممن يريد بهم السوء واعلامهم باخلاق عمالهم وسيرهم في الرعية وسد خلتهم عند الحاجة ونصرتهم في جمع الكلمة عليهم ورد القلوب النافرة اليهم والنصح لجماعة المسلمين الشفقة عليهم وتوقير كبيرهم والرحمة لصغيرهم وتفريج كربهم ودعوتهم الى ما يسعدهم وتوقي ما يشغل خواطرهم ويفتح باب الوساوس عليهم ومن النصيحة للمسلمين رفع مؤنة نفسه وبدنه وحوائجه عنهم (قال الاصمعى) لفظ عمر بن الخطاب رضى الله عنه نواة من الطريق فامسكها بيده حتى مر بدار قوم فالقاها في الدار وقال يأكلها داجنهم والنصح لجميع الملل ان يحب اسلامهم ويدعوهم الى الايمان بالقول ويحذرهم سوء مغبة الكفر وبالسيف ان كان ذا سلطان أو يكفوا عن قتال المسلمين فيكونوا ذمة والا فالقتل نصحا لاقامة أمر دينهم (وروى معاذ) ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم العمل لله ومناصحة ولاة الامر والاعتصام بجماعة المسلمين فان دعوتهم تحيط من ورائهم * وقال جابر بن عبد الله بايعت النبى صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فلقننى فيما استطعت والنصح لكل مسلم (وروى) أنس ان النبى عليه السلام قال لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه * وقال أبو الدرداء العلم يبلغه البر والفاجر والحكمة ينطق بها البر والفاجر والنصيحة لله تعالى لا تثبت الا في قلوب المتقين الذين صحت عقولهم وصدقت نياتهم واعلم ان جرعة النصيحة مرة لا يقبلها الا أولو العزم * وكان عمر بن الخطاب رحمه الله يقول رحم الله امرأ أهدى الى عيوبى * وقال ميمون بن مهران قال لى عمر بن عبد العزيز رحمه الله قل لى في وجهى ما أكره فان الرجل لا ينصح أخاه حتى يقول له في وجهه ما يكره * وقال مالك النصيحة لله في أرضه هى التى بعث الله بها أنبياءه وهو من أمر الاسلام القصد والنصيحة لعباد الله في أمورهم والنفوس مستثقلة للنصح نافرة عن أهله ومائلة الى

هذا جهدى وطاقتى قد بذلته وأنت عالم الاسرار تعلم علانيتى ولا أعلم على أى عبد من عبيدك أجنفت أو لأى عبد ظلمت وما انصفت أنا واحد من أصحابى فاغفر لى يا الهى من ذلك ما لا أعلم فلما كان نقى النية جميل الطوية لاجرم علا أمره وارتفع قدره وكان عسكره ألف فارس معتدين بالسلاح مقنعين بالحديد وببركة ذلك العدل والانصاف ظفره الله بعمرو ابن ليث أنفذ اليه من السجن وقال لى بخراسان أموال كثيرة وكنوز موفورة وأنا أسلمها اليك فاطلقنى من السجن فلما سمع اسمعيل ذلك ضحك وقال الى الآن لم يستقم معى عمرو بن ليث يريد ان يجعل المظالم التى احتقبها والمآثم التى ارتكبها في عنقى ويخلص من ثقل أوزارها في الآخرة فقولوا له مالى في مالك حاجة وأخرجه من السجن وأنفذه الى بغداد فقال من أمير المؤمنين الخلع والتشريف وجلس اسمعيل في مملكة خراسان آمن البال حسن الحال وبقيت المملكة في عصر السامانية مائة وثلاثين سنة فلما انتقل الامر الى أصاغرهم وصبيانهم ظهر الخلق وتعدوا الحق فزال ملكهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عدل السلطان يوما واحدا خير من عبادة سبعين سنة

Reference: 12964. Copyright for this page: Creative Commons Attribution Licence

View on the Qatar Digital Library: http://www.qdl.qa/en/archive/qnlhc/12964.39

ماوافق هواها (وفى منثور الحكم) وذلك من نصحك وقلاك من مشى فى هواك * وكان يقال أخوك من احتمل أثقل نصيحتك وقال بعضهم شعرا

عرضت نصيحة منى لزيد * فقال غششتنى والنصح مر
ومالى أن أكون نصحت زيدا * وزيد طاهر الاثواب بر
ولكن قد أتانى أن زيدا * يقال عليه فى مغناه شر
فقلت له تجنب كل شئ * يقال عليك ان الحر حر

وقال آخر

وعلى النصوح نصيحتى * وعلى عصيان النصوح

وللقطامى شعر

ومعصية الشفيق عليك مما * تزيدك مرة منه استماعا
وخير الامر ما استقبلت منه * وليس بان تتبعه اتباعا

ولورقة بن نوفل

لقد نصحت لاقوام وقلت لهم * أنا النذير فلا يغرركم أحد
لاشئ مما ترى تبقى بشاشته * الا الاله ويودى المال والولد
لم تغن عن هرمز يوما خزائنه * والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا

قال ابن وهب انما يحسن الاختيار لغيره من يحسن الاختيار لنفسه ولا خير لك فمن لا خير له فى نفسه *وقالت العلماء لن ينصحك امرؤ لا ينصح لنفسه (وقال بعضهم) رأى بورأيك فى المعرفة امثل لنفسك من رأيك لانه خلو من هواك * وقال أبو الدرداء ان شئتم لانصحن لكم ان أحب عباد الله الى الله الذين يحببون الله الى عباده ويعملون فى الارض نصحا وروى ان رجلا لطم ابراهيم بن أدهم فرفع رأسه الى السماء وقال الهى ان كنت تثيبنى وتعاقبه فلا تثبنى ولا تعاقبه

ومن الخصال التى تجرى مجرى الجمال والكمال الحلم

(الباب الثامن والعشرون فى الحلم)

قال الله تعالى ان ابراهيم لحليم أواه منيب وقال تعالى فاصفح الصفح الجميل (قال) على رضى الله عنه الصفح الجميل الرضا بلا عتاب وقيل الصفح الجميل الرضا بلا توبيخ فيه ولا حقد معه وفى الامثال القديمة كاد الحليم أن يكون نبيا (وروى) أن رجلا قال يا رسول الله علمنى كلمات أعيش بهن ولا يكثرن على فانسى قال لا تغضب * واعلم ان الحلم أشرف الاخلاق وأحقها بذوى الالباب لما فيه من راحة السر واجتلاب الحمد وأحق الناس به السلطان لانه منصوب لاقامة أود الخلائق وممارسة أخلاقهم ولا يطيفون به فى حال سلمهم وانما يغشون بابه حين تنازعهم وخصوماتهم وشرورهم ونكد نفوسهم وضيق أخلاقهم فان لم يكن معه حلم يرد به بوادرهم والا وقع تحت عب ثقيل * وكان أنوشروان ذا حلم وأناة وكان يقول فى خصلتان لولا انهما ظاهرتان عند الرعية لضقت بهما ذرعا الحلم والاناة (وروى) ان يحيى بن زكريا لقى عيسى بن مريم عليهم السلام فقال يا روح الله اخبرنى بأشد الاشياء فى الدارين قال غضب الله تعالى قال يا روح الله وما ينجينى من غضب الله تعالى قال تترك الغضب قال يا روح الله كيف بدو الغضب قال التعزز والتكبر والفخر على الناس * وفى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم قال وجبت محبة الله تعالى على من أغضب فحلم * والذى يحمل أن يضرب فى هذا الباب قصة اسحق عليه السلام قال له ابراهيم يا بنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين ثم انه تله للجبين وأمر على حلقه السكين فلم يقل الاخيرا فقال الله تعالى وبشرناه بغلام حليم (وفى الاخبار) يقول ابليس لعنه الله ان الحديد من الرجال لم ييأس منه وان كان يحيى الموتى بدعائه لانه تأتى عليه ساعة يحتد فيها فيصيره منه الى مايريد (وروى) ان جعفر بن محمد دخل على الرشيد وقد استخفه الغضب فقال له يا أمير المؤمنين انك انما تغضب لله تعالى ولا تغضب له باكثر من غضبه لنفسه * واعلم أرشدك الله ان هذه الكلمة لاقيمة لها والله أعلم حيث يجعل رسالاته فما أفخمها وأجل قدرها وأعظم شأنها الا انك اذا كنت أيها

وقال صلى الله عليه وسلم نصفة المظلوم زكاة العقل قال صلى الله عليه وسلم من سل سيف الجور سل عليه سيف الغلبة ولازمه الغم كما قال الشاعر

تطيب منك طلق الوجه يوما
ترى بالعدل من جور جزاء
فقل للناس ماتهوى استماعا
ولا تقل ان اخترت البقاء

جاء فى الخبر ان داود عليه السلام كان ينظر يوما الى السماء فرأى شيأ مثل الغمامة ينزل من الهواء فقال الهى ماهذا فأوحى الله اليه هذه لعنتى أنزلها على بيوت الجبارين الجائرين

(حكاية)

لما قعد أنوشروان فى المملكة كتب اليه يونان الوزير فقال اعلم أيها الملك أن أمور الملك على ثلاثة أشياء اما ان ينصف رعيته ولا ينتصف منهم فذلك فضل وهذه الدرجة العليا أو ينصف وينتصف وهذه الدرجة الوسطى أولا ينصف ولا ينتصف وهذه درجة الجور السفلى فانظر أيها الملك الى هذه الثلاثة واختر أيها شئت وأنا أعلم ان الملك يختار الاولى كما قال الشاعر

من انصف الناس ولم ينتصف
بفضله منهم فذاك الامير
ومن يرد انصافهم مثل ما
أنصف أضحى ماله من نظير
ومن يرد انصافهم وهو لا
ينصفهم فهو الدنى الحقير

(نصيحة وموعظة)

دخل شبيب بن شبة يوما على المهدى فقال له يا أمير المؤمنين ان الله تعالى قد أعطاك الدنيا فاطرعينك قسطا من طيب

السلطان

السلطان انما تتصرف فى ملك الله بامر الله والله تعالى قد حدد حدودا وشرع شرائع وأقام فروضا وسننا ونهى عن حدود ورسوم ثم قدر فى كل خصلة عند مخالفته حدا محدودا ونهى أن يتجاوز ذلك الحد فلا يقتل من استحق القطع والحبس والادب والحد ولا يحبس غير من استوجب الحبس * وكانت الخلفاء يؤدبون الناس على قدر منازلهم فمن عثر من ذوى المروآت أقيلت عثرته ولم يقابل بشئ لقوله عليه السلام اقيلوا ذوى الهيآت عثراتهم ومن سواهم كان يقابل على قدر منزلته وهفوته فكان يقام قائما فى مجلس يقعد فيه نظراؤه فتكون هذه عقوبته وآخر يشق جيبه وآخر تنزع عمامته من رأسه وآخر يكلم بالكلام الذى فيه بعض الغلظة * قال الشعبى كانت العصاة فى زمن عمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم اذا أخذ الرجل منهم نزعت عمامته وطيف به فى المسجد على قومه وقيل هذا أخذ بشعره فلما ولى زياد ضربهم ونزع عمائمهم فلما ولى مصعب بن الزبير حلق مع الضرب رؤسهم فلما ولى بشر بن مروان اقامهم على الكراسى ثم مدت أيديهم وسمرها بمسمار ثم نزع الكرسى من تحت رجليه حتى يخرم يده فمن ميت ومن حى فلما ولى الرجل المعروف بالحجاج قال كل هؤلاء يلعب من أخذ بشعره ضرب عنقه وقال ارسطاطاليس النفس الذليلة لا تجد ألم الهوان والنفس الشريفة يؤثر فيها يسير الكلام وفيه قيل

من يهن يسهل الهوان عليه * ما لجرح بميت ايلام

واعلم ان من تجاوز فى العفو بتفوق ما حد الله تعالى فيها شارك المجرم فى الذنب واستوجب ما استوجبه المجرم من العقوبة ويتبين فى الآخرة انه انما يعاقب للهوى والتشفى اذا انما غضب الله تعالى (وفى كتاب سليمان بن داود عليهما السلام) القاهر لنفسه أشد ممن يفتح المدينة وحده وصدق نبى الله صلى الله عليه وسلم فان السلطان يفتح المدينة ويقهر أهلها ويغلب جنودها وحماتها ويقتل أبطالها ثم تغلبه شهوته ويبقى أسيرا فى ذل هواه قد قهرته قينة بطنبورها أوقدح خمر يذهب بعقله * وقال أكثم بن صيفى الصبر على جرع الحلم أعذب من جنى ثمر الندم (وسأل على بن أبى طالب) رضى الله عنه كثيرا من كبراء فارس من أحمد ملوكهم عندهم فقال لاردشير فضل السبق غير ان أحمدهم سيرة أنوشروان قال فاى اخلاقه كان أغلب عليه قال الحلم والاناة فقال على رضى الله عنه هما توأم ينتجهما علو الهمة * ومن محمود السيرة ان يعرف الناس من أخلاقك انك لا تعجل بالثواب ولا بالعقاب فان ذلك أدوم لخوف الخائف ورجاء الراجى وقال محمود الوراق

سألزم نفسى الصفح عن كل مذنب * وان عظمت منه على الجرائم
فما الناس الا واحد من ثلاثة * شريف ومشروف ومثل مقاوم
فاما الذى فوقى فاعرف فضله * واتبع فيه الحق والحق لازم
وأما الذى دونى فان قال صنت عن * اجابته نفسى وان لام لائم
وأما الذى مثلى فان زل أوهفا * تفضلت ان الحلم بالفضل حاكم

(وقال الاصمعى) سمعت اعرابيا يقول أسرع الناس جوابا من لم يغضب لا توقدن بين جنبيك جمرة الغضب واردد اساءته بالحلم فان شجر النار اذا الحت عليها الرياح تحاكت أغصانها فاشتعلت نارا واحترق من أصولها * وقال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ثلاث من اجتمعن فيه فقد سعد من اذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق واذا رضى لم يدخله رضاه فى باطل واذا قدر عف وكف (وسئل جعفر بن محمد) عن حد الحلم فقال وكيف يعرف فضل شئ لم تره له فى أحد * وقال الاحنف لابنه يابنى ان أردت أن تواخى رجلا فاغضبه فان انصفك والا فاحذره (وكان سلم بن نوفل) سيد بنى كنانة فضربه رجل من قومه بسيفه فأخذ فأتى به اليه فقال له ما الذى فعلت أما خشيت انتقامى قال فلم سودناك الا أن تكظم الغيظ وتعفو عن الجانى وتحلم عن الجاهل وتحتمل المكروه فى النفس والمال فخلى سبيله فقال قائلهم شعرا

يسود أقوام وليسوا بسادة * بل السيد المعروف سلم بن نوفل

عيشك فقال المهدى وما الذى ينبغى ان تعطى الرعية فقال العدل فانه اذا نامت الرعية فى أمن منك نمت آمنا فى قبرك وقال احذر يا أمير المؤمنين من ليلة لا يوم بعدها ومن يوم لا ليلة بعده واعدل ما استطعت فانك تجازى بالعدل عدلا وبالجور جورا وزين نفسك بالتقوى فان فى الحشر لا يعزك أحد زينة كقول الشاعر

حل نفسك بالحسنى وزينها
فلن تعارتق فى الحشر من رجل
وليس تبلى يد المعروف فاحظ بها
تربح كثيرا ورأس المال لم يزل

(وصل كتاب من قيصر ملك الروم الى انوشروان) يقول بماذا يكون دوام المملكة فكتب اليه جواب ذلك انى لا أرحم شيا بجهالة واذا أمرت بامر أتممته ولا أتركه بخوف ولا لرجاء يريد انى اذا أمرت بشئ لا أبطله لاجل من رجانى أو خافنى وانى لا أغير شيأ أمرت به (سئل ارسطاطاليس) هل يجوز ان يدعى أحد ملكا غير الله تعالى فقال من وجدت فيه هذه الخصال وان كانت عادية العلم والعدل والسخاء والحلم والرأفة وما ناسبها الان الملوك كانوا ملوكا بالظل الالهى وصفاء الحس بطهارة النفس وزايد العقل والعلم وقدم الدولة وشرف الاصل والدولة التى كانت فى محتدهم وأصولهم فبذلك كانوا ملوكا وسلاطين ومعنى قولهم فرا ايزدى وهو الظل الالهى يظهر فى سنه عشر شيأ العقل والعلم وحدة الذكاء وادراك الاشياء

Reference: 12964. Copyright for this page: Creative Commons Attribution Licence

View on the Qatar Digital Library: http://www.qdl.qa/en/archive/qnlhc/12964.40

والصور التامة والالمعية والفروسية والشجاعة والاقدام والتأني وحسن الخلق وانصاف الضعيف ومحبة الرعية واظهار

وقال رجل من كلب للحكم بن عوانة انما أنت عبد فقال والله لاعطينك عطية ما يعطيها العبيد فاعطاه مائة رأس من السبي ومن أمثال العرب احلم تسد ويروى ان هشاما غضب على رجل من أشراف الناس فشتمه فوبخه الرجل فقال له اما تستحي أن تشتمني وأنت خليفة الله في أرضه فاطرق هشام واستحيا وقال له اقتص فقال اذا سفيه مثلك فقال خذ من ذلك عوضا من المال قال ما كنت لافعل قال فهبها لله قال هي لله ثم لك فنكس هشام رأسه وقال والله لا اعود لمثلها وقال الشاعر

لن يبلغ المجد أقوام وان شرفوا * حتى يذلوا وان عزوا الاقوام
ويشتموا فترى الالوان مسفرة * لا صفح ذل ولكن صفح اكرام

وقال آخر

وجهل رددناه بفضل حلومنا * ولو اننا شئنا رددناه بالجهل
رجحنا وقد خفت حلوم كثيرة * وعدنا على أهل السفاهة بالفضل

وقال هشام لخالد بن صفوان صف لي الاحنف بن قيس فقال يا أمير المؤمنين ان شئت أخبرتك عنه بثلاث وان شئت باثنتين وان شئت بواحدة فقال أخبرني عنه بثلاث قال كان لا يحرص ولا يجهل ولا يدفع الحق اذا نزل به قال فأخبرني عنه باثنتين قال كان يؤثر الخير ويتوقى الشر قال فاخبرني عنه بواحدة قال كان أعظم الناس سلطانا على نفسه وقال أكثم بن صيفي الغلبة والعز للحلم وقال الاحنف بن قيس وجدت الحلم أنصر لي من الرجال وصدق الاحنف فان من حلم كان الناس أنصاره كما روي ان رجلا أسرف في شتم بعض الادباء وهو ساكت فحمي له بعض المارين في الطريق وقال له رحمك الله ألا تنتصر لك قال لا قال ولم قال لاني وجدت الحلم أنصر لي من الرجال وهل حاميت في الا الحلم وقال رجل لعمرو بن العاص والله لا تفرغن لك فقال له الآن وقعت في الشغل وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنه ان رجلا ممن كان قبلكم استضاف قوما فاضافوه ولهم كلبة تنبح فقالت والله لا أنبح ضيف أهل الليلة فعوى جروها في بطنها فبلغ ذلك نبيا لهم أو قيلا من أقيالهم فقال مثل هذا مثل أمة تكون بعدكم يظهر سفهاؤها على حلمائها وقال الاحنف أبا كم ورأي الاوغاد قالوا وما رأي الاوغاد قال الذين يرون الصفح والعفو عارا وسئل الاحنف عن الحلم فقال هو الذي تصبر عليه ولست بحليم ولكني صبور ويروى ان المهلب نازعه رجل من كبار بني تميم فاربى على المهلب والمهلب ساكت فقيل له في ذلك فقال كنت اذا سبني استحييت من ضعف السباب وغلبة اللئام والسفلة وكان اذا سبني تهلل وجهه وشمخت نفسه بان ظفر بفضل القحة ونبذ المروءة وخلع ربقة الحياء وقلة الاكتراث بسوء الثناء ومر المسيح عليه السلام على قوم من اليهود فقالوا له شرا وقال لهم خيرا فقيل له انهم يقولون شرا وأنت تقول خيرا فقال كل ينفق مما عنده وقال أكثم بن صيفي من حلم ساد ومن تفهم ازداد وكفر النعمة لؤم وصحبة الجاهل شؤم ولقاء الاخوان غنم والمباشرة عي ومن الفساد اضاعة الزاد وسب رجل الشعبي بقبائح نسبها اليه فقال الشعبي ان كنت كاذبا فغفر الله لك وان كنت صادقا فغفر الله لي وقال رجل لابي بكر الصديق رضي الله عنه لاسبنك سبا يدخل معك في قبرك فقال أبو بكر معك والله يدخل لا معي وقال رجل للاحنف بن قيس ان قلت كلمة لتسمعن عشرا فقال له الاحنف لكنك لو قلت عشرا لم تسمع مني واحدة ويروى ان رجلا سب الاحنف وهو يماشيه في الطريق فلما قرب من المنزل وقف الاحنف وقال يا هذا ان كان بقي معك شيء فقله ههنا فاني أخاف ان سمعك فتيان الحي أن يؤذوك وسب رجل بعض الحكماء فقال له الحكيم لست أدخل في حرب الغالب فيه شر من المغلوب وقال لقيط بن زرارة شعر

فقل لبني سعد فمالي ومالكم * ترقون مني ما استطعتم وأعتق
أغركم اني بأحسن شيمة * بصير واني بالفواحش اخرق
وانك قد ساببتني فقهرتني * هنيئا مريئا أنت بالفحش أحذق

وقال رجل لابي ذر رضي الله عنه أنت الذي نفاك معاوية من الشام لو كان فيك خير ما نفاك فقال يا ابن أخي ان ورائي عقبة كؤدا ان نجوت منها لم يضرني ما قلت وان لم أنج منها فانا شر مما قلت وقال لقمان لابنه

الزعامة والاحتمال والمداراة في مكانها والرأي والتدبير في الامور والاكثار من قراءة الاخبار وحفظ سير الملوك والقصص عن الاحوال والاعمال التي اعتمدها الملوك وعملوا بها لان هذه الدنيا بقية دول المتقدمين الذين تملكوها ثم مضوا وانقرضوا وصاروا تذكارا للناس يذكر كل انسان منهم بفعله للدنيا كنز وللآخرة كنز فكنز هذه الدنيا الثناء وطيب الذكر وكنز الآخرة العمل الصالح واكتساب الاجر

(حكمة)

سأل الاسكندر ارسطاطاليس أيهما أفضل للملوك الشجاعة أم العدل فقال ارسطاطاليس اذا عدل السلطان لم يحتج الى الشجاعة

(حكمة)

كان الاسكندر بعض الايام قد ركب في جماعة أهل موكبه فقال له رجل من مقدمي عساكره ان الله تعالى قد أعطاك ملكا عظيما فاستكثر من النساء ليكثر أولادك فتذكر بهم بعد موتك فقال الاسكندر ليس ذكر الرجال بعدهم بكثرة الاولاد ولكن بحسن السيرة وعدل السنة ورجل غلب رجال الدنيا لا يجوز ان تغلبه النساء

(حكاية)

عزل الاسكندر غلاما من عماله عن عمل كبير خطير وولاه أمر عمل آخر حقير فاتى ذلك الرجل بعض الايام

يا بني

الى الدركات فقال له الاسكندر كيف تجد عملك فقال أطال الله بقاء الملك الرجال لا تشرف بالاعمال بل الاعمال تشرف بالرجال

يا بني ثلاثة لا يعرفون الا عند ثلاثة لا يعرف الحليم الا عند الغضب ولا الشجاع الا عند الحرب ولا أخوك الا عند الحاجة اليه وسب رجل بعض الحكماء فاعرض عنه فقال له اياك اعني فقال الحكيم وعنك أعرض وفي هذا المعنى قيل

قل ما بدا لك من زور ومن كذب * حلمي أصم وأذني غير صماء

وقيل يوما للاحنف ما أحلمك فقال لست بحليم ولكني أتحالم والله اني لاسمع الكلمة فاجم لها ثلاثا ما يمنعني من جوابها الا الخوف من ان أسمع ما هو شر منها وقال الشاعر

وليس يتم الحلم للمرء راضيا * اذا كان عند السخط لا يتحلم
كما لا يتم الجود للمرء موسرا * اذا كان عند العسر لا يتجشم

ويروى ان رجلا سب جعفر بن محمد رضي الله عنه فقال اما ما قلت مما هو فينا فانا نستغفر الله منه وما قلت مما ليس فينا فانا نكلك فيه الى الله تعالى وقال بعض الحكماء احذروا الغضب فرب غضب استحق الغضبان به غضب الله تعالى وقال أكثم بن صيفي لا يكون الرجل حليما حتى يقول السفيه انه لضعيف مستذل ولا يكون مخلصا حتى يقول الاحمق انه لمفسد ومن أشعر بيت قيل في الحلم قول كعب بن زهير

اذا أنت لم تعرض عن الجهل والخنى * أصبت حليما أو أصابك جاهل

ووصف اعرابي رجلا فقال احلم من فرخ طائر وقال اعرابي ان الغضب عدو العقل ولذلك يحول بين صاحبه وبين العقل والفهم وقال صعصعة بن صوحان الغضب مقدحة العقل فربما أصلدو ربما ازند وقال اعرابي اذا جاء الغضب تسلط العطب وكان ابن عوان اذا غضب على أحد من أهله قال سبحان الله بارك الله فيك وقال الاصمعي دفع اردشير الى رجل كان يقوم على رأسه كتابا وقال له اذا رأيتني اشتد غضبي فادفعه الي فكان فيه اسكن فلست باله انما أنت بشر يوشك ان يأكل بعضك بعضا وتصير عن قريب للدود والتراب وهذه السيرة أول من سنها الملك تبع أمر أن يكتب في كتاب اسكن فلست باله وقال لصاحبه اذا غضبت فاعرضه علي فكان اذا غضب عرضه عليه فاذا قرأه سكن غضبه وقال معاوية أفضل ما أعطى الرجل العقل والحلم فاذا ذكر ذكر واذا أعطى شكر واذا ابتلي صبر واذا غضب كظم واذا قدر عفا واذا أساء استغفر واذا وعد أنجز وفي الحكمة مكتوب من أطاع الغضب حرم السلامة ومن عصى الحق ثمره الذل وقال بعض الحكماء كظم الغيظ حلم والحلم صبر والتشفي ضرب من الجزع وقال آخر أول الغضب جنون وآخره ندم وقال بعض الحكماء اذا غلب على الرجل أربع خصال فقد عطب الرغبة والرهبة والشهوة والغضب (وقيل) لبعض الصالحين ان فلانا يقع فيك فقال لاغيظن من أمره يغفر الله لي وله قيل له ومن أمره قال الشيطان وقال رجل لاخيه اني مررت بفلان وهو يقع فيك ويذكرك باشياء رحمتك منها قال فهل سمعتني اذكره بشيء قال لا قال اياه فارحم وقال الفضيل ثلاثة لا يلامون على الغضب المريض والصائم والمسافر وقال الاحنف بن قيس لقد تعلمت الحلم من قيس بن عاصم المنقري اني جالس معه في فناء وهو يحدثنا اذ جاء جماعة يحملون قتيلا ومعهم رجل ماسور فقيل له هذا ابنك قتله أخوك فوالله ما قطع حديثه ولا حل حبوته حتى فرغ من منطقه ثم أنشد

أقول للنفس تأنيبا وتعزية * احدى يدي أصابتني ولم ترد
كلاهما خلف من فقد صاحبه * هذا أخي حين أدعوه وذا ولدي

ثم التفت الى بعض ولده فقال قم فاطلق عمك ووار أخاك وسق الى أمه مائة من الابل فانها غريبة ومن أنبل بيت قالته العرب قول بعضهم

فصح بالجبر خرس بالخنى * رجح الاحلام ذيال الازر

وقال غيره

باحلام عاد لا يخاف جليسهم * اذا انطق العوراء عرب لسان
اذا حدثوا لم يخش سوء استماعهم * وان حدثوا أدوا بحسن بيان

وذلك بحسن السيرة والانصاف وافاضة العدل وتجنب الاسراف فاستحسن الاسكندر مقاله وأعاده الى أعماله

(حكمة)

قال سقراط العالم مركب من العدل اذا جاء الجور لا يثبت ولا يستقر

(حكمة)

وسئل بزرجمهر فقال باي شيء يظهر عز الملك فقال بثلاثة أشياء حفظ الاطراف مع دفع العدو من الحوزة واكرام العلماء واعزازهم وحب أهل الفضل لانه كلما جار السلطان خاف أهل الاطراف وان كانت نعمهم كثيرة فانها مع الخوف لا تنساغ واذا كانت النعم قليلة ساغت مع الامن كما جاء في الحكاية

(حكاية)

يقال انه انقطع رجل من قافلة الحاج وغلط الطريق ووقع في الرمل فجعل يسير الى ان وصل الى خيمة فرأى في الخيمة امرأة عجوزا وعلى باب الخيمة كلبا نائما فسلم الحاجي على العجوز وطلب منها طعاما فقالت العجوز امض الى ذلك الوادي واصطد من الحيات بقدر كفايتك لاشوي لك منها واطعمك فقال الرجل أما لا أجسر اصطاد الحيات فقالت العجوز انا اصطاد معك فلا تخف فمضينا وتبعها الكلب فاخذوا من الحيات بقدر حاجتهم فاتت العجوز وجعلت تشوي الحيات فلم ير الحاجي بدا من الاكل

وخاف ان يموت من الجوع والهزال فأكل (٧٠) ثم انه عطش فطلب منها الماء فقالت دونك والعين فأشرب فمضى الى العين فوجد ماءها

وقال المسيح عليه السلام ما حلم من لم يصبر عند الجهل وما قوة من لم يرد الغضب وما عبادة من لم يتواضع للرب تعالى وقيل للاسكندر ان فلانا وفلانا ينتقصانك ويثلبانك فلو عاقبتهم فقال هم بعد العقوبة اعذر في ثلبي وتنقيصي (ويروى) ان جرير بن عبد الله بينما هو راكب قد أردف ابنه اذ لقيه رجل فنال منه وجرير ساكت فلما ولى قال له ابنه يا أبت لم سكت عنه قال يا بني أفلا وسع حرجي وقال بعض الحكماء مني أشفي غيظي أحين أقدر فيقال لو عفوت أم حين أعجل فيقال لو صبرت وسئل بعض أصحاب الاحنف أكان الاحنف يغضب فقال نعم لو لم يغضب ما بان حلمه كان يغضبه الشيء يبين في وجهه اليومين والثلاثة وهو يصبر ويحلم ومن لم يغضب من الاشياء التي مثلها يغضب فقد فقد من الفضائل الشجاعة والانفة والحمية والدفاع والاخذ بالثار والغيرة لان هذه الخصال نتائج الغضب ومن فقد الغضب فقد فقد أس الفضائل على ما سنذكر في باب الشجاعة ان شاء الله تعالى وعند فقد الشجاعة تكون المهانة ومن المهانة يكون سفساف الاخلاق ورذالة الطباع فلا يبقى لسائر فضائله موقع وكان يقال من لم يغضب فليس بحليم لان الحليم انما يعرف عند الغضب وقال الشعبي الجاهل خصم والحليم حاكم قال الشافعي من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضى فلم يرض فهو جبار وقد كان النبي عليه السلام يغضب ولكنه انما كان يغضب لا لنفسه بل عند انتهاك حرمة ربه واعلم ان الله تعالى ما مدح من لا يغضب وانما مدح من كظم الغيظ فقال والكاظمين الغيظ وقد أنشد النابغة الجعدي بحضرة النبي عليه الصلاة والسلام

ولا خير في حلم اذا لم تكن له * بوادر تحمي صفوه أن يكدرا

ولا خير في جهل اذا لم يكن له * حليم اذا ما أورد الامر أصدرا

فلم ينكر النبي صلى الله عليه وسلم قوله وكان ابن عمر اذا سافر استتبع سفيها و يقول أستدفع به شر السفهاء عني واعلموا أرشدكم الله أن أحسن خصال الملوك وأنبلها قدرا وهي حلية الانبياء ولبسة الاصفياء وجمال السوقة والرؤساء وأعظمها في النفوس موقعا وأعمها على الرعايا نفعا وأخلدها على مر الايام ذكرا وأجلها في المحافل والمحاسن أثرا وهي الفضيلة التي تتم سائر الفضائل وتكمل بها سائر المحاسن الحلم وها أنا أتلو عليك من ذلك ما يقضى فيه العجب (هذه) دولة آل العباس أولهم أبو العباس السفاح والى يومنا هذا لم يكن فيهم أجل من المأمون بلغ من حلمه انه كان يقول لو علم الناس ما لي في لذة العفو ما تقربوا الي الا بالجرائم فاق حلمه سائر خلفاء بني العباس حتى صار يضرب المثل بحلمه وبهذه الخصلة تهيأ ملكه وقهر أخاه الامين (ومنها) دولة بني أمية أولهم معاوية بن أبي سفيان وآخرهم مروان الجعدي لم يكن فيهم أحلم من معاوية ولا جرم دانت له الدنيا وملك بها رقاب العرب والعجم وصار حلمه يضرب به المثل ويقتدى به الخلق ويخلق به العقلاء حتى حكي عنه انه كان يقول لو كان بيني وبين الناس خيط عنكبوت أو شعرة ما انقطعت اذا جذبوا أرسلت واذا أرسلوا جذبت (وهذه) دولة الفرس وكانت أعظم دول الارض وأشدها بأسا وأكثرها علوما وحكما لم يكن في أكاسرها أحلم من كسرى أنوشروان وصار يضرب بحلمه المثل وتطرز بسيرته الكتب والمصنفات فيروى ان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضوان الله عليه لقي كبيرا من كبراء فارس فقال له ما أحمد خصال ملوككم فقال السبق لشبرويه وأحمدهم سيرة أنوشروان فقال له علي وما كان أغلب خصاله عليه قال الحلم والاناة فقال علي هما توأم ينتجهما علو الهمة وبلغ من حلمه انه كان يضيق صدره بحلمه فقال في خصلتان لولا انهما ظاهرتان عند الرعية لضقت بهما ذرعا الحلم والاناة فأخلق بخصلة تعم منفعتها ويبقى على الدهر جمالها وتحالف العلماء والعقلاء والملوك والسوقة بمجتها وحسن مصادرها ومواردها أن يتخذها الملوك شعارا ودثارا وانما قصدت الحكماء من الملوك خاصة فأما من سواهم من الرعية كالاحنف ونظرائه فلا يحصون كثرة

﴿الباب التاسع والعشرون فيما يسكن الغضب﴾

مالحا ولم يجد من شربه بدا فشرب وعاد الى العجوز وقال أعجب منك أيتها العجوز ومن مقامك في هذا المكان واغتذائك بهذا الطعام فقالت العجوز كيف تكون بلادكم فقال يكون في بلادنا الدور الرحبة الواسعة والفواكه اليانعة والمياه العذبة والاطعمة الطيبة واللحوم السمينة والنعم الكثيرة والعيون الغزيرة فقالت العجوز قد سمعت هذا كله فقل لي هل تكونون تحت يدي سلطان يجور عليكم واذا كان لكم ذنب أخذ أموالكم واستأصل أحوالكم وأخرجكم من بيوتكم وأهلاككم فقال قد يكون ذلك فقالت اذا يعود ذلك الطعام اللطيف والعيش الظريف والحلوى العجيبة مع الجور والظلم سما ناقعا وتعود اطعمتنا مع الامن درياقا نافعا أما سمعت أن أجل النعم بعد نعمة الاسلام الصحة والامن فالامن يكون من سياسة السلطان فيجب على السلطان ان يعمل بالسياسة وان يكون مع السياسة لان السلطان خليفة الله ان تكون هيبته بحيث اذا رأته الرعية خافوا ولو كان بعيدا وسلطان هذا الزمان يجب ان تكون له أوفى سياسة وأتم هيبة لان أناس هذا الزمان ليسوا كالمتقدمين فان زماننا هذا زمان ذوي الوقاحة

فاول

والسفهاء وأهل القساوة والشحناء واذا كان السلطان والعياذ بالله بينهم ضعيفا وكان (٧١) غير ذي سياسة فلا شك ان ذلك

فاول ذلك انك اذا نظرت الى تغير أشكالك وتبدل صورتك واحمرار وجهك وانتفاخ أوداجك وذهاب جنانك وسقط كلامك وفحش ما يخرج من فيك لامسكت عن الغضب ولطالما كنت تستحي أن تتكلم بين يدي الجلساء باليسير الجائز فعمدت تهدر بالكثير الفاحش ولو أن من غضب استذكر اذا صحا وسكن غربه انقلاب صورته وتغير وجهه واضطراب شفتيه وارتعاد أطرافه وسقط كلامه وتقوى خطابه والتفاف لسانه وخفة عقله وطيشه ووثوبه من مجلسه كانه غر ومصرعة التفاته عينا وشمالا كانه قرد وعدم فهمه لما يسمع وقلة التفاته الى من يعظه وينصحه كانه أحمق ومن شؤم الغضب وعظيم بليته انه قد يقتل النفوس ويسلب الروح وكان سبب موت مروان بن عبد الملك انه وقع بينه وبين أخيه سليمان كلام فعجل عليه سليمان فقال يا من يلحق أمه ففتح فاه ليجيبه واذا بجنبه عمر بن عبد العزيز فامسك على فيه ورد كلمته وقال يا ابن عبد الملك أخوك وامامك وله السن عليك فقال يا أبا حفص قتلتني قال وما صنعت بك قال رددت في جوفي أحر من الجمر ومال لجنبه فمات ولعمري انه يزيد على الحق (ومنها) أن ينتقل من الحالة التي كان عليها الى غيرها كانت الفرس تقول اذا غضب القائم فليجلس واذا كان جالسا فليقم وبهذا المذهب كان يأخذ المأمون نفسه (ويروى) شكى الى النبي صلى الله عليه وسلم القسوة فقال اطلع في القبور واعتبر بالنشور (وكان) بعض ملوك الطوائف اذا غضب ألقى بين يديه مفاتيح ترب الملوك فيزول غضبه (وكان) عكرمة يقول في قوله تعالى واذكر ربك اذا نسيت يعني اذا غضبت فانه اذا ذكر الله خاف منه فيزول غضبه (وفي) التوراة يا ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب ولا أمحقك فيمن أمحق (ومنها) أن يذكر نفرة القلوب عنه وسقوط منزلته عند أبناء جنسه ووصفهم لقبائحه وطيشه وضعفه فيكون ذلك سبيل زوال غيظه (ومنها) أن يتذكر انعطاف القلوب عليه وانطلاق الالسنة بالثناء عليه وميل النفوس اليه وان الحلم عز وزين وان السفه ذل وشين (روى) أبو سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما ازداد رجل بعفو الا عزا فاعفوا يعزكم الله (وقال) بعض الحكماء من تذكر قدرة الله لم يستعمل قدرته في ظلم عباده (وكتب) بعض ملوك الفرس كتابا ودفعه الى وزيره وقال له اذا غضبت فناولنيه وفيه مكتوب ما لك وللغضب انما أنت بشر ارحم من في الارض يرحمك من في السماء (وكان) معاوية كثيرا ما ينشد

انا اذا مالت دواعي الهوى * وانصت السامع للقائل

واصطلح الناس بألبابهم * نقضي بحكم عادل فاصل

نخاف أن تسفه احلامنا * فنخمل الدهر مع الخامل

(وقال) بعض الحكماء اياك وعزة الغضب فانها تفضي الى ذلة العذر وقال الشاعر

واذا ما اعترتك في الغضب العزة فاذكر تذلل الاعتذار

وقال غيره

زررنا على غير الفواحش قمصنا * ولم تستجز الا الذي هو أجوز

(وقال) عبد الله بن مسلم بن محارب لهرون الرشيد يا أمير المؤمنين أسألك بالذي أنت بين يديه أذل مني بين يديك وبالذي هو أقدر على عقابك منك على عقابي لما عفوت عني فعفا عنه لما ذكره قدرة الله عليه (وقال) رجاء بن حيوة لعبد الملك بن مروان في أسارى ابن الاشعث ان الله قد أعطاك ما تحب من الظفر فاعط الله تعالى ما يحب من العفو (وقال) المأمون لعمه ابراهيم بن المهدي وكان مع أخيه عليه اني شاورت في أمرك فأشاروا علي بقتلك الا اني وجدت قدرك فوق ذنبك فكرهت القتل للازم حرمتك فقال يا أمير المؤمنين ان المشير أشار عليك بما جرت به العادة في السياسة الا انك أبيت ان تطلب النصر الا من حيث عودته من العفو فان عاقبت فلك نظير وان عفوت فلا نظير لك وأنشأ يقول

البري منك وطا العذر عندك لي * فيما فعلت فلم تعذل ولم تلم

وقام علمك بي فاحتج عندك لي * مقام شاهد عدل غير متهم

ويظهر لهم جاهه بالسياسة لعله ان الرعية ينظرونه بالعين الاولى وفي هذا الباب حكاية عجيبة *(حكاية)* كان لابي سفيان بن حرب

يكون سبب خراب البلاد وان الخلل يعود على الدين والدنيا وفي الامثال جور السلطان مائة سنة ولا جور الرعية بعضهم على بعض سنة واحدة واذا جارت الرعية سلط الله عليهم سلطانا جائرا وملكا قاهرا كما جاء في الحكاية

(حكاية)

أعطى الحجاج بن يوسف يوما قصة فيها مكتوب اتق الله ولا تجر على الناس كل هذا الجور فرقي الحجاج المنبر وكان فصيحا فقال أيها الناس ان الله سلطني عليكم باعمالكم فان انا مت لا تخلصون أنتم من الجور مع هذه الاعمال السيئة فان لله تعالى امثالا كثيرة واذا لم أكن أنا كان من هو أكثر مني شرا واشر وما من يد الا يد الله فوقها * ولا ظالم الا سيبلى بظالم (وسئل بزرجمهر) أي الملوك أفضل وأطهر فقال من أمنه الطاهرون وخاف منه الخائنون وأما السلطان الذي لا سياسة له فليس له في أعين الناس والرعية خطر ويكون الخلق عليه ساخطين ويذكرونه كل وقت بالقبيح ألا ترى أن الانسان اذا كان من عوام الولاية وتولى عليها وأراد ان يطلب الحساب من الرعية أول ما يكلمهم بالهيبة

View on the Qatar Digital Library: http://www.qdl.qa/en/archive/qnlhc/12964.42

(وقال) بعض الحكماء الغضب على من لا تملك عجز وعلى من تملك لؤم (ومنها) أن يتذكر ما يؤول اليه الغضب من الندم ومذلة الانتقام وشروع القصاص في بدنه بين يدي من لا يرحمه فان ذلك مما يرده من الغضب

﴿الباب الثلاثون في الجود والسخاء وهذه الخصلة الجليل قدرها العظيم موقعها الشريف موردها ومصدرها﴾

وهي احدى قواعد المملكة وأساسها وتاجها وجمالها تعنو لها الوجوه وتذل لها الرقاب وتخضع لها الجبابرة ويسترق بها الاحرار ويستمال بها الاعداء ويستكثر بها الاولياء ويحسن بها الثناء ويملك بها القرباء والبعداء ويسود بها في غير عشائرهم الغرباء (وهذه) الخصلة بالعزائم الواجبات أشبه منها بالجمال والمتممات وكم قد رأينا من كافر ترك دينه والتزم دين الاسلام ابتغاء عرض قليل من الدنيا يناله وكم قد سمعنا من مسلم ارتد في أرض الشرك افتتانا بيسير من عرض الدنيا وأخلق بخصلة يترك لها الانسان دينه الذي يبذل دونه نفسه أن تكون جليلة القدر عظيمة الخطر وأحوج خلق الله اليها أفقرهم الى عطف القلوب عليه وصرف الوجوه اليه وهم الملوك والولاة (واعلموا) يا معشر من وسع الله عليه دنياه واسبغ عليه آلاءه ونعماءه انه ليس في الجنة لا وحسبك بكلمة لا تدخل الجنة سفهوا وضعة وانما أسست الجنة على ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين (وهذه) الخصلة أعني الكرم والجود والسخاء والايثار بمعنى واحد يوصف الباري تعالى بالجود ولا يوصف بالسخاء كما يوصف بالعلم ولا يوصف بالعقل لعدم التوقيف (وحقيقة) الجود هي أن لا يصعب عليه البذل ويقال السخاء هو الرتبة الاولى ثم الجود ثم الايثار فمن أعطى البعض وأمسك البعض فهو صاحب سخاء ومن بذل الاكثر فهو صاحب جود ومن آثر غيره بالحاضر وبقي هو في مقاساة الضر فهو صاحب ايثار (قال) ذو النون بداية السخاء أن تسخو نفسك عما في يدك ونهايته أن تسخو نفسك عما في أيدي الناس وان لا تبالي من أكل الدنيا (وتذاكر) قوم من الزهاد عند رابعة العدوية فجعلوا يذمون الدنيا ويكثرون من ذلك فقالت رابعة من أحب شيئا أكثر من ذكره وأصل السخاء هو السماحة وان يؤتي ما يؤتيه من طيبة نفس (وقد يكون) المعطي بخيلا اذا صعب عليه البذل والممسك سخيا اذا كان لا يستصعب العطاء وان منع ولهذا قال علماؤنا ان الله تعالى لم يزل جوادا وان لم يقع منه عطاء في الازل لان العطاء فعل والفعل في الازل مستحيل (وقالت) الحكماء أيها الجامع لا تغدرن فانما كول المبتدي والموهوب المعاد والمتروك للعدو وقال الله تعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة (قال) أبو هريرة رضي الله عنه جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني جائع فاطعمني فبعث النبي صلى الله عليه وسلم الى أزواجه فقلن والذي بعثك بالحق ما عندنا الا الماء فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما عند رسول الله ما يطعمك الليلة ثم قال من يضيف هذا هذه الليلة رحمه الله فقال رجل من الانصار أنا يا رسول الله فحمله الى منزله وقال لاهله هذا ضيف النبي صلى الله عليه وسلم فاكرميه ولا تدخري عنه شيئا فقالت ما عندنا الا قوت الصبية فقال قومي فعلليهم عن قوتهم حتى يناموا ثم أسرجي وابرزي فاذا أخذ الضيف بأكل فقومي كأنك تصلحين السراج فأطفئيه وتعالي نغضغ ألسنتنا لضيف النبي صلى الله عليه وسلم ففعلت وجعلا يغضغان ألسنتهما والضيف يظن أنهما يأكلان وباتا طاويين فلما أصبحوا ونظر النبي صلى الله عليه وسلم اليهما تبسم ثم قال لقد عجب الله من فلان وفلانة هذه الليلة ونزلت ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة الآية (وقال) أنس أهدى لبعض الصحابة رأس شاة مشوية وكان مجهودا فوجه به الى جاره فوجه به الجار الى أهل بيت آخر فتداولته سبعة أبيات حتى عاد الى الاول فنزلت ويؤثرون على أنفسهم (وقال) حذيفة العدوي انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لي ومعي شيء من ماء وأنا أقول ان كان به رمق سقيته فاذا أنا به بين القتلى فقلت أسقيك فاذا رجل يقول آه فأشار ابن عمي ان انطلق اليه فاذا هو هشام بن العاص فقلت

ولد وكان يدعى زياد بن أبيه لانه كان قد ولد في الجاهلية ونفاه وتبرأ منه أبو سفيان وقال ما هو لي بولد فلما وصل الامر الى معاوية قربه اليه وادناه وولاه ولاية العراق فلما وصل زياد الى عمل العراق وجد أهل العراق يوما غائبين يفسدون ويسرقون فقصد زياد المسجد الجامع ورقي المنبر وخطب خطبة ثم قال بعد خطبته والله لئن خرج أحد بعد العشاء الآخرة من منزله لآخذن رأسه فليعلم الشاهد الغائب ثم أمر مناديا ينادي بذلك ثلاثة أيام فلما أقبلت الليلة الرابعة خرج زياد وقد مضى من الليل ثلثه فركب وجعل يطوف محال البلد فرأى رجلا اعرابيا ومعه غنم له وهو قائم فسأله زياد ما تصنع ههنا فقال الاعرابي أتيت مساء ولم أجد موضعا استقر فيه فنزلت مكاني الى أن أصبح وأبيع غنمي فقال له زياد أنا اعلم انك صادق وان أطلقتك خفت أن يذيع الخبر عني ان زيادا يقول ولا يفعل فتفسد سياستي وتنكسر همتي والجنة خير لك من ههنا وضرب عنقه ثم جعل يسير فكل من لقيه ضرب عنقه وحز رأسه فلما أصبح من الغد كان قد أخذ ألفا وخمسمائة رجل وجعلها على باب داره مثل البيدر فتهوله الناس وفزعوا لما رأوا من فعله فلما كان الليل خرج وطاف فخلق ثلاثمائة رجل أخذ رؤسهم فلم يقدر بعد ذلك أحد ان يخرج من منزله بعد العشاء الآخرة فلما كان يوم الجمعة رقي المنبر

اسقيك

أسقيك فسمع آخر يقول آه فأشار هشام أن انطلق اليه فجئته فاذا هو قد مات ثم رجعت الى هشام فوجدته قد مات ثم رجعت الى ابن عمي فاذا هو قد مات (وروت) عائشة رضي الله عنها قالت قال النبي صلى الله عليه وسلم السخي قريب من الله قريب من الناس بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة والجاهل السخي أحب الى الله من العابد البخيل (وروى) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن آدم انما لك من مالك ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو أعطيت فامضيت (واعلم) ان السخاء على وجوه سخاء في الدين وسخاء في الدنيا فالسخاء في الدنيا البذل والعطاء والايثار وسماحة النفس قال الله تعالى ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون وعلامته ترك الادخار وبغض جمع المال وتعاهد الاخوان مسرورا واقيا به بذلك والسخاء في الدين ان تسخو نفسك أن يتلفها الله تعالى ويريق دمك في الله سماحة من غير كراهة لا تريد بذلك ثوابا عاجلا ولا آجلا وان كنت غير مستغن عن الثواب لان الغالب على قلبك حسن كمال السخاء بترك الاختيار على الله تعالى حتى يفعل الله بك ما لا تحسن أن تختاره لنفسك (وقيل) لعمر بن الخطاب رضي الله عنه من السيد قال الجواد اذا سئل الحليم اذا استجهل الكريم المجالسة لمن جالسه الحسن الخلق لمن جاوره (وقال) النعمان بن المنذر يوما لجلسائه من أفضل الناس عيشا وأنعمهم بالا وأكرمهم طباعا وأجلهم في النفوس قدرا فسكت القوم فقال فتى أبيت اللعن أفضل الناس من عاش الناس في فضله قال صدقت (وقال) الحسن باع طلحة بن عثمان أرضا بسبعمائة ألف درهم فلما جاءه المال قال ان رجلا يبيت هذا عنده لا يدري ما يطرقه لغرير بالله ثم جعل رسوله يختلف حتى قسمها وما أصبح عنده منها درهم (وكان) أسماء بن خارجة يقول ما أحب ان أرد أحدا عن حاجة لانه ان كان كريما أصون عرضه وان كان لئيما أصون عنه عرضي (وكان) مروان العجلي يتلطف في ادخال الرفق على اخوانه فيضع عند أحدهم ألف درهم ويقول امسكوها حتى أعود اليكم ثم يرسل اليهم أنتم منها في حل (وقال) العتبي أعطى الحكم بن عبد المطلب جميع ما ملكه فلما نفد ما عنده ركب فرسه وأخذ رمحه يريد الغزو ومات بمنبج فأخبرني رجل من أهل منبج قال قدم علينا الحكم وهو مملق لا شيء معه فأغنانا قيل كيف أغناكم وهو مملق فقال ما أغنانا بمال ولكنه علمنا الكرم فعاد بعضنا على بعض فاستغنينا * وأكرم العرب في الاسلام طلحة بن عبيد الله جاءه رجل فسأله برحم بينه وبينه فقال هذا حائطي بمكان كذا وكذا وقد أعطيت به بسبعمائة ألف درهم يراح بالمال الى العشية فان شئت فالمال وان شئت فالحائط (ويروى) ان رجلا بعث الى حنظلة بجارية فواقفه بين أصحابه فقال قبيح ان آخذها لنفسي وأنتم حضور وأكره ان أخص بها واحدا منكم وكلكم له حق وحرمة وهذه لا تحتمل القسمة وكانوا ثمانين رجلا فأمر لكل واحد منهم بجارية أو وصيف (وقيل) لقيس بن سعد هل رأيت قط أسخى منك قال نعم نزلنا بالبادية على امرأة فحضر زوجها فقالت له انه نزل بك ضيفان فجاء بناقة فنحرها وقال شأنكم فلما كان الغد جاء بأخرى ونحرها وقال شأنكم فقلنا ما أكلنا من التي نحرت البارحة الا اليسير فقال اني لا أطعم أضيافي الغاب فأقمنا عنده أياما والسماء تمطر وهو يفعل كذلك فلما أردنا الرحيل وضعنا مائة دينار في بيته وقلنا للمرأة اعتذري لنا منه ومضينا فلما متع النهار اذا رجل يصيح خلفنا قفوا أيها الركب اللئام أعطيتموني ثمن القرى ثم انه لحقنا وقال لتأخذونها والا طعنتكم برمحي فأخذناها وانصرف (وقال) ميمون بن مهران من طلب مرضاة الاخوان بلا شيء فليصحب أهل القبور (وقال) ابن عباس لا يتم المعروف الا بثلاثة تعجيله وتصغيره وستره فاذا عجله فقد هناه واذا صغره فقد عظمه واذا ستره فقد تممه (وقال) الحسن كان أحدهم يشق ازاره لاخيه بنصفين (وقال) المغيرة في كل شيء سرف الا في المعروف (وقيل) للحسن ابن سهل لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير فقلب اللفظ واستوفى المعنى ونظمه محمد بن حازم فقال

لا الفقر عار ولا الغنى شرف * ولا سخاء في طاعة سرف
مالك الا شيء تقدمه * وكل شيء أخرته تلف

وقال لا يغلقن أحد منكم منزله بالليل ولا باب دكانه ومهما سرق منكم كانت غرامته علي فلم يجسر أحد ان يغلق في تلك الليلة دكانه فلما كان من الغد أتاه رجل صيرفي وقال له قد سرق مني البارحة أربعمائة دينار فقال له اكتم هذا الامر ولا تشعرن به أحدا فلما كان الجمعة الثانية واجتمع الناس للصلاة صعد زياد المنبر وقال اعلموا انه قد سرق من دكان فلان الصيرفي أربعمائة دينار عينا وأنتم كلكم حاضرون فان رددتم ذلك فقد عاد الى الرجل ماله وان لم تردوه فقد تقدمت أن لا يخرج أحد منكم من الجامع وآمر بقتلكم في هذه الساعة ففي الحال الزموا من كانوا يتهمونه بالسرقة وقدموه بين يديه فرد الذهب الذي سرقه فامر بصلبه في الحال ثم انه سأل أي محلة بالبصرة ليس فيها امن فقالوا محلة بني الازد فامر ان ينزل فيها بالليل ثوب ديباج له قيمة ثقيلة بحيث لا يراه أحد فبقي أياما ملقى بحاله ولم يكن لاحد مرارة ان يقربه ولا ينقله من مكانه فقال له أقاربه بعد ذلك ان السياسة خير الاشياء الا انك لم ترحم المسلمين أولا وأهلكت خلقا كثيرا عظيما فقال قد أخذت الحجة عليهم قبل ذلك بثلاثة ايام ومن شؤم أعمالهم لم ينتهوا والذي أصابهم من شؤم أخلاقهم ﴿فصل﴾ ولا ينبغي للسلطان ان يشتغل دائما بلعب الشطرنج

Reference: 12964. Copyright for this page: Creative Commons Attribution Licence
View on the Qatar Digital Library: http://www.qdl.qa/en/archive/qnlhc/12964.43

والنرد وشرب الخمر وضرب الكرة والصيد (٧٤) لان هذه تغمه وتشغله عن الاشغال ولكل عمل وقت فاذا فات الوقت عاد الربح خسرانا

والسرور أحزانا فان الملوك القدماء قسموا النهار أربعة أقسام منها قسم لعبادة الله وطاعته وقسم للنظر في أمور السلطنة وانصاف المظلومين والجلوس مع العلماء والعقلاء لتدبير الامور وسياسة الجمهور وتنفيذ المراسم والاوامر والكتابة وانفاذ الرسل وقسم للاكل والنوم والتزود من الدنيا وأخذ الحظوظ من الفرح والسرور وقسم للصيد ولعب الكرة والصولجان وما أشبه ذلك ويقال ان بهرام كور قسم نهاره قسمين وجعله نصفين ففي الاول كان يقضي أشغال الناس وفي الثاني كان يطلب الراحة ويقال انه في جميع أيامه ما اشتغل يوما تاما بعمل واحد وكان أنوشروان العادل يأمر أصحابه أن يصعدوا الى أعلى مكان في البلد لينظروا الى بيوت الناس فكل بيت لا يخرج منه دخان نزلوا وسألوا عن أحوال أولئك القوم وما خطبهم فان كانوا في غم اعلموا أنوشروان فكان يحل غمومهم ويزيل همومهم ويجب على السلطان أن لا يرضى لغلمانه أن يتناولوا شيأ من الرعية بغير حق كما جاء في الحكاية

﴿حكاية﴾

يقال انه كان قد ولى انوشروان العادل غلاما فانفذ اليه العامل زيادة ثلاثة آلاف درهم فامر انوشروان باعادة الزيادة

*وأما طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي المعروف بطلحة الطلحات وانما سمي بهذا الاسم لانه كان عظيم البذل في كل وجه وكان يبتاع الرقاب فيعتقها وكان كل معتق يولد له ولد ذكر سماه طلحة فبلغ عددهم ألف رجل كل يسمى طلحة فسمي طلحة الطلحات ثم ولي سجستان وفيه يقول الشاعر

نضر الله أعظما دفنوها * بسجستان طلحة الطلحات

فقد بلغه ان معلما كان في الكتاب بالحجاز قد قعد به الدهر فأرسل اليه مع غلامه مائة ألف فقال سلمها اليه فان يكن مات وله ولد فادفعها الى ولده وان لم يكن له ولد ففرقها على قومه فوافقه الرسول قد مات ولم يعقب ففرقها في قومه (وقال) زيد بن أسلم وكان من الخاشعين يا ابن آدم أمرك الله أن تكون كريما وتدخل الجنة ونهاك أن تكون لئيما وتدخل النار (وقال) حكيم بن حزام ما أصبحت قط صباحا لم أر ببابي طالب حاجة الا عددتها مصيبة أرجو ثوابها (ولما) مات وجد عليه مائتا ألف دينار ووجد مكتوبا على جرابه انتهز الفرص عند امكانها ولا تحمل على نفسك هم ما لم يأتك واعلم ان تقتيرك على نفسك توفير لخزانة غيرك فكم من جامع لبعل حليلته (وقال) علي بن أبي طالب رضي الله عنه ما جمعت من المال فوق قوتك فانما أنت فيه خازن لغيرك (وروى) مالك في الموطأ ان مسكينا سأل عائشة وهي صائمة وليس في بيتها الا رغيف فقالت لمولاة لها أعطيه اياه فقالت ليس لك ما تفطرين عليه فقالت أعطيه اياه ففعلت فلما أمست أهدى لها أهل بيت شاة وكفنها يعني ملفوفة بالزعفران فقالت لي عائشة كلي هذا خير من قرصك (وقال) عبد الله بن عمر ما كان أحد منا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم يحسب ان له في الفضل شيأ (وقال) الحسن كان عد البخيل من يقرض أخاه الدرهم (ومن عجائب) ما روي في الايثار ما ذكره أبو محمد الازدي قال لما احترق المسجد بمصر وظن المسلمون ان النصارى أحرقوه فأحرقوا خانا لهم فقبض السلطان جماعة من الذين أحرقوا الخان وكتب رقاعا فيها القتل وفيها القطع وفيها الجلد ونثرها عليهم فمن وقعت عليه رقعة فعل به ما فيها فوقعت رقعة فيها القتل بيد رجل فقال ما كنت أبالي لولا أم لي وكان بجانبه بعض الفتيان فقال له في رقعتي الجلد وليست لي أم فادفع الي رقعتك وخذ رقعتي ففعلا فقتل ذلك وتخلص هذا (وحكي) ان أبا العباس الانطاكي اجتمع عنده نيف وثمانون رجلا بقرية بقرب الري ولهم أرغفة لم تسع جميعهم فكسروا الرغفان وأطفؤا السراج وجلسوا للطعام الى ان كفوا فلما رفع الطعام فاذا الطعام بحاله لم يأكل منه واحد منهم ايثارا لصاحبه على نفسه (وروي) انه اجتمع بالرملة جماعة من أرباب القلوب فحضر طبق فيه تين أخضر وقد غسق الليل فكان الواحد عند يده فاذا ظفر بحبة حصرم يأكلها وان ظفر بطيب دفعه الى صاحبه ولم يأكله فلما رفع الطبق اذا الطيب كله في الطبق لم يأكلوا منه شيأ (وقال) بعض الرواة دخلت على بشر الحافي في يوم شديد البرد وقد تعرى من الثياب فقلت يا أبا نصر الناس يزيدون الثياب في مثل هذا اليوم وأنت تنقص فقال ذكرت الفقراء وما هم فيه ولم يكن لي ما أواسيهم به فاردت ان أوافقهم بنفسي في مقاساة البرد (وقال) الاستاذ أبو علي لما سعى غلام خليل بالصوفية الى الخليفة بالزندقة أمر بضرب أعناقهم وأما الجنيد فانه تستر بالفقه وكان يفتي على مذهب أبي ثور وأما الشحام والرقام والنوري وجماعة فقبض عليهم وبسط النطع لضرب أعناقهم فتقدم النوري أمامهم فقال له السياف أتدري لماذا تتقدم وتسابق قال نعم قال وما ذا يعجلك قال أوثر أصحابي بحياة ساعة فتحير السياف وأنهى الخبر الى الخليفة فردهم الى القاضي ليتعرف حالهم فالقى القاضي على أبي الحسن النوري مسائل فقهية فأجاب عن الكل ثم أخذ يقول ان لله عبادا اذا قاموا قاموا بالله واذا نطقوا نطقوا بالله وسرد ألفاظا حتى أبكى القاضي فأرسل الى الخليفة وقال ان كان هؤلاء زنادقة فما على وجه الارض مسلم (ولما) مرض قيس بن سعد بن عبادة استبطأ اخوانه في العيادة فسأل عنهم فقال انهم يستحيون مما لك عليهم من الدين فقال أخزى الله مالا يمنع الاخوان من الزيارة ثم أمر من ينادي من كان لقيس عنده مال فهو منه في حل فكسرت عتبة بابه بالعشي لكثرة العواد (ويروى) ان عبد الله

ابن

على اصحابها وأمر بصلب العامل وكل سلطان أخذ من رعيته شيأ بالجور والغصب وخزنه (٧٥) في خزانته كان مثله كمثل رجل عمل

أساس حائط ولم يصبر عليه حتى يجف فوضع البنيان عليه وهو رطب فلم يبق الاساس ولا الحائط وينبغي للسلطان أن يهتم بامور الدنيا كاهتمامه بأخذ ما يأخذه من الرعية بقدر وان يهب ما يهب بقدر لان لكل واحد من هذين الامرين حدا وقدرا كما جاء في الحكاية

(حكاية)

يقال ان المأمون ولى يوما أربعة نفر أربع ولايات فأعطى أحدهم منشورا بخراسان وأعطاه خلعة بثلاثة آلاف دينار وأعطى الآخر منشورا بخوزستان وأعطاه خلعة بثلاثة آلاف دينار وولى الآخر وهو الثالث ولاية مصر وخلع عليه خلعة بثلاثة آلاف دينار وولى الرابع ولاية وخلع عليه خلعة بثلاثة آلاف دينار ثم استدعى موبذان وقال له يا دهقان هل أعطى ملوك العجم في أيام ملكهم لاحد مثل هذه الخلع فانه بلغني ان خلعهم ما كانت تبلغ أكثر من أربعة آلاف درهم فقال الموبذ أطال الله بقاء أمير المؤمنين كان لملوك العجم ثلاثة أشياء ليست لكم أحدها انهم كانوا يأخذون ما يأخذون من الناس ويعطون ما يعطونه بقدر الثاني انهم كانوا يأخذون من موضع يجوز منه الاخذ ويعطون لمن ينبغي ان يعطى الثالث انهم ما كان يخافهم الا المذنب فقال له المأمون صدقت

ابن جعفر وكان أحد الاجواد خرج الى ضيعة له فنزل على نخيل قوم وفيها غلام أسود يقوم عليها فأتى بقوته ثلاثة أقراص ودخل كلب ودنا من الغلام فرمى اليه بقرص فأكله ثم رمى اليه بالثاني والثالث فأكلهما وعبد الله ينظر فقال يا غلام كم قوتك كل يوم قال ما رأيت قال فلم آثرت هذا الكلب قال ما هي بأرض كلاب وانه جاء من مسافة بعيدة جائعا فكرهت رده قال فما أنت صانع اليوم قال أطوي يومي هذا قال عبد الله بن جعفر ألام على السخاء وهذا أسخى مني فاشترى الحائط والغلام وما فيه من الآلات فاعتق الغلام ووهب ذلك له (وقال) النوري رأيت محمد بن سوقة بالغداة صاحب مائة ألف وبالعشي سألناه من أصحابه خبزة (وقال) أبو عبد الرحمن دخل أبو عبد الله الروذباري الى دار بعض أصحابه فوجده غائبا وهناك بيت مقفل فكسر القفل وأمر بجميع ما وجد فيه من المتاع فانفذوه الى السوق فباعوه وأصلحوا به وقتا من الثمن فجاء صاحب الروذباري فلم يقل شيأ فدخلت امرأته بعدهم الدار وعليها كساء فدخلت بيتا ورمت بالكساء وقالت يا أصحابنا هذا أيضا من جملة المتاع فبيعوه فقال الزوج لها لم تكلفت هذا باختيارك فقالت اسكت مثل هذا الشيخ يباسطنا ويحكم علينا ويبقى لنا شيء ندخره عنه (وأما) عبد الملك بن بحر فورث خمسة آلاف درهم فبعث بها الى اخوانه صررا وقال ما كنت لأسأل لاخواني الجنة في صلاتي وأبخل عليهم بمالي (ويروى) ان الاشعث بن قيس أرسل الى عدي بن حاتم يستعير منه قدورا كانت لابيه حاتم فملأها وبعث بها اليه وقال انا لا نعيرها فارغة (وقال) بزرجمهر لا عز أثبت اركانا ولا أبذخ بنيانا من بث الكرم واكتساب الشكر وذلك أن عز التعظيم بالفعل الجميل باق في قلوب الرجال ومن تحصن بالجود وتحرز بالمعروف فقد ظفر بعز ناواه وربح الشكر والثواب (ويروى) ان عبد الله بن أبي بكر وكان أحد الاجواد عطش يوما في طريقه فاستسقى من منزل امرأة فأخرجت كوزا وقامت خلف الباب وقالت تنحوا عن الباب وليأخذه بعض غلمانكم فاني امرأة من العرب مات زوجي منذ أيام فشرب عبد الله وقال يا غلام احمل اليها عشرة آلاف فقالت سبحان الله تسخر بي فقال يا غلام احمل اليها عشرين ألفا فقالت أسأل الله العافية فقال يا غلام احمل اليها ثلاثين ألفا فقالت أف لك فحمل اليها ثلاثين ألف درهم فما أمست حتى كثر خطابها (وقال) بعض الرواة قصد رجل الى صديق له فدق عليه الباب فلما خرج قال ما حاجتك قال أربعمائة درهم على دين فدخل الدار وأخرجها اليه ثم دخل الدار باكيا فقالت له امرأته هلا تعللت حين شق عليك الاجابة قال انما أبكي لاني لم أتفقد حاله حتى احتاج الى مكاشفتي (وقال) أكثم ابن صيفي صاحب المعروف لا يقع وان وقع وجد متكأ (وقال) الفضيل ما كانوا يعدون القرض معروفا (ويروى) عن امرأة من المتعبدات انها قالت لحبان بن هلال وهو في جماعة من أصحابه ما السخاء عندكم قال البذل والايثار قالت فما السخاء في الدين قال أن تعبدي الله تعالى مضية به نفسك غير مكرهة قالت أفتريدون على ذلك جزاء قالوا نعم لان الله تعالى وعد على الحسنة بعشر أمثالها قالت فاذا أعطيتم واحدة وأخذتم عشرا فأي شيء سخيتم به انما السخاء أن تعبدوا الله تعالى متنعمين متلذذين بطاعته غير كارهين لا تريدون بذلك أجرا ألا تستحيون ان يطلع على قلوبكم فيعلم منها انها تريد شيأ بشيء (وقالت) بعض المتعبدات لبعض المتعبدين أتظن السخاء في الدينار والدرهم فقط انما السخاء في بذل مهج النفوس لله تعالى (وقال) أبو بكر الدقاق ليس السخاء ان يعطي الواجد المعدم انما السخاء ان يعطي المعدم الواجد (وقال) الشيخ أبو عبد الرحمن كان الاستاذ أبو سهل الصعلوكي من الاجواد لم يكن يناول احدا شيأ بيده وانما كان يطرحه على الارض فيتناوله الآخذ من الارض وكان يقول الدنيا أقل خطرا من ان يرى من أجلها يدي فوق يد أخرى وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اليد العليا خير من اليد السفلى وكان يتوضأ يوما في صحن داره فدخل عليه انسان وسأله شيأ فلم يحضره شيء فقال اصبر حتى أفرغ فلما فرغ قال خذ القمقمة واخرج فلما خرج وعلم انه بعد صاح وقال دخل انسان وأخذ القمقمة فمشوا خلفه فلم يدركوه وانما فعل ذلك لانهم كانوا يلومونه على البذل (وفي معناه قال الشاعر)

Reference: 12964. Copyright for this page: Creative Commons Attribution Licence
View on the Qatar Digital Library: http://www.qdl.qa/en/archive/qnlhc/12964.44

ولم يرد عليه جوابا ولاجل هذا فتح (٧٦) المأمون باب تربة كسرى وكشف تابوته وفتشه ونظر محنة وجهه وهي بحالها ما بليت

ملا تبدي من الدنيا مرارا * فاطمع العواذل في اقتصادي
ولا وجبت علي زكاة مال * وهل تجب الزكاة على جواد

(وكان) أبو مرثد أحد الكرام فمدحه بعض الشعراء فقال ما عندي ما أعطيك ولكن قدمني الى القاضي وادع علي عشرة آلاف درهم حتى أقر لك بها ثم احبسني فان أهلي لا يتركوني محبوسا ففعل ذلك فلم يمس حتى دفع اليه عشرة آلاف درهم (وقال) زياد بن جرير رأيت طلحة بن عبيد الله فرق مائة ألف في مجلس وانه ليخيط ازاره بيده (ولما) دخل المنكدر على عائشة رضي الله عنها قال لها يا أم المؤمنين أصابتني فاقة فقالت ما عندي شيء ولو كانت عندي عشرة آلاف لبعثت بها اليك فلما خرج من عندها جاءتها عشرة آلاف من عند خالد بن أسيد فارسلت بها في اثره فاشترى جارية بألف درهم فولدت له ثلاثة أولاد فكانوا عباد المدينة محمد وأبو بكر وعمر بنو المنكدر (وقال) يحيى بن معين كان جرير بن يزيد في دار المطلب فجاء انسان يسأله فقال للغلام اذهب الى الجواري فقل لهن من أراد منهن ان تصبغ ثيابها فلتبعث بها فجاء الغلام بثياب كثيرة فقال للسائل خذها (وقال الاصمعي) كانت جرت حرب بالبادية ثم اتصلت بالبصرة فتفاقم الامر فيها حتى مشى بين الناس بالصلح فاجتمعوا في المسجد الجامع قال فبعثت وأنا غلام الى ضرار بن القعقاع بن حازم فاستأذنت عليه فاذن لي فاذا هو عليه شملة يخبط نوى لعنز له حلوب فخبرته بمجتمع القوم فأمهل حتى أكلت العنز ثم غسل القصعة وقال يا جارية غدينا فأتته بزيت وتمر قال فدعاني فقذرته أن آكل معه حتى اذا قضى من أكله حاجته وثب الى طين ملقى في الدار فغسل به يده ثم صاح بالجارية فقال اسقيني ماء فأتته بماء فشرب ومسح فضله على وجهه ثم قال الحمد لله ماء الفرات بتمر البصرة بزيت الشام متى نؤدي شكر هذه النعم ثم قال علي بردائي فأتته برداء عدني فارتدى به على تلك الشملة قال الاصمعي فتجافيت عنه استقباحا لزيه فدخل المسجد وصلى ركعتين ومشى الى القوم فلم تبق حبوة الا حلت اعظاما له ثم جلس فتحمل ما كان بين الاحياء من الديات في ماله وانصرف (وكان) البهلول بن راشد الفقيه لما سجن يعطي كل يوم السجان دينارا فاستكثره أصحابه وكلموه في ذلك فقال لهم حفص بن عمارة سمعت سفيان الثوري يقول اذا كل صدق الصادق لم يملك ما في يديه فخر بهلول على يديه وقبلها وجعل يقول سألتك بالله أنت سمعته يقول هذا فحلف بالله لقد سمعته يقوله (وقال الشاعر)

ذريني أكن للمال ربا ولا يكن * لي المال ربا تحمدي غبه غدا
أريني جوادا مات هزلا لعلني * أرى ما ترين أو بخيلا مخلدا

(وكان) عبد الله بن أبي بكر ينفق على أربعين دارا من جيرانه عن يمينه وأربعين عن يساره وأربعين امامه وأربعين خلفه ويبعث اليهم بالاضاحي والكسوة في الاعياد ويعتق في كل عيد مائة مملوك واشترى يوما جارية بعشرة آلاف فطلب دابة يحملها عليها فقال رجل هذه دابتي فقال احملوها على دابته الى داره (وقال عبد الله بن زهير)

وعاذلة تخشى الردى أن يصيبني * تروح وتغدو بالملامة والقسم
تقول هلكنا ان هلكت وانما * على الله أرزاق العباد كما زعم
واني أحب الخلد لو أستطيعه * وكالخلد عندي أن أموت ولم ألم

(وروى) ان اعرابيا قدم على علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال يا أمير المؤمنين لي اليك حاجة الحياء يمنعني أن أذكرها قال خطها في الارض فخط في الارض اني فقير فقال لغلامه يا قنبر اكسه حلتي فكساه الحلة فقال

كسوتني حلة تبلى محاسنها * فسوف أكسوك من حسن الثنا حللا
ان الثناء ليحيي ذكر صاحبه * كالغيث يحيي نداه السهل والجبلا
ان نلت حسن ثناء نلت مكرمة * لا تبغين بما قد نلته بدلا
لا تزهد الدهر في عرف بدأت به * كل امرئ سوف يجزى بالذي فعلا

والثياب عليه بجدتها ما تمزقت ولا خلقت والخاتم في اصبعه فصه من ياقوت أحمر كثير الثمن ما رأى المأمون قبله فصا مثله وكان على فصه مكتوب به مه نه مه به معنى ذلك الاجود أكبر ليس الاكبر أجود فامر المأمون ان يغطى بثوب نسيج من الذهب وكان مع المأمون غلام خادم فاخذ الخاتم من اصبع كسرى ولم يشعر به المأمون فلما علم به أمر باهلاكه واعاد الخاتم الى اصبع أنوشروان وقال كاد يفضحني بحيث يقال عني الى يوم القيامة ان المأمون كان نباشا وانه فتح قبر كسرى وأخذ خاتمه من اصبعه

﴿حكاية﴾

سأل الاسكندر يوما جماعة من حكمائه وكان قد عزم على سفر فقال أوضحوا لي سبيلا من الحكمة احكم فيه أعمالي وأتقن به أشغالي فقال كبير الحكماء أيها الملك لا تدخل قلبك محبة شيء ولا بغضته لان القلب خاصيته كاسمه وانما سمي قلبا لتقلبه واعمل الفكر واتخذه وزيرا واجعل العقل صاحبا ومشيرا واجتهد ان تكون في ليلك متيقظا ولا تسرع في أمر بغير مشورة وتجنب الميل والمحاباة في وقت العدل والانصاف فاذا فعلت ذلك جرت الامور على ايثارك وتصرفت باختيارك وينبغي ان يكون الملك حليما وقورا

قال

وان لا يكون طائشا عجولا وقالت الحكماء ثلاثة أشياء قبيحة وهي في ثلاث أقبح الحدة (٧٧) في الملوك والحرص في العلماء والبخل في الاغنياء

قال علي زده مائة دينار فاعطاه اياها فلما ولى الاعرابي قال قنبر يا أمير المؤمنين لو فرقتها في المسلمين لاصلحت بها من شأنهم فقال مه يا قنبر فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اشكروا لمن أثنى عليكم واذا أتاكم كريم قوم فاكرموه (وقال) مطرف بن الشخير اذا أراد أحدكم مني حاجة فليرفعها في رقعة فاني أكره أن أرى في وجهه ذل الحاجة (قرئ) على القاضي أبي الوليد وأنا أسمع

وآمرة بالبخل قلت لها اقصري * فليس اليه ما حييت سبيل
أرى الناس خلان الكرام ولا أرى * بخيلا له في العالمين خليل
واني رأيت البخل يزري باهله * فأكرمت نفسي أن يقال بخيل
ومن خير حالات الفتى لو علمته * اذا نال خيرا أن يكون ينيل

﴿ولعروة بن الورد﴾

واني امرؤ عافي انائي شركة * وأنت امرؤ عافي انائك واحد
أتهزأ مني أن سمنت وأن ترى * بجسمي شحوب الحق والحق جاهد
أقسم جسمي في جسوم كثيرة * وأحسو قراح الماء والماء بارد

(وقال) بعض الحكماء أصل المحاسن كلها الكرم وأصل الكرم نزاهة النفس عن الحرام وسخاؤها بما ملكت على الخاص والعام وجميع خصال الخير من فروعه (وروى) انه كان عند البهلول بن راشد طعام فغلا السعر فامر به فبيع له ثم أمر ان يشترى له من ربع القفيز فقيل له تبيع وتشتري فقال نفرح اذا فرح الناس ونحزن كما حزنوا (ولحاتم طي فقال)

لعمري لقدما عضني الجوع عضة * فآليت أن لا أمنع الدهر جائعا
فقولا لهذا اللائم الآن أعفني * فان أنت لم تستطع فعض الاصابعا
فهل ما ترون الآن الا طبيعة * فكيف بتركي يا ابن أم الطبائعا

﴿وقال آخر﴾

أصون عرضي بمالي لا أدنسه * لا بارك الله بعد العرض في المال
أحتال للمال ان أودى فأجمعه * ولست للعرض ان أودى بمحتال

(وروى) ان رجلا سأل الحسن بن علي رضي الله عنه شيئا فاعطاه خمسين ألف درهم وخمسمائة دينار وقال ائت بحمال يحمله لك فأتاه بحمال فاعطاه طيلسانه وقال يكون كراء الحمال من قبلي (وروى) ان الليث بن سعد سألته امرأة سكرجة عسل فامر لها بزق عسل فقيل له في ذلك فقال انها سألت على قدر حاجتها ونحن نعطيها على قدر نعمتنا (وروى) ان رجلا استضاف لعبد الله بن عامر بن كريز فلما أراد الرجل أن يرتحل لم يعنه غلمانه فسئل عن ذلك فقال عبد الله انهم لا يعينون من ارتحل عنا (وفي معناه يقول المتنبي)

اذا ترحلت عن قوم وقد قدروا * أن لا تفارقهم فالراحلون هم

﴿الباب الحادي والثلاثون في بيان الشح والبخل وما يتعلق بهما﴾

الشح في كلام العرب البخل ومنع الفضل كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو اللهم اني أعوذ بك من شح نفسي واسرافها ووساوسها (وروى) جابر أن النبي عليه السلام قال اتقوا الشح فان الشح اهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا الدماء واستحلوا محارمهم وقد فرق بينهما مفرقون فقالوا الشح أشد من البخل فان البخل أكثر ما يقال في النفقة وانما كما قال الله تعالى سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة وقال تعالى ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه وقال تعالى في الشح أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا وقال تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون فالشح يبنى على الكزازة والامتناع فهو يكون في المال وفي جميع منافع البدن (وقال) ابن عمر ليس الشح أن يمنع الرجل ماله وانما الشح ان يطمع فيما ليس له ولهذا قال ابن المبارك سخاء النفس عما في أيدي الناس أفضل من سخاء النفس بالبذل (وقال) رجل لابن مسعود اني أخاف ان أكون قد هلكت سمعت الله تعالى يقول ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون

﴿حكمة﴾

كتب الوزير بزرجمهر الى الملك العادل كسرى وصايا ومواعظ فقال منها ينبغي يا ملك الدنيا ان يكون معك أربعة أشياء دائما العدل والعقل والصبر والحياء وينبغي ان تنفي عنك أربعة أشياء الحسد والكبر وضيق القلب يريد به البخل والعداوة وقال اعلم يا ملك الدنيا أن الملوك الذين كانوا قبلك من الملوك مضوا والذين يأتون بعدك لم يصلوا فاجتهد أن تكون جميع ملوك الزمان ورعاياهم محبيك ومشتاقين اليك

(حكاية)

يقال ان أنوشروان ركب في بعض الايام في الربيع على سبيل الفرجة يجول يسير في الرياض المخضرة ويشاهد الشجرة المثمرة وينظر الى الكروم ألف مرة فنزل عن فرسه شكرا لربه وخر ساجدا واضعا خده على التراب زمانا طويلا فلما رفع رأسه قال لاصحابه ان خصب السنين من عدل الملوك والسلاطين وحسن نيتهم واحسانهم الى رعيتهم فالمنة لله الذي قد أظهر حسن نيتنا في سائر الاشياء وانما قال ذلك لانه جربه في بعض الاوقات

﴿حكاية﴾

يقال ان أنوشروان العادل مضى يوما الى الصيد فانفرد من عسكره خلف صيد فرأى ضيعة بالقرب منه وكان قد عطش فقصد الضيعة وأتى باب دار قوم وطلب ماء ليشرب فخرجت صبية

Reference: 12964. Copyright for this page: Creative Commons Attribution Licence

View on the Qatar Digital Library: http://www.qdl.qa/en/archive/qnlhc/12964.45

وأنا رجل شحيح لا يكاد أن يخرج من يدي شيء فقال له ابن مسعود هذا ليس بالشح الذي ذكره الله تعالى فانه أن تأكل مال أخيك ظلما ولكن ذلك البخل وبئس الشيء البخل ففرق بينهما كما ترى (وقال) ابن عباس الشح أن يتبع هواه فلم يقبل الايمان وقال طاوس الشح ان يبخل المرء بما في أيدي الناس والبخل ان يبخل بما في يديه (وروى) أنس ان النبي عليه الصلاة والسلام قال برئ من الشح من أدى الزكاة وقرى الضيف واعطى في النائبة (وقال) ابن زيد من لم يأخذ شيأ نهاه الله عنه ولم يدعه الشح الى أن يمنع شيأ أمر الله به فقد وقاه شح نفسه (وقال) أبو التياح الاسدي رأيت رجلا في الطواف يقول اللهم قني شح نفسي لا يزيد على ذلك شيأ فسألته عن ذلك فقال اذا وقيت شح نفسي لم أسرق ولم أزن ولم أفعل شيأ يكرهه الله تعالى واذا الرجل عبد الرحمن بن عوف (واعلم) ان البخل يكون من سوء الظن بالله أن لا يخلف ولا يثيب وهذا يوهن التصديق بما تكفل الله به ويطرق الخلل والامتناع الى جميع الاوامر بين العبد وبين الخالق وبين العبد وبين الخلق في ترك معاونتهم والنصح لهم (وقال) كسرى لاصحابه أي شيء أضر بابن آدم قالوا الفقر فقال كسرى الشح أضر من الفقر لان الفقير اذا وجد اتسع والشحيح لا يتسع أبدا ولما قدم الشافعي من صنعاء الى مكة كان معه عشرة آلاف دينار فقالوا له تشتري بها ضيعة فضرب خيمته خارج مكة وصب الدنانير فكل من دخل عليه كان يعطيه قبضة قبضة فلما جاء وقت الظهر قام ونفض الثوب ولم يبق شيء (ولما) قربت وفاته قال مروا فلانا يغسلني وكان الرجل غائبا فلما قدم أخبر بذلك فدعا بتذكرته فوجد عليه سبعين ألف درهم دينا فقضاها وقال هذا غسلي اياه (وروى) ان رجلا أراد أن يؤذي عبد الله بن عباس فأتى وجوه البلد وقال يقول لكم ابن عباس تغدوا اليوم عندي فأتوه فملؤا الدار فقال ما هذا فأخبر الخبر فأمر أن تشترى الفواكه في الوقت وأمر بالخبز والطبخ فأصلح القرى فلما فرغ قال أوكلا له أموجود لنا هذا كل يوم قالوا نعم قال فليتغد هؤلاء كلهم كل يوم عندنا

* ومن الخصال الجارية مجرى الكمال والجمال ولعلها من الاصول الصبر *

﴿الباب الثاني والثلاثون في الصبر﴾

الصبر زمام سائر الخصال وزعيم الغنم والظفر وملاك كل فضيلة وبه ينال كل خير ومكرمة قال الله تعالى وتمت كلمت ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا وقال تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب فعظم وظائف الدين ذكر الله ورسوله جزاء معلوما لمن أقامها الا الصبر فانه بغير حساب وقال تعالى وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا قيل عن الدنيا وقال ابن عيينة لما أخذوا برأس الامر جعلهم الله رؤساء وقال تعالى ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون وقال تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون وقال تعالى ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا ثم ندبهم الى الصبر مع وجود الاذى فقال وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور فالصبر حبس النفس على الاوامر والمكاره وعن النواهي والمعاصي الا ترى ان أهل الجنة تودوا فقيل لهم سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار فاخبر الله تعالى انه أثابهم جنته بصبرهم يعني صبرتم على طاعة الله وصبرتم عن معصية الله قال الله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي أي احبس نفسك الآية فمن أمارات حسن التوفيق وعلامات السعادة الصبر في الملمات والرفق عند النوازل (وفيما روى) ان الله تعالى أوحى الى داود عليه السلام يا داود من صبر علينا وصل الينا (وقال سفيان) بلغنا ان لكل شيء ثمرة وثمرة الصبر الظفر وقال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون فعلق الفلاح على الصبر والتقوى يعني اصبروا على ما فرض الله عليكم وصابروا عدوكم ورابطوا فيه قولان قيل رابطوا على الجهاد والثاني رابطوا على انتظار الصلوات بدليل ما روى أبو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أدلكم على ما يحط الله به الخطايا ويرفع به الدرجات قالوا بلى يا رسول الله قال اسباغ الوضوء عند المكاره وكثرة الخطا الى

أبصرته وعادت الى البيت فدقت قصبة واحدة من قصب السكر وخرج منها ما عصرته منها بالملا ووضعته في قدح وسلمت القدح الى أنوشروان فنظر في القدح فرأى فيه ترابا وقذى فشرب منه قليلا قليلا حتى انتهى الى آخره وقال للصبية شادباش نعم الماء كان لولا ذلك القذى الذي كدره فقالت الصبية يسر منك أنا عمدا ألقيت فيه القذى قال أنوشروان ولم فعلت ذلك قالت رأيتك شديد العطش فلو لم يكن في الماء قذى كنت شربته عجلا نوبة واحدة وكان يضرك شربه نهلة واحدة فتعجب أنوشروان من كلامها وعلم انها ما قالت ذلك الا عن ذكاء وفطنة فقال لها من كم قصبة عصرت ذلك الماء فقالت من قصبة واحدة فتعجب وطلب جريدة خراج تلك الناحية فرأى خراجها قليلا فتفكر في نفسه وقال قرية يكون في قصبة واحدة منها هذا السكر ويكون هذا الخراج خراجها فجعل في نفسه انه اذا عاد أمر بان يزاد خراجها عليهم ثم انه عاد الى تلك الناحية بعد وقت واجتاز على ذلك الباب منفردا وطلب ماء فخرجت الصبية بعينها فرأته فعرفته فعادت لتخرج له الماء فابطأت عليه فاستعجلها أنوشروان وقال لاي شيء أبطأت فقالت الصبية لانه لم يخرج من قصبة واحدة قدر حاجتك وقد دققت اليوم ثلاث قصبات وما خرج منها مثل ما كان يخرج من قصبة واحدة فقال أنوشروان

المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط (وقال) الحسن في قوله تعالى واذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال ابتلاه بالكوكب فصبر وابتلاه بذبح ابنه فصبر وقال سبحانه وتعالى استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين فبدأ بالصبر قبل الصلاة ثم قال قولا عظيما فجعل نفسه مع الصابرين دون المصلين وقال النبي عليه الصلاة والسلام للانصار ما يكن عندي من خير فلن أدخره عنكم ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله ومن يتصبر يصبره الله وما أعطى أحد عطاء خيرا أوسع من الصبر (وقال ابن مسعود) قسم النبي صلى الله عليه وسلم قسما فقال رجل من الانصار والله انها القسمة ما أريد بها وجه الله فاخبرت النبي عليه الصلاة والسلام فشق عليه وتغير وجهه وغضب حتى وددت اني لم أكن أخبرته ثم قال قد أوذي موسى باكثر من هذا فصبر (وروى) ان النبي عليه الصلاة والسلام مر على امرأة تبكي عند قبر فقال لها اتقي الله واصبري فقالت اليك عني فانك لم تصب بمثل مصيبتي فلما قيل لها هذا رسول الله جاءت اليه تعتذر انها لم تعرفه وقالت سأصبر فقال النبي عليه الصلاة والسلام انما الصبر عند الصدمة الاولى ويحتمل هذا الحديث وجهين اما الطائي فقال معناه ان الصبر المحمود عند أول نزول المصيبة وقد فاتك بالجزع وأما القابسي فقال معناه ان الصدمة الاولى وقت أمرها النبي صلى الله عليه وسلم بالصبر وكان هذا تعليما لكل من فاته الصبر بذهول أو نسيان أو غلبة (وروى) ان النبي عليه الصلاة والسلام سئل عن الايمان فقال الصبر والسماحة (وفي منثور الحكم) قالت الصحة انا لاحقة بارض المغرب قال الجوع وأنا معك قال الايمان أنا لاحق بارض الحجاز قال الصبر أنا معك قال الملك أنا لاحق بارض العراق قال القتل أنا معك (واعلم) ان العجلة خرق ومخرجها من قلة العقل والخرق من ذلك التفريط في الامر بعد القدرة ومثل ذلك كالقدر على النار ان كان ماؤه قليلا غلت بيسير من النار وان كانت مملوءة لم تغل حتى تكثر نارها وتطول مدتها * وفي كتاب جاويدان خرد وايس للعجم كتاب مثله قال محرم على السامع تكذيب القائل الا في ثلاث هن غير الحق صبر الجاهل على مضض المصيبة وعاقل ابغض من أحسن اليه وحماة أحبت كنة

﴿فصل﴾ واعلم ان الصبر على أقسام صبر على ما هو كسب للعبد وصبر على ما ليس بكسب فالصبر على الكسب على قسمين صبر على ما أمر الله تعالى به وصبر على ما نهى الله عنه فاما الصبر على ما ليس بكسب للعبد فكصبره على مقاساة ما يتصل به من حكم الله تعالى فيما له فيه مشقة وينقسم من وجه آخر على أربعة أقسام فأول أقسامه وأولاها الصبر على امتثال أمر الله سبحانه والانتهاء عما نهى عنه والثاني الصبر على ما فات ادراكه من مسرة أو تقضت أوقاته من مصيبة والثالث الصبر فيما يتنظر وروده من رغبة يرجوها أو يخشى حدوثه من رهبة يخافها والرابع الصبر على ما نزل من مكروه أو حل من أمر مخوف وجميع أقسامه محمود بكل لسان وفي كل ملة وعند كل أمة مؤمنة أو كافرة (وقال أكثم بن صيفي) من صبر ظفر (وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه) الصبر مطية لا تكبو والقناعة سيف لا ينبو (وقال اردشير) الصبر الدرك (وقال) عليه الصلاة والسلام الصبر ضياء وبالصبر يتوقع الفرج (وقال) عليه الصلاة والسلام الصبر سترمن الكروب وعون على الخطوب (وقال ابن عباس) أفضل العدة الصبر عند الشدة (وقال عبد الحميد الكاتب) لم أسمع أعجب من قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لو كان الصبر والشكر مطيتين ما باليت أيهما ركبت (وقال) بعض الحكماء بالصبر على مواقع المكروه تدرك الحظوظ (وقال) ابن المقفع في كتاب اليتيمة الصبر صبران فاللئام اصبر اجساما والكرام اصبر نفوسا وليس الصبر الممدوح صاحبه ان يكون قوي الجسد على الكد والعمل فان هذا من صفات الحمير ولكن ان يكون للنفس غلوبا وللامور محتملا ولجأشه عند الحفاظ مرتبطا (وفي منثور الحكمة) من أحب البقاء فليعد للمصائب قلبا صبورا (وقال) بزرجمهر لم أر ظهيرا على تنقل الدول كالصبر ولا مذلا للحساد كالتجمل ولا مكسبة للاجلال كتوقي المزاح ولا مجلبة للمقت كالاعجاب ولا منافية للمروءة كاستعمال الهزل

ما سبب هذا العجز فقالت سببه تغير نية السلطان فقد سمعنا انه اذا تغيرت نية السلطان على قوم زالت بركاتهم وقلت خيراتهم فضحك أنوشروان وازال عن نفسه ما كان قد أضمره لهم وتزوج تلك الصبية حلالا لاعجبه من ذكائها

﴿حكمة﴾

يقال ان الصادقين من الناس ثلاثة الانبياء والملوك والمجانين وقيل ان السكر جنون لان المجنون سكره باطن والسكران جنونه ظاهر والويل لمن يبقى في سكر الغفلة دائما كما قال الشاعر

من أسكرته الخمر في سرعة
فاعليه ان صحا من خجل
ومن يكن بالملك ذا سكرة
يصح اذا ما الملك عنه انتقل

والمقبل جدا من كان من سكر سلطنته صاحيا وكان المقدم على أعماله ثقة أمينا وكان جليسه نصوحا معينا وعلامة سكر السلطان أن يسلم وزارته الى محتاج معوز ثم يستدعيه ويتمسك به الى أن تزول حاجته وتنقضي فاقته ثم يعزله وينصب غيره فيكون مثاله مثال من يربي طفلا صغيرا الى أن يصير بالغا كبيرا يصلح للاعمال وقضاء الحوائج والاشغال ثم يقتله ويستأصله وقيل ان أربعة أشياء على الملوك من الفرائض وهي ابعاد الادنياء عن عمالهم وعمارة المملكة بتقريب العقلاء وحفظ آراء المشايخ وأولى الحكمة والتجربة والزيادة في أمر المملكة بالاقلال من الاعمال المذمومة لما تولى الامر عمر بن عبد العزيز كتب الى الحسن البصري

فى موضع الجد (فاما القسم الاول) وهو الصبر على امتثال أوامر الله تعالى والانتهاء عن محارمه فبه يصح اداء الفرائض واستكمال السنن ويدخل فى قوله تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ولذلك قال على بن أبى طالب رضى الله عنه الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد (وقال الجنيد) المسير من الدنيا سهل هين على المؤمن وهجر الخلق فى جنب الله شديد والمسير من النفس الى الله شديد والصبر مع الله تعالى شديد وسئل عن الصبر فقال تجرع المرارة من غير تعبيس (وكان حبيب بن أبى حبيب) اذا قرأ هذه الآية انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب بكى ثم قال واعجباه أعطى وأثنى (وقال الخواص) الصبر الثبات على أحكام الكتاب والسنة (وقال عبد الواحد بن زيد) من نوى الصبر على طاعة الله تعالى صبره الله تعالى عليها وقواه ومن عزم على الصبر عن معصية الله تعالى أعانه الله تعالى وعصمه منها (وقال عمر بن عبد العزيز) للقاسم بن محمد أوصنى فقال القاسم عليك بالصبر فى مواضع الصبر (وقال الحسن) الصبر صبران صبر عند المصيبة وصبر عما نهى الله عنه وهو الافضل وانما يختلف الصبر بالخوف والرجاء فان من خاف شيأ صبر على الفرار منه وصبر عند الكراهية لما يحذر من ضرره ومن رجا شيأ صبر على طلبه ليظفر به (وأما القسم الثانى) وهو الصبر على مافات ادراكه من مسرة أو انقضت أوقاته من مصيبة فانه يتعجل به الراحة مع اكتساب المثوبة فان صبر طائعا استراح واحرز الثواب وان لم يصبر حمل الهم والوزر (وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه) للاشعث بن قيس ان تجزع فقد استحق ذلك منك بالرحم وان تصبر ففى ثواب الله تعالى خلف من ابنك ان تصبر يجرى عليك القلم وأنت مأجور وان جزعت جرى عليك القلم وأنت مأزور ونظمه أبو تمام فقال

وقال على فى التعازى لاشعث * وخاف عليه بعض تلك المآثم
أتصبر للبلوى عزاء وحسبة * فتؤجر أم تسلو سلو البهائم
خلقنا رجالا للتجلد والعزا * وتلك الايامى للبكا والمآتم

(وقال عمر بن الخطاب) رضى الله عنه لرجل ان صبرت مضى أمر الله وكنت مأجورا وان جزعت مضى أمر الله وكنت مأزورا (وقال الحسن) والله لو كلفنا الجزع ماقنا به فالحمد لله الذى آجرنا على مالو نهانا عنه لصرنا اليه وعن هذا قالت الحكماء الجزع اتعب من الصبر ففى الجزع التعب والوزر وفى الصبر الراحة والاجر ولو صور الصبر والجزع لكان الصبر أحسن صورة وأكرم طبيعة وكان الجزع أقبح صورة واخور طبيعة ولكان الصبر أولاهما بالغلبة لحسن الخلقة وكرم الطبيعة (وقال بعض العلماء) لو وكل الناس بالجزع لعجزوا الى الصبر (وقال) شبيب بن شيبة للمهدى ان المرء أحق ماصبر عليه مالم يجد سبيلا الى دفعه وأنشد

واذا أتتك مصيبة فاصبر لها * عظمت مصيبة مبتلى لا يصبر

﴿وقال آخر﴾

وعوضت أجرا من فقيد فلا تكن * فقيدك لا يأتى وأجرك يذهب

(وقال) بعض الحكماء ليس بمجموع له الرشد من تابع التلهف على فائت أو أكثر الفرح عند مستطرق (وقال) الحكيم ان كنت جازعا على ماتفلت من يديك فاجزع على مالم يصل اليك ومن أيقن ان كل فائت الى نقصان حسن عزاؤه عند نزول القضاء (وقال الشاعر)

اذا طال بالمحزون أيام صبره * كساه ضنا طول المقام على الصبر
ولا شك ان الصبر يحمد غبه * ولكن انفاق عليه من العمر

(وقال بعض القدماء) الصبر على أربع مراتب على الشوق والاشفاق والزهد والترقب فمن اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات ومن زهد فى الدنيا تهاون بالمصيبات ومن راقب الموت اقصر عن الخطيآت (وأما القسم الثالث) وهو الصبر فيما ينتظر وروده من رغبة يرجوها أو يخشى حدوثه من رهبة يخافها فبالصبر والتلطف تدفع عادية مايخاف وينال نفع مايرجو (قال) النبى

ان أعنى باصحابك فكتب اليه الحسن اما طالب الدنيا فلا ينصح لك واما طالب الآخرة فلا يرغب فيك ولا يجوز للسلطان أن يسلم وزارته ولا عملا من أعماله الى من ليس لذلك باهل فان سلم الاعمال الى ذلك الرجل فقد أفسد ملكه وأهمل أمره وأخرب مملكته وظهر له الخلل الوافر من كل وجه وكل جانب كما قال الشاعر

البيت لما مال منه خرابه * ظهر الخلل من أساس الحائط

واذا تولى الملك من أربابه * ولوا الامور لكل قدم ساقط

ينبغى لمن خدم الملوك ان يكون كما قال الشاعر

اذا خدمت الملوك فالبس * من التوقى اعز ملبس
وادخل اذا ما دخلت اعمى * واخرج اذا ما خرجت أخرس

ومن انبسط على السلطان فقد ظلم نفسه ولو كان ولد السلطان وليس ينبغى الانبساط عليهم فى خدمتهم كقول الشاعر

وان تك للسلطان خلا فداره * وخف منه ان أحببت رأسك سالما

ومثل الذى ينبسط مع السلطان كمثل الحواء الذى يكون دائما مع الحيات يأكل ويقوم معها ويقعد معها وكرجل فى البحر بين التماسيح التى تبلع الآدميين فلا يزال بروحه مخاطرا

﴿حكمه﴾

قال الحكيم ويل لمن ابتلى بصحبة السلاطين فانهم ليس لهم صديق ولا قرابة ولا ولد ولا خادم ولا احترام لاحد ولا يحابون أحدا الا من كانوا محتاجين اليه لعلمه أو لشجاعته فاذا أخذوا

عليه

عليه السلام انتظار الفرج من الله بالصبر عبادة (وقال محمد بن بشير)

ان الامور اذا اشتدت مسالكها * فالصبر يفتح منها كل مارتجا
لا تيأسن وان طالت مطالبه * اذا استعنت بصبر ان ترى فرجا
اخلق بذى الصبر ان يحظى بحاجته * ومدمن القرع للابواب ان يلجا

(وقال بعض الرواة) دخلت مدينة يقال لها ذوار فبينا انا أطوف فى خرابها اذ رأيت مكتوبا على قصر خراب

يامن ألح عليه الهم والفكر * وغيرت حاله الايام والغير
اما سمعت بما قد قيل فى مثل * عند الاياس فاين الله والقدر
ثم المطلوب اذا أحداثها طرقت * واصبر فقد فاز أقوام بما صبروا
فكل ضيق سيأتى بعده سعة * وكل فوت وشيك بعده الظفر

(وتحته مكتوب بخط آخر) لو كان كل من صبر أعقب الظفر صبرت ولكن يجد الصبر فى العاجل يفنى العمر ويدنى من القبر وما كان أصلح لذى العقل موته وهو طفل والسلام (قال) لو رأيته لكتبت تحته فى الصبر استعجال الراحة وانتظار الفرج وحسن الظن بالله وأجر بغير حساب وفى الجزع استعجال الهموم ونهك البدن واستشعار الخيبة وسوء الظن بالله وحمل الاثم مع العقوبة وما أحسن بذى العقل اجتناب هذا والسلام (وقال بعض البلغاء) من صبر نال المنى ومن شكر حصن النعماء (وقال الشاعر)

الصبر مفتاح كل خير * وكل شر به يهون
اصبر وان طالت الليالى * فربما ساعد الحرون
وربما نيل باصطبار * ماقيل هيهات لا يكون

(وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله) ما أنعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه وعوضه صبرا الا كان ماعوضه أفضل مما انتزعه منه وقرأ انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب (وروى) ان جارية كانت لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه تتصرف فى حوائجه فكلما خرجت تصدى لها خياط كان بقرب دار على ويقول لها والله انى لاحبك فلما أكثر من ذلك شكته الى على فقال لها على اذا قال لك مرة أخرى فقولى له والله انى لاحبك فما الذى تريد فعاد فقال لها ذلك فقالت له وأنا والله أحبك فيه فقال لها تصبرين واصبر حتى يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب فرجعت الجارية وأخبرت مولاها فدعا على رضى الله عنه الخياط فوجد أمره على العفة فوهبها له مع نفقة يستعين بها (وقال) على رضى الله عنه الصبر كفيل بالنجاح والتوكل لا يحبطه والعاقل لا يذل باول نكبة ولا يفرح باول رفعة وكان يقال الصبر سلامة والطيش ندامة (وأما القسم الرابع) وهو الصبر على مانزل من مكروه أو حل من أمر مخوف فالصبر فيه تنفتح وجوه الآراء وتتوقى مكايد الاعداء قال الله تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا وقال تعالى واصبر وماصبرك الا بالله وقال تعالى واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الامور * وروى ابن عباس ان النبى عليه السلام قال ان استطعت ان تعمل لله بالرضا فى اليقين فافعل وان لم تستطع فاصبر فان فى الصبر على ماتكره خيرا كثيرا واعلم ان النصر مع الصبر وان الفرج مع الكرب وان اليسر مع العسر (وقال على رضى الله عنه) الصبر مناضل الحدثان والجزع من أعوان الزمان * وقال الحكيم مفتاح عزيمة الصبر تعالج مغاليق الامور (وأنشدوا)

انما أجزع مما أتقى * فاذا حل فمالى والجزع

ولما حبس ابو ايوب فى الحبس خمس عشرة سنة ضاقت حيلته وقل صبره وكتب الى بعض اخوانه يشكو طول حبسه وقلة صبره فرد عليه جواب رقعته

صبرا أبا أيوب صبر مبرح * فاذا عجزت عن الخطوب فمن لها
ان الذى عقد الذى انعقدت به * عقد المكاره فيك يملك حلها

حاجتهم منه لم يبق له عندهم مودة ولم يبق له معهم وفاء ولا حياء وأكثر أشغالهم وبستصغرون كبار ذنوبهم ويستعظمون صغار ذنوب غيرهم ويستحقرون فى العقاب ضرب الرقاب ويستعظمون فى العتاب رد الجواب قال سفيان لا تصحب السلطان واياك وخدمته لانك ان كنت له مطيعا اتعبك وان خالفته قتلك واعطبك ولا ينبغى لاحد ان يدخل على الملوك اذا لم يكن لهم جواد كما جاء فى الحكاية

﴿حكاية﴾

يقال ان يزدجرد بن شهريار دخل يوما على والده فى وقت لم يكن لاحد اذن فى الدخول فقال شهريار امض واضرب الحاجب الفلانى ثلاثين خشبة واطرده عن الدركات وأقم موضعه فلانا الحروكان عمر يزدجرد ثلاث عشرة سنة حينئذ فعلم ذلك الحاجب المحرم أبعد الاول عن الباب فعاد بعض الايام يزدجرد واراد ان يدخل على والده فجعل ذلك الحاجب يده على صدره ورده على عقبه وقال له ان عدت رأيتك بعدها ههنا ضربتك ستين سوطا ثلاثين لاجل المعزول وثلاثين لئلا تعود تدخل على الملوك فى غير وقت الاذن وان كنت ولده لئلا تحملنى على الضرب والهوان وأصلح الاشياء للملك ان لا يباشر الحرب بنفسه ويحفظ ناموسه لان كثيرا من الارواح يتعلق بروحه وصلاح الرعية فى حياته وكذلك ينبغى ان لا يجور على نفسه لئلا يجور على جميع الخلق ولا

Reference: 12964. Copyright for this page: Creative Commons Attribution Licence
View on the Qatar Digital Library: http://www.qdl.qa/en/archive/qnlhc/12964.47

يجوز للملك ان يجازف في الاشغال ولا يتساهل في الاعمال ويجب ان ينيم كل ليلة على فراشه غيره ويتحول بنفسه الى

صبرا فان الصبر يعقب راحة * فلعلها أن تنجلي ولعلها

فلما وقف عليها أبو أيوب كتب اليه

صبرتني ووعظتني فأنا لها * وستنجلي بل لا أقول لعلها

ويحلها من كان صاحب عقدها * كرما به اذ كان يملك حلها

فما لبث بعد ذلك الا أياما حتى أطلق مكرما (ولتميم بن المعز)

سأسكت صبرا واحتسابا فانني * أرى الصبر سيفا ليس فيه فلول

عذابي أن أشكو الى الناس أنني * عليل ومن أشكو اليه عليل

وان الذي يشكو الى غير نافع * ويشكو بما في نفسه لجهول

(وأنشدوا)

دع الدهر يجري بأقداره * ويقضي عجائب أوطاره

ونم نومة عن ولاة الامور * وخل الزمان بتدواره

فانك ترحم من قد غبطت * وتعجب من قبح آثاره

(وأنشدني بعضهم)

ويمنعني الشكوى الى الناس أنني * عليل ومن أشكو اليه عليل

ويمنعني الشكوى الى الله أنه * عليم بما ألقاه قبل أقول

ولآخر

اذا ابتليت فثق بالله وارض به * ان الذي يكشف البلوى هو الله

اليأس يقطع أحيانا بصاحبه * لا تيأسن فان الصانع الله

اذا قضى الله فاستسلم لقدرته * ما لامرئ حيلة فيما قضى الله

ويعرف من هذه اللفظة صابر وصبور وصبار ومتصبر فالمتصبر من صبر في الله على المكاره فتارة يعجز وتارة يصبر والصابر من لا يشكو ولا يعجز والصبار الذي لو دفع عليه جميع البلايا والمحن لم يتغير وجهه في الحقيقة وان تغير من وجهه الرسم والبشرية والخلقة كما قال القائل

صابر الصبر فاستغاث به الصبـ * ـر فصاح الصبور يا صبر صبرا

وهذا أقوى بيت قيل في الصبر وأحسنه وقريب منه قول القائل

صبرت على الايام صبرا أصارني * الى ان ينادي الحال لا صبر للصبر

والصبور هو الثابت على هذه المقامات وقيل أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام تخلق باخلاقي وان من اخلاقي أني انا الصبور ويقال الصبر لله غنى والصبر بالله تقى والصبر في الله بلاء والصبر مع الله وفاء والصبر عن الله جفاء وأنشدوا

اذا لعب الرجال بكل شئ * رأيت الحب يلعب بالرجال

وكيف الصبر عمن حل مني * بمنزلة اليمين مع الشمال

وقال الحاجبي بين الصبر والتصبر حالة هي التنعم وذلك اذا رفع الله علما من أعلام الآخرة بدله على منازل الصابرين عنده فيتنعم القلب بسرور النعيم وقال أبو محمد الجريري الصبر هو ان لا تفرق بين حال النعمة والمحنة مع سكون الخاطر فيهما والصبر هو السكون مع البلاء مع وجدان اثقال المحنة وأنشدوا

صبرت ولم أطلع هواك على صبري * وأخفيت ما بي منك عن موضع السر

مخافة أن يشكو ضميري صبابتي * الى دمعتي سرا فتجري ولا أدري

وقيل للمحاسبي عماذا يقوى الصابر على صبره فقال اذا علمت ان في صبرك رضا مولاك أما سمعت قول الحكيم

رضيت وقد أرضى اذا كان مسخطي * من الامر ما فيه رضا صاحب الامر

وفي معناه

ساصبر كي ترضى وأتلف حسرة * وحسبي ان ترضى ويتلفني صبري

قال شيخنا وتكلمنا في محنة أعظم من ثكل النفس هذا أيوب لما أصيب بنفسه قال مسني الضر ويعقوب

غير ذلك المكان حتى ان قصد عدوه اتلاف نفسه وجد غيره في مكانه فلا يصل عدوه اليه كما جاء في الحكاية

﴿حكاية﴾

يقال انه انهزم خسرويز من بهرام جوبين وقال هربت وان كان الهرب عيا الا خلص بهربي أرواح جماعة من أصحابي لانني ان هلكت هلك بسببي ألوف من الخلائق والمقصود من هذا المقال ان زماننا غير موافق وان الناس فيه بين قبيح الفعل وغافل والملوك مشغولون بالدنيا ومحبة المال ولا يجوز الاحتمال والتغافل عن أناس السوء ففي امثال العرب العبد يقرع بالعصى والحر تكفيه الاشاره وهذا المثل يضرب فيمن له أصل وفيمن لا أصل له وقد كان للناس وقت وزمان يؤمن فيه رجل واحد جميع أهل الدنيا ويحضرهم بدرة كان يحملها على عاتقه وهو عمر بن الخطاب رضي الله عنه والفضل في ذلك الوقت كان للزمان والرعية فاليوم لو عوملت هذه الرعية بتلك المعاملة لم يحتملوا ولبدا منهم الفساد لكن ينبغي أن يكون السلطان هذا الوقت أتم سياسة وهيبة ليشتغل كل انسان بشغله ويأمن الناس بعضهم من بعض ونحن الآن نورد خبرا في هذا الباب

لما

ليستفيد به القارئ والسامع خبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه فقيل له لاى شئ لا تنفع

لما أصيب بحبيبه قال وا أسفا على يوسف قال أحمد قال لي أبو سليمان الداراني أتدري بماذا أزال العقلاء اللائمة عن أنفسهم اليوم قلت لا قال لعلمهم بان الله تعالى ابتلاهم بذلك فصبروا ويروى ان الله تعالى أوحى الى بعض أنبيائه اذا أنزلت بعبدي بلائي فدعاني فماطلته بالاجابة فشكاني فقلت عبدي أرحمك من شئ به أرحمك وقيل في قوله تعالى فاصبر صبرا جميلا انه الصبر الذي لا شكوى فيه ولا بث قال أنس ما صبر من بث وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا تستغزروا الدموع بالتذكر وقال الشاعر

* ولا يبعث الاحزان مثل التذكر *

ومما يعين على عظم الاسى وشدة الجزع تذكر المسار المنقضية وتصور المضار الذاهبة وكثرة الشكوى والاسف وقال الشاعر

لا تكثر الشكوى الى الصديق * وارجع الى الخالق لا المخلوق * لا يخرج الغريق بالغريق

وفي منثور الحكم المصيبة بالصبر أعظم المصيبتين واعلم انه قل من صبر على شدة الا ونال ما يرجوه من فرج وينبغي لمن نزلت به مصيبة أو كان في شدة ان يسهلها على نفسه ولا يغفل عن تذكر ما يتيقنه من وجوب الفناء وتقضي المسار فان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له وعليها يعادي من لا علم له وعليها يحسد من لا فقه له ولها يسعى من لا تفقه له من صح فيها سقم ومن سقم فيها برم ومن افتقر فيها حزن ومن استغنى فيها افتتن حلالها حساب وحرامها عقاب ومتشابهها عتاب لا خيرها يدوم ولا شرها يبيق ولا فيها لمخلوق بقاء فاذا تصور حقيقتها خف عنده ذري الحوادث سهلة والمصائب هينة وقال الشاعر

يمثل ذو اللب في نفسه * مصائب من قبل ان تنزلا

فان نزلت بغتة لم ترعه * لما كان في نفسه مثلا

رأى الامر يفضي الى آخر * فصير آخره أولا

وقال بعض الحكماء من حاذر لم يجزع ومن راقب لم يهلع ومن كان متوقعا لم يلف متوجعا ومن لم يشعر نفسه ما ذكرنا من أحوال الدنيا وتقضي المسار ثم الثواء في اللحود بين أطباق التراب والجنادل قد فارقه الاحباء وهجره القرباء والبعداء ألفته الحوادث وابقا فسلبته الصبر وضاعفت عليه الاسى وقال ابن الرومي

ان البلاء يطاق غير مضاعف * فاذا تضاعف فهو غير مطاق

(وأنشدوا)

تعودت مس الضر حتى ألفته * وأسلمني حسن العزاء الى الصبر

ووسع صدري للاذى كثرة الاذى * وان كنت أحيانا يضيق به صدري

وصيرني يأسي من الناس كلهم * لعلمي بصنع الله من حيث لا أدري

ولبعض الاعراب

تعز فان الصبر بالحر أجمل * وليس على ريب الزمان معول

فلو كان يغني ان يرى المرء جازعا * لنائبة أو كان يغني التذلل

لكان التعزي عند كل مصيبة * ونازلة بالحر أولى وأجمل

فكيف وكل ليس يعدو حمامه * وما لامرئ عما قضى الله مزحل

فان تكن الايام فينا تبدلت * ببؤس ونعمى والحوادث تفعل

فما لينت منا قناة صليبة * ولا ذللتنا للذي ليس يجمل

ولكن وجدناها نفوسا كريمة * تحمل ما لا تستطيع فتحمل

وقينا بفضل الله منا نفوسنا * فصحت لنا الاعراض والناس هزل

﴿الباب الثالث والثلاثون في كتمان السر﴾

قال الله تعالى حكاية عن يعقوب عليه السلام يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا فلما أفشى يوسف رؤياه بمشهد امرأة يعقوب أخبرت اخوته ففعل به ما حل وفي الحديث استعينوا على قضاء

الموعظة هؤلاء الناس فقال الخبر معروف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أوصى عند وفاته أشار بثلاث اصابعه وقال بطرف لسانه ولا تسألوني عن أولئك فقال الصحابة ان ذلك اشارة الى ثلاثة أشهر وقال قوم ثلاث سنين وقال قوم ثلاثين سنة وقال قوم ثلثمائة سنة فلا تسألوني عن حال تلك الرجال فاذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تسألوني عن أولئك فكيف تنفع الموعظة فيهم وسئل من مثل هذا السؤال فقال كان الناس في ذلك الزمان نياما وكان العلماء أيقاظا واليوم العلماء نيام والخلق موتى فاى نفع لكلام النائم عند الميت اما زماننا هذا فهو الزمان الذي قد هلك فيه الخلائق جميعهم وقد خبثت اعمال الناس ونياتهم واذا لم تكن بينهم سياسة السلطان ولا هيبته لم يثبتوا على الطاعة والصلاح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العدل عز الدين وفيه صلاح السلطان وقوة الخاص والعام وبه يكون خير الرعية وأمنهم وعافيتهم وكل الاعمال توزن بميزان العدل قال الله تعالى والسماء رفعها ووضع الميزان يعني به العدل وقال في موضع آخر الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان وأحق الناس بالجاه والمملكة من كان قلبه مكانا للعدل وبيته مقرا لذوي الدين

Reference: 12964. Copyright for this page: Creative Commons Attribution Licence

View on the Qatar Digital Library: http://www.qdl.qa/en/archive/qnlhc/12964.48

والعقل ورأيه خزانة أرباب العلم (٨٤) والفضل وصحبته مع العقلاء ومشورته مع أولي الآراء كما قال الشاعر

الحوائج بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود واعلم ان كتمان السر من الخصال المحمودة في جميع الخلق ومن اللوازم في حقوق الملوك ومن الفرائض الواجبة على الوزراء وجلساء الملوك والاتباع قال علي رضي الله عنه سرك أسيرك فاذا تكلمت به صرت أسيره واعلم ان أمناء الاسرار أشد تعذرا وأقل وجودا من أمناء الاموال وحفظ الاموال أيسر من كتم الاسرار فان أحراز الاموال منيعة بالابواب والاقفال وأحراز الاسرار بارزة يذيعها لسان ناطق ويشيعها كلام سابق وحب الاسرار أثقل من حب الاموال وان الرجل يستقل بالحمل الثقيل يحمله ويمشي به ويقله ولا يستطيع كتم السر وان الرجل يكون سره في قلبه فيلحقه من القلق والكرب ما لا يلحقه بحمل الاثقال فاذا أذاعه استراح قلبه وسكن جانبه وكأنما ألقى عن نفسه جبلا وقال عمر بن عبد العزيز القلوب أوعية والشفاه أقفالها والالسن مفتاحها فليحفظ كل امرئ مفتاح سره ومن أعجب الامور ان اغلاق الدنيا كلما كثرت خزانها كان أوثق لها الا السر فانه كلما كثر خزانه كان أضيع له وكم من اظهار سر أراق دم صاحبه ومنع من بلوغ مآربه ولو كتمه أمن من سطواته قال أنوشروان من حصن سره فله بتحصينه خصلتان الظفر بحاجته والسلامة من السطوات وقال بعض الحكماء سرك من دمك فلا تجره في غير أوداجك فاذا تكلمت به فقد أرقته وكان لعثمان بن عفان رضي الله عنه كاتب يقال له حمران فاشتكى عثمان فقال اكتب العهد بعدي لعبد الرحمن بن عوف فقال حمران لعبد الرحمن البشرى فقال عبد الرحمن لك البشرى بماذا فاخبره الخبر فانطلق عبد الرحمن فاخبر عثمان فقال عثمان أعاهد الله أن لا يساكني حمران أبدا ونفاه الى البصرة فلم يزل بها حتى قتل عثمان رضي الله عنه واعلم ان كتمان الاسرار يدل على جواهر الرجال وكما انه لا خير في آنية لا تمسك ما فيها فلا خير في انسان لا يمسك سره ويروى ان رجلا أودع سره عند رجل فقال له أفهمت قال بل جهلت قال أحفظت قال بل نسيت وقيل لبعضهم كيف كتمك للسر قال أجحد المخبر وأحلف للمستخبر وقال الشاعر

ولو قدرت على كتمان ما اشتملت * مني الضلوع على الاسرار والخبر
لكنت أول من ينسى سرائره * اذ كنت من نشرها يوما على خطر

قال شيخنا ومن أحسن شئ سمعته في كتمان السر ما أنشدنيه بعض فقهاء البصرة بالبصرة فقال

ولها سرائر في الضمير طويتها * نسي الضمير بانها في طيه

وفي معناه

ومستودعي سرا كتمت مكانه * عن الحس خوفا ان يتم به الحس
وخفت عليه من هوى النفس شهرة * فاودعته في حيث لا تبلغ النفس

قال العتبي أسر معاوية رضي الله عنه الى عثمان بن عنبسة حديثا فقلت لابي ان أمير المؤمنين أسر الي حديثا أفأحدثك به قال لا من كتم حديثا كان الخيار له ومن أظهره كان الخيار عليه فلا تجعل نفسك مملوكا بعد أن كنت مالكا قلت يا أبت أيدخل هذا بين الرجل وأبيه قال لا يا بني ولكن أكره ان تذلل لسانك بافشاء السر قال فحدثت به معاوية فقال أعتقك أخي من رق الخطا وقيل لبعض الملوك ما أصعب الاشياء على الانسان قال ان يعرف نفسه ويكتم سره وقال قيس بن الحطيم

أجود بمكنون البلاد واني * بسرك عمن سالني لضنين
اذا جاوز الاثنين سر فانه * ببث وتكثير الوشاة قمين
وان ضيع الاقوام سرا فانني * كتوم لاسرار العشير أمين
يكون له عندي اذا ما ضمنته * مكان بسوداء الفؤاد مكين

قال شيخنا قال الناس يقولون أراد بالاثنين المودع والمودع ولا يبعد ان يريد به الشفتين وكان يقال أصبر الناس من صبر على كتمان سره فلم يبده لصديقه فيوشك ان يصير عدوا وقد روي في الحديث عن النبي عليه السلام انه قال اذا حدث الرجل الرجل ثم التفت فهي امانة قلت واذا كانت أمانة حرمت

بدء خزانة جوده
والقلب خازن فضله
قد رتبت أبوابه
أبدا بطالب عدله
قال الحسن البصري كل ملك عظم أمر الدين كان عند رعيته عظيم الامر ومن عرف الله تعرف للخلق به واختاروا أن يكونوا معارفه كما قال الشاعر

من عرف الله تعالى اسمه
آثر كل الخلق عرفانه
طوبى لمن أول ما حازه
معرفة الخالق سبحانه

قال بزرجمهر لا ينبغي للملك أن يكون في حفظ مملكته أقل من البستاني في حفظ بستانه فانه اذا زرع الريحان ونبت بينه الحشيش استعجل في قلع الحشيش لئلا يضبط أماكن الريحان

﴿حكمة﴾

قال أفلاطون علامة السلطان المظفر على أعدائه ان يكون قويا في نفسه لازما لصمته مفكرا في آرائه وتدبيره بقلبه وان يكون عاقلا في ملكه شريفا بنفسه حلوا في قلوب رعيته رفيقا في سائر أعماله مجربا بالعهد من تقدمه خبيرا باعمال من هو أقدم منه صلبا في دينه وكل ملك تجمعت فيه هذه الخصال كان في عين عدوه مهيبا لا يجد فيه العائب معيبا واذا كان الملك يرى من حوله وقوته بالله جلت قدرته وان كان عدوه قويا فانه

فيها

يظفر به وينصر عليه ومثاله قوله تعالى كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله (٨٥) والله مع الصابرين ﴿حكمة﴾

فيها الخيانة كالامانة في الاموال وقال أبو بكر بن حزم انما يتجالس المتجالسان بامانة الله فلا يحل لاحدهما ان يفشي على صاحبه ما يكره وقال هشام بن عمرو ما من رجل ينقص من أمانته الا نقص ايمانه وقال جعفر بن عثمان

يا ذا الذي أودعني سره * لا ترج أن تسمعه مني
لم أجره قط على فكرتي * كأنه لم يجر في أذني

وكان عمرو بن العاص يقول ما أفشيت سري الى رجل فافشاه علي فلمته اذ كان صدري أضيق به وقال الاحنف بن قيس يضيق صدر أحدهم بسره حتى يحدث به ثم يقول اكتمه علي وفي منثور الحكم انفرد بسرك ولا تودعه حازما فيزل ولا جاهلا فيخون وأنشدوا

اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه * فصدر الذي يستودع السر أضيق

وفي منثور الحكم من أفشى سره كثر عليه المتآمرون وقال الشاعر

وسرك ما كان عند امرئ * وسر الثلاثة غير الخفي

وقال آخر

ولا تنطق بسرك كل سر * اذا ما جاوز الاثنين فاشي

وقال آخر

تبوح بسرك ضيقا به * وتبغي لسرك من يكتم
وكتمانك السر فيما تخاف * وفيما تحاذره أحزم
اذا ذاع سرك من مخبر * فانت اذا ما لمته ألوم

وقال آخر

اذا ما ضاق صدرك من حديث * وأفشته الرجال فمن تلوم
وان عاتبت من أفشى حديثي * وسري عنده فأنا الملوم

وقال الحكيم ما كتمته من عدوك فلا تطلع عليه صديقك فان لم يكن لك بد من اذاعته لقرينة تقتضيه من صديق مساهم أو استشارة ناصح مسالم فمن صفات أمين الاسرار ان يكون ذا عقل ودين ونصح وود وفان هذه أمور تمنع من الاذاعة وتوجب حفظ الامانة ومن كملت فيه فهو عنقاء مغرب ولا تودع سرك عند من يستدعيه فان طالب الوديعة خائن قال صالح بن عبد القدوس لا تذع سرا الى طالبه منك فالطالب للسر مذيع وفي الجملة اذا زال سرك عن عذبة لسانك فالاذاعة مستولية عليه وان أودعته قلب ناصح محب فاحتمال مرارة الكتمان على قلبك أسهل عليك من التململ بتقلب سرك غيرك واعلم ان افشاء سر غيرك أقبح من اظهار سر نفسك لانه يبوح باحدى وصمتين اما الخيانة ان كان مؤتمنا أو النميمة ان كان مستخبرا وقال بعض الحكماء لابنه يا بني كن جوادا بالمال في مواضع الحق ضنينا بالاسرار عن جميع الخلق فان أحمد جود المرء الانفاق في وجه البر والبخل بمكتوم السر وكان يقال صدور الاحرار قبور الاسرار وقال الشاعر

ألم تر ان وشاة الرجا * ل لا يتركون أديما صحيحا
فلا تفش سرك الا اليك * فان لكل نصيح نصيحا

وقال غيره

ما كل مكتوم يباح به * احذر لسانك من جوانبه
ليس الهوى ما كنت تعرفه * أيام تلعب في جوانبه
هذا هوى لو قد فصحت به * ضحك الحمام الى مضاربه

﴿الباب الرابع والثلاثون في بيان الخصلة التي هي رهن بسائر الخصال وزعيم بالمزيد من النعماء والآلاء من ذي الجلال﴾

وهي الشكر قال الله تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام وقد آتاه الله ملك الدنيا والجن والانس والطير والوحش والرياح تجري بأمره كيف أراد فلما استمكن ملكه قال صلى الله عليه وسلم هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر فاعدها نعمة كما عدها ملوك الارض ولا حسبها كرامة من الله تعالى عليه كما ظنم

قال سقراط علامة الملك الذي يدوم ملكه ان يكون الدين والعقل حبيبين في قلبه ليكون في قلوب رعيته محبوبا وان يكون العقل قريبا منه ليكون عند العقلاء قريبا وان يكون طالبا للعلم ليتعلم من العلماء وان يكون فضله غزيرا وبيته كبيرا ليعظم عند الفضلاء ويربي الادباء ليتفرغ عندهم الادب وان يبعد عن مملكته منطلبي العيوب ليبعد عنه العيوب وكل ملك لم يكن له مثل هذه الخصال لا يفرح بمملكته ويتلف اقرباؤه وجلساؤه على يده لان القتل يظهر من عدم العقل وكل عيب تتبعه قلة العقل كما قال الشاعر

يقول الحكيم المقال الاسد
دع المزح اذ لست فيه أسد
تحفظ بنفسك مع مقلتيك
فعينك للملك تحمي الجرد
وخف ان تنازعه ملكه
وفي حالة السخط عنه فعد
فتقتل من سخطه لا لجرم
ضياعا وليس عليه قود

سمعت عن الحراني الملك لن يكره عنها قليل الاحد سأل معاوية الاحنف بن قيس فقال يا أبا يحيى كيف الزمان قال الزمان أنت يا أمير المؤمنين ان صلحت صلح الزمان وان فسدت فسد وقال الاحنف بن قيس كما ان الدنيا عمرت بالعدل كذلك تخرب بالجور لان العدل يضيء نوره وتلوح تباشيره عن مسيرة الف فرسخ والجور يتراكم ظلامه ويسود قتامه عن

ملوك الارض بل خاف ان تكون استدراجا من حيث لا يعلم كما قال تعالى في أمة أراد هلاكهم سنستدرجهم
من حيث لا يعلمون وأملي لهم ان كيدي متين جاء في التفسير أصب عليهم النعم وأنسيهم الاستغفار وانما
الفرح بما أوتي من الدنيا والغبطة بزهرتها والاغترار بزخرفها من شعار الكفار ألا ترى الى قول قارون
اللعين انما أوتيته على علم عندي وكان جوابه ما قال الله تعالى فخسفنا به وبداره الارض ولما خاف
سليمان عليه السلام ان يكون استدراجا كان جوابه ما قال الله تعالى هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير
حساب واعلم أرشدك الله ان الشكر ليس هو حافظ النعم فقط بل هو مع حفظه لها زعيم بزيادة النعم
وأمان من حلول النقم والشكر على ثلاث مراتب شكر بالقلب وشكر باللسان وشكر بالجوارح فاما
الشكر الواجب على جميع الخلق فشكر القلب وهو ان يعلم ان النعمة من الله وحده ولا نعمة على الخلق
من أهل السموات والارض الا وبدايتها من الله تعالى حتى يكون الشكر لله تعالى عن نفسك وعن
غيرك بمعرفة نعم الله تعالى عليك وعلى غيرك وهذا النوع هو الذي يقال فيه يجب على العبد أن يشكر الله
على نعمة أسديت الى غيره والدليل على ان الشكر محله القلب وهو المعرفة قوله تعالى وما بكم من نعمة
فمن الله أي أيقنوا انها من الله والى هذه الكلمة انتهى جميع ما قاله الخلق في الشكر والدليل عليه أيضا
قوله تعالى ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون أي اتقوني فانه شكر نعمتي وخلق
الله تعالى الحياة نعمة على العبد قال الله تعالى ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون والعبارة عنه
أن يقال الشكر اعتراف القلب بانعام الله تعالى على وجه الخضوع ويقال فيه الشكر اعتكاف على
بساط الشهود بادامة حفظ الحرمة وقال أبو عثمان الشكر معرفة العجز عن الشكر وروى ان داود عليه
السلام قال الهي كيف أشكرك وشكري لك نعمة من عندك فأوحى الله تعالى اليه الآن قد شكرتني
وقال وهب بن منبه قال داود عليه السلام الهي ابن آدم ليس منه شعرة الا وتحتها نعمة وفوقها منك نعمة
فمن اين يكافئها فأوحى الله تعالى اليه يا داود اني أعطي الكثير وأرضى باليسير وان شكر ذلك ان تعلم ان
ما بك من نعمة فمني وفي هذا يقال الشكر على الشكر أتم الشكر وذلك بان ترى شكرك بتوفيقه ويكون
ذلك التوفيق من أجل النعمة فتشكره على الشكر ثم تشكره على شكر الشكر الى ما لا يتناهى وهذا
الشكر أيضا واجب ولمحمود الوراق

اذا كان شكري نعمة الله نعمة * علي له في مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر الا بفضله * وان طالت الايام واتصل العمر
اذا مس بالسراء عم سرورها * وان مس بالضراء أعقبها الاجر
فما منهما الا له فيه نعمة * تضيق بها الاوهام والسر والجهر

ومن أقر بنعم الله واحسانه فقد أقر بقدر ما كاف لان أحدا لا يمكنه ان يوازي شكر نعم الله تعالى وفي
مناجاة موسى عليه السلام الهي خلقت آدم بيدك وفعلت وفعلت فكيف شكرك فقال أن يعلم أن ذلك
مني فكان معرفته بذلك شكره لي

﴿فصل﴾ وأما شكر اللسان فقال الله تعالى فيه وأما بنعمة ربك فحدث قيل يعني النبوة وقيل يعني القرآن
وحكم الآية عام في جميع النعم وروى النعمان بن بشير أن النبي عليه الصلاة والسلام قال من لم يشكر
القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بالنعم شكر وقال تعالى حكاية عن أهل
الجنة انهم قالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وقال عامل عمر بن عبد العزيز رحمه الله لما حفر نهر البصرة الذي
يقال له نهر عمر اني حفرت لاهل البصرة نهرا أعذب لهم مشربه وجادت عينه ولم أر لهم على ذلك شكرا فان
أذنت لي قسمت عليهم ما أنفقت عليه فكتب اليه عمر بن عبد العزيز اني لا أحسب أهل البصرة خلوا من
رجل قال الحمد لله حين حفرك هذا النهر وان الله قد رضي بها شكرا من جنته فارض بها شكرا من نهرك
والسلام وحقيقة الشكر في هذا القسم الثناء على المحسن بذكر احسانه وعلى هذا القول يوصف الرب
تعالى

(خبر) جاء في الخبر عن سيد البشر صلى الله عليه وسلم انه قال المقسطون لله في الدنيا على منابر اللؤلؤ يوم القيامة

(حكاية)

كان الاسكندر يوما على تخت مملكته وقد رفع الحجاب فقدم بين يديه لص فأمر بصلبه فقال أيها الملك اني سرقت ولم يكن لي شهوة في السرقة ولم يطلبها قلبي فقال الاسكندر لا جرم تصلب ولا يطلب قلبك الصلب ولا يريده فواجب على السلطان ان يعدل وينظر غاية النظر فيما يأمر به من السياسة لينفذ ذلك أصحابه مثل وزيره وحاجبه وعامله ونائبه لان كثيرا من سياسة السلطان وعدله ونظره وحسن تأمله يغطى عليه بالباطل ويفوت وقته وذلك من تهاون الملك وغفلته فينبغي ان يجتهد في تدارك ذلك كما جاء في الحكاية

﴿حكاية﴾

كان للملك كشتاسب وزير اسمه راست روشن وبهذا الاسم كان يظن كشتاسب انه تقي صالح وما كان يسمع فيه مقال أحد يقدح فيه ولم يكن يخبر حاله فقال راست روشن لخليفة الملك ان الرعية قد بطرت من كثرة عدلنا فيهم وقلة تأديبنا لهم وقد قيل اذا عدل السلطان جارت الرعية والآن قد فاحت فيهم رائحة الفساد ويجب

تعالى بانه شكور وحقيقة فشكر العبد لله ثناؤه عليه بذكر احسانه وشكر الله للعبد ثناؤه عليه باحسانه
واحسان الرب للعبد انعامه عليه وهذه اللفظة مأخوذة من قولهم دابة شكور اذا أظهرت من السمن
فوق ما تعطى من العلف ويقال وجه شكور اذا كان ممتلئ المحاسن ظاهرها وفي الحديث يقول الله تعالى أنا
والجن والانس في نبأ عظيم أخلق ويعبد غيري وأرزق ويشكر غيري وقال بعضهم انما أتي الناس لانهم
في موضع صبرهم يحسبون انهم في موضع شكر

﴿فصل﴾ وأما الشكر الذي على الجوارح فقال الله تعالى اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور
فجعل العمل شكرا وقال عطاء دخلت على عائشة رضي الله عنها مع عبيد بن عمير فقال لها عبيد يا أم
المؤمنين حدثينا بأعجب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت وقالت وأي شأنه لم يكن عجبا انه
أتاني في ليلة فدخل معي في فراشي حتى مس جلدي جلده ثم قال يا ابنة أبي بكر ذريني أتعبد لربي قالت
قلت اني أحب قربك فأذنت له فقام الى قربة من ماء فتوضأ وأكثر صب الماء ثم قام يصلي فبكى حتى سالت
دموعه على صدره ثم ركع فبكى ثم سجد فبكى ثم رفع رأسه فبكى فلم يزل كذلك حتى جاء بلال فآذنه بالصلاة
فقلت يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبدا شكورا
ولم لا أفعل وقد أنزل علي ان في خلق السموات والارض فجعل النبي عليه الصلاة والسلام الشكر بالعمل
ويبين بمراد الكتاب قال الله تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد ان يذكر أو أراد شكورا أي
كل واحد منهما يخلف الآخر فمن فاته العمل في أحدهما عمله في الآخر فجعل الاوراد والاعمال بالجوارح
شكرا وروي ان النبي عليه السلام قام حتى انتفخت قدماه فقيل يا رسول الله تفعل هذا وقد غفر الله
لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبدا شكورا وقال أبو هرون دخلت على أبي حازم
فقلت له رحمك الله ما شكر العينين قال اذا رأيت بهما خيرا أذعته وان رأيت بهما شرا سترته قلت له فما
شكر الاذنين فقال اذا سمعت بهما خيرا حفظته واذا سمعت بهما شرا سترته قلت فما شكر اليدين قال أن
لا تأخذ بهما ما ليس لك ولا تمنع حق الله تعالى فيهما قلت فما شكر البطن قال أن يكون أسفله صبرا وأعلاه
علما قلت فما شكر الفرج قال كما قال الله تعالى والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت
أيمانهم فانهم غير ملومين فان أنت فعلت فانت الشاكر حقا وفي حكمة ادريس عليه السلام لن يستطيع
أحد ان يشكر الله تعالى على نعمة بمثل الانعام على خلقه ليكون صانعا الى الخلق مثل ما صنع به الخالق
تعالى واذا ثبت ان فعل الطاعات شكر فان فيها ما هو أشد ملازمة من غيره فالطاعة في مواساة الفقراء
أشكل بالشكر على الغنى من غيرها لانها من جنس النعمة فاذا أردت أن تحرس دوام نعم الله تعالى عليك
فأدم مواساة الفقراء والطاعة في رفع ذوي الضعة والخمول والمسكنة بغير معصية أشبه بالشكر على رفع
قدرك والتنويه باسمك والطاعة في تمريض الفقراء وتلطيف أغذيتهم أشبه بالشكر على العافية من سائر
الطاعات والطاعة في الشفاعات عند السلطان وقضاء حوائج الغرباء والاخوان أشبه بذوي الجاه من
سائر الطاعات وعلى هذا المثال ينبغي ان يقال سائر نعم الله تعالى على العبد ومن العبارات الجامعة للشكر
أن يقال معرفة بالجنان وذكر باللسان وعمل بالجوارح

﴿فصل﴾ في الكلام على الزيادة قال الله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم فقال قوم انما خاطب الله تعالى
بهذا بقوله ادعوني أستجب لكم قوما دون قوم والدليل عليه انا نرى من يشكر على الغنى ثم يبتلى بالفقر
ومن يشكر على العافية ثم يبتلى بالمرض والله تعالى لا يخلف وعده وقال قوم معناه لازيدنكم نعمة
الآخرة فان قيل انما تكون الزيادة من جنس المزيد عليه فاجابوا ان النعم الدنيوية والاخروية وان
تفاضلت واختلفت فكلها متجانسة من حيث انها نعمة وقال قوم معناه لازيدنكم خيرا والخير والصلاح
قد يكون في كثير من الاوقات بالمنع والسقم ونحوهما فان من سأل الله تعالى ان يعطيه مالا أو يصح جسمه
وهو يعلم انه ان وهبه المال أنفقه في المعاصي أو وهبه الصحة صرف صحته الى المشي في الآثام فالمنع ههنا

ليؤدبه ارتشى منه راست روشن وأطلقه الى ان ضعفت الرعية وضاقت بهم الاحوال وخلت الخزائن من الاموال وظهر لكشتاسب عدو فاعتبر خزائنه فلم يجد فيها شيأ يصلح به أمور عسكره فركب يوما من شغل قلبه وسار في البرية فرأى من بعد قطيع غنم فطلبه فرأى خيمة مضروبة والاغنام نيام ورأى كلبا مصلوبا فلما قرب من الخيمة خرج اليه شاب فسلم عليه وسأله النزول فنزل فأكرمه وقدم بين يديه ما أحضره كما يجب فقال له كشتاسب خبرني عن حال هذا الكلب حتى آكل طعامك فقال له الشاب اعلم وتيقن ان الكلب كان أمينا لي على أغنامي فصادق ذئبة ويقوم معها وينام عندها والذئبة كل يوم تأتي وتسرق من الغنم رأسا بعد رأس فجاء بعض الايام صاحب الموضع وطلب مني حق المرعى فقعدت أتفكر وأحسب حساب الغنم وهي تنقص في الحساب فرأيت ذئبا قد أخذ شاة والكلب ساكت يجانبه فعلمت انه كان سبب اتلاف الغنم وانه كان يخون امانته فلزمته وصلبته فاعتبر كشتاسب بذلك وجعل يفكر في نفسه وقال رعيتنا

أغنامنا فيجب ان نسأل أيضا عنها لنصل الى حقيقة أمرها فعاد الى داره وجعل ينظر في البرنامجات واذا هي جميعها شفاعات

Reference: 12964. Copyright for this page: Creative Commons Attribution Licence
View on the Qatar Digital Library: http://www.qdl.qa/en/archive/qnlhc/12964.50

راست روشن فضرب مثلا وقال من اغتر بالامم من ذوى الفساد بقى بغير زاد ومن خان فى الزاد عاد بغير روح وأمر بصلب

موهبة من الله تعالى جزيلة وعن هذا قال العلماء منع الله تعالى عطاء وقال قوم يمكن تقدير الاستثناء فيها أى لئن شكرتم لازيدنكم الان تعصوا فاعاقبكم بالحرمان فأجعل ذلك كفارة لكم وهو أصلح من ان أعاقبكم فى الآخرة والناس لا يسلمون من الذنوب ولو تهيأ ان يسلموا من الذنوب لدرت الزيادات قال الله تعالى ولو انهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم وقال استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين وقال قوم الآية خاصة لامحالة اذ لو كانت على عمومها لوجب أن لا يموت من شكر على الحياة قال الشيخ قلت ان الله تعالى وعد الزيادة وقوله الحق وقد جعل الله للعباد علامة يعرف بها الشاكر فمن لم يظهر عليه المزيد علمنا انه لم يشكر فاذا رأينا الغنى يشكر الله تعالى بلسانه وماله فى نقصان علمنا انه قد أخل بالشكر الذى أخذ عليه اما أن لا يزكيه أو يزكيه لغير أهله أو يؤخره عن وقته أو يمنع حقا واجبا عليه فيه من كسوة عريان أو اطعام جائع وشبهه فيدخل فى قول النبى صلى الله عليه وسلم لو صدق السائل ما أفلح من رده وقال الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم بترك أدب أو اخلال بحق أو المام بذنب كما قال بعضهم أدنى الشكر أن لا تعصى الله بنعمه فان جوارحك كلها من نعم الله تعالى عليك فلا تعصه بها ويحتمل ان يكون معنى الآية لئن شكرتم لازيدنكم ان شئنا ألا ترى انه قال ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وكثير من الخلق يريدون حرث الدنيا ولا يؤتونه فيكون التقدير نؤته منها لمن نشاء بدليل قوله فى الآية الاخرى عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد وهكذا قوله تعالى ادعونى أستجب لكم ثم ان كثيرا من الناس يدعون فلا يستجيب لهم ولكن معنى الآية استجب لكم ان شئت ولمن شئت بدليل قوله تعالى فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وهذا من باب حمل المطلق على المقيد قال الجنيد كنت بين يدى السرى وأنا ابن سبع سنين وبين يديه جماعة يتكلمون فى الشكر فقال لى يا غلام ما الشكر فقلت أن لا يعصى الله تعالى بنعمه قال يوشك ان يكون حظك من الله لسانك فلا أزال أبكى على هذه الكلمة فان قيل ما معنى قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وما تحصل من الافعال فى الوجود يمكن احصاؤه قلنا نعم الله تعالى على وجهين دفع ومنع والدفع يمكن احصاؤه ودفع البلايا نعم لا يمكن احصاؤها وما يدفع الله عنهم مما فى مقدوره من ذلك وما يدفع تعالى عن العبد لا يحصى

(فصل) ثم عدنا الى أقوال العلماء والحكماء فى الشكر فقال بعض الحكماء موضع الشكر من النعمة موضع القرى من الضيف ان وجده لم يرم وان عدمه لم يقم وأجمعت حكماء العرب والعجم على هذه اللفظة فقالوا الشكر قيد النعم وقالوا الشكر قيد الموجود وصيد المفقود وقالوا مصيبة وجب أجرها خير من نعمة لا يؤدى شكرها وقال بعض الحكماء من أعطى أربعا لم يمنع أربعا من أعطى الشكر لم يمنع المزيد ومن أعطى التوبة لم يمنع القبول ومن أعطى الاستخارة لم يمنع الخيرة ومن أعطى المشورة لم يمنع الصواب وكان يقال اذا رعيت النعم بالشكر فهى أطواق واذا رعيت بالكفر فهى أغلال (قال حبيب)

نعم اذا رعيت بشكر لم تزل * نعما وان لم ترع فهى مصائب

(وبعث) الحجاج الى الحسن بعشرين ألف درهم فقال الحمد لله الذى ذكرنى (وقال) على بن أبى طالب رضى الله عنه لا تكن ممن يعجز عن شكر ما أوتى ويبتغى الزيادة فيما بقى ينهى ولا ينتهى ويأمر الناس بما لا يأتى تحب الصالحين ولا تعمل بأعمالهم وتبغض المسيئين وأنت منهم تكره الموت لكثرة ذنوبك ولا تدعها فى طول حياتك وقال المغيرة بن شعبة اشكر من أنعم عليك وأنعم على من شكرك فانه لا بقاء للنعمة اذا كفرت ولا زوال لها اذا شكرت وان الشكر زيادة من النعم وامان من النقم (وكان) الحسن يقول ابن آدم متى تنفك من شكر النعم وأنت مرتهن بها كلما شكرت نعمة تجدد لك بالشكر أعظم منها عليك فأنت لا تنفك بالشكر من نعمة الا الى ما هو أعظم منها وقال سفيان لما جاء البشير الى يعقوب عليه السلام قال على أى دين تركته قال على دين الاسلام قال الحمد لله الآن تمت النعمة (وروى) أن

الوزير وهذه الحكاية مكتوبة فى كتاب يادكار نامه وفيها يقول الشاعر

وما أنا بالمغتر بالمملك انما * تسببت كى تحتال فى طلب الرزق

ومن يجعل الاسماء نفقا لرزقه * يعد غير ذى روح على الجذع مستلق

(حكاية)

يقال انه كان لعمرو بن ليث نسيب يعرف بابى جعفر بن زيد ويه وكان عمرو يحبه ومن جملة محبته له انه كان قد وصله من هراة مائة جمل حرالوبر على كل جمل حمل من الحوائج فانفذ عمرو من كل حاجة حملا الى دار أبى جعفر وقال ليوسع عليه فى مطبخه فقيل يوما لعمرو بن ليث ان أبا جعفر قد بطح غلاما له وضربه عشرين خشبة فأمر عمرو باحضاره وأمر ان يحضر بين يديه كل سيف فى خزانته وقال يا أبا جعفر اختر من هذه السيوف أجودها فاعزله ناحية عنها فجعل أبو جعفر يتخير ويبقى الى ان عزل مائة سيف فقال اختر الآن منها سيفين فاختار أبو جعفر سيفين منها فقال ارسم أن يجعلا فى قراب واحد فقال أبو جعفر كيف يمكن ان يكون سيفان فى قراب واحد فقال عمرو بن ليث وكيف يمكن ان يكون أميران فى بلد واحد فعلم أبو جعفر انه قد أخطأ فقبل الارض والتمس العفو والاقالة

عثمان

فقال عمرو ولولا حق القرابة والنسب لما بيننا لفعل هذا الامر لنا فقد عفونا هذه النوبة عنك

عثمان بن عفان رضى الله عنه دعى الى قوم ليأخذهم على ريبة فافترقوا قبل أن يبلغهم فأعتق عثمان رقبة شكرا لله تعالى أن لا يكون جرت على يديه فضيحة رجل مسلم (ويروى) أن الحسن بن على التزم الركن وقال الهى نعمتنى فلم تجدنى شاكرا وابتليتنى فلم تجدنى صابرا فلا أنت سلبت النعمة بترك الشكر ولا أنت أدمت النقمة بترك الصبر الهى ما يكون من الكريم الا الكرم ولا من الجافى الا الجفاء وقال عون بن عبد الله الخير الذى لا شر فيه الشكر مع العافية والصبر عند المصيبة (وروى) ان نملة قالت لسليمان بن داود عليه السلام يا نبى الله أنا على قدرى أشكر لله منك وكان راكبا على فرس ذلول فخر عنه ساجدا لله ثم قال لولا أنى أجلك لسألتك أن تنزع منى ما أعطيتنى (وقال) صدقة بن يسار بينا داود عليه السلام فى محرابه اذ مرت به دودة فتفكر فى خلقها وقال ما يعبأ الله بخلق هذه فأنطقها الله تعالى فقالت له يا داود تعجبك نفسك لأنا على قدر ما آتانى الله أذكر لله وأشكر له منك فيما آتاك

(ولمحمود الوراق)

الهى لك الحمد الذى أنت أهله * على نعمة ما كنت منك لها أهلا

متى ازددت تقصيرا تزدنى تفضلا * كأنى بالتقصير أستوجب الفضلا

(وكان) لبعضهم صديق فحبسه السلطان فأرسل اليه فقال له صاحبه اشكر الله تعالى فضرب الرجل فكتب اليه اشكر الله تعالى فجئ بمحبوس مجوسى مبطون قيد فجعل حلقة فى رجله وحلقة فى رجل المجوسى يقوم بالليل مرات ويحتاج هذا الى أن يقوم معه ويقف على رأسه حتى يفرغ فكتب الى صاحبه فقال اشكر الله تعالى فقال الى متى تقول وأى بلاء فوق هذا فقال له صاحبه لو وضع الزنار الذى فى وسطه فى وسطك كما وضع القيد الذى فى رجله فى رجلك ماذا كنت تصنع ولبعضهم

ومن الرزية أن شكرى صامت * عما فعلت وأن برك ناطق

أأرى الصنيعة منك ثم أسرها * انى اذا لندى الكريم لسارق

(وقال) رجل لسهل بن عبد الله ان اللص دخل دارى وأخذ متاعى فقال اشكر الله تعالى لو دخل اللص قلبك وهو الشيطان فأخذ التوحيد ماذا كنت تصنع (ولما) بشر ادريس عليه السلام بالمغفرة سأل الحياة فقيل له فيه فقال لاشكره فانى كنت أعمل قبله للمغفرة فبسط الملك جناحه فرفعه الى السماء * وروى أن نبيا من الانبياء عليهم السلام مر بحجر صغير يخرج منه الماء الكثير فتعجب منه فأنطقه الله تعالى فقال منذ سمعت الله يقول وقودها الناس والحجارة فانا أبكى من خوفه فدعا النبى عليه السلام ربه أن يجيره من النار فأوحى الله تعالى اليه انى أجرته من النار فمر النبى عليه السلام ثم عاد فوجد الحجر يتفجر منه مثل ما كان فتعجب فأنطق الله تعالى الحجر فقال له لم تبكى فقال ذاك بكاء الحزن والخوف وهذا بكاء الشكر والسرور * وروى ان الله تعالى أوحى الى موسى عليه السلام ارحم عبادى المبتلى والمعافى فقال الهى ما بال المعافى فقال لقلة شكرهم على عافيتى اياهم ورأى رجل اعرابيا بلا يدين فقال لا أبلاك الله بلاء يعجز عنه صبرك وأنعم عليك نعمة يعجز عنها شكرك (وأنشد بعضهم)

سأشكر لا أنى أجازيك منعما * بشكرى ولكن كى يرى ذلك الشكر

وأذكر أيامًا لدى اصطنعتها * وآخر ما يبقى على الشاكر الذكر

(وأنشدوا)

أوليتنى نعما أبوح بشكرها * وكفيتنى كل الامور بأسرها

فلأشكرنك ما حييت وان أمت * فلتشكرنك أعظمى فى قبرها

(ولبعض الاعراب)

الهى قد أحسنت عودا وبدأة * الى فلم ينهض باحسانك الشكر

فمن كان ذا عذر لديك وحجة * فعذرى اقرارى بأن ليس لى عذر

(وكان) مطرف يقول الهى منك تكون النعمة وعليك تمامها وأنت تعين على شكرها وعليك ثوابها

(حكمة)

قال اردشير اذا كان الملك عاجزا عن اصلاح خواصه ومنعهم عن الظلم فكيف يقدر على رد العوام الى الصلاح قال الله تعالى وأنذر عشيرتك الاقربين والعرب تقول ليس شئ أضيع للملك وأفسد لاحوال الرعية من تعذر الاذن فى الدخول على الملك وتكاثر الحجاب وصعوبة الحجاب وليس شئ أهيب فى قلوب الرعية والعمال من سهولة الحجاب واذا كان الملك سهل الحجاب لم يمكن العمال أن يجوروا على الرعايا وخافت الرعية من جور بعضهم على بعض وبسهولة الحجاب يكون للملك على سائر الاعمال اطلاع ولا يجوز للسلطان أن يكون غافلا لتكون الهيبة من ناموس المملكة باقية وليستريح من الهموم الحادثة عن الغفلة

(حكاية)

يقال ان اردشير كان متيقظا ذا فطنة بالامور بحيث انه اذا جاءه ندماؤه من الغد حدث كلا بما يصنعه وكان يقول لاحدهم انك البارحة فعلت الشئ الفلانى وأكلت الشئ الفلانى ونمت مع زوجتك أو الجارية الفلانية ومهما كان يجرى لندمائه كان يحدثهم به من الغد بحيث يظنون ان ملكا يأتيه من السماء يعرفه باسمائهم وكذلك كان السلطان الغازى محمود بن سبكتكين رحمه الله

Reference: 12964. Copyright for this page: Creative Commons Attribution Licence

View on the Qatar Digital Library: http://www.qdl.qa/en/archive/qnlhc/12964.51

وهذا باب عظيم من النعم على العباد وقد أثنى الله على بعض عباده فقال انه كان عبدا شكورا (وقال) تعالى شاكرا لانعمه اجتباه وكذلك سائر ما أثنى الله تعالى به على عباده ثم قال فمن شكر فانما يشكر لنفسه ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم ليس للرب تعالى فيها الاقليل ولا كثير فانه أجل من ان ينال الحظوظ وأجل من ان يلحقه ثناء مثن أو شكر شاكر فأخبران العلو والجلال له دونهم وانه يتقدس عن الناس بثناء مثن أو كفر كافر وقال الله تعالى بدءوكم ليغفر لكم فواعجبا أعطى ثم أثنى * وقال على رضى الله عنه كفر النعمة داعية المقت ومن جازاك بالشكر فقد أعطاك أكثر مما أخذ منك وحقيق بمن أسديت اليه نعمة أو قضيت له حاجة ان يكافئ فان لم يقدر فليشكر فان شكرها فقد أدى حقها (قال الشاعر)

فلو كان يستغنى عن الشكر ماجد * لرفعة حال أو علو مكان

لما أمر الرحمن بالشكر خلقه * فقال اشكروني أيها الثقلان

(وقال البستى)

لئن عجزت عن شكر برك قوتى * واقوى الورى عن شكر برك عاجز

فان ثنائى واعتقادى وطاعتى * لا فلاك ما أوليته مراكز

وقال اسحق بن ابراهيم الموصلى وقفت علينا امرأة فقالت يا قوم تغير علينا الدهر اذ قل منا الشكر وفارقنا الغنى وحالفنا الفقر فرحم الله امرأ فهم بعقل واعطى من فضل وواسى من كفاف واعان على عفاف (وأنشدوا)

فلو كان للشكر شخص يبين * اذا ما تأمله الناظر

لمثلته لك حتى تراه * فتعلم انى امرؤ شاكر

ولكنه ساكن فى الضمير * يحركه الكلم السائر

(وقيل) لكسرى ما الشكر فقال المكافأة على قدر الطاعة قيل فما الكفر قال ترك الجزاء ولو بالثناء قيل وهل يكون أحد أبخل ممن بخل بالثناء قال نعم من عادى على الصنيعة

(الباب الخامس والثلاثون فى بيان السيرة التى يصطلح عليها الامير والمأمور ويسترجع اليها الرئيس والمرؤس مستخرجة من القرآن العظيم)

قال الله تعالى وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم فأثبت الله تعالى المماثلة بيننا وبين سائر البهائم ومعلوم انهم لا يماثلوننا فى خلقنا واشكالنا وسائر ما تدركه العين منهم ومما تبقى المماثلة فى الاخلاق فلا أحد من الخلق الا وفيه خلق من أخلاق البهائم ولهذا تجد أخلاق الخلائق مختلفة فاذا رأيت من الانسان خلقا خارجا عن الاعتدال فابصر ما يماثل ذلك الخلق من خلق سائر الحيوان فالحقه به وعامله كما كنت تعامله فحينئذ تستريح من منازعتهم وتستريح من مثل وتدوم الصحبة فاذا رأينا الرجل الجاهل فى خلائقه الغليظ فى طباعه القوى فى بدنه لا يؤمن طغيانه وافراطه فالحقه بعالم الثور والعرب تقول أجهل من ثور وأنت اذا رأيت الثور بعدت عنه ولم تخاصمه ولا تسابه فعامل الرجل كذلك واذا رأيت الرجل الغالب على أخلاقه السرقة خفية والنقب ليلا على وجه الاستمرار فلذا هذا يماثل عالم الجرذ فدع ملاحاته ومخاصمته كما تدع سباب الجرذ اذا أفسد رحلك ثم احم رحلك بما يصلح له واذا رأيت هجاما على اعراض الناس وثلبهم فقد ماثل عالم الكلاب فان دأب الكلب ان يعقر من لا يعقره ويبتدئ بالاذية من لا يؤذيه فعامله بما كنت تعامل به الكلب اذا نبحك أنت تذهب فى شأنك ولا تخاصمه ولا تسبه فافعل بمن يتقحم عرضك مثل ذلك واذا رأيت انسانا قد جبل على الخلاف ان قلت لا قال نعم وان قلت نعم قال لا فالحقه بعالم الحمير فان دأب الحمار ان أدنيته بعد وان أبعدته قرب وأنت تستمتع بالحمار ولا تسبه ولا تفارقه فاستمتع أيضا بهذا الانسان ولا تسبه ولا تفارقه واذا رأيت رجلا يطلب عثرات الناس وسقطاتهم فمثله فى الآدميين كمثل الذباب فى عالم الطير فان الذباب يقع على الجسد فيتحامى صحيحه ويطلب

لا كالجيف يعنى اذا كان السلطان بعيد النظر ذا يقظة وفكرة فى العاقبة وكان المقربون منه وخواص دولته بهذه الصفة انتظمت أحوال مملكته واستقامت أمور أهل ولايته

(حكمة)

قال الاسكندر خير الملوك من بدل السنة الحسنة وبدل السنة السيئة بالسنة الحسنة وشر الملوك من بدل السنة الحسنة بالسيئة

(حكمة)

قال ابرويز ثلاثة لا يجوز للملك التجاوز عنهم ولا الصفح عن ذنوبهم من قدح فى ملكه وأفسد حرمه وأفشى سره قال سفيان الثورى رحمة الله عليه خير الملوك من جالس أهل العلم ويقال ان جميع الاشياء تجمل بالناس والناس يتجملون بالعلم وتعلو أقدارهم بالعقل والفهم وليس للملوك شئ خير من العلم والعقل فان فى العلم بقاء العز ودوامه وفى العقل بقاء السرور ونظامه ومن اجتمع فيه العقل والعلم فقد اجتمع فيه اثنتى عشرة خصلة الفقه والادب والتقى والامانة والعفة والحياء والرحمة وحسن الخلق والوفاء والصبر والحلم والمداراة وهذه من خواص آداب الملوك وينبغى ان تعلم ان هذه الآداب تحتاج الى نظائرها وقرائنها لتصح فى استعمالها فينبغى ان

المواضع

المواضع النغلة منه وذوات المادة والدم والنجاسة واذا بليت بسلطان يهجم على الاموال والارواح فالحقه بعالم الاسود وخذ حذرك منه كما تأخذ حذرك من الاسد وليس الا الهرب منه كما قال النابغة

* ولا قرار على زأر من الاسد * واذا بليت بانسان خبيث كثير الروغان والمفاخرة فالحقه بعالم الثعالب واذا بليت بمن يمشى بالنمائم ويفرق بين الاحبة فالحقه بعالم الظربان وهى دابة صغيرة تقول العرب عند تفرق الجماعة فسا بينهم ظربان فتفرقوا وخاصة هذه الدويبة اذ حصلت وسط جماعة ان يتفرقوا وكان الجماعة اذا أقبلت نحوهم هذه الدابة طردوها ومنعوها الدخول بينهم كذلك ينبغى اخراج النمام من بين الجماعة فان لم يفعلوا يوشك ان يفرق ما بينهم ويفسد قلوب بعضهم على بعض واذا رأيت انسانا لا يسمع العلم والحكمة وينفر من مجالس العلماء والحكماء ويأنف سماع أخبار أهل الدنيا وسائر الخرافات وما يجرى فى مجالس العوام فالحقه بعالم الخنافس فانه يعجبه أكل العذرات ويألف روائح النجاسات ولا تراه الا لابسا للاخلية والمراحيض وينفر من روائح المسك والورد واذا طرح عليه المسك والورد مات واذا رأيت انسانا اعتاد أنه حفظ الدنيا لا يستحى فى الوثوب عليها فالحقه بعالم الاحدية بان تنحى رحلك عنه واذا بليت بالرجل تظهر عليه الديانة والسكينة وقد نصب أشراكه لاقتناص الدنيا وأكل أموال الودائع والامانات والارامل واليتامى فالحقه بعالم الذئاب وهو كما قال فيه القائل

ذئب تراه مصليا * فاذا مررت به ركع

يدعو وجل دعائه * ما للفريسة لا تقع

عجل بها يا ذا العلا * ان الفؤاد قد انصدع

احترز منه كما تحترز من الذئب واذا بليت بصحبة انسان كذاب فاعلم ان الانسان الكذاب كالميت فى الحكم لانه لا يقبل له خبر كما لا خبر للميت وكما لا تصحب الموتى لا تصحب الكذاب (وقيل) فى المثل كل شئ شئ وصحبة الكذاب لا شئ ويجوز ان يلحق بعالم النعام فانه يدفن جميع بيضه تحت الرمل ثم يترك واحدة على وجه الرمل وأخرى تحت طاقة من الرمل وسائر بيضه فى قعر الحفرة فاذا رآه الغريب أخذ تلك البيضة وينصرف أو يكشف عن وجه الرمل فيجد الاخرى فيظن انه ليس ثم شئ آخر والخبير بحالة النعام اذا رأى البيضة لا يزال يحفر حتى يصل الى حاجته ولا يغتر بتلك البيضة كذلك الكذاب اذا سمعت منه خبرا لا تصدقه حتى تبلغ الغاية فى الكشف عنه واذا رأيت الرجل اعتاد أنه أن يصنع نفسه كما تصنع العروس لبعلها ويبيض ثيابه ويعدل عمامته ويتقى ان يمسه شئ غيره وينظر فى عطفيه ويطرح القذى عن ثوبه ليس له همة بين الجلساء الا نظره الى نفسه واصلاح ما انثنى من ثيابه فالحقه بعالم الطواويس الذى هذه صفته فانه يتبختر فى مشيته وينظر الى نفسه ويفرش ذنبه فيتخذه الملوك استحسانا له واذا بليت بانسان حقود لا ينسى الهفوات ويجازى بعد المدة على السقطات فالحقه بعالم الجمال والعرب تقول فلان أحقد من جمل وتجنب قرب الجمل الحقود فاجتنب صحبة الرجل الحقود واذا بليت بانسان منافق يبطن خلاف ما يظهر فالحقه بعالم اليربوع فان اليربوع وهو فأر يكون فى البرية يتخذ جحرا تحت الارض يقال له النافقاء وله فوهتان يدخل من احداهما ويخرج من الاخرى ومنه اشتق اسم المنافق فاذا هم أحد بأخذه دخل جحره وخرج من الباب الآخر فيصفر الصياد خلفه فلا يظفر بشئ كذلك حال المنافق لا يصح منه شئ وعلى هذا النمط كن فى صحبة الناس تستريح منهم وتريحهم منك فلعمر الله ما استقام لى صحبة الناس وسكنت نفسى واسترحت من مكابدة أخلاقهم الا من حيث سرت معهم بهذه السيرة (وقال) الرياحى يا بنى رياح لا تحقروا صغيرا تأخذون عنه فانى أخذت من الثعلب روغانه ومن القرد مكايده ومن السنور ضرعه ومن الكلاب نصرته ومن ابن آوى حذره وقد تعلمت من القمر مشى الليل ومن الشمس الظهور فى الحين بعد الحين

حصل جميع المراد

(حكاية)

اعلم ان يعقوب بن ليث علا أمره وارتفع قدره وظهر اسمه وذكره وملك كرمان وسيستان وبارس وخوزستان وقصر الواق وكان الخليفة فى ذلك الزمان المعتمد فكتب الى يعقوب انك كنت رجلا صفارا فمن أين تعلمت تدبير الممالك فرد يعقوب اليه جوابا وقال ان المولى الذى أعطانى الدولة أعطانى التدبير وفى عهد نامة اردشير مكتوب كل عز لا يضع قدمه على بساط العلم فان عاقبته ذل وكل عدل ليس معه خوف وان كان تاما فان مصيره الى الندم

(حكاية)

قال عبد الله بن طاهر يوما لابيه كم تبقى هذه الدولة فينا وتدوم فى بيتنا قال مادام بساط العدل والانصاف مبسوطا فى هذا الايوان

(حكمة)

كان المأمون قد جلس فى بعض الايام لفصل الدعاوى والاحكام فرفعت اليه قصة فسلم القصة الى وزيره الفضل بن سهل وقال له اقض حاجة رافعها فى هذه الساعة فان الفلك فى سرعة دورانه أحد من ان يثبت على حاله أو يبقى

لحب با تماله (يقول) مؤلف الكتاب يجب على الملوك العقلاء والافاضل الالباء ان ينظروا فى هذه الاخبار ليأخذوا نصيبا من أيام

دوائهم ويتصفوا المظلومين ويقضوا حوائج المساكين السائلين ويتيقنوا ان هذا الملك لا يثبت على دورواحد وانه لا اعتماد

على الدولة وان القضاء السماوي لا يرد بالعساكر وكثرة الاموال والذخائر واذا انحلت الدولة تلاشت الاموال وتفانت الرجال ولا ينفع الندم اذازل القدم كما جاء في الحكاية

(حكاية)

يقال ان مروان آخر خلفاء بني أمية عرض عسكره فكان ثلثمائة ألف رجل بالعدد الكامل فقال وزيره ان هذا الجيش لمن أعظم الجيوش فقال له مروان اسكت فانه اذا انقضت المدة لم تنفع العدة واذا نزل القضاء وان كان العسكر عظيما كثيرا كان قليلا حقيرا ولو ملكنا الدنيا باسرها فلابد ان تنزع منا ولمن بقيت الدنيا حتى تبقى لنا

(حكمة)

قال أبو الحسن الاهوازي في كتاب الفرائد والقلائد الدنيا لا تصفو لشارب ولا تبقى لصاحب فخذ زادا من يومك لغدك ولا يبقى يوم عليك ولا غد يقال كان على قبر يعقوب بن ليث مكتوب هذه الابيات عملها قبل موته وأمر ان تكتب على قبره وهي هذه

(شعر)

سلام على أهل القبور الدوارس
كانهم لم يجلسوا في المجالس
ولم يشربوا من بارد الماء شربة *
ولم يأكلوا ما بين رطب ويابس
فقد جاءني الموت المهول بسكرة * فلم تغن عني ألف آلاف فارس
السلام

(الباب السادس والثلاثون في بيان الخصلة التي فيها غاية كمال السلطان وشفاء الصدور وراحة القلوب وطيبة النفوس)

اعلم أيها الملك انه متى كملت فيك الخصال المحمودة والاخلاق المشكورة والسيرة المستقيمة وملكت نفسك وقهرت هواك ووضعت الاشياء مواضعها ثم ان الرعية اهتضمت حقك وجهلت قدرك ولم توفك حظك فبلغك منهم ما يسوءك ورأيت منهم مالا يجب لك فاعلم انك لست باله فلا تطمعن ان يصفو لك منهم مالا يصفو منهم لللاله وفصل الخطاب في هذا الباب ان تعلم ان الله تعالى خلق الخلائق أجمعين وأنعم عليهم بأنواع النعم في كل حواسهم وخلق فيهم الشهوات ثم أفاض عليهم نعمه وكملت لهم اللذات وبعد هذا فما قدروا الله حق قدره ولا عظموه حق عظمته بل قالوا فيه مالا يليق به ووصفوه بما يستحيل عليه وأضافوا اليه ما يتقدس عنه وسلبوه ما يجب له من الاسماء الحسنى والصفات العلى فمنهم من قال هو ثالث ثلاثة ومنهم من قال له زوجة ومنهم من قال له ابن ومنهم من قال له البنات ومنهم من يجسمه ومنهم من يشبهه ومنهم من أنكره رأسا وقال ما للخلق صانع كما حكاه الخالق عنه فقال نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وهو مع ذلك يحييهم ويبقيهم ويصح أجسامهم وحواسهم ويرزقهم وينعشهم ويقضي مآربهم وأوطارهم ويعينهم متاعا حسنا ويبلغهم آمالهم في معظم ما يحتاجون اليه فمعاصيهم اليه صاعدة وبركاته عليهم نازلة كل يعمل على شاكلته وينفق مما عنده وكل ذي حال أولى بها (وفي مناجاة) موسى عليه السلام انه قال الهي أسألك ان لا يقال في ما ليس في فاوحى الله تعالى اليه ذلك شيء ما فعلته لنفسي فكيف أفعله بك وفي هذه السيرة عبرة لمن اعتبر وذكرى لمن اذكر ومع انك ان التمست رضا جميع الناس التمست ما لا يدرك وكيف يدرك رضا المختلفين فيا أيها الملك الذي قد كتب الله عليه الفناء والعمر القصير والزمان اليسير والايام المعدودة والانفاس المحصورة كيف أردت ان يصفو لك من الرعية مالم يصف منهم لخالقهم ورازقهم ومحييهم ومميتهم هيهات هيهات بعيدما أملت ومستحيل ما طلبت فلك في الله اسوة حسنة ان ترضى منهم بما رضي منهم خالقهم وتسير فيهم بسيرة ربهم فيهم ألم تر كيف أحسن اليك فرضي منك باليسير من العمل وأكثر لك من النعم من الاموال والخول فانظر كيف يستر زلاتك ويتغمد سيآتك ولا يفضحك في خلواتك ففي هذا ما يهذب النفوس ويؤدب ذوي العقول ويهدي الى الصواب ويوضح طرق الرشاد ولله در عمر بن الخطاب رضي الله عنه لقد كان واعيا للمأمونة عليك وانه روي عنه انه كتب الى عمرو بن العاص كن لرعيتك كما تحب ان يكون لك أميرك

(الباب السابع والثلاثون في بيان الخصلة التي فيها ملجأ الملوك عند الشدائد ومعقل السلاطين عند اضطراب الامور وتغير الوجوه والاحوال)

أيها الملك اذا اعتلت الامور في صدرك واضطربت عليك القواعد ومرجت في قلبك وجوه الرأي وتنكرت عليك المعارف واكفهرت لك وجوه الزمان فلا يغلبنك خصلتان اترك للناس دينهم ودنياهم ولك الامان من طوارق الحدثان وما يأتي به الملوان وقد روي ان المأمون قال في آخر موافقة مع أخيه الامين وقد نفدت بيوت الاموال والحت الاجناد في طلب أرزاق المأمون بقيت لاخي خصلة لو فعلها ملك موضع قدمي هاتين قيل له وما هي فقال والله اني لاضن بها على نفسي فكيف على غيري فلما خلص له الامر سئل عن تلك الخصلة فقال لو ان الامين نادى في جميع بلاده انه قد حط الخراجات والوظائف السلطانية وسائر الجبايات عشر سنين لملك الامر علي ولكن الله غالب على أمره ولما خشي المأمون انتقاض بيعته مع أهل خراسان في أمر فتنته مع أخيه الامين استشار الفضل بن سهل وكان وزيره فقال له الفضل قد قرأت القرآن وحديث الرسول عليه السلام والذي عندي ان تجمع الفقهاء وتدعوهم الى الحق والعمل به واحياء السيرة وبسط العدل والقعود على اللبود وتواصل التطرق المظالم وتكرم القواد والملوك وابناء الملوك وتعهد بالمواعيد الكريمة والمراتب السنية والولايات الماثلة فقبل ذلك وحط عن أهل خراسان ربع الخراج فمالت وجوه الخلائق اليه وكانوا يقولون ابن أختنا وابن عم نبينا عليه السلام

فيا زائر القبر اتعظ واعتبر بنا * ولا تك في الدنيا هديت بآمن
خراسان نحويها وأكناف فارس * وما كنت من ملك العراق بآيس
سلام على الدنيا وطيب نعيمها
كان لم يكن يعقوب فيها بجالس

سئل ملك كان قد زال الملك عنه فقيل له لاي سبب التفتت الدولة عنك وسلبت المملكة منك فقال لاغتراري بالدولة والقوة ورضائي برأيي وعلي وغفلتي عن المشورة وتوليتي لاصاغر العمال كابر الاعمال وتضييعي الحيلة في وقتها وقلة تفكري في الحيلة وأعمالها وقت الحاجة اليها والتباطئ والوقفة في مكان العجلة والفرصة والاشتغال عن قضاء حوائج الناس وقيل له أي الاشرار أكثر شرا فقال الرسل الخونة الذين يخونون في الرسالة لاجل أطماعهم فكل خراب المملكة منهم كما قال أزدشير في حقهم كم سفكوا من الدماء وكم هزموا من الجيوش وكم هتكوا من أستار ذي الحرمات الاحرار وكم اجتاحوا من الاموال وكم من عين كذبوها بخياناتهم وكم من عهود نقضوها بقلة أماناتهم وكان ملوك العجم في هذا الامر يحترزون ويتحفظون وما كانوا ينفذون رسولا الا بعد أن يجربوه ويمتحنوه

(حكاية)

أرسل الملك الاسكندر رسولا الى الملك دارا فلما عاد الرسول وأعاد الجواب شك الاسكندر في كلامه في كلمة فلزمها عليه فقال الرسول يا مولاي أنا سمعت منه هذه الكلمة بأذني

السلام وانقاد اليه رافع بن الليث وكان من عظماء الملوك بخراسان ويدخل تحت هذه الترجمة أمر اتفق عليه حكماء العرب والروم والفرس والهند وهو ان تصطنع وجوه كل قبيلة والمتقدمين من كل عشيرة وتحسن الى حملة القرآن والعلم وحفاظ الشريعة وتدني مجالسهم وتقرب الصالحين والمتزهدين وكل متمسك بعروة الدين وكذلك فليفعل بالاشراف من كل قبيلة والرؤساء المتبوعين من كل نمط فهؤلاء هم أزمة الخلق وبهم علك من سواهم في كمال السياسة والرياسة ان تبقى على كل ذي رياسة رياسته وعلى كل ذي عز عزته وعلى كل ذي منزل منزلته فحينئذ يكون الرؤساء الك اعوانا ومن دانت له الفضلاء من كل قبيلة فاخلق به أن يدوم سلطانه والعامة والاتباع دون مقدميهم وساداتهم واتباعهم أجساد بلا رؤس وأشباح بلا أرواح ولما قامت العامة على السلطان بقرطبة ولبسوا السلاح كان شيخ جالس على كبره يعالج صنعته فقال ما بال الناس قالوا قامت العامة على السلطان قال ولهم رأس قالوا لا قال شق الكبر يا صبي فذهبت مثلا

(الباب الثامن والثلاثون في بيان الخصال الموجبة لذم الرعية للسلطان)

قال حكيم الفرس ذم الرعية للملك على ثلاثة أوجه اما كريم قصر به عن قدره فاورثه ذلك ضغنا واما لئيم بلغ به فوق قدره فاورثه ذلك بطرا واما رجل منع حظه من الانصاف وفي الامثال احسانك الى الحر يبعثه على المكافأة واحسانك الى اللئيم الخسيس يبعثه على معاودة المسئلة (وقيل) للاسكندران فلانا ينتقصك ويسيء الثناء عليك فقال أنا أعلم انه ليس بشرير فينبغي أن نعلم هل ناله من ناحيتنا أمر دعاه الى ذلك فبحث عن حاله فوجد حالته رثة فأمر له بصلة سنية فبلغه بعد ذلك انه بسط لسانه بالثناء عليه فقال أما ترون ان الامر الينا ان يقال فينا خيرا أو شرا وينبغي للسلطان ان لا يتخذ الرعية مالا وقنية فيكونوا عليه بلاء وفتنة ولكن يتخذهم أهلا واخوانا فيكونون له جندا وأعوانا وقد سبق المثل اصلاح الرعية خير من كثرة الجنود

(الباب التاسع والثلاثون في مثل السلطان العادل والجائر)

مثل السلطان العادل مثل الياقوتة النفيسة الرفيعة في وسط العقد ومثل الرعية مثل سائر الشذر فلا تلحظ العيون الا الواسطة وأول ما يبصر المقلبون وينقد الناقدون الواسطة وانما تبنى المثمنون على الواسطة وكلما حسنت الواسطة عمرت سائر الشذر فلا يكاد يذكر كما قال ابن صعدة لقيت بالحجاز بين مكة والمدينة سكينة بنت الحسين رضي الله عنهما فسفرت لي عن وجه ابنتها واذا وجهه كانه قطعة قمر وقد أثقلتها بالجواهر واليواقيت وأنواع الدرر فالتفتت الي وقالت والله ما علقته عليها الا لتفضحه وكان جمال السلك ان يلي الواسطة الافضل فالافضل من الشذر وان كان على خلاف ذلك كان سيء النظم كذلك السلطان ينبغي أن يكون الاقرب فالاقرب اليه أهل العلم والعقل والادب والرأي والاصالة والشرف والحصافة وذوي الكمال من كل قبيلة وان كان على خلاف ذلك كان نقصا في التدبير وكان جمال العقد بواسطته كذلك جمال الرعية بكمال سلطانهم وفضله وبراءته وعدله ومثل السلطان الجائر مثل الشوكة في الرجل فصاحبها تحت ألم وقلق ويتداعى لها سائر الجسد ولا يزال صاحبها يروم قلعها ويستعين عليها بسوره من الآلات والمناقيش والابر على اخراجها الا انها في غير موضعها الطبيعي ويوشك ان تقلع بالابرة فاين غرز الياقوت من شوك القتاد

(الباب الموفي أربعين فيما يجب على الرعية اذا جار السلطان)

اعلم أرشدك الله ان الزمان وعاء لاهله ورأس الوعاء أطيب من أسفله كما كان رأس الجرة أرق وأصفى من أسفلها فلئن قلت ان الملوك اليوم ليسوا كمن مضى من الملوك فالرعية أيضا ليسوا كمن مضى من الرعية ولست بان تذم أميرك اذا نظرت آثار من مضى منهم باولى من يذمك أميرك اذا نظر آثار من مضى من الرعية فاذا جار عليك السلطان فعليك الصبر وعليه الوزر (روى) البخاري عن عبادة بن الصامت قال

بايعنا النبي عليه السلام فكان فيما أخذ علينا ان بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وأن لا ننازع الامر أهله الا ان تروا كفرا بواحا عندكم فيه من الله برهان ومنه قال ابن عباس من كره من أميره شيأ فليصبر عليه فانه من خرج من السلطان شبرا مات ميتة جاهلية ومنه قال ابن مسعود قال لنا النبي عليه السلام انكم سترون بعدي أثرة وأمورا تنكرونها قالوا فما تأمرنا يا رسول الله قال أدوا اليهم حقوقهم وسألوا الله حقكم (وروى) أبو داود في سننه ان النبي عليه السلام قال سيأتيكم ركب مبغضون يطلبون منكم ما لا يجب عليكم فاذا سألوا ذلك فأعطوهم ولا تسبوهم ولتدعوا لهم وهذا حديث عظيم الموقع في هذا الباب فتدفع اليهم ما طلبوا من الظلم ولا تنازعهم فيه ونكف ألسنتنا عن سبهم يا عبد الله لا تجعل سلاحك على من ظلمك الدعاء عليه ولكن الثقة بالله فلا محنة فوق محنة ابراهيم عليه السلام لما جعلوه في كفة المنجنيق ليقذف به في النار وقال اللهم انك تعلم اعدائي بك وعداوة قومي فيك فانصرني عليهم واكفني كيدهم (وقال) مالك بن دينار وجدت في بعض الكتب يقول الله تعالى اني أنا الله ملك الملوك قلوب الملوك بيدي فمن أطاعني جعلتهم عليه رحمة ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة فلا تشغلوا أنفسكم بسب الملوك ولكن توبوا الى الله أعطفهم عليكم وفي بعض الكتب ابن آدم تدعو على من ظلمك ويدعو عليك من ظلمته فان شئت أجبناك وأجبنا عليك وان شئت أخرت الامر الى يوم القيامة فيسعكم العفو (وقال) سليمان بن داود عليهما السلام لا تجعل مجالك في الاعداء المكافاة ولكن الثقة بالله وروى أبو داود في السنن قال سرقت ملحفة لعائشة رضي الله عنها فجعلت تدعو على من أخذها فسمعها النبي عليه السلام فقال لا تسبخي عنه يعني لا تخففي عنه فنهاها من الدعاء على الظالم كما ترى فاذا قال المظلوم في دعائه اللهم لا توفقه فقد دعا على نفسه وعلى سائر الرعية لانه من قلة توفيقه ظلمك ولو كان موفقا ما ظلمك فان استجيب دعاؤك فيه زاد ظلمه لك ومن الالفاظ المروية عن سلف هذه الامة قولهم لو كانت عندنا دعوة مستجابة ما جعلناها الا في السلطان (وقال) الفضيل لو ظفرت ببيت المال لاخذت من حلاله وصنعت منه أطيب الطعام ثم دعوت الصالحين وأهل الفضل من الاخيار والابرار فاذا فرغوا قلت لهم تعالوا ندعو ربنا أن يوفق ملوكنا وسائر من يلي علينا وجعل اليه أمرنا ولما قدم معاوية المدينة دخل دار عثمان فقالت عائشة ابنة عثمان واأبتاه فقال معاوية يا بنت أخي ان الناس أعطونا طاعة وأعطيناهم أمانا وأظهرنا لهم حلما تحت غضب وأظهروا لنا طاعة تحتها حقد ومع كل انسان سيفه وهو يرى مكان أنصاره فان نكثنا بهم نكثوا بنا ولا ندري أعلينا تكون أم لنا ولأن تكوني ابنة عم أمير المؤمنين خير من أن تكوني أمة من عرض المسلمين (وروى) أن رجلا من العقلاء غصبه بعض الولاة ضيعة له فاستعدى عليه الى المنصور فقال له أصلحك الله أذكر حاجتي أم أضرب لك قبلها مثلا فقال بل اضرب لي قبلها مثلا قال أصلحك الله ان الطفل الصغير اذا نابه أمر يكرهه فانه يفر الى أمه اذ لا يعرف غيرها وظنا منه انه لا ناصر فوقها فاذا ترعرع واشتد فأوذي كان فراره وشكواه الى أبيه لعلمه بان أباه أقوى من أمه على نصرته فاذا بلغ وصار رجلا وحزبه أمر شكا الى الوالي لعلمه بانه أقوى من أبيه فاذا زاد عقله واشتدت شكيمته شكا الى السلطان لعلمه بانه أقوى من سواه فان لم ينصفه السلطان شكا الى الله عز وجل وقد نزلت بي نازلة وليس فوقك أحد أقوى منك فان أنصفتني والا رفعت أمرها الى الله في الموسم فاني متوجه الى بيته وحرمه اذ ليس فوقك أحد الا الله تعالى قال بل ننصفك وأمر بان يكتب الى واليه برد ضيعته اليه

﴿الباب الحادي والاربعون في كما تكونوا يولى عليكم﴾

لم أزل أسمع الناس يقولون أعمالكم عمالكم كما تكونوا يولى عليكم الى ان ظفرت بهذا المعنى في القرآن قال الله تعالى وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا وكان يقال ما أنكرت من زمانك فانما أفسده عليك عملك وقال عبد الملك بن مروان انصفونا يا معشر الرعية تريدون منا سيرة أبي بكر وعمر ولا تسيروا فينا

هاتين فأمر الاسكندر ان يكتب ذلك اللفظ بعينه وأنفذه على يد رسول آخر الى دارا بن دارا فلما وصل اليه وعرض المكتوب عليه وقرأه طلب سكينا وقلع تلك الكلمة من الكتاب وأعاده الى الاسكندر وكتب اليه ان أس الملك على حسن سنة الملك وصحة طبعه وأساس صحة السلطان على صحة لفظ السفراء وصدق مقالة الرسل الامناء لان الرسول يقول ما يقوله عن لسان الملك ويسمع ما يسمعه من الجواب بسمع الملك والآن فقد قلعت تلك الكلمة من الكتاب لانها لم تكن من كلامي ولم أجد سبيلا الى قلع لسان رسولك فلما عاد الرسول وقرأ الاسكندر الكتاب استدعى الرسول الاول وصاح عليه وقال له ويلك من وضعك على اتلاف ملك من الملوك بتلك الكلمة التي تكلمت بها فاقر الرسول وقال انه قصر في حق واحتطى فقال الاسكندر سبحان الله أتظن انا أرسلناك لتصلح أمورك وتضيع أمورنا وتنسى في حقوق الناس اليتامى ثم أمر به فسل لسانه من قفاه

﴿فصل﴾

ويجب على السلطان انه متى ما وقعت رعيته في ضائقة وحصلوا في شدة وفاقة ان يغنيهم لا سيما في أوقات القحط وغلاء الاسعار حيث يعجزون عن التعيش ولا يقدرون على الاكتساب فينبغي حينئذ للسلطان أن يغنيهم بالطعام ويمدهم من خزائنه بالمال ولا يمكن أحدا من حشمه وخدامه ولا

ولا في أنفسكم بسيرتهما نسأل الله أن يعين كلا على كل (وقال) قتادة قالت بنو اسرائيل الهنا أنت في السماء ونحن في الارض فكيف نعرف رضاك من سخطك فأوحى الله تعالى الى بعض أنبيائهم اذا استعملت عليكم خياركم فقد رضيت عنكم واذا استعملت عليكم شراركم فقد سخطت عليكم وقال عبيدة السلماني لعلي رضي الله عنه يا أمير المؤمنين ما بال أبي بكر وعمر انطاع الناس لهما والدنيا عليهما أضيق من شبر فاتسعت عليهما ووليت أنت وعثمان الخلافة ولم ينطاعوا لكما وقد اتسعت فصارت عليكما أضيق من شبر فقال لان رعية أبي بكر وعمر كانوا مثلي ومثل عثمان ورعيتي أنا اليوم مثلك وشبهك (وكتب) أخ لمحمد ابن يوسف يشكو اليه جور العمال فكتب اليه محمد بن يوسف بلغني كتابك تذكر ما أنتم فيه وليس ينبغي لمن يعمل بالمعصية ان ينكر العقوبة وما أرى ما أنتم فيه الا من شؤم الذنوب والسلام

﴿الباب الثاني والاربعون في بيان الخصلة التي تصلح بها الرعية﴾

اعلم ان أدعى خصال السلطان الى اصلاح الرعية وأقواها أثرا في تمكنهم بادابهم وحفظهم لمروآتهم اصلاح السلطان نفسه وتنزهه عن سفساف الاخلاق وبعده عن مواضع الريب وترفيعه نفسه عن استصحاب البطالة والمجون واللعب واللهو والاعلان بالفسوق وقد كانت صحبة محمد الامين لذلك الرجل الخليع والماجن الرقيع أبي نواس الشاعر وصمة عظيمة عليه أوهن بها سلطانه ووضع عند الخاص والعام قدره وأطلق ألسنة الخلق بالشتم والثناء القبيح على نفسه فخلعه بذلك أخوه المأمون عن الولاية ووجه طاهر بن الحسين لمحاربته ببغداد وحاربه حتى قتله وأنفذ رأسه الى المأمون وكان يعمل كتبا تقرأ على المنابر من خراسان ويقف الرجل فيذم أهل العراق فيقول أهل فسوق وخمور وماخور ويعيب الامين بذلك فيقول استصحب أبا نواس شاعرا ماجنا كافرا استخلصه معه لشرب الخمور وارتكاب المآثم ونيل المحارم وهو القائل

الا فاسقني خمرا وقل لي هي الخمر * ولا تسقني سرا اذا أمكن الجهر
وبح باسم من تهوى ودعني من الكنى * فلا خير في اللذات من دونها ستر

حتى تغيرت عليه نفوس الخلق وتنكرت له وجوه الورى فلما بلغ الامين حبسه ثم أطلقه بعد ان أخذ عليه أن لا يشرب خمرا ولا يقول فيه شعرا فمتى أراد السلطان اصلاح رعيته وهو متماد على سيئ أخلاقه كان كمن أراد بقاء الجسد مع فقد رأسه أو أراد استقامة الجسم مع عدم حياته وكمن أراد تقويم الضلع مع اعوجاج الشخص وكيف يحيا النون مع فساد الماء ولقد أصاب الخليل في قوله أصلح نفسك لنفسك تكون الناس تبعا لك وقد قيل من أصلح نفسه أرغم أنف أعدائه ومن أعمل جده بلغ كنه أمانيه (وسئل) بعض الحكماء بم ينتقم الانسان من عدوه فقال باصلاح نفسه ولابي الفتح البستي

اذا غدا ملك باللهو مشتغلا * فاحكم على ملكه بالويل والحرب
أما ترى الشمس في الميزان هابطة * لما غدا وهو برج اللهو والطرب

وصحبة الاشرار تورث الشر كالريح اذا مرت على النتن حملت نتنا واذا مرت على الطيب حملت طيبا فمحال استصلاح رعيتك وأنت فاسد وارشادهم وأنت غاو وهدايتهم وأنت ضال وقد سبق المثل ومن العجائب أعمش كحال وتقول العرب يا طبيب طب نفسك وكيف يقدر الاعمى على أن يهدي والفقير على أن يغني والذليل على أن يعز فبعدك عن تطهير غيرك من العيوب قبل تطهير نفسك كبعد الطبيب عن ابراء غيره من داء به مثله (وقال) بعض حكماء الهند لن يبلغ ألف رجل في اصلاح رجل واحد بحسن القول دون حسن الفعل كما يبلغ رجل واحد في اصلاح ألف رجل بحسن الفعل دون القول وفيه قال القائل

يا أيها الرجل المعلم غيره * هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء من السقام لذي الضنى * كيما يصح به وأنت سقيم
ما زلت تلقح بالرشاد عقولنا * عظة وأنت من الرشاد عديم

واتباعه أن يجور على رعيته لئلا يضعف الناس ويتقلوا من ولايته ويتحولوا الى سوى اياته فينكسر ارتفاع السلطان ويقل حاصل الديوان وتعود المنفعة على ذوي الاحتكار الذين يسرون بغلاء الاسعار ويقبح ذكر الملك ويدعى عليه ولاجل هذا كان الملوك المتقدمون يحذرون من هذا غاية الحذر ويراعون الرعايا من خزائنهم ويساعدونهم من ذخائرهم ودفائنهم

﴿حكاية﴾

يقال انه كان رسم ملوك العجم ان يأذنوا لرعاياهم في الدخول اليهم في أيام النوروز والمهرجان وكان المنادي ينادي قبل ذلك بايام أن استعدوا لليوم الفلاني ليأخذ كل من الناس أهبته ويصلح أمره ويكتب قصته ويتقن حجته ومن كان له خصم يعلم انه يتألم منه عند الملوك طلب رضاه فاذا كان ذلك اليوم وقف المنادي على باب الملك ونادى ان منع اليوم أحد من الدخول كان الملك بريئا من دمه ثم كانت تؤخذ القصص من الناس وتوضع بين يدي الملك وكان ينظر في كل واحدة منها على الانفراد وموبذ موبذان قاعد على يمينه وموبذ موبذان بلسانهم قاضي القضاة فان كان في القصص قصة يتألم فيها من الملك قام الملك من مكانه وبرك بين يدي موبذ موبذان على ركبتيه مقابل خصمه ثم قال انصف أولا هذا الرجل مني ولا تخلد الى الميل والمحاباة ولا تحتف على نفسك لان الله جل ذكره اذا أهدى

Reference: 12964. Copyright for this page: Creative Commons Attribution Licence

View on the Qatar Digital Library: http://www.qdl.qa/en/archive/qnlhc/12964.54

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها * فاذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يقبل ماتقول ويقتدى * بالرأى منك وينفع التعليم
لا تنه عن خلق وتأتى مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم

ولكن أقوى الاسباب فى صلاحهم عند فوت صلاحه استعماله عليهم الخاصة منهم وذوى الاحلام والمروآت القائمة والاذيال الطاهرة فى رأس العامة سراتهم فهو الطريق الى حفظ أديانهم ومروآتهم وتماسكهم عن الانهماك فى المحظورات وملابسة المحرمات وقال الشاعر

لا تصلح الناس فوضى لا سراة لهم * ولا سراة اذا جهالهم سادوا

(وقال) هرمك الفارسى خلتان فى السلطان أقرب الى صلاح الرعية سماحة واعمال ثقة الرأى وشدة الرحمة وما أحق السلطان أن يسلك بالرعية كل سبيل يصلحون عليه ويسودون معه فحينئذ يكون رئيس الرؤساء وأميرا على السادة والفضلاء وان أهملهم وركب شهواتهم وتوسط لذاتهم ذهبت أديانهم وسقطت مروآتهم وبقوا كما جاء المثل فى الجماعة المذمومة تقول العرب فى القوم لا رؤساء فيهم ولا مروات بينهم هم سواسية كاسنان الحمار وتقول سواسية كاسنان المشط وفيهم يقول الشاعر

سواس كاسنان الحمار فلا ترى * لذى شيبة منهم على ناشئ فضلا

ولان يكون أميرا على الفضلاء والرؤساء خير من أن يكون أميرا على الاخساء والرمادية والغوغاء والاذنياء (وقد قال) عبد الملك بن مروان يوما وقد استقام له الامر من يعذرنى من عبد الله بن عمر فانه أبى ان يدخل فى سلطانى فقال بعض جلسائه نستحضره وتضرب عنقه وتستريح منه فقال عبد الملك ويلك اذا قتلت ابن عمر على من أكون أميرا ولما صار دار الى الحجاز فى الدولة العباسية ليقتل من هنالك من بنى أمية قال له عبد الله بن الحسن يا ابن عم اذا أسرعت فى قتل أكفائك فمن تباهى بسلطانك اعف يعف الله عنك فعفا (وقال) ارسطاطاليس للاسكندر استصلح الرعية وأذهب شرهم تكون رئيسا للاخيار ممدوحين ولا تكون رئيسا للاشرار مذمومين فتكون كراعى البقر

﴿الباب الثالث والاربعون فيما يملك السلطان من الرعية﴾

كتب ارسطاطاليس الى الاسكندر املك الرعية بالاحسان تظفر منهم بالمحبة فان طلبك ذلك منهم بالاحسان هو أدوم بقاء منهم بالاعتساف واعلم انك انما تملك الابدان فتخطاها الى القلوب بالمعروف (واعلم) انه اذا عدل السلطان ملك قلوب الرعية واذا جار لم يملك منهم الا الرياء والتصنع وفى سير المتقدمين قلوب الرعية خزائن ملوكها فما أودعوها من شئ فليعلموا أنه فيها (واعلم) ان الرعية اذا قدرت على ان تقول قدرت على ان تفعل فاجتهد أن لا تقول تسلم من ان تفعل وليس هذا خلاف ماروى عن معاوية ان رجلا أغلظ له فحلم عليه فقيل له أتحلم على مثل هذا فقال انى لا أحول بين الناس وألسنتهم مالم يحولوا بيننا وبين سلطاننا وذلك ان تفسير قوله فاجتهد أن لا تقول يعنى اذا عدلت لم يتكلموا بشئ وهذه السيرة أحسن من سيرة اردشير لما رفع اليه ان جماعة من بطانته قد فسدت نياتهم فوقع نحن معاشر الملوك انما نملك الاجساد لا النيات ونحكم بالعدل لا بالرضا ونفحص عن الاعمال لا عن السرائر (قلت) وانما تحسن هذه السيرة لمن عجز عن الاولى لان ملك الاجساد قد يكون بالعدل والظلم وملك القلوب لا يكون الا بالعدل وأين هذا من قولهم وقد رفع اليه انك ركبت أمس فى عدة قليلة وتلك حالة لا يؤمن اغتيال الاعداء فيها فوقع من عم احسانه أمن أعداءه وما أحسن ما قال عبد الملك بن مروان يا أهل الشام انما أنا لكم كالظليم الرائح على فراخه ينفى عنهم القذر ويباعد عنهم الحجر ويكنهم من المطر ويحميهم من الضباب ويحرسهم من الذئاب يا أهل الشام أنتم الجنة والرداء وأنتم العدة والحذاء وقالت العجم أسوس الملوك من قاد رعيته الى طاعته بقلوبها ولا ينبغى للوالى أن يرغب فى الكرامة التى ينالها من العامة كرها ولكن فى التى يستحقها بحسن الاثر وصواب التدبير وقال عمر بن عبد العزيز

يطلق على لسانك ثم كان ينظر الموبذ فان كان بين الملك وبين خصمه دعوى صحيحة وقامت البينة على الملك أخذ الحق منه بتمامه وكماله وان لم يكن بين الخصم وبين الملك دعوى صحيحة وكانت دعواه باطلة لا يثبت على صحتها حجة أمر بعقوبته ونادى عليه هذا جزاء من يريد عيب الملك والمملكة وكان الملك اذا فرغ من الدعاوى استوى على سرير مملكته ووضع التاج على مفرقه وأقبل على جماعته وخاصته وقال انما أنصفت من نفسى لئلا يطمع أحد فى الظلم والجور على أحد وكل من كان منكم له خصم فليرضه وكان يبعد عنه فى ذلك اليوم كل من كان قريبا منه ومن كان قويا ضعف عنده وكانت الملوك على هذا السبيل وعلى هذا المذهب الى أيام يزدجرد الاثيم كادفانه غير قواعد ملوك ساسان وظلم الخلق وأفسد حتى جاء بعض الايام فرس فى غاية الجودة والكمال بحيث انه لم ير أحد فى ذلك الزمان مثله فى حسن خلقته وجمال هيئته فدخل من باب داره فاجتهد جميع من فى عسكره ان يلزموه فامتنع عليهم ولم يقدروا على امساكه حتى وصل قريبا من يزدجرد فوقف الى جانب الايوان ساكنا فقال يزدجرد تنحوا عن هذا الفرس ولا يقربه أحد

اى

انى لا جمع أن أخرج للمسلمين أمرا من العدل فأخاف أن لا تحتمله قلوبهم فأخرج معه طمعا من طمع الدنيا فان نفرت القلوب من هذا سكنت الى هذا وقال معاوية لزياد من أسوس الناس أنا أو أنت فقال يا أمير المؤمنين ما جعل الله رجلا حفظ الناس بسيفه كمن أسمع الناس وأطاعوا له باللين ويروى ان سلما مولى زياد فخر بزياد عند معاوية فقال معاوية اسكت فما أدرك صاحبك بسيفه أدركت أكثر منه بلسانى

﴿الباب الرابع والاربعون فى التحذير من صحبة السلطان﴾

اتفقت حكماء العرب والعجم ووصاياهم على النهى عن صحبة السلطان قال فى كتاب كليلة ودمنة ثلاثة لا يسلم عليها الا القليل صحبة السلطان وائتمان النساء على الاسرار وشرب السم على التجربة وكان يقال قد خاطر بنفسه من ركب البحر وأعظم منه خطرا صحبة السلطان وقال هرمك أحق الامور بالتثبت فيها أمر السلطان فانه من صحب السلطان بغير عقل فقد لبس شعار الغرور وفى حكم الهند أيضا صحبة السلطان على مافيها من العز والثروة عظيمة الخطر وانما تشبه بالجبل الوعر فيها الثمار الطيبة والسباع العادية والثعابين المهلكة فالارتقاء اليه شديد والمقام فيه أشد وليس يتكافأ خير السلطان وشره لان خير السلطان لا يعدو مزيد الحال وشر السلطان قد يزيل الحال ويتلف النفس التى لها طلب المزيد ولا خير فى الشئ الذى فى سلامته مال وجاه وفى نكبته الجائحة والتلف ولهذا ما قيل للعتابى لم لا تصحب السلطان على ماقبلك من الادب قال انى رأيته يعطى عشرة آلاف فى غير شئ ويردى من السور فى غير شئ ولا أدرى أى الرجلين أكون (وأخبرنى) أبو العباس الحجازى وكان ممن دوخ أرض الهند والصين وانتهى الى صين الصين الى جبل الياقوت بالهند وان فيه ثعابين ليس فى معمور الارض أعظم منها فان الواحد منها يبلغ الثور صحيحا فلا يصل أحد الى ذلك الجبل ولا يقربه فاذا كثرت الامطار أحدرت السيول منه الحصى وسائر مافيه من المنافع الى مستقر المياه على مسير أيام من الجبل فيبحث الناس ذلك الحصى فيوجد فيه الواحدة بعد الواحدة من أحجار الياقوت وقال معاوية لرجل من قريش اياك والسلطان فانه يغضب غضب الصبى ويرضى رضا الصبى ويبطش بطش الاسد وقال المأمون لو كنت رجلا من العامة ما صحبت السلطان وقال الاحنف بن قيس ثلاثة لا أقولهن الا ليعتبر بهن لا أخلف جليسى الا بما أحضره به ولا أدخل فى أمر لا أدخل فيه ولا آتى السلطان الا ان يرسل الى وقال ابن المقفع لابنه ان وجدت من السلطان وصحبته غنى فاغن عن نفسك واعتزله جهدك فانه من يأخذه السلطان بحقه يحل بينه وبين لذة الدنيا ومن لا يأخذه بحقه يكسبه الفضيحة فى الدنيا والوزر فى الآخرة وقال ميمون بن مهران قال لى عمر بن عبد العزيز يا ميمون احفظ عنى أربعا لا تصحب سلطانا وان أمرته بالمعروف ونهيته عن المنكر ولا تخلون بامرأة وان قرأتها القرآن ولا تصل من قطع رحمه فانه لك أقطع ولا تتكلم بكلام اليوم تعتذر منه غدا (وفى منثور الحكم) كثرة الاشغال مذهلة عن وجود اللذات بكنهها وكم قد رأينا وبلغنا من صحب السلطان من أهل الفضل والعقل والعلم والدين ليصلحه فقصد هو به فكان كما قال الاول

عدوى البليد الى الجليد سريعة * والجمر يوضع فى الرماد فيخمد

ومثل من صحب السلطان ليصلحه مثل من ذهب ليقيم حائطا مائلا فاعتمد عليه ليقيمه فخر الحائط عليه فأهلكه وفى كتاب كليلة ودمنة لا يسعد من ابتلى بصحبة الملوك فانه لا عهد لهم ولا وفاء ولا قريب ولا حميم ولا يكرم عليهم أحد الا أن يطمعوا فيما عنده فيقربوه عند ذلك فاذا قضوا حاجتهم تركوه ولا ود ولا اخاء الا البلاء يجزى والذنب لا يغفر له وقال بزرجمهر لا تصلح صحبة السلطان الا بالطاعة والبذل ولا مؤاخاة الاخوان الا باللين والمواساة (وقال) بعض حكماء الفرس المال والسلطان مفسدان لكل أحد الا رجل له عقل كامل وقالت الحكماء صاحب السلطان كراكب الاسد يخافه الناس وهو لمركبه أخوف وقالوا من لزم باب السلطان بصبر جميل وكظم الغيظ واطراح الاذى وصل الى حاجته كالكرم لا يتعلق باكرم الشجر لكن بادناها وكانت العرب تقول ان لم تكن من قرباء الملك فكن من بعدائه (وفى

والفرس ساكن لا يتحرك فاستدعى يزدجرد السرج وأسرجه بيده وأوثق جذب حزامه ودار نحو كفله ليضع الثفر فرفسه الفرس على فؤاده رفسة محكمة فخر ميتا فى الحال فخرج الفرس ولم يعلم أحد من أين جاء ولا الى أين عاد فقال الناس هذا الفرس كان ملكا أرسله الله تعالى اليه ليهلكه ويخلصنا من ظلمه وجوره قال القاضى أبو يوسف حضر يوما عندى فى مجلس حكمى يحيى بن خالد البرمكى مع خصم له مجوسى فادعى عليه المجوسى فطلب منه الشاهد فقال ليس لى شاهد فحلفه فحلفت يحيى وأرضيت خصمه باحلافه وساويت فى التحكم بين يحيى وبين المجوسى لعزة الاسلام وما ملت مع أحد قط ولا حابيت أحدا خوفا من ان يسألنى الله تعالى عن ذلك بل يجب ان تعرف قدر الزعماء والاكابر وينبغى للاكابر أن لا يظلموا أصاغرهم وان يعظموا أمر الحق ويطيعوا السلطان ولا يعصوه فى حال ليكونوا قد عملوا بقول الله تعالى كما تقدم أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم ومن يجعل الله تعالى له هذه المرتبة الشريفة والدرجة

Reference: 12964. Copyright for this page: Creative Commons Attribution Licence

View on the Qatar Digital Library: http://www.qdl.qa/en/archive/qnlhc/12964.55

أن يطيعوه ويخافوه ويجب على (٩٨) السلطان شكر هذه المنة والطاعة لربه وامتثال ما أمره به من العدل والاحسان

حكم الهند انما مثل السلطان في قلة وفائه مع أصحابه وسخاء نفسه عمن فقده منهم كمثل الصبي والمكتب كلما ذهب واحد جاء آخر والعرب تقول السلطان ذو غدوات وذو بدوات وذو ندرات تريد انه سريع الانصراف كثير البدوات هجام على الامور وأصله من الدرء وهو الدفع

(الباب الخامس والاربعون في صحبة السلطان)

قال ابن عباس قال لي أبي يا بني اني أرى أمير المؤمنين يستخليك ويستشيرك ويقدمك على الاكابر من أصحاب محمد عليه السلام واني أوصيك بخلال ثلاث لا تفشين له سرا ولا يجربن عليك كذبا ولا تغتابن عنده أحدا (قال) الشعبي قلت لابن عباس كل واحدة منهن خير من ألف قال اي والله ومن عشرة آلاف وقالوا صحبة السلطان بالحذر والصديق بالتواضع والعدو بالجهر والعامة بالبشر ولا تحكم لاحد بحسن رأي الملك الا بحسن أثره (قال) بعض الحكماء لا تستطلع السلطان ما كتمك ولا تفش ما أطلعك عليه من أدل على السلطان استثقله ومن امتن عليه عاداه ومن أظهر انه يستشيره باعده (وقال) بعض الحكماء اذا زادك السلطان تأنيسا فزده اجلالا واذا جعلك السلطان أخا فاجعله أبا وان زادك احسانا فزده فعل العبد مع سيده وان ابتليت بالدخول على السلطان مع الناس فأخذوا في الثناء عليه فعليك بالدعاء له وان نزلت منه منزلة الثقة فاعزل عنه كلام الملق ولا تكثر في الدعاء له عند كل كلمة فان ذلك شبيه بالوحشة والغربة الا ان تكلمه على رؤس الناس فلا تألوا عما عظمته ووقرته وقال ابن المقفع لتكن حاجتك في سلطانك ثلاث خلال رضا ربك ورضا سلطانك ورضا من تلي عليه ولا عليك ان تلهو عن المال والذكر فسيأتيك منهما ما يكفي ويطيب (وقال) مسلم بن عمرو لمن خدم السلطان لا تغتر بالسلطان اذا أدناك ولا تتغير اذا أقصاك وروي ان بعض الملوك استصحب حكيما فقال له أصحبك على ثلاث خلال قال وما هن قال لا تهتك لي سترا ولا تشتم لي عرضا ولا تقبل في قول قائل حتى تستشيرني قال هذا لك فمالي عندك قال لا أفشي لك سرا ولا أدخر عنك نصيحة ولا أوثر عليك أحدا قال نعم الصاحب المستصحب أنت وقيل لعبد الله بن جعفر ما الخرق قال الدالة على السلطان والوثبة قبل الامكان وقال ابن المقفع أولى الناس بالهلكة الفاحشة المقدم على السلطان بالدالة وقال يحيي بن خالد الدالة تفسد الحرمة القديمة وتضر بالحبة المتأكدة وقال بزرجمهر اذا خدمت ملكا من الملوك فلا تطعه في معصية خالقك فان احسانه اليك فوق احسان الملك وايقاعه بك أغلظ من ايقاعه وأصحب الملوك بالهيبة لهم والوقار لانهم انما احتجبوا عن الناس لقيام الهيبة فلا تترك الهيبة وان طال أنسك بهم فهو حسبهم منك لا تعط السلطان مجهودك في أول صحبتك له فلا تجد بعد المزيد موضعا ولكن دع للمزيد موضعا علم السلطان وكانك تتعلم منه وأشر عليه وكانك تستشيره اذا أحلك السلطان من نفسه بحيث يسمع منك ويثق بك فاياك والدخول بينه وبين بطانته فانك لا تدري متى يتغير لك فيكونون عونا عليك اياك ان تعادي من اذا شاء يطرح ثيابه ويدخل مع الملك في ثيابه فعل وفي الامثال القديمة احذر رماة الخندق وفيه قيل

ليس الشفيع الذي يأتيك مؤتزرا * مثل الشفيع الذي يأتيك عريانا

وفي الامثال لا تدل فتمل ولا توجف فتجف وقال الرشيد لاسمعيل ابن صبيح اياك والدالة فانها تفسد الحرمة وقال سليمان بن داود عليهما السلام لا تغش السلطان ولا تتعد عنه وقال الحكماء شدة الانقباض عن السلطان تورث التهمة وشدة الانبساط تفتح باب الملالة واعلم ان من طلب العز بلا ذل كانت ثمرة سعيه الذل احرز منزلتك عند السلطان بمثل ما كسبتها من الجد والمناصحة واحذر ان يحطك التهاون عما رقاك اليه الضغط ان أشقى الناس بالسلطان صاحبه كما ان أقرب الاشياء الى النار أسرعها احتراقا من لزم باب السلطان بصبر جميل وكظم الغيظ واطراح الاذى وصل الى حاجته (وقال الاحنف بن قيس) لا تنقبضوا عن السلطان ولا تهالكوا عليه فانه من أشرف على السلطان أرداه ومن تضرع له تخطاه * وقال ابن عباس رضي الله عنه ثلاثة من عاداهم عادت عزته ذلة السلطان والولد والغريم واعلم انه

والرأفة بالمظلومين فقد قيل احذروا من دعاء المظلوم وخافوا من ظلم من لا ينتصر من ظلمه الا بدمع عينه فان دعاء المظلوم مجاب ودعاؤه مستجاب ولاسيما الدعاء في الاسحار والتضرع في هدو الليل الى الجبار كما قال الشاعر

تنام وما المظلوم عنك بنائم * ودعوته لا تنثني بحجاب

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تأسفت على موت أربعة من الكفار على موت انوشروان لعدله وحاتم الطائي لسخاوته وعلى امرئ القيس لشعره وعلى عنتر بن شداد لفروسيته

(الباب الثاني في سياسة الوزارة وسير الوزراء)

اعلم ان السلطان يعلو قدره ويحسن ذكره بالوزير اذا كان صالحا عادلا كافيا لانه لا يمكن أحد من الملوك ان يصرف زمانه ويدبر سلطانه بغير وزير ومن انفرد برأيه ضل بغير شك ألا ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم مع جلالة قدره وعظم درجته وفصاحته أمره الله تعالى بمشاورة أصحابه العقلاء فقال عز من قائل وشاورهم في الامر وأخبر في كتابه عز وجل عن موسى عليه السلام واجعل لي وزيرا من أهلي هرون أخي أشدد به أزري فاذا لم يستغن الانبياء صلوات الله عليهم أجمعين عن الوزراء

انما

واحتاجوا اليهم كان غيرهم من الناس أحوج سئل ازدشير بن بابكان أي الاصحاب أصلح (٩٩) للملك فقال الوزير العاقل المشفق

انما يستطيع صحبة السلطان أحد رجلين اما فاجر مصانع ينال حاجته بفجوره ويسلم بمصانعته واما مغفل مهين لا يحسده أحد فاما من أراد ان يصحب السلطان بالصدق والنصيحة والعفاف فقلما تستقيم له صحبته لانه يجتمع عليه عدو السلطان وصديقه بالعداوة والحسد اما الصديق فينافسه في منزلته فيطعن عليه لنصيحته له فاذا اجتمع عليه هذان الصنفان كان قد تعرض للهلاك * وقال بعض الحكماء من شارك السلطان في عز الدنيا شاركه في ذل الآخرة لا يوحشك من السلطان اكرام الاشرار فان ذلك للضرورة اليهم كما يضطر الملك الى الحجام فيشرط قفاه ويخرج دمه (وفي الامثال) لا حلم لمن لا سفيه له * وكان ابن عمر اذا سافر الى مكة استصحب معه رجلا فيه ما فيه يستدفع به شر السفهاء وأهل الوغادة والدعارة وقال المعتصم ان للسلطان لسكرات فمنها الرضا عمن استوجب السخط والسخط على من استوجب الرضا ومنه قول الحكماء خاطر من لجج في البحر وأعظم منه خطرا من صحب السلطان وقال ابن المقفع لابنه لا تعدن شتم السلطان شتما ولا اغلاظه اغلاظا فان ريح العزة تبسطه في غير بأس ولا سخط (وقال سامبد) أحد حكماء الفرس أربعة أشياء ينبغي ان تفسر للفهيم كما تفسر للبليد ولا يتكل فيها على ذكاء أحد تأويل الدين وأخلاط الادوية وصفة الطريق المخوف والرأي في السلطان واعلم ان السلطان اذا انقطع منك في الآخر نسي الاول فارحامهم مقطوعة وحبالهم مصرومة الا من رضوا عنه في وقتهم وساعتهم واذا رأيت من الوالي خلالا لا ترتضي فلا تكابده على ردها فانها رياضة صعبة لكن أحسن مساعدته على أحسن رأيه فاذا استحكمت منه ناحية من الصواب كان ذلك الصواب هو الذي يبصره الخطايا اللطيفة أكثر من تبصيرك واجعل العدل من حكمتك فان العدل يدعو بعضه الى بعض فاذا تمكن اقتلع الخطأ ولا تطلب ما قبل الوالي بالمسئلة ولا تستبطئه وان أبطأ ولكن اطلب ما قبله بالاستحقاق والاستيناء فانك اذا استحققته أتاك من غير طلب واذا لم تستبطئه كان أعجل له وقال يحيى بن خالد اذا صحبت السلطان فداره مداراة المرأة العاقلة القبيحة للزوج الاحمق المبغض وقال يحيى بن خالد لبعض اخوانه تنكر لي هرون الرشيد فقال له ارض بقليله من كثيره واياك ان تسخط فيكون أسخط منك

(الباب السادس والاربعون في سيرة السلطان مع الجند)

اعلم ان الجند عدد الملك وحصونه ومعاقله وأوتاده وهم حماة البيضة والذابون عن الحرمة والدافعون عن العورة وهم جنن الثغور وحراس الابواب والعدة للحوادث وامداد المسلمين والحد الذي يلقى العدو والسهم الذي يرمى به والسلاح المدفوع في نحره فيهم يذب عن الحريم وتؤمن السبل وتسد الثغور وهم عز الارض وحماة الثغور والذادة عن الحريم والشوكة على العدو وعلى الجند الجد عند اللقاء والصبر عند البلاء فان كانت لهم الغلبة فليعفوا في الطلب وان تكن عليهم فليكبروا الاعنة وليجمعوا الاسنة وليذكروا أخبار غد وينبغي للملك ان يتفقد جنده كتفقد صاحب البستان بستانه فيقلع العشب الذي لا ينفعه فان العشب مالا ينفع ومع ذلك يضر بالنبات النافع فهو بالقلع اجدر ولا يستصلح الجند الا بادرار أرزاقهم وسد حاجاتهم والمكافأة لهم على قدر عنائهم وبلائهم وجنود الملوك وعددها وقف على سعود الائمة ونحوسها وقال ابرويز لابنه شيرويه لا توسعن على جندك فيستغنوا عنك ولا تضيق عليهم فيضجروا منك وأعطهم عطاء قصدا وامنعهم منعا جميلا ووسع عليهم في الرخاء ولا توسع عليهم في العطاء ولما أفضى الامر الى أبي جعفر المنصور انفذ جيشا وقال لقواده سير واعمل هذه السيرة ثم قال صدق الاعرابي اجع كلبك يتبعك فقام أبو العباس الطوسي فقال يا أمير المؤمنين أخشى ان يلوح له غيرك برغيف فيتبعه ويدعك (وروي) ان كسرى صنع طعاما في سماط فلما فرغوا ورفعت الآلات وقعت عينه على رجل من أصحابه قد أخذ جاما له قيمة كثيرة فسكت عنه وجعل الخدم يرفعون الآلات فلم يجدوا الجام فجمعهم كسرى يتكلمون فقال مالكم فقالوا افتقدنا جاما من الجامات فقال لا عليكم أخذه من لا يرده ورآه من لا يفضحه فلما كان بعد أيام دخل الرجل على كسرى وعليه حلة جميلة ونعل مستجدة فقال له كسرى

الامين الصالح ليدبر معه رأيه ويشير اليه بما في نفسه وعلى السلطان ان يعامل الوزير بثلاثة أشياء أحدها انه اذا ظهرت منه زلة أو وجدت منه هفوة لا يعاجله بالعقوبة الثاني اذا استغنى في دولته واتسعت حاله في خدمته لا يطمع في ماله وثروته الثالث انه اذا سأله حاجة لا يتوقف في قضائها وينبغي أن لا يمنعه من ثلاثة أشياء وهي انه متى اختار أن يراه لا يمتنع عن رؤيته وان لا يسمع في حقه كلام مفسد وان لا يكتم عنه شيأ من سره لان الوزير الصالح حافظ سر السلطان ومدبر أمر الدخل وبه عمارة الولايات والخزائن وزينة المملكة وشدة الهيبة والقدرة وله الكلام على الاعمال واستماع الاجوبة وبه يكون سرور الملك وقمع أعدائه وهو أحق الناس بالاستمالة وتفخيم القدر وتعظيم الامر قال انوشروان لولده اكرم وزيرك لانه اذا رآك على أمر لا يجوز لك لا يوافقك عليه وينبغي للوزير أن يكون مائلا الى الخير متوقيا من الشر واذا كان سلطانه حسن الاعتقاد مشفقا على العباد كان له عونا على ذلك وأمره منه بالازدياد واذا كان سلطانه ذا حنق غير مشفق على الوزير أن يرشده قليلا قليلا بألطف وجه ويهديه الى الطريقة المحمودة وينبغي

هذا من ذاك فقال نعم ولم يقل له شيأ (وسئل عمرو بن معاذ) وكان على الصوائف بم قدرت على جيوش الصائفة وكان يغزو في كل سنة ويجر الجيوش الى بلاد الروم فقال بسمانة الظهر والقد يد وكثرة الكعك (وروى) ان بعض أمراء العرب كان ظالما رعيته شديد الاذى لهم في أموالهم فعوتب في ذلك فقال اجع كلبك يتبعك فوثبوا عليه فقتلوه فقرئ به بعض الحكماء فقال ربما أكل الكاب صاحبه اذا لم يشبعه

﴿الباب السابع والاربعون في سيرة السلطان في استيفاء الخراج﴾

أيها الملك من طال عدوانه زال سلطانه واعلم ان المال قوة السلطان وعمارة المملكة ولقاحه الامن ونتاجه العدل وهو حصن السلطان ومادة الملك والمال أقوى العدد على العدو وهو ذخيرة الملك وعمارة المملكة وحياة الارض ومن حقه ان يؤخذ من حقه ويوضع في حقه ويمنع من سرف ولا يؤخذ من الرعية الا ما فضل عن معاشها ومصالحها ثم ينفق ذلك في الوجوه التي يعود عليها نفعها فيا أيها الملك احرص كل الحرص على عمارة الارضين والسلام أيها الملك مر جباة الاموال بالرفق ومجانبة الخرق فان العلقة تنال من الدم بغير أذى ولا اسماع صوت ما لا تناله البعوضة بلسعها وهول صوتها (ولما عزل عثمان) عمرو بن العاص عن مصر استعمل عليها ابن أبي السرح فحمل من المال أكثر مما كان يحمله عمرو فقال عثمان يا عمرو أشعرت ان اللقاح درت بعدك فقال عمرو ذلك لانكم أعجفتم أولادها * وقال زياد احسنوا الى المزارعين فانكم لن تزالوا سمانا ما سمنوا * وفي منثور الحكمة من جاوز في الحلب حلب الدم (وفي الامثال) اذا استقصى العجل في مص أمه رفسته * وقال جعفر بن يحيى الخراج عمود الملك وما استغزر بمثل العدل ولا استنزر بمثل الظلم وأسرع الامور في خراب البلاد تعطيل الارضين وهلاك الرعية وانكسار الخراج بالجور والتحامل ومثل السلطان اذا حمل على أهل الخراج حتى ضعفوا عن عمارة الارضين مثل من يقطع لحمه ويأكله من الجوع فهو وان قوي من ناحية فقد ضعف من ناحية وما أدخل على نفسه من الوجع والضعف أعظم مما دفع عن نفسه من ألم الجوع ومثل من كلف الرعية من الخراج فوق طاقتها كالذي يطين سطحه بتراب أساس بيته ومن يد من حز العمود يوشك ان يضعف فتقع الخيمة واذا ضعف المزارعون عجزوا عن عمارة الارضين فيتركونها فتخرب الارض ويهرب الزراع فتضعف العمارة فيضعف الخراج وينتج ذلك ضعف الاجناد واذا ضعف الجند طمع الاعداء في السلطان أيها الملك كن بما يبقى في يد رعيتك أفرح منك بما تأخذ منها لا يقل مع الصلاح شيء ولا يبقى مع الفساد شيء وصيانة القليل أولى من تربية الجليل فلا مال لاخرق ولا عيلة لمصلح (وروى) ان المأمون أرق ليلة فاستدعى سميرا لحدثه بحديث فقال يا أمير المؤمنين كان بالموصل بومة وبالبصرة بومة فخطبت بومة الموصل الى بومة البصرة بنتها لابنها فقالت بومة البصرة لا أنكحك ابنتي الا ان تجعلي في صداقها مائة ضيعة خراب فقالت بومة الموصل لا أقدر عليها الآن ولكن ان دام والينا سلمه الله علينا سنة واحدة فعلت لك ذلك قال فاستيقظ المأمون وجلس للمظالم وأنصف الناس بعضهم من بعض وتفقد أمر الولاة (وسمعت) بعض شيوخ الاندلس من الاجناد وغيرهم يقولون ما زال أهل الاسلام ظاهرين على عدوهم وأمر العدو في ضعف وانتقاص لما كانت الارض مقطعة في أيدي الاجناد فكانوا يستغلونها ويرفقون بالفلاحين ويربونهم كما يربي التاجر تجارته وكانت الارض عامرة والاموال وافرة والاجناد متوافرين والكراع والسلاح فوق ما يحتاج اليه الى ان كان الامر في آخر أيام ابن أبي عامر فرد عطايا الجند مشاهرة بقبض الاموال على النطع وقدم على الارض جباة يجبونها فأكلوا الرعايا واجتاحوا أموالهم واستضعفوهم فتهاربت الرعايا وضعفوا عن العمارة فقلت الجبايات المرتفعة الى السلطان وضعفت الاجناد وقوي العدو على بلاد المسلمين حتى أخذ الكثير منها ولم يزل أمر المسلمين في نقص وأمر العدو في ظهور الى أن دخلها الملثمون فردوا الاقطاعات كما كانت في الزمان القديم ولا أدري ما يكون وراء ذلك

﴿الباب الثامن والاربعون في سيرة السلطان في بيت المال﴾

اليه السلطان وسئل بهرام كور الى كم يحتاج السلطان حتى يتم سلطنته وتتصرم بالسرور مدته فقال الى ستة من الاصحاب الوزير الصالح ليظهر اليه سره ويدبر معه رأيه ويسوس أمره والفرس الجواد لينجيه يوم الحاجة الى النجاة والسيف القاطع والسلاح الحصين والمال الكثير الذي يخف محمله ويثقل ثمنه كالجوهر واللؤلؤ والياقوت والزوجة الحسناء لتكون مؤنسة لقلبه مزيلة لكربه والطباخ الخبير الذي اذا أمسك نابعه دبر له شيأ يطاقه

﴿حكمة﴾

قال اردشير حقيق على الملك ان يكون طالبا لاربعة فاذا وجدهم احتفظ بهم الوزير الامين والكاتب العالم والحاجب المشفق والنديم الناصح لانه اذا كان الوزير أمينا دل على بقاء الملك وسلامته واذا كان الكاتب عالما دل على عقل الملك ورزانته واذا كان الحاجب مشفقا لم يغضب على الملك أهل مملكته واذا كان النديم ناصحا دل على انتظام الامر ومصلحته

﴿حكمة﴾

قال موبذ موبذان في عهد انوشروان انه لا يمكن حفظ السلطنة الا بالاصحاب الاخيار الناصحين المساعدين

ولا ينفع خير الاصحاب الا اذا كان الملك تقيا لانه لا ينبغي ان يكون الاصل الا جيدا ثم الفرع ومعنى تقوى السلطان وهذا

وهذا باب سلكت فيه سلوك الطوائف والهند والصين والسند وبعض ملوك الروم خلاف سيرة الانبياء والمرسلين والخلفاء الراشدين فكانت الملوك تدخر الاموال وتحصيها دون الرعية وتعدها اليوم كريهة على ما بيناه في الباب قبله وكانت الرسل والخلفاء بعدهم تبذل الاموال ولا تدخرها وتصطنع الرعية وتوسع عليها فكانت الرعية هم الاجناد والحماة وهذه سيرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقد علمتم ان جوعه كان أكثر من شبعه وانه مات ودرعه مرهونة في صاع شعير عند يهودي وكذلك الخلفاء الراشدون بعده أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وابنه الحسن وعمر بن عبد العزيز وأن النبي عليه السلام لما فتح الله عليه اليمن كان تجبى له الاموال فيفرقها اليوم ها وقد توضع في المسجد وتفرش الانطاع ويفرقها من الغد ولم يكن له بيت مال (وروى) أبو داود في السنن أن النبي عليه السلام صلى العشاء الآخرة ثم دخل حجرته وخرج مسرعا وفي يده شيء يعرف به فقال اذهب فقسمه ثم قال ما ظن آل محمد لو أدركه الموت وهذا عنده ولم يكن للنبي عليه السلام بيت مال ولا للخلفاء الراشدين بعده وانما كانت الخلفاء تقسم الاموال التي جبيت من حلها بين المسلمين وربما يفضل منها فضلات فيجعل في بيت فمن حضر من غائب أو احتاج من حاضر قسم له حظه ثم يفرق حتى لا يبقى في البيت منه درهم كما روى ان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أشرف على بيت المال وفيه مال فقال يا بيضاء ويا حمراء ابيضي واحمري وغري غيري ثم أمر فقسم جميع ما فيه على المسلمين وأمر قنبرا أن يكنسه ويرشه ثم دخل فصلى فيه ثم كثير من الملوك ساروا في الاموال على نحو هذه السيرة من ملوك الاسلام وملوك الروم ومعظم ما أهلك بلاد الاندلس وسلط عليهم الروم ان الروم التي كانت تجاورنا لم تكن لهم بيوت أموال وكانوا يأخذون الجزية من سلاطين الاندلس ثم يدخلون الكنيسة فيقسمها سلطانهم على رجاله بالطاس ويأخذ مثل ما يأخذون وقد لا يأخذ شيأ منها وانما كانوا يصطنعون بها الرجال وكانت سلاطين الاندلس تحصي الاموال وتضيع الرجال فكان للروم بيوت رجال وللمسلمين بيوت أموال فبهذه الخلة قهرونا وظهروا علينا وكان من يذهب هذا المذهب ولا يدخر الاموال تضرب فيه الامثال ويقال عدة الملك بيت المال وصديقه جنده فاذا ضعف أحدهما قوي الآخر واذا ضعف بيت المال بذله للحماة قوي الناصر واشتد بأس الجند وقوي الملك واذا قوي بيت المال وامتلأ بالاموال قل الناصر وضعفت الحماة فضعف الملك فوثبت عليه الاعداء وقد شاهدنا ذلك في بلاد الاندلس مشاهدة واذا كان الدفاع في الرجال لا في الاموال وانما يدفع بالاموال بواسطة الرجال فلاشك ان بيت رجال خير من بيت مال وقد قال بعض الملوك لابنه يا بني لا تجمع الاموال لتتقوى بها على الاعداء فان في جمعها تقوية الاعداء يعني اذا جمعت الاموال أضعفت الرجال فيطمع فيك الصديق ويثب عليك العدو وانما مثل الملك في مملكته مثل رجل له بستان فيها عين معينة فان هو قام على البستان فأحسن تدبيرها فهندس أرضها وغرس أشجارها وحظر على جوانبها ثم أرسل عليها الماء اخضر عودها فقويت أشجارها وأينعت ثمارها وزكت بركاتها فكانوا جميعا في أمان من الضيعة ولا يخافون فقرا ولا شتاتا وان هو رغب في غلتها وجناها ولم ينفق فيها ما يكفيها ولا ساق اليها من الماء ما يرويها رغبة في الغلة وضنة بالمال ضعفت عمارتها ودقت أشجارها وقلت ثمارها وذهبت غلتها ومحق الدهر ما يجني من غلتها فافتقر القوم وهلكوا وتشتتوا ومثال الملك في جمع المال ليتقوى به على عدوه مثل طائر ينتف ريشه ويعص أصولها ويأكل ما نعم منها فلذلك طيبها وأعجبه خصب جسمه على ذلك وقوته على عدوه فلم يزل كذلك حتى خف ريشه فسقط الى الارض فأكلته الهوام والحشرات (ورأيت) في أخبار بعض الملوك ان وزيره أشار عليه بجمع الاموال واقتناء الكنوز وقال ان الرجال وان تفرقوا عنك اليوم فمتى احتجتهم عرضت عليهم الاموال فتهافتوا عليك فقال له الملك هل لهذا من شاهد قال نعم هل بحضرتنا الساعة ذباب قال لا قال فأمر باحضار جفنة فيها عسل فحضرت فتساقط عليها الذباب لوقتها فاستشار السلطان بعض أصحابه في ذلك

قلبه واتقاء بالله وان يرى ان قوته وقدرته وظفره باعدائه ونصرته ووصله الى مراده من الله تعالى وان لا يعجب بنفسه فان أعجب خشي عليه الهلاك كما جاء في الحكاية

﴿حكاية﴾

يقال انه كان سليمان عليه السلام جالسا على سرير مملكته وقد حملته الريح في الهواء فنظر سليمان بالعجب الى مملكته وطاعة الانس والجن وانقيادهم لعظيم هيبته وسياسته فاضطرب السرير بهم بالانقلاب فقال سليمان للسرير استقم فنطق السرير وقال استقم أنت حتى نستقيم فنحن كما قال عز من قائل ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وقال أبو عبيدة في أمثاله من سلك الجد أمن العثار ويجب ان يكون الوزير عالما عاقلا شيخا لان الشاب وان كان عاقلا لا يكون في التجربة كالشيخ والذي يتعلمه الناس من تجارب الايام لا يتعلم من شخص والوزير زين السلطان وزين السلطنة والزين يجب أن يكون صالحا طاهرا من الشين ويحتاج الوزير الى خمسة أشياء ليحمد خبره وتحسن سيرته التيقظ والتطرق في كل أمر يدخل فيه ووجه المخرج منه والعلم حتى تتضح له

الاشياء الخفية والشجاعة حتى لا يخاف من شيء في غير موضع الخوف والصدق لئلا يعمل مع أحد غير الصحيح وكتمان سر سلطانه الى ان

فنهاه عن ذلك وقال لا تغير قلوب الرجال فليس في كل وقت أردتهم حضروا فسأل هل لذلك من دليل قال نعم
اذا أمسينا أخبرك فلما أظلم الليل قال للملك هات الجفنة فحضرت ولم تحضر ذبابة واحدة (وقد روينا)
عن سيرة بعض السلاطين في أرض مصر وكان قد ملكها وكان اسمه بلدقور انه كان يجمع الاموال ولا
يحفل بالرجال فقال له أصحابه ان أمير الجيوش بالشام وهو ينوا عدلك وكأنه قد قدم عليك فاستعد الرجال
وأنفق فيهم الاموال فأوما الى صناديق موضوعة عنده وقال الرجال في الصناديق فغزا أمير الجيوش ذلك
الملك في مصر وقتله وتسلم الصناديق والملك فكان رأيه رأيا فاسدا لان رجالا يقيهم لوقته ويصطنعهم
لحاجته انما يكونون أجنادا مجتمعين وشرذمة ملتفين ليس فيهم غناء ولا عندهم دفاع ولا ممارسة للحروب
(ومن السير) المروية في هذا الباب انه لما فتحت العراق جيء بالمال الى عمر فقال صاحب بيت المال
أدخله بيت المال فقال لا ورب الكعبة لا يؤوى تحت سقف بيت حتى تقسمه فغطي في المسجد بالانطاع
وحرسه رجال من المهاجرين والانصار فلما أصبح نظر الى الذهب والفضة والياقوت والزبرجد والدر
يتلألأ فبكى فقال له العباس أو عبد الرحمن بن عوف يا أمير المؤمنين والله ما هذا بيوم بكاء ولكنه يوم
شكر وسرور فقال اني والله ما ذهبت حيث ذهبت ولكنه والله ما كثر هذا في قوم الا وقع بأسهم بينهم ثم
أقبل على القبلة ورفع يديه وقال اللهم اني أعوذ بك أن أكون مستدرجا فاني أسمعك تقول سنستدرجهم
من حيث لا يعلمون ثم قال أين سراقة بن جعشم فأتي به أشعر الذراعين دقيقهما فأعطاه سواري كسرى
وقال البسهما ففعل فقال قل الله أكبر فقال الله أكبر قال قل الحمد لله الذي سلبهما كسرى وألبسهما
سراقة بن جعشم اعرابيا من بني مدلج ثم قبلهما وقال ان الذي أدى هذا لأمين فقال له رجل أنا أخبرك
أنت أمين الله تعالى وهم يؤدون اليك ما أديت الى الله تعالى فاذا رتعت رتعوا قال صدقت وانما ألبسهما سراقة
لان النبي صلى الله عليه وسلم قال لسراقة ونظر الى ذراعيه كأني بك قد لبست سواري كسرى ولم يجعل له
الا السوارين (ولما ولي أبو بكر الصديق) رضي الله عنه جاءه مال من العمال فصب في المسجد وأمر
فنادى من كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم دين أو عدة فليحضر فقال أبو أيوب الانصاري فجئته
فقلت يا خليفة رسول الله ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لي لو قد جاءني مال أعطيتك هكذا وهكذا وأشار
بكفيه فسكت أبو بكر فانصرفت ثم عاودته فسكت عني ثم انصرفت وعاودته فقلت اما أن تعطيني واما أن
تبخل عني فقال ما أبخل عنك اذهب فخذ فحفنت حفنة قال عدها فعددتها فوجدت فيها خمسمائة دينار وأبو
أيوب من أغنياء الانصار وهو نزيل النبي صلى الله عليه وسلم دل الحديث على ان بيت المال للغني والفقير
ودل أيضا انه لا يجب أن يساوي فيه جميع المسلمين بل ذلك موكول الى اجتهاد الامام

(فصل) قال الحسن بن علي الاسدي أخبرني أبي قال وجدت في كتاب قبطي باللغة الصعيدية مما نقل
بالعربية مبلغ ما كان يستخرج لفرعون يوسف من أموال مصر بحق الخراج مما يؤخذ من وجوه
الجبايات لسنة واحدة على العدل والانصاف والرسوم الجارية من غير اضطهاد ولا مناقشة وبعد وضع
ما يجب وضعه لحوادث الزمان نظر المعاملين وتقوية لحالهم من العين أربعة وعشرون ألف ألف
وأربعمائة ألف دينار من ذلك ما ينصرف في عمارة البلاد لحفر الخليج والانفاق على الجسور وسد الترع
واصلاح المنشآت ثم تقوية من يحتاج الى تقويته من غير رجوع عليه بها لاقامة العوامل والتوسعة في
البذار وغير ذلك من الآلات وأجرة من يستعان به لحمل البذار وسائر نفقات تطبيق الارضين ثمانمائة
ألف دينار ولما ينصرف في أرزاق الاولياء الموسومين بالسلاح ومن في جملتهم من الشاذية والغلمان
وأشياعهم وعدة جميعهم مع ألف كاتب موسومين بالدواوين سوى أتباعهم من الخزان ومن يجري
مجراهم مائة ألف واحدى عشر ألف دينار وثمانية ألف ألف درهم ولما ينصرف للارامل والايتام
يرضون به من بيت المال وان كانوا غير محتاجين حتى لا يخلوا أمثالهم من رزق فرعون أربعمائة ألف دينار
ولما ينصرف في كهنة برابيهم وسائر بيوت صلواتهم مائتا ألف دينار ولما ينصرف في الصدقات مما يصب

صامتا حيث يحسن الصمت
ومتكلما اذا احسن
الكلام ومع ذلك يجب أن
يكون نقيا حسن المذهب
ليطهر نفسه وينقي عنها
كلما لا يحسن من الاعتقاد
وينبغي أن يكون ذا تجارب
ليسهل الامور على الملك
وان يكون متيقظا لينظر
عواقب الامور ويخاف
من تغير الدهور وان يتحفظ
أن تصيبه عين الزمان وكل
ملك كان وزيره محبا
وعليه مشفقا كان ذلك
الوزير كثير الاعداء وكان
اعداؤه أكثر من اصدقائه
ولا يجوز للسلطان ان يسمع
في حق وزيره كلام المحرضين
عليه الساعين به اليه لحسده
اصدقاؤه وتكثر اعداؤه
ويجب ان يكون الوزير
محمود الطريقة حتى اذا
رأى في الملك خلة مذمومة
غير رشيدة رده الى العادة
الحميدة من غير غلظة لان
الملك اذا كان على
ما لا يريده الوزير اذا سمع
منه ما يسمعه منه مما
يكرهه من النفور يعمل
شرا من ذلك والدليل على
ذلك ان الباري جلت قدرته
لما أرسل موسى الى
فرعون أمره بقوله فقولا
له قولا لينا واذا كان الله
سبحانه وتعالى أمر أنبياءه
بذلك فالناس أجدر وأولى
ان يلينوا مقالهم وان كان
السلطان يخشى كلامه
فلا يجوز للوزير ان يحقد عليه ويصبر على كلامه في قلبه فان قدرة الملك تنطق لسانه

صبا

صبا وينادي برئت الذمة من رجل كشف وجهه لفاقة ولم يحضر فيحضر لذلك من يحضر ولا يرد أحد
والامناء جلوس فاذا رأوا انسانا لم يجر رسمه بان يأخذ أفردوه بعد قبضه ما قبضه حتى اذا فرق المال واجتمع
من هذه الطائفة عدد دخل أمناء فرعون اليه وهنؤه بتفرقة المال ودعوا له بطول البقاء ودوام العز
والسلامة وأنهى اليه حال تلك الطائفة فيأمر بتغيير شعثها بالحمام واللباس ثم يمد السماط فيأكلون بين
يديه ويشربون ويستعلم من كل واحد سبب فاقته فان كان ذلك من آفة الزمان رد عليه مثل ما كان له وان
كان سوء رأي وتدبير غير مستقيم ضمه الى من يشرف عليه ويأخذه بالادب والمعرفة التي لا يصلح الا بها
مائتا ألف دينار ولما ينصرف من نفقات فرعون الراتبة لسنته مائتا ألف دينار تكون النفقات على
ما تقدم تفصيلها تسعة آلاف ألف وثمانمائة ألف دينار ويحصل بعد ذلك ما يتسلمه يوسف الصديق
عليه السلام ويحصله لفرعون في بيت المال لنوائب الزمان أربعة عشر ألف ألف وستمائة ألف دينار
(وقال أبو رهم) كانت أرض مصر أرضا مدبرة حتى ان الماء ليجري تحت منازلها وأفنيتها فيحبسوه
كيف شاؤوا ويرسلوه كيف شاؤوا وذلك قول فرعون أليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي أفلا
تبصرون وكان ملك مصر عظيما لم يكن في الارض أعظم من ملك مصر وكانت الجنات بحافتي النيل متصلة
لا ينقطع منها شيء عن شيء والزرع كذلك من اسوان الى رشيد وكانت أرض مصر كلها تروى من ستة عشر
ذراعا لما دبروا في جسورها وحافاتها والزروع ما بين الجبلين من أولها الى آخرها وذلك قوله تعالى كم تركوا من
جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين والمقام الكريم المنابر وكان بها ألف منبر
(وقال عبد الله بن عمرو) استعمل فرعون هامان على حفر خليج سردوس فأخذ في حفره وتدبيره فجعل
أهل القرى يسألونه ان يجري الخليج تحت قريتهم ويعطوه مالا وكان يذهب به من قرية الى قرية من
الشرق الى الغرب ومن الشمال الى القبلة ويسوقه كيف أراد فليس في مصر خليج أكثر عطوفا منه فاجتمع
له من ذلك أموال عظيمة فحملها الى فرعون وأخبره بالخبر فقال له فرعون انه ينبغي للسيد أن يعطف على
عبيده ويفيض عليهم من خزائنه وذخائره ولا يرغب فيما بأيديهم رد على أهل القرى ما أخذت منهم فرد
عليهم أموالهم فهذه سيرة من لا يعرف الله ولا يرجو لقاءه ولا يخاف عذابه ولا يؤمن بيوم الحساب
فكيف يجب ان تكون سيرة من يقول لا اله الا الله ويوقن بالحساب والثواب والعقاب (وقال ابن
عباس) رضي الله عنهما في قوله تعالى اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم قال هي خزائن مصر
وكانت أربعين فرسخا في مثلها ولم يطع يوسف فرعون ويخالفه ويتوب عنه الا بعد أن دعاه الى الاسلام
فأسلم فحينئذ قال اجعلني على خزائن الارض (ولما استوثق) أمر يوسف الصديق عليه السلام وكل
وصارت الاشياء اليه وأراد بك أن يعوضه على صبره لما لم يركب محارمه وحلت سنو الغلاء والجوع مات
العزيز وذهبت الاخطار وافتقرت زليخا وعمي بصرها وجعلت تتكفف الناس فقيل لها لو تعرضت للملك
املها يرحمك ويغنيك فطالما حفظتيه وأكرمتيه ثم قيل لها لا تفعلي لانه ربما يتذكر ما كان منك اليه من
المراودة والحبس فيسيء اليك ويكافئك فيما سبق منك اليه فقالت أنا أعلم بحلمه وكرمه وجلست له على
رابية في طريقه يوم خروجه وكان يركب في زهاء مائة ألف من عظماء قومه وأهل مملكته فلما أحست به
قامت وقالت سبحان من جعل الملوك عبيدا بمعصيتهم وجعل العبيد ملوكا بطاعتهم فقال يوسف ومن أنت
قالت أنا التي كنت أخدمك على صدور قدمي وأرجل جمتك بيدي وأكرم مثواك بجهدي وكان مني
ما كان وذقت وبال أمري وذهبت قوتي وتلف مالي وعمي بصري وصرت أسأل الناس فمنهم من يرحمني
ومنهم من لا يرحمني بعدما كنت مغبوطة أهل مصر كلها صرت مرحومتهم بل محرومتهم هذا جزاء
المفسدين فبكى يوسف عليه السلام بكاء شديدا وقال لها هل بقي في قلبك من حبك اياي شيء فقالت
والذي اتخذ ابراهيم خليلا لنظرة اليك أحب الي من ملء الارض ذهبا وفضة فمضى يوسف وأرسل
اليها ان كنت أيما تزوجناك وان كنت ذات بعل أغنيناك فقالت للرسول الملك أعرف بالله من أن

(قال) أهل الفطنة اذا
أحسنت الى أحد وعددت
احسانك اليه كان شرا من
الامتنان عليه بتقريعك
له وينبغي أن يعلم الوزير
وخاصة الملك انهم مهما
فعلوه من حسن فان ذلك
باقبال الملك وبركة ظله
انفعل فانه حينئذ تصلح
ان تكون له على الخلق
وأعظم فساد ينشأ في دولة
الملك يكون من أمرين
أحدهما من الوزير الخائن
والثاني من نية الملك الرديئة
الفاسدة (قال انوشروان)
شر الوزراء من يجرئ
السلطان على الحرب
ويحداه على القتال في
موضع ينصلح الحال بغير
حرب لان الحرب في سائر
الاحوال يفني ذخائر
الاموال وفيها تبذل كرائم
النفوس ومصونات
الارواح وقال أيضا كل
ملك كان له وزير جاهل
فمثله كمثل الغيم الذي يبدو
ويظهر ولا يندى ولا يمطر
وفي كتاب وصايا ارسطا
طاليس كل أمر ينقضي
على يد غيرك بلا حرب ولا
خشونة فهو خير مما تقضيه
بيدك بالحرب والغضب
والعلماء يضربون هذا
المثل ويقولون ينبغي أن
تمسك الحية بيد غيرك
لا بيدك وترتيب الوزراء
انهم مهما أمكنهم ان
يحاربوا بالكتب فليحاربوا
فان لم تأت الامور بالاحتيال والتدبير فيجتهدون في تأتيها باعطاء الاموال وبذل الصلات والنوال ومتى انهزم لهم عسكر أعطوا من

Reference: 12964. Copyright for this page: Creative Commons Attribution Licence

View on the Qatar Digital Library: http://www.qdl.qa/en/archive/qnlhc/12964.58

ذنوب الجند ولم يستهلوا بقتلهم لانه قد يمكن قتل الاحياء ولا يمكن احياء القتلى وان الرجل يصير رجلا فى أربعين سنة ومن مائة
وحل يكون رجل واحد يصلح
لخدمة الملوك وان أسر
أحد من الجند من أصحاب
الملك كان على الوزيران
لا يفتكه و يفتديه بخاصه
و يشتريه ليجمع الجند
بصنيعه فتقوى قلوبهم
اذا باشروا حروبهم وعلى
الوزيران يحفظ أرزاق
الجند كل انسان منهم على
قدره وان يدرب الرجال
الشجعان بآلات الحرب
وان يخاطبهم بأحسن
كلام و يلين لهم فى الكلام
و يلطف لهم فى الجواب
فان الجند قد قتلوا كثيرا
من الوزراء فى قديم الايام
وسالف الاعوام ومن
سعادة السلطان و يمن
طلعته وقوة جده ان يسهل
الله له وزيرا صالحا ومشيرا
ناصحا قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا أراد الله
بامير خيرا قيض الله له وزيرا
نصيحا ان نسى
ذكره وان استعان به أعانه
قال مؤلف الكتاب ان الله
جل اسمه يظهر قدرته فى
كل وقت وزمان وحين
وأوان و يصطفى جماعة
يختارهم من عباده مثل
السلاطين والوزراء وأكابر
العلماء يعمر بهم الدنيا ومن
عجائب الزمان حديث
البرامكة الذين لم يوجد لهم
فى الدنيا نظير فى الكرم
والسخاء و بذل المعروف
والعطاء وكان تحت حكمهم
أكثر الولايات الوافرة الارتفاعات و بعد انقراضهم فسدت أحوال الوزراء ولم يبق لخدمة

يستهزئ بى هو لم يردنى فى أيام شبابى وجمالى فكيف يقبلنى وأنا عجوز عمياء فقيرة فأمر بها يوسف عليه السلام فجهزت فتزوجها وأدخلت عليه فصف قدميه وجعل يصلى ودعا الله باسمه الاعظم فرد الله تعالى عليها شبابها وجمالها وبصرها كهيئتها يوم راودته فواقعها فاذا هى بكر فولدت له افرائيم بن يوسف وميشا بن يوسف وطاب فى الاسلام عيشهما حتى فرق الدهر بينهما فيجب للقوى أن لا ينسى الضعيف وللغنى أن لا ينسى الفقير فرب مطلوب يصير طالبا ومرغوب اليه يصير راغبا ومسؤل يصير سائلا وراحم يصير مرحوما (فهذا يوسف) الصديق عليه السلام انظر الى ضعفه فى يد اخوته يوم الجب ثم ضعفهم بين يديه يوم الصاع (وهذه زليخا) ملكة مصر وسيدة أهلها عادت تتكفف الناس فى الطرقات قال الله تعالى وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التى باركنا فيها فكان يوسف عليه السلام بعد هذا يجوع ويأكل خبز الشعير ولا يشبع فقيل له أتجوع و بيدك خزائن الارض قال أخاف أن أشبع فانسى الجائعين (وقد رأيت) أن ألحقه عقبه فى مثلها بما نافس العقلاء ويرغب فيها الملوك والوزراء وذلك انى لما كنت بالعراق وكان الوزير نظام الملك والغالب على ألقابه خواجا بزرك رحمه الله تعالى قدوز ولابى الفتح ملك الترك ابن الب ارسلان وكان قدوز ولابيه من قبله فقام بدولتهما أحسن قيام فشد أركانها وشيد بنيانها واستمال الاعداء ووالى الاولياء واستعمل الكفاة وعم احسانه العدو والصديق والبغيض والحبيب والبعيد والقريب حتى ألقى الملك بجرانه وذل الخلق لسلطانه وكان الذى مهد له ذلك باذن الله تعالى وتوفيقه أنه أقبل بكليته على مراعاة جمال الدين فبنى دور العلم للفقهاء وأنشأ المدارس للعلماء وأسس الرباطات للعباد والزهاد وأهل الصلاح والفقراء ثم أجرى لهم الجرايات والكساوى والنفقات وأجرى الخبز والرزق لمن كان من أهل الطلب للعلم مضافا الى أرزاقهم وعم بذلك سائر أقطار مملكته فلم يكن من أوائل الشام وهى بيت المقدس الى سائر الشام الاعلى وديار بكر والعراقين وخراسان بأقطارها الى سمرقند من وراء نهر جيحون مسيرة زهاء مائة يوم حامل علم أو طالبه أو متعبد أو زاهد فى زاويته الا وكرامته شاملة له وسابغة عليه وكان الذى يخرج من بيوت أمواله فى هذه الابواب ستمائة ألف دينار فى كل سنة فوشى به الوشاة الى أبى الفتح الملك وأوغروا صدره عليه وقالوا ان هذا المال المخرج من بيوت الاموال يقيم به جيشا يركز رايته فى سور قسطنطينية فخامر ذلك قلب أبى الفتح الملك فلما دخل عليه قال يا أبت بلغنى أنك تخرج من بيوت الاموال كل سنة ستمائة ألف دينار الى من لا ينفعنا ولا يغنى عنا فبكى نظام الملك وقال يا بنى أنا شيخ أعجمى لو نودى على فمن يزيد لم أحفظ خمسة دنانير وأنت غلام تركى لو نودى عليك عساك تحفظ ثلاثين دينارا وأنت مشتغل بلذاتك منهمك فى شهواتك وأكثر ما يصعد الى الله تعالى معاصيك دون طاعاتك وجيوشك الذين تعدهم للنوائب اذا احتشدوا كافحوا عنك بسيف طوله ذراعان وقوس لا ينتهى مدى مرماه ثلثمائة ذراع وهم مع ذلك مستغرقون فى المعاصى والخمور والملاهى والمزمار والطنبور وأنا أقمت لك جيشا يسمى جيش الليل اذا نامت جيوشك بالليل قامت جيوش الليل على أقدامهم صفوفا بين يدى ربهم فأرسلوا دموعهم وأطلقوا بالدعاء ألسنتهم ومدوا الى الله أكفهم بالدعاء لك ولجيوشك فأنت وجيوشك فى خفارتهم تعيشون و بدعائهم تبيتون و ببركاتهم تمطرون وترزقون تخرق سهامهم الى السماء السابعة بالدعاء والتضرع فبكى أبو الفتح الملك بكاء شديدا ثم قال شاباش يا أبت شاباش أكثر لى من هذا الجيش (ومن مناقب) هذا الرجل وفضائله ان رجلا قصده يقال له أبو سعيد الصوفى فقال له يا خواجا أنا أبنى لك مدرسة ببغداد مدينة السلام لا يكون فى معمور الارض مثلها يخلد بها ذكرك الى أن تقوم الساعة قال افعل وكتب الى وكلائه ببغداد أن يمكنوه من الاموال فابتاع بقعة على شاطئ دجلة وخط المدرسة النظامية وبناها أحسن بنيان وكتب عليها اسم نظام الملك وبنى حولها أسواقا تكون محبسة عليها وابتاع ضياعا وخانات وحمامات وأوقفت عليها فكملت لنظام الملك بذلك رياسة وسؤدد وذكر جميل طبق

الارض

الملوك رونق ونضارة الى أن أوجد الله بركاته سلجوق وظل دولتهم الى النظام وأوصلهم الى درجات الوزراء المتقدمين وارتفع
بحيث انه لم يبق فى الدنيا
أحد من أهل الفضل
والادباء وأبناء السبيل
الغرباء من وضيع
وشريف الا وهو مشمول
باحسانهم مغمور بامتنانهم
ولم يكن أحد منهم من
خيرهم محروما وانما ذكرنا
هذا ليعلم من يقرأ كتابنا
الفرق بين الصالح وغير
الصالح وقال بزرجمهر لا
تقاس الاشياء بعضها ببعض
لان جوهر الناس أجل
من كل جوهر وانما زينة
الدنيا جميعها بالناس
والبارى جلت قدرته لا
ينسب الى الخطأ وهو واهب
الصلاح لمن يشاء فانه يؤتى
كل أحد ما يصلح له ويليق
به فينبغى أن تكون وزراء
الملوك ومدبرو دولتهم
على هذه الصفة وان
يحفظوا رسوم المتقدمين
وطرائقهم وان يلتمسوا
الاموال التى تؤخذ من
الرعية فى أوقاتها وأحيانها
وعند وجوبها وابانها
وليعرفوا الرسوم ويحملوا
الرعية بحسب طاقتها وقدر
قوتها وان يكونوا فى
تصيدهم صايدى الكركى
لا قاتل العصفور ولا يجوز
لهم أن يحرصوا على تناول
أموال المواريث ما دام
الوارث موجودا فالطمع
فى ذلك مشؤم غير جائز
ويجب عليهم استمالة قلوب
الرعية والحشم بهبات
الفوائد والنعم وليعلموا ان كفايتهم وعمومهم وصلاحهم منوط بصلاح الرعية ليحسن ذكرهم

الارض خبره وعم المشارق والمغارب أثره وكان ذلك فى سنى عشر الخمسين وأربعمائة من الهجرة ثم رفع حساب النفقات الى نظام الملك فبلغ ما يقارب ستين ألف دينار ثم نمى الخبر الى نظام الملك من الكتاب وأهل الحساب أن جميع ما أنفق فيها نحو من تسعة عشر ألف دينار وان سائر الاموال احتجنها لنفسه وخانك فيها فدعاه نظام الملك الى أصبهان للحساب فلما أحس أبو سعيد بذلك أرسل الى الخليفة أبى العباس يقول هل لك فى أن أطبق الارض بذكرك وأشرك بذخر لا تمحوه الايام قال وما هو قال تمحو اسم نظام الملك من هذه المدرسة وتكتب عليها اسمك وترد له ستين ألف دينار فأرسل اليه الخليفة يقول له أنفذ من يقبض المال فلما استوثق منه مضى الى أصبهان فقال له نظام الملك انك قد رفعت الينا نحوا من ستين ألف دينار نفقة وأحب اخراج الحساب فقال له أبو سعيد لا تطل الخطاب ان رضيت والا محوت اسمك المكتوب عليها وكتبت عليها اسم غيرك وأرسل معى من يقبض المال فلما أحس نظام الملك بذلك قال يا شيخ قد سوغناك جميع ذلك كله ولا تمح اسمنا ثم ان أبا سعيد بنى بتلك الاموال الرباطات للصوفية واشترى الضياع والخانات والبساتين والدور ووقف جميع ذلك على الصوفية فالصوفية الى يومنا هذا فى رباط أبى سعيد الصوفى وأوقافه يتقلبون ببغداد ففى هذه المناقب فليتنافس المتنافسون ولمثل هذا فليعمل العاملون فان فيها عز الدنيا وشرف الآخرة وحسن الصيت وخلود جميل الذكر فاغتنم مجد شبا يبقى على الدهر الا الذكر حسنا كان أو قبيحا وقال الشاعر

ولا شئ يدوم فكن حديثا * جميل الذكر فالدنيا حديث

فانتهز فرصة العمر ومساعدة الدنيا ونفوذ الامر وقدم لنفسك كما قدموا واذكر بالصالحات كما ذكروا وادخر لنفسك فى الآخرة كما ادخروا واعلم ان المأكول للبدن والموهوب للمعاد والمتروك للعدو فاختر أى الثلاث شئت والسلام (وكان) ابن أبى دواد الوزير واسع النفس مبسوط اليدين يعطى الجزيل ويستقل الكثير ولا يرد سؤالا و يتصدى بالنوال فقال له الواثق أمير المؤمنين يوما قد بلغنى بسط يدك بالاعطاء وهذا يتلف بيوت الاموال فأطرق ساعة ثم رفع رأسه فقال يا أمير المؤمنين ذخائر أجرها واصل اليك ومفاتيح شكرها موصولة بك واغالى من ذلك تعشق فى ايصال الثناء اليك فقال الواثق لله أنت جد بالعطاء وأكثر الشكر والثناء

﴿الباب التاسع والاربعون فى سيرة السلطان فى الانفاق من بيت المال وسيرة العمال﴾

اعلم ان يوسف الصديق عليه السلام لما ملك خزائن الارض كان يجوع ويأكل الشعير فقيل له أتجوع و بيدك خزائن الارض فقال أخاف أن أشبع فانسى الجائعين (وروى) البيهقى باسناده قال لما استخلف أبو بكر الصديق رضى الله عنه غدا الى السوق فقال له عمر بن الخطاب رضى الله عنه أين تريد قال السوق قال قد جاءك ما يشغلك عن السوق قال سبحان الله يشغلنى عن عيالى قال نفرض لك بالمعروف قال فانفق فى سنتين و بعض أخرى ثمانية آلاف درهم ووصى أن ترد من ماله فى بيت المال (وروى) هذه القصة الحسن البصرى قال لما حضرت أبا بكر الوفاة قال انظروا كم أنفقت من مال الله فوجدوا قد أنفق فى سنتين ونصف ثمانية آلاف درهم قال اقضوها عنى فقضوها عنه ثم قال يا معشر المسلمين انه قد حضر من قضاء الله ما ترون ولابد لكم من رجل يلى أمركم و يصلى بكم و يقاتل عدوكم فان شئتم اجتمعتم وائتمرتم لكم وان شئتم اجتهدت لكم فوالذى لا اله الا هو ما آلوكم ونفسى خيرا فبكوا وقالوا أنت خيرنا وأعلمنا فاختر لنا فقال قد اخترت لكم عمر (وروى) مالك هذه القصة على غير هذا الوجه قال بلغنى ان أبا بكر لما ولى لم ينفق من مال الله شيأ وغدا يوما من بنى عمرو بن عوف وكانت له هناك امرأة من الانصار فى جمال له يريد أن يبيعها فلقيه بعض المسلمين فقالوا لما تصنع هذا ايشغلك عن الناس وعن النظر فى أمرهم قال فكيف أصنع قالوا تتفرغ للنظر فى أمورهم ونستنفق من هذا المال فباع تلك الابل وغيرها من ماله الا الارض ثم طرحه فى بيت المال فكان ينفق من المال على نفسه وعلى عياله ثم كان عمر على

Reference: 12964. Copyright for this page: Creative Commons Attribution Licence
View on the Qatar Digital Library: http://www.qdl.qa/en/archive/qnlhc/12964.59

مثل ذلك ثم وليه عمر بن عبد العزيز فلم ينفق منه فقيل له قد صنع أبو بكر وعمر ما قد علمت قال أجل ولكني أخذت من هذا المال فان يكن لي فيه حق فقد استوفيت وزدت ولولا ذلك لفعلت (قال) ابن القاسم قلت لمالك فاين قولهم عن عمر انه ردغ ثمانين ألفا قال كذبوا انما يقول هذا أعداء الله هو لم يعجز لولده سلف أبي موسى اياه حين أخذ منه نصفه فكيف يأخذ من مال الله ثمانين ألفا فلما توفي أبو بكر استرجع علي رضي الله عنه وجاء مسرعا باكيا وقال رحمك الله يا أبا بكر لقد كنت والله أول القوم اسلاما وأكملهم ايمانا وأشدهم يقينا وأخوفهم لله تعالى وأحوطهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشبههم به هديا وخلقا وسمتا وفضلا وأكرمهم عليه وأرفعهم عنده فجزاك الله عن الاسلام خيرا صدقت رسول الله حين كذبه الناس فسماك الله في كتابه صديقا فقال تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون وآسيته حين تخافوا وقمت معه حين قعدوا وصحبته في الشدة حين تفرقوا أكرم الصحبة ثاني اثنين وصاحبه في الغار ورفيقه في الهجرة والمنزل عليه السكينة وخلفته في أمته أحسن الخلافة فقويت حين ضعف أصحابك وبرزت حين استكانوا وقمت بالامر حين فشلوا ومضيت بقوة اذ وقفوا وكنت أطولهم صمتا وأبلغهم قولا وأشجعهم قلبا وأشدهم يقينا وأحسنهم عملا كنت كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفا في بدنك قويا في أمر دينك متواضعا في نفسك عظيما محبوبا الى أهل السموات والارض فجزاك الله عنا وعن الاسلام خيرا (وقال) عمر رحم الله أبا بكر لقد أتعب من بعده تعبا شديدا (وروى) البيهقي عن عمر رضي الله عنه انه قال اني أنزلت نفسي من مال الله تعالى بمنزلة ولي اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت أكلت بالمعروف (وفي رواية أخرى) ان احتجت أخذت منه فاذا أيسرت رددته (وفي رواية أخرى) أخبركم بما أستحل من مال الله تعالى وما قال يحل لي أستحل منه حلتين حلة للشتاء وحلة للقيظ وما أحج عليه وأعتمر وقوتي وقوت عيالي كقوت رجل من قريش لا من أغنيائهم ولا من فقرائهم ثم أنا بعد ذلك رجل من المسلمين يصيبني ما أصابهم (وقال) أنس بن مالك غلا الطعام على عهد عمر رضي الله عنه فاكل خبز الشعير وكان قبل ذلك لا يأكله فاستنكره بطنه فصوت فضرب بيده وقال هو والله ما ترى حتى يوسع الله على المسلمين (وقال) أبو عثمان النهدي رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يطوف بالبيت وعليه جبة صوف فيها اثنتا عشرة رقعة احداها بادم أحمر (وقال) عطاء بن السائب استعمل عمر بن الخطاب السائب بن الاقرع على المدائن فدخل ايوانا من ايوان كسرى فاذا صنم يشير باصبعه الى الارض قد عقد أربعين فقال والله ما يشير هذا الى الارض الا وثم شئ فاحتفروا فاستخرجوا منه سفطا فيه جوهر فكتب الى عمر بن الخطاب أما بعد فاني دخلت ايوانا من ايوان كسرى فرأيت كذا وكذا فاحتفرت فأخرجت سفطا فيه جوهر فلم أجد أحق به منك يا أمير المؤمنين لم يكن من فئ المسلمين فاقسمه بينهم انما أصبناه شيأ تحت الارض فلما قدم السفط على عمر وعليه خاتم السائب فرأى عمر فيما يرى النائم كأن نارا أججت وهو يراد يلقى فيها فكتب الى السائب أن اقدم علي قال فقدمت عليه وهو يطوف في ابل الصدقة فطفت معه الى نصف النهار ثم دعا بماء فاغتسل ودعا لي بماء فاغتسلت ثم ذهب الى منزله فأتى بلحم غليظ وخبز متهمش فقال انظر من على الباب فاذا اسودان من الصوفية فأذن لهم فجعل يأكل معهم فاذا لحم غليظ لا أستطيع أن أسيغه وقد كنت تعودت درمك أصبهان اذا وضعته في في دخل بطني ثم دعا بالسفط وقال أتعرف خاتمك قلت نعم فقال كتبت ترفق لي تزعم اني أحق به من أين أصبته فأخبرته قال اذهب فاجعله في بيت مال المسلمين حتى أقسمه بينهم (وقال) قتادة قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الشام فصنع له طعام لم ير قبله مثله فقال هذا لنا فما لفقراء المسلمين الذين ماتوا وهم لا يشبعون من خبز الشعير قال خالد بن الوليد لهم الجنة فاغرورقت عينا عمر وقال لئن كان حظنا في هذا الطعام وذهبوا بالجنة لقد باينونا بونا بعيدا (وقال) عبد الله بن عمر العمري ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين قدم الشام قال لابي عبيدة اذهب بنا الى منزلك قال وما تريد الى أن تعصر عينيك علي قال فدخل منزله فلم ير شيأ فقال عمر أين متاعك لا أرى

من القلم لانه يمكن اعادة السالف والماضي ومن فضل القلم وسروره عند الله عز اسمه أقسم به فقال جل من قائل ن والقلم وما يسطرون وقال تعالى ذكره اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما خلق الله تعالى القلم يجري بما هو كائن الى يوم القيامة الحديث قال عبد الله بن عباس في تفسيره هذه الآية الكريمة حكاية عن يوسف عليه السلام اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم معناه وكلني على كنوز الارض اني حافظ ويقال انه صانع الكلام قال ابن المعتز القلب معدن والعقل جوهر والقلم صائغ والخط صناعة قال جالينوس القلم طبيب الكلام قال بليناس الحكيم القلم طلسم كبير (قال) الاسكندر الدنيا تحت شيئين السيف والقلم والسيف تحت القلم والقلم أدب المتعلمين وبضاعتهم وبه يعرف رأى كل انسان من قريب وبعيد ومهما كان الرجل مجربا للزمان فانه عالم ينظر في الكتب لا يكون كامل العقل لان مدة عمر الانسان معلومة ومعلوم أيضا أنه لا يمكنه ان يدرك بتجربته ومعلوم أيضا أنه يمكنه ان يحفظ بقلبه السيف والقلم ما كان في جميع الاشياء ولولا السيف والقلم لما قامت

الا لبدا أوشنا وصحفة وأنت أمير أعندك طعام فقام أبو عبيدة الى جونة فأخرج منها كسيرات فبكى عمر فقال أبو عبيدة قد قلت لك انك تعصر عينيك علي يا أمير المؤمنين يكفيك من الدنيا ما بلغك المقيل فقال عمر غرتنا الدنيا بعدك يا أبا عبيدة (وقال) الضحي بعث عمر بن الخطاب مصدقين فأبطؤا عليه وبالناس حاجة شديدة فجاؤا بالصدقات فقام فيها متزرا بعباءة يختلف في أولها وآخرها يقول هذه لآل فلان وهذه لآل فلان حتى انتصف النهار وجاع ودخل بيته حتى اذا أمكن أكله ثم قال من أدخله بطنه أبعده الله (وقال) طاوس أجدب الناس على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه فما أكل سمنا ولا سمينا حتى أكل الناس (وقال) سعيد بن جبير ان عليا رضي الله عنه قدم الكوفة وهو خليفة وعليه ازاران قطريان قد رقع ازاره بخرقة ليست بقطرية من ورائه فجاء اعرابي فنظر الى تلك الخرقة فقال يا أمير المؤمنين كل من هذا الطعام والبس واركب فانك ميت أو مقتول قال ان هذا خير لي في صلاتي وأصلح لقلبي وأشبه بشبه الصالحين قبلي وأجدر أن يقتدي بي من أتى من بعدي (وقال) الحسن ان عمر ابن الخطاب بينما هو يعس في المدينة بالليل أتى على امرأة من الانصار تحمل قربة فسألها فذكرت ان لها عيالا وأن ليس لها خادم وأنها تخرج في الليل فتستقيهم الماء وتكره أن تخرج بالنهار فحمل عمر عنها القربة حتى بلغ منزلها وقال اغدي على عمر غدوة يخدمك خادما فقالت لا أصل اليه فقال انك ستجديه ان شاء الله تعالى فغدت عليه فاذا هي به فعرفت أنه الذي حمل قربتها فذهبت تولي فأرسل في اثرها وأمر لها بخادم ونفقة ولما حج عمر رضي الله عنه قال كم بلغت نفقتنا يا يرفأ قال ثمانية عشر دينارا يا أمير المؤمنين قال ويحك أجحفنا ببيت مال المسلمين (وقال) شهر بن حوشب لما قدم عمر الشام طاف بكورها حتى نزل حمص فقال اكتبوا الى فقراءهم فرفعوا اليه الرقعة واذا فيها سعيد بن عامر فقال من سعيد بن عامر قالوا أميرنا فعجب عمر وقال كيف يكون أميركم فقيرا فقالوا انه لا يمسك شيأ فبكى عمر وبعث اليه بألف دينار يستعين بها في حاجته فجعل يسترجع فقالت له امرأته ما لك أصابك أمير المؤمنين بشئ قال أعظم من ذلك أتتني الدنيا دخلت علي الدنيا واني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان فقراء المسلمين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين عاما فوالله ما يسرني أني حبست عن الرعيل الاول وان لي بها ما طلعت عليه الشمس قالت فاصنع فيه ما شئت قال هل عندك معونة قالت نعم فأتته بخمارها فصر الدنانير فيها صررا ثم جعلها في مخلاة وبات يصلي ويبكي حتى أصبح فأعرض جيشا من جيوش المسلمين فأمضاها كلها فقالت امرأته رحمك الله لو حبست منها شيأ نستعين به فقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة الى الارض لملأت الارض من ريح المسك واني والله ما أختارك عليهن فسكتت (وروى) ان عمر رضي الله عنه استعمل على حمص رجلا يقال له عمير بن سعد فلما مضت السنة كتب اليه ان قدم علينا فلم يشعر به عمر الا أن قدم ماشيا حافيا معه عكازته واداوته ومزودته وقصعته على ظهره فلما نظر اليه عمر قال يا عمير أخبتنا أم البلاد بلاد سوء فقال يا أمير المؤمنين أما نهاك الله أن تجهر بالسوء وعن سوء الظن وما ترى من سوء الحال وقد جئتك بالدنيا أجرها بقرابها فقال وما معك من الدنيا قال عكازة أتوكأ عليها وأدفع بها عدوا ان لقيته ومزودي أحمل فيه طعامي واداوتي هذه أحمل فيها مائي لشربي وصلاتي وقصعتي هذه أتوضأ فيها وأغسل فيها رأسي وآكل فيها طعامي فوالله يا أمير المؤمنين ما الدنيا بعد الا تبع لما معي قال فقام عمر من مجلسه الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر فبكى ثم قال اللهم ألحقني بصاحبي غير مفتضح ولا مبدل ثم عاد الى مجلسه ثم قال ما صنعت في عملك يا عمير قال أخذت الرقة من أهل الرقة والابل من أهل الابل وأخذت الجزية من أهل الذمة عن يد وهم صاغرون ثم قسمتها بين الفقراء والمساكين وأبناء السبيل فوالله يا أمير المؤمنين لو بقي منها شئ عندي لأتيتك به فقال عمر عد الى عملك فقال عمير أنشدك الله ان لا تردني الى عملي فاني لم أسلم منه حتى قلت لذمي أخزاك الله ولقد خشيت أن يخصمني له محمد صلى الله عليه وسلم ولقد سمعته يقول أنا حجيج المظلوم فما حجته حجته ولكن ائذن لي

ينبغي ان يكون الكاتب عالما بعشرة الاول بعد الماء وقربه تحت الارض ومعرفة زيادة الليل والنهار ونقصانهما في الصيف والشتاء ومسير الشمس والقمر والنجوم ومعرفة الاجتماع والاستقبال والحساب بالاصابع وحساب الهندسة والتقويم واختيارات الايام وما يصلح للمزارعين ومعرفة الطب والادوية ومعرفة ريح الشمال والجنوب وعلم الشعر والقوافي ومع هذا كله ينبغي ان يكون الكاتب خفيف الروح طيب اللقاء عالما ببرى القلم وقطه ورفعه وحطه ومهما يكن في قلبه أظهره بشباقلمه وان يحرس نفسه من طغيان قلمه وينبغي للكاتب ان يعرف أي حرف يجوز ان يمد وأي حرف يكون مجتمعا متصلا ويكتب الخط مبينا ويعطي كل حرف حقه كما يحكى انه كان لعمر بن الخطاب رضي الله عنه عامل فكتب كتابا الى عمرو ابن العاص ولم يظهر سين بسم الله ثم توجه بعد ذلك الى عملك وأول ما ينبغي أن يعرف الكاتب برى القلم فان الانسان اذا كان يحسن الخط ويقدر ان يبرى القلم فان الخط على كل حال يجيء صالحا كما جاء في الحكاية

﴿حكاية﴾ كان لشاهنشاه الري عشرة من الوزراء وكان في جملتهم الصاحب بن عباد فاجتمع

قوله ثم لعل قبله فقال له عمر اظهر السين

Reference: 12964. Copyright for this page: Creative Commons Attribution Licence

View on the Qatar Digital Library: http://www.qdl.qa/en/archive/qnlhc/12964.60

الى أهلى فأذن له فأتى أهله فبعث عمر رجلا يقال له خبيب بمائة دينار فقال ائت عميرا فانزل عليه ثلاثا فان
يك خائنا لم يخف عليك فى عيشه وحال أهل بيته وان لم يك خائنا لم يخف عليك فادفع اليه المائة فأتاه خبيب
فنزل به ثلاثا فلم ير له عيشا الا الشعير والزيت فلما مضت ثلاث قال ياخبيب ان رأيت أن تحول الى
جيراننا فلعلهم ان يكونوا أوسع عيشا منا أما نحن فوالله لو كان عندنا غير هذا الآثرناك به (قال) فدفع اليه
المائة وقال بعث بها اليك أمير المؤمنين فدعا بفرو خلق لامرأته فصرها الخمسة والستة والسبعة
فقسمها فقدم خبيب على عمر فقال يا أمير المؤمنين جئتك من عند أزهد الناس وما عنده من الدنيا
لاقليل ولا كثير فبعث اليه عمر وقال ماصنعت فى المائة يا عمير قال لاتسلنى عنها قال لتخبرنى (قال) قسمتها
بينى وبين اخوانى المهاجرين والانصار قال فأمر له بوسق طعام وثوبين قال يا أمير المؤمنين أما
الثوبان فأقبل وأما الوسقان فلا حاجة لى بهما عند أهلى صاع من بر هو كافيهم حتى ارجع اليهم
(وروى) أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه صر اربعمائة دينار وقال للغلام اذهب بها الى أبى عبيدة بن الجراح
ثم تلكأ ساعة فى البيت حتى ترى مايصنع فذهب بها الغلام اليه وقال يقول لك أمير المؤمنين اجعل
هذه فى بعض حاجتك قال وصله الله ورحمه (ثم قال) تعالى ياجارية اذهبى بهذه السبعة الى فلان وبهذه
الخمسة الى فلان حتى أنفدها ورجع الغلام الى عمر فأخبره (ووجده) قد أعد مثلها لمعاذ بن جبل فقال له
اذهب بهذه الى معاذ بن جبل وتلكأ فى البيت ساعة حتى تنظر مايصنع فيها فذهب بها اليه وقال ان أمير
المؤمنين يقول لك اجعل هذه فى بعض حاجتك فقال رحمه الله ووصله (ثم قال) ياجارية اذهبى الى فلان
بكذا والى فلان بكذا فقالت امرأة معاذ ونحن والله مساكين فأعطنا ولم يبق فى الخرقة الا ديناران
فرمى بهما اليها فرجع الغلام فأخبر بذلك عمر فقال عمر انهم اخوة بعضهم من بعض

﴿الباب الموفى خمسين فى سيرة السلطان فى تدوين الدواوين وفرض الارزاق وسيرة العمال﴾

(اعلم) أرشدك الله تعالى ان أول من اتخذ الدواوين وأجرى الاعطية على ماروى عمر بن الخطاب
رضى الله عنه وكان يفضل أهل السابقة ثم الذين يلونهم حتى أجرى على العامة شيأ واحدا ثلثمائة
وأربعمائة وفرض للعيال مائة درهم فى كل سنة (وكان) أبو بكر رضى الله عنه يساوى بين الناس
فى العطاء ولا يفضل أهل السابقة ويقول انما عملوا لله فأجورهم على الله وانما هذا المال عرض حاضر
يأكله البر والفاجر وليس ثمنا لاعمالهم (وكان) عمر يقول لا أجعل من قاتل رسول الله كمن قاتل معه
ولم يقدر عمر الارزاق الا فى ولاية عمار فأجرى على عمار ستمائة درهم مع عطائه لولايته وكتابه ومؤذنيه ومن
كان يلى معه فى كل شهر لما بعثه وبعث معه عثمان بن حنيف وابن مسعود الى العراق وأجرى عليه فى
كل يوم نصف شاة ورأسها وجلدها وأكارعها ونصف جريب كل يوم وأجرى على عثمان بن حنيف ربع
شاة وخمسة دراهم كل يوم مع عطائه (وكان) عطاؤه خمسة آلاف درهم وأجرى على عبد الله بن مسعود
مائة درهم فى كل شهر وربع شاة فى كل يوم وأجرى على شريح القاضى مائة درهم فى كل شهر وعشرة أجربة
(وانما) فضل عمارا عليهم لانه كان على الصلاة (قال) مالك وكان عمر لا يفرض لصغير رضيع فاذا
فطم فرض له فمر من الليل وصبى يبكى يبغى الرضاع وأمه لا ترضعه فقال لها عمر أرضعيه قالت اذا
لايفرض له عمر قال بلى هو يفرض له ثم فرض عمر بعد ذلك للمولود مائة درهم فى كل سنة (قال ابن
جبلة) وفرض عمر للعيالات لكل عيل من ذكر وأنثى جريبين من بر فى كل شهر وقسطين من زيت وقسطا من
خل ومائة درهم فى كل سنة (قال) والجريب قفيز بالقرطبى والقسط قدر ثمن وربع الزيت بالقرطبى
(قال) الحسن وكان عطاء سلمان خمسة آلاف وكان على زهاء ثلاثين ألفا من الناس (وكان) يخطب
الناس فى عباءة يلبس نصفها ويفترش نصفها واذا خرج عطاؤه أمضاه وكان يسف الخوص ويأكل من
سفيف يده (وقال) الحسن قدم على عمر بن الخطاب وفد من البصرة مع أبى موسى الاشعرى قال
فكنا ندخل عليه وله كل يوم خبز ثلاث (فربما) وافقناها مأدومة بسمن واحيانا بزيت واحيانا باللبن

الوزراء كلهم على نكتة واتفقوا على انه مرتب عليه وقالوا ان الصاحب لا يقدر يبرى قلمه فلما علم بذلك جمعهم جميعهم فقال
لهم الصاحب الكافى أى
أدب فيكم لى مثله حتى
تتعاسروا وتتحدثوا عنى
بحضرة السلطان شاهنشاه
فان أبى علىّ الوزارة ولم
يعلمنى التجارة وأقل آدابى
ابة القلم وهل فيكم من يقدر
ان يكتب كتابا تاما بقلم
مكسور الرأس فعجز
الجماعة عن ذلك فقال له
شاهنشاه اكتب أنت
فأخذ الصاحب قلما وكسر
رأسه وكتب به درجا تاما
فأقر الجماعة بفضله
واعترفوا بادبه ونبله وأجود
الاقلام ما كان مستقيما
اصفر اللون رقيق الوسط
والقلم المحرف من الجانب
الايمن يصلح للخط العربى
والفارسى والعبرى
واللسان الدرى يجب
أن يكون قلمه محرفا من
الجانب الايسر وخير الاقلام
ما وصفه جعفر بن خالد
البرمكى فى كتاب كتبه الى
محمد بن ليث قلم لاغليظ
ولا رقيق ويجب ان تكون
براية القلم على شكل منقار
الكركى محرفا من الجانب
الايمن وينبغى أن يكون
المقط الذى تقط عليه
الاقلام فى غاية الصلابة
ويجب أن تكون الانقاس
فارسية خفيفة الوزن
والكاغد صقيلا متساويا
فى غاية الصقالة وان يجاد
حل الانقاس وكل حرف
أزيد من ثلاثة أحرف يجب
ان يمد وما كان أقل لايجوز مده وانه يتوحش بذلك الخط ان تكون صورة الحروف يشبه بعضها بعضا ولا

وربما

ورعا وافقنا القديد اليابس قد دق ثم أغلى عليه بماء ورعا وافقنا اللحم الغريض وهو قليل فقال لهم
يوما انى أرى والله تقذركم وكراهيتكم لطعامى فانى لو شئت لكنت أطيبكم طعاما وأرفهكم عيشا أما والله ما
أجهل كراكر واسنمة وأعرف صلاء وصنابا وصلائق (قال) والصلاء الشواء والصناب الخردل
والصلائق الخبز الرقاق ولكنى سمعت الله تعالى عير أقواما بأمر فعلوه فقال أذهبتم طيباتكم فى حياتكم
الدنيا واستمتعتم بها فكلمنا أبو موسى فقال لو كلمتم أمير المؤمنين لفرض لكم من بيت المال طعاما فأكلتموه
فكلمناه فقال يامعشر الامراء اما ترضون لانفسكم ما أرضاه لنفسى فقلنا يا أمير المؤمنين ان المدينة
أرض العيش بها شديد ولانرى طعامك يغنينا ولا يؤكل طعامك وانا بأرض ذات ريف وان أميرنا يغنينا
وان طعامه يؤكل قال فنظر ساعة ثم رفع رأسه فقال قد فرضت لكم من بيت المال شاتين وجريبين فاذا
كان بالغداة فضع احدى الشاتين على احدى الجريبين وكل أنت وأصحابك ثم ادع بشراب ثم اسق الذى
عن يمينك ثم اسق الذى عن شمالك ثم قم لحاجتك واذا كان العشاء فضع الشاة الغابرة على الجريب
الآخر فكل أنت وأصحابك الا وأوسعوا الناس فى بيوتهم وأطعموا عيالهم والله ما أظن رستاقا يؤخذ
منه كل يوم شاتان وجريبان الا يسرعان فى خرابه (وكان عمر) قد أطعم جريبين بالخل والزيت لثلاثين
رجلا فكفاهم فأجراه على كل رجل فى كل شهر ممن كان فى الديوان مكان ما كانت فارس تجريه على خيولهم
وأساورهم (وقال) سعيد بن المسيب وأبو سلمة كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه أبا العيال يسلم على
أبوابهن ويقول ألكن حاجة وأيتكن تريد ان تشترى شيأ فيرسل معه بحوائجهن ومن ليس عندها شئ
اشترى لها من عنده واذا قدم الرسول من بعض الثغور يتبعهن بنفسه فى منازلهن بكتب أزواجهن
ويقول أزواجكن فى سبيل الله وانتن فى بلاد رسول الله ان كان عندكن من يقرأ والا فاقربن من الابواب
حتى أقرأ لكن ثم يقول الرسول يخرج يوم كذا وكذا فاكتبن حتى نبعث بكتبكن ثم يدور عليهن
بالقراطيس والدواة يقول هذه دواة وقرطاس فادنين من الابواب حتى أكتب لكن ويمر الى المغيبات
فيأخذ كتبهن فيبعث بها الى أزواجهن (وقال) الربيع بن زياد الحارثى كنت عاملا لابى موسى الاشعرى
على البحرين فكتب اليه عمر بن الخطاب يأمره بالقدوم عليه هو وعماله وان يستخلفوا جميعا فلما قدمت
المدينة أتيت يرفا فقلت يا يرفا مسترشد وابن سبيل أى الهيئات أحب الى أمير المؤمنين أن يرى فيها عماله
فأومأ الى الخشونة فاتخذت خفين مطارقين ولبست جبة صوف ولبست عمامتى على رأسى فدخلنا على عمر
فصففنا بين يديه فصعد فينا وصوب فلم تأخذ عينه غيرى فدعانى فقال من أنت قلت الربيع بن زياد
الحارثى (قال) وما تتولى من أعمالنا قلت البحرين قال وكم ترزق قلت الفا قال كثير فما تصنع بها قلت أتقوت
منها شيأ وأعود على أقارب لى فما فضل عنهم فعلى فقراء المسلمين قال فلا بأس ارجع الى موضعك فرجعت
الى موضعى من الصف فصعد فينا وصوب فلم تقع عينه الا على فدعانى فقال كم سنك قلت خمس وأربعون
سنة قال الآن حين استحكمت (ثم دعا) بالطعام وأصحابى حديثو عهد بلين العيش وقد تجوعت له فأتى
بخبز وأعضاء بعير فجعل أصحابى يعافون ذلك وجعلت آكل وجعلت أنظر اليه يلحظنى من بينهم ثم
سبقت منى كلمة تمنيت انى سخت فى الارض ولم أقلها فقلت يا أمير المؤمنين ان الناس يحتاجون الى صلاحك
فلو عمدت الى طعام ألين من هذا فزجرنى ثم قال كيف قلت فقلت قلت يا أمير المؤمنين لو تنظر الى قوتك
من الطحين ان يخبز لك قبل ارادتك اياه بيوم ويطبخ لك اللحم كذلك فتؤتى بالخبز لينا وباللحم غريضا فسكن
غيظه ثم قال ههنا رعت قلت نعم (قال) ياربيع انا لو نشاء لملأنا هذه الرحاب من صلائق وسبائك يعنى
خبز الحوارى ولكنى رأيت الله تعالى عاب على قوم شهواتهم فقال أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا
واستمتعتم بها ثم أمر أبا موسى باقرارى على عملى وان يستبدل بأصحابى (وقال) قبيصة بن ذؤيب دعا عمر
ابن الخطاب سعيد بن سعد وكان على أهل حمص فقال علام يحبك أهل الشام قال انى أجمعهم فاحبونى
قال مالك قلت عبدى وفرسى ونعلى وخادمى (قال) فماذا تلبس فى الشتاء قلت عصابة أشد بها رأسى وجبة

يقدر على ذلك الا حكيم عاقل ومن تعودت بذلك أنامله كان عبد الله بن رافع كاتب الامير المؤمنين رضى الله عنه فقال كنت
أكتب كتابا فقال لى أمير
المؤمنين يا عبد الله ألق
دواتك وأطل جلفة قلمك
ووسع بين السطور واجمع
ما بين الحروف وكان عبد
الله بن جبلة كاتبا محسنا
فقال لغلمانه لتكون
أقلامكم بحرية فان لم تكن
بحرية تكن صفرا
واقطعوا عقد الاقلام لئلا
تتعقد الامور ولا يجوز
انفاذ كتاب بغير ختم فان
كرم الكتاب ختمه وقال عبد
الله بن عباس رضى الله
عنهما فى تفسير قوله تعالى
انى ألقى الى كتاب كريم أى
مختوم وأمر النبى صلى الله
عليه وسلم ان يكتب كتابا
الى العجم فقال انهم لا
يريدون كتابا بغير ختم فختمه
بخاتمه المبارك وكان على
فصه مكتوب محمد رسول
الله خبر روى عن عمرو
ان النبى صلى الله عليه
وسلم لما كتب كتابه الى
النجاشى رماه على التراب
ثم أنفذه فلاجرم أنه أسلم
وقال النبى صلى الله عليه
وسلم تربوا كتبكم فانه أنجح
لحوائجكم وقالوا تربوا الكتاب
فان التراب مبارك واذا
كتب الكتاب فليقرأ قبل
طيه فان كان فيه خطأ
تداركه وأصلحه وينبغى
أن يجتهد الكاتب أن يكون
الكلام قصيرا والمعنى
طويلا وأن لا يكرر كلمة
يكتبها وان يحترز من الالفاظ
الثقيلة الغثة ليكون كتابا محمودا وفى باب الكتابة كلام كثير ونقنع منه بهذا القدر لئلا يطول الكلام فقد قيل خير الكلام ماقل

Reference: 12964. Copyright for this page: Creative Commons Attribution Licence

View on the Qatar Digital Library: http://www.qdl.qa/en/archive/qnlhc/12964.61

وكسا فقال فالبس فى الصيف قلت قصار بطه واعطا فى عمر ألف دينار (وقال) خذها واستنفق منها وأعط منها قلت لا أرب لى فيها وستجد من هو أحوج اليها منى قال خذها فان النبى عليه السلام دفع الى مالا وهو دون الذى أعطيتك فقلت له كما قلت لى فقال يا عمر ما آتاك الله من هذا المال عطاء من غير ان تعرض له أو تشرف له نفسك فاقبله فأخذه وانطلق به الى امرأته فقال أترين رجلا له هذا من فقراء المهاجرين هو أم من الاغنياء فقالت بل من الاغنياء فقسمها حتى بقيت منها صرة أظن فيها ثلاثين أونحو ذلك فقالت له امرأته أليس لى أنا حق فاعطاها اياه (وقال) زياد بن حيوة بينا نحن بخناصرة اذا بامرأة تسأل عن دار عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فارشدناها الى الدار فرأت دارا امتهنتها فقالت لخياط هناك استأذن لى على فاطمة امرأة عمر بن عبد العزيز قال فادخلى وصوتى بها فانها تأذن لك فدخلت فلما أبصرت ما هنالك قالت جئت أرم فقرى من بيت الفقراء واذا رجل يعمل فى الطين فسألتها عن أمير المؤمنين فقالت هو ذلك يعمل فى الطين فقالت له يا أمير المؤمنين مات زوجى وترك ثمانى بنات فبكى عمر بكاء شديدا ثم قال لها ما تريدين قالت تفرض لهن قال نفرض للكبرى ما اسمها قالت فلانة فكتبها فقالت الحمد لله قال ما اسم الثانية قالت فلانة فكتبها فقالت الحمد لله حتى كتب الرابعة فقالت جزاك الله خيرا يا أمير المؤمنين فطرح القلم من يده وقال لها أما انك لو وليت الحمد أهله لاعممناهن لكن مرى الاربع فليواسين هذه الثامنة

﴿الباب الحادى والعشرون فى أحكام أهل الذمة﴾

(روى) عبد الرحمن بن غنم قال كتبنا لعمر بن الخطاب رضى الله عنه حين صالح نصارى أهل الشام بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب لعبد الله عمر أمير المؤمنين من نصارى مدينة كذا انكم لما قدمتم علينا سألناكم الامان لانفسنا وذرارينا وأموالنا وأهل ملتنا وشرطنا لكم على أنفسنا ان لانحدث فى مدائننا ولا فيما حولها ديرا ولا كنيسة ولا قلية ولا صومعة راهب ولا نجدد ما خرب منها ولا ما كان مختطا منها فى خطط المسلمين فى ليل ولا نهار وان نوسع أبوابها للمارة وابن السبيل وان ننزل من مر بنا من المسلمين ثلاث ليال نطعمهم ولا نؤوى فى كنائسنا ولا فى منازلنا جاسوسا ولا نكتم غشا للمسلمين ولا نعلم أولادنا القرآن ولا نظهر شركنا ولا ندعو اليه أحدا ولا نمنع أحدا من ذوى قرابتنا الدخول فى الاسلام ان أراده وان نوقر المسلمين ونقوم لهم من مجالسنا اذا أرادوا الجلوس ولا نتشبه بهم فى شئ من لباسهم من قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا فرق شعر ولا نتكلم بكلامهم ولا نتكنى بكناهم ولا نركب بالسروج ولا نتقلد بالسيوف ولا نتخذ شيأ من السلاح ولا نحمله معنا ولا ننقش على خواتمنا بالعربية ولا نبيع الخمور وان نجز مقادم رؤسنا ونلزم زينا حيثما كنا وان نشد الزنانير على أوساطنا ولا نظهر صلباننا وكتبنا فى شئ من طرق المسلمين ولا أسواقهم ولا نضرب نواقيسنا فى كنائسنا الا ضربا خفيفا ولا نرفع أصواتنا بالقراءة فى كنائسنا فى شئ من حضرة المسلمين ولا نخرج شعانيننا ولا باعوثنا ولا نرفع أصواتنا مع موتانا ولا نظهر النيران فى شئ من طرق المسلمين ولا أسواقهم ولا نجاورهم بموتانا ولا نتخذ من الرقيق ما جرى عليه سهام المسلمين ولا نتطلع على منازلهم (فلما أتيت) عمر رضى الله عنه بالكتاب زاد فيه ولا نضرب أحدا من المسلمين شرطنا ذلك على أنفسنا وأهل ملتنا وقبلنا عليه الامان فان نحن خالفنا فى شئ مما شرطناه لكم وضمناه على أنفسنا فلا ذمة لنا وقد حل منا ما يحل من أهل المعاندة والشقاق فكتب اليه عمر رضى الله عنه ان أمض ما سألوه وألحق فيه حرفين اشترطهما عليهم مع ما شرطوا على أنفسهم ان لا يشتروا شيأ من سبايا المسلمين ومن ضرب مسلما عمدا فقد خلع عهده (وروى) نافع عن سالم مولى عمر بن الخطاب ان عمر كتب الى أهل الشام فى النصارى أن يقطع ركبهم وان يركبوا على الاكف وان يركبوا فى شق وان يلبسوا خلاف زى المسلمين ليعرفوا (وروى) ان بنى تغلب دخلوا على عمر بن عبد العزيز فقالوا يا أمير المؤمنين انا قوم من العرب افرض لنا قال نصارى قالوا نصارى قال ادعوا الى حجام ففعلوا فجز نواصيهم وشق من أرديتهم حزما يحتزمون بها

وجل ودل ولم عل دنى الهمة فانى ما رأيت شيأ أسقط لقدم الانسان من تدانى همته وقال عمرو ابن العاص المرء حيث وضع نفسه يريد ان عز نفسه علا أمره وان ذلها ذل وهان قدره وتفسير الهمة ان يرفع نفسه فان انفة القلب من همم الاكابر لانهم يعرفون قدر أنفسهم فيعززونها ولا يعرف أحد قدر أحد حتى يكون هو الرافع لقدر نفسه واعزاز المرء نفسه ان لا يختلط بالاراذل ولا يشرع فى عمل ما لا يجوز لمثله ان يعمله ولا يقول ما يعاب به والهمة والانفة للملوك لان الله تعالى ركب فيهم هذه الخصلة وكل ملك لم يكن له هذه الخصلة يتعلمها من الوزراء والندماء كما جاء فى الحكاية

﴿حكاية﴾

أمر أبو الدوانيق لرجل بخمسمائة درهم فقال ابن الخصيب لا يجوز للملك ان يعرف ما دون الالف من العدد وكان هارون الرشيد يوما راكبا فى موكبه فسقط فرس رجل من عسكره فقال الرشيد ليعطى خمسمائة درهم فاشار يحيى اليه بعينه وقال هذا خطأ فلما نزل قال هارون أى خطأ بدا منى حتى أمرت الى بعينك فقال لا يجوز ان يجرى على أحد من الملوك أقل من الالف فقال الرشيد فان اتفق أمر لا يجوز ان يعطى فيه أكثر من خمسمائة مثل

وأمرهم ان لا يركبوا السروج ويركبوا الاكف من شق واحد (وروى) ان أمير المؤمنين المتوكل أقصى اليهود والنصارى ولم يستعملهم وأذلهم وأقصاهم وخالف بين زيهم وزى المسلمين وجعل على أبوابهم مثالا للشياطين لانهم أهل ذلك وقرب منه أهل الحق وباعد عنه أهل الباطل والاهواء فأحيا الله به الحق وأمات به الباطل فهو يذكر بذلك ويترحم عليه ما دامت الدنيا (وكان) عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول لا تستعملوا اليهود والنصارى فانهم أهل رشا فى دينهم ولا تحل فى دين الله الرشا ولما استقدم عمر بن الخطاب أبا موسى الاشعرى من البصرة وكان عاملا عليها للحساب دخل على عمر وهو فى المسجد فاستأذن لكاتبه وكان نصرانيا فقال له عمر قاتلك الله وضرب بيده على فخذه وليت ذميا على المسلمين أما سمعت الله تعالى يقول يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم الا اتخذت حنيفا فقال يا أمير المؤمنين لى كتابته وله دينه فقال لا أكرمهم اذ أهانهم الله ولا أعزهم اذ أذلهم الله ولا أدنيهم اذ أقصاهم الله وكتب بعض العمال الى عمر بن الخطاب ان العدد قد كثر وان الجزية قد كثرت فنستعين بالاعاجم فكتب اليه عمر انهم أعداء الله وانهم لنا غششة فأنزلوهم حيث أنزلهم الله ولا تردوا اليهم شيأ وقال عمران بن أسد أتانا كتاب عمر بن عبد العزيز الى محمد بن المنتشر أما بعد فانه بلغنى ان فى عملك رجلا يقال له حسان بن يزرى على غير دين الاسلام والله تعالى يقول يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله ان كنتم مؤمنين واذا أتاك كتابى هذا فادع حسان الى الاسلام فان أسلم فهو منا ونحن منه وان أبى فلا تستعن به ولا تأخذ من غير أهل الاسلام على شئ من أعمال المسلمين فقرأ الكتاب عليه فأسلم (ولما) خرج النبى عليه السلام الى بدر تبعه رجل من المشركين فلحقه عند الحرة فقال انى أردت ان أتبعك وأصيب معك قال تؤمن بالله ورسوله قال لا قال ارجع فلن أستعين بمشرك ثم لحقه عند الشجرة ففرح به أصحاب النبى عليه السلام وكانت له قوة وجلد فقال جئتك لاتبعك وأصيب معك قال تؤمن بالله ورسوله قال لا قال ارجع فلن أستعين بمشرك ثم لحقه على ظهر البيداء فقال له مثل ذلك قال تؤمن بالله ورسوله قال نعم فخرج به وهذا أصل عظيم فى أن لا يستعان بكافر هذا وقد خرج ليقاتل بين يدى النبى عليه السلام ويراق دمه فكيف استعمالهم على رقاب المسلمين وكتب عمر بن عبد العزيز الى عماله ان لا تولوا على أعمالنا الا أهل القرآن فكتبوا اليه انا وجدنا فيهم خيانة فكتب اليهم ان لم يكن فى أهل القرآن خير فاجدر أن لا يكون فى غيرهم خير

﴿فصل﴾ ومتى نقض الذمى العهد بمخالفته لشئ من الشروط المأخوذة عليه لم يرد الى مامنه والامام فيه بالخيار بين القتل والاسترقاق وقال أصحاب الشافعى ويلزمهم ان يتميزوا عن المسلمين فى اللباس وان لبسوا قلانس ميزوها عن قلانس المسلمين بالخرق ويشدون الزنانير فى أوساطهم ويكون فى رقابهم خاتم من رصاص أو نحاس أو جرس يدخل معهم الحمام وليس لهم ان يلبسوا العمائم والطيلسان وأما المرأة فتشد الزنار تحت الازار وقيل فوق الازار وهو الاولى ويكون فى عنقها خاتم يدخل معها الحمام ويكون أحد خفيها أسود والآخر أبيض ولا يركبون الخيل ويركبون البغال والحمير بالاكف عرضا ولا يركبون بالسروج ولا يتصدرون فى المجالس ولا يبدؤن بالسلام ويلجؤن الى أضيق الطريق ويمنعون ان يعلوا على المسلمين فى البناء وتجوز المساواة وقيل لا تجوز بل يمنعون وان تملكوا دارا عالية أقروا عليها ويمنعون من اظهار المنكر كالخمر والخنزير والناقوس والجهر بالتوراة والانجيل ويمنعون من المقام فى الحجاز وهى مكة والمدينة واليمامة ويجعل الامام على كل طائفة منهم رجلا يكتب أسماءهم وحلاهم ويستوفى جميع ما يؤخذون به من جميع الشروط وان امتنعوا من أداء الجزية والتزام أحكام الملة انتقض عهدهم وان زنى أحدهم بمسلمة أو أصابها بنكاح أو آوى عينا للكفار أو دل على عورة للمسلمين أو فتن مسلما عن دينه أو قتله أو قطع عليه الطريق أو ذكر الله ورسوله بما لا يجوز قيل ينتقض

زهت نفسك وهمتك عن ذكر الحقير ولهذا السبب خلع المأمون ولده العباس من ولاية عهده وذلك ان المأمون اجتاز بباب حجرة العباس فسمعه يقول لغلامه يا غلام قد رأيت فى الرصافة نقلا حسنا وقد اشتهيت منه بخذ نصف درهم وصر الى الرصافة فأتنى بشئ منه فناداه المأمون وقال من الآن قد علمت ان للدرهم نصفا اذهب فانت لا تصلح للولاية وترتيب الملك ولا يأتى منك صلاح ولا فلاح

﴿حكمة﴾

يقال ان فى وصية نامى أزد شير انه قال اذا أردت ان تهب لاحد من أولادك شيأ فاجتهد ان لا يكون عطاؤك أقل من دخل ولاية أو قرية أو قيمة بلد أو رستاق ليستغنى الشخص الذى تهبه وتزول حاجته وتستغنى أعقابه بك وأولادهم ما عاشوا فيحصل بذلك فى حساب الاحياء لا فى حساب الاموات واجتهد انك لا ترغب فى التجارة بوجه من الوجوه فان ذلك يدل على تدانى همة الملك

﴿حكمة﴾

يقال انه كان للملك هرمز ابن سابور وزير فكتب اليه كتابا يذكر فيه انه وصل من جانب البحر تجار معهم لؤلؤ وياقوت وجواهر نفيسة القيمة وانى ابتعت منهم برسم الخزانة بمبلغ مائة ألف دينار والآن قد حضر فلان التاجر وهو يطلب الجواهر بربح كثير فان رغب الملك فليرسم بما يراه فكتب هرمز جوابه مائة

ألف ومائة ألف مثلها وأمثالها ليس (١١٢) لها في أعيننا خطر لنرغب فيها واذا علمنا عملنا مع التجارة فمن يعمل السلطنة فانظر

وان فعل ما يمنع منه مما الاضرر فيه كترك الغيار واظهار الخمر وما أشبههما عزر عليه ومتى فعل ما يوجب نقض العهد رد الى مأمنه في أحد القولين وقتل في الحين في القول الآخر

(فصل) في تقدير الجزية اختلاف بين العلماء فقيل انها مقدرة الاقل والاكثر على ما كتب به عمر الى عثمان بن حنيف بالكوفة فوضع على الغني ثمانية وأربعين درهما وعلى من دونه أربعة وعشرون درهما وعلى من دونه اثنا عشر درهما وهذا مذهب أبي حنيفة وابن حنبل واحد قولي الشافعي وجعلوه كأنه حكم امام فلا ينقض وقيل انها مردودة الى الامام في الزيادة والنقصان وهو الاقيس وقيل انها مقدرة الاقل دون الاكثر فيجوز للامام ان يزيد على ما قدره عمر ولا يجوز ان ينقص عنه وقال بعضهم يجوز ان يساوي بينهم من كل واحد دينار وقال مالك يؤخذ من الموسر أربعون درهما ومن الفقير دينار وعشرة دراهم ويتخرج على مذهب مالك في وجوب تقدير طرفيها قولان بناء على العشر المأخوذ منه هل هو تقدير شرعي لا تجوز فيه الزيادة والنقصان ومن مالك فيه روايتان ولا جزية على النساء والمماليك والصبيان والمجانين وكتب عمر بن عبد العزيز الى عبد الحميد بن عبد الرحمن سلام عليك أما بعد فان أهل الكوفة قد أصابهم بلاء وشدة وجور من العمال وسنن سيئة سنها عليهم عمال السوء فاحرز عليهم أرضهم ولا تحمل خرابا على عامر ولا عامرا على خراب ولا تأخذ من الخراب الا ما يطيقون ولا من العامر الا وظيفة الخراج الاوزن سبعة ليس لها أس ولا أجور الضرابين ولا أداء الفضة ولا هدية النيروز والمهرجان ولا ثمن المصحف ولا أجور البيوت ولا دراهم النكاح ولا خراج على من أسلم من أهل الارض والواجب أن يؤخذ ما ضربه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو من كل جريب كرم عشرة دراهم ومن كل جريب نخل ثمانية دراهم ومن كل جريب حنطة أربعة دراهم ومن كل جريب شعير درهمان

(فصل) وأما الكنائس فأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن تهدم كل كنيسة لم تكن قبل الاسلام ومنع أن تحدث كنيسة وأمر أن لا تظهر عليه خارجة من كنيسة ولا يظهر صليب خارج من كنيسة الا كسر على رأس صاحبه وكان عروة بن محمد يهدمها بصنعاء وهذا مذهب علماء المسلمين أجمعين وشدد في ذلك عمر بن عبد العزيز وأمر أن لا يترك في دار الاسلام بيعة ولا كنيسة بحال قديمة ولا حديثة وهكذا قال الحسن البصري قال من السنة ان تهدم الكنائس التي في الامصار القديمة والحديثة ويمنع أهل الذمة من بناء ما خرب قال الاصطخري ان طينوا ظاهر الحائط منعوا وان طينوا داخله الذي يليهم لم يمنعوا ويمنعون ان يعلوا على المسلمين في البناء وتجوز المساواة وقيل لا تجوز

(الباب الثاني والخمسون في بيان الصفات المعتبرة في الولاة)

اعلم أرشدك الله تعالى ان منزلة العمال من الوالي منزلة السلاح من المقاتل فاجتهد جهدك في ابتغاء صالح العمال واذا فقد الوالي عمال الصدق كان كفقد المقاتل السلاح يوم الحرب ويحتاج الى طبقات الرجال كما يحتاج الحرب الى أصناف العدة فمنها الدرق للاستجنان والسيف للمناجزة والرمح للمطاعنة والسهم للمباعدة والدرع للتحصن ولكل منها موضع ليس للآخر والرجال للملك كالاداة للصانع لا بد لبعضها من بعض كذلك طبقات الرجال للملك منهم للرأي والمشورة ومنهم لادارة الحرب ومنهم لمباشرة الحرب ومنهم لجمع الاموال ومنهم لحفظها ومنهم للحماية ومنهم للكتابة ومنهم للجمال والفخر ومنهم للمباهاة والذكر ومنهم للدعاء والوقار ومنهم للعلم والفتيا وحفظ أساس الملة فلا يكمل للملك ملك ما لم يجمع هذه الطبقات وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما مات كسرى بلغ موته رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من استخلفوا قالوا ابنته بوران قال لن يفلح قوم اسندوا أمرهم الى امرأة وقال ابن عباس لما كانت فتنة الحرة قيل من استعمل القوم قالوا عبد الله بن مطيع على قريش وعبد الله بن حنظلة الراهب على الانصار قال أميران هلك والله القوم وليس يشترط الا

أيها الجاهل لنفسك لا تعد الى مثل هذا الكلام ولا تخلط في أموالنا درهما واحدا ولا دانقا فردا من أرباح التجارات فان ذلك يسقط قيمة الملك ويزري بحسن اسمه ويعود بقبح قاعدته ورسمه ويضر بعيشته في حال حياته وبعد وفاته

(حكاية)

حكى ان الامير عمارة بن حمزة كان في بعض الايام جالسا في مجلس الخليفة المنصور ابي الدوانيق وكان يوم نظره في المظالم فنهض رجل على قدميه وقال يا أمير المؤمنين أنا مظلوم فقال من ظلمك فقال عمارة بن حمزة اغتصب ضياعي وأبتز ملكي وعقاري فامر المنصور ان يقوم من موضعه ويساوي خصمه للمحاكمة فقال عمارة بن حمزة يا أمير المؤمنين ان كانت الضياع له فما أعارضه فيها وان كانت لي فقد وهبتها له وما لي حاجة في محاكمته ومماثلته ولا أبيع مكاني الذي أكرمني به أمير المؤمنين بضياع فتعجبت الاكابر الحاضرون من علو همته وشرف نفسه ومروءته الهمة والتهمة على شكل واحد وكل انسان له منها نصيب فواحد بالسخاء واطعام الطعام وآخر بالعلم وآخر بالعبادة والقناعة والزهادة وترك الدنيا وآخر بطلب العقبى وآخر بطلب الزيادة وأما الهمة بالسخاء وبذل المال وابتداء النوال فينبغي في

ان يكون كما جاء في الحكاية

في الامامة العظمى دون سائر الولايات (ولما) احتضر هشام بن عبد الملك زيد بن علي بن الحسين وكان من الخطباء قال له هشام بلغني انك تخطب الخلافة ولا تصلح لها لانك ابن أمة قال زيد فقد كان اسمعيل بن ابراهيم ابن أمة واسحق ابن حرة ومحمد عليه السلام من ولد اسمعيل ثم اتهمه في أمر فقال له زيد أنا أحلف لك قال هشام ومن يصدقك قال زيد انه ليس أحد فوق ان يأمر بتقوى الله ولا أحد دون ان يؤمر بتقوى الله وقال بعض الخلفاء دلوني على رجل أستعمله على أمر قد أهمني قالوا وكيف تريده قال اذا كان في القوم وليس أميرهم كان كأنه أميرهم واذا كان في القوم وهو أميرهم كان كأنه رجل منهم قالوا ما نعلمه الا الربيع بن زياد الحارثي قال صدقتم هو لها ويروى ان عمر بن عبد العزيز استشار في قوم يستعملهم فقال له بعض أصحابه عليك باهل العدل قال ومن هم قال الذين ان عدلوا فهو ما رجوت وان قصروا قال الناس اجتهد عمر (ولما) قدم البريد من بشر بن مروان على عبد الملك بن مروان سأله عن بشر قال يا أمير المؤمنين هو الشديد في غير عنف اللين في غير ضعف فقال عبد الملك ذاك الاعسر الاجود الذي كان يأمن عنده البريء ويخافه السقيم ويعاقب على قدر الذنب ويعرف موضع العفو الشديد في غير ضعف اللين في غير ضعف عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال الحكيم اعتبر الرجال بأفعالهم لا بعظم أجسامهم فان النسر مع عظمه لا يأكل الا ميتا وطير الماء مع ضعفه يتحامى ميت السمك ويأكل الحي منها (وفي) حكم الهند السلطان الحازم ربما أحب الرجل فأقصاه واطرحه مخافة ضره كالملسوع يقطع أصبعه لئلا ينتشر السم في جسمه وربما أبغض الرجل فأكره نفسه على توليته وتقريبه لغناء يجده عنده كتكاره المرء على الدواء البشع لنفعه الا ان للاسلام شروطا لا تستقيم هذه السيرة عليها الا ترى ان علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما افضت الخلافة اليه كان معاوية واليا على الشام من قبل عمر ثم عثمان فاستشار في أمره فقال له بعضهم اقره على امرته وأرسل اليه بعهده فاذا دخل في بيعتك فاعزله فقال له رحمك الله أتأمرني أن أطلب العدل بالجور ثم عزله فكان سبب عصيانه وهكذا أشاروا عليه فقالوا يا أمير المؤمنين لو فضلت هؤلاء الاشراف ومن تخوف منهم وانما الناس أصحاب دنيا حتى اذا استوثق الامر عدت الى التسوية فقال أتأمروني أن أطلب العدل بالجور فيمن وليت عليه والله لو كان مالي لسويت بينهم ولم أفضل بعضهم على بعض فكيف والمال لهم واعطاء المال في غير حقه تبذير وسرف وهو يرفع ذكر صاحبه في الدنيا ويضعه عند الله في الآخرة ولن يضع امرؤ ماله في غير حقه وعند غير أهله الا حرمه الله تعالى شكرهم ويصير لغيره ودهم فان بقي معه منهم من يظهر له الود والشكر فذلك ملق وخديعة لينال منه فان زلت به النعل يوما ما فاحتاج الى معونته ومكافأته ما سلف من مبرته فشر خليل وألأم خدين واياك أيها الوالي وحب المدح فان من أحب المدح عد كمن مدح نفسه واذا علم ذلك منك جعله الناس سلما لقضاء حوائجهم منك فحينئذ يكون قضاء الحوائج لنفسك لا لهم وقال النبي عليه السلام أحثوا في وجوه المداحين التراب وسمع المقداد رجلا يمدح عثمان بن عفان فأخذ كفا من تراب فالقاه في وجهه وسمع النبي عليه السلام رجلا يمدح رجلا فقال قطعت ظهر أخيك لو سمعها ما أفلح بعدها ووصف اعرابي أميرا فقال كان اذا ولي لم يطابق بين جفونه وأرسل العيون على عيونه فهو غائب عنهم شاهد معهم فالمحسن راج والمسيء خائف وقال عبد الله بن الزبير يوما لا يبعدن ابن هند ان كانت فيه لمخارج ما نجدها في أحد بعده أبدا والله ان كنا لنعرفه وما الليث الحرب على براثنه بأجرأ منه فيتفارق لنا وان كالخدعه وما ابن ليلة من الارض بأدهى منه والله لوددت أنا متعنا به ما دام في هذا حجر وأشار الى أبي قبيس لا يتخون له عقل ولا ينتقص له قوة وقال الصنابحي كتب عمر بن الخطاب الى أبي عبيدة كتابا في مثل اذن الفارة أما بعد فانه لا يقيم أمر الله في الناس الا حصيف العقدة بعيد الغرة لا يطلع الناس منه على عورة ولا يحنق في الحق على الجرة ولا يخاف في الله لومة لائم (وقال) مالك جاء رجل الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه

(حكاية)

* يقال ان يحيى بن خالد البرمكي خرج من الخلافة راكبا الى داره فرأى على باب الدار رجلا فلما قرب منه يحيى نهض قائما وسلم عليه وقال له يا أبا علي الي ما في يديك وقد جعلت الله وسيلتي اليك فأمر يحيى ان يفرد له موضع في داره وان يحمل اليه في كل يوم ألف درهم وان يكون طعامه من خاص طعامه فبقي على ذلك شهرا كاملا فلما انقضى الشهر كان قد وصل اليه ثلاثون ألف درهم فأخذ الرجل الدراهم وانصرف فقيل ليحيى فقال والله لو أقام عندي مدة عمري وطول دهري لما منعته صلتي ولا قطعت عنه ضيافتي

(حكاية)

كان لجعفر بن موسى الهادي جارية عوادة تعرف بالبدر الكبير لم يكن في زمانها أحسن منها وجها ولا أحذق بصناعة الغناء وضرب الاوتار وكانت في غاية الكمال ونهاية الجمال فسمع بخبرها محمد بن زبيدة الامين والتمس من جعفر ان يبيعه اياها فقال له جعفر أنت تعلم انه لا يجيء من مثلي بيع الجواري والمساومة على السراري ولولا انها مربية داري لانفذتها اليك ولم أنفس بها عليك ثم ان

Reference: 12964. Copyright for this page: Creative Commons Attribution Licence

View on the Qatar Digital Library: http://www.qdl.qa/en/archive/qnlhc/12964.63

وسأله ان يكتب له كتابا فى أمر فقال اذهب الى منزلنا فأتنى بدواة وقرطاس فذهب فلم يجد فقال اطلب عندهم شيئا فذهب فلم يجد عندهم الا الاذن من دود فكتب له فى تلك الاذن (ولما) ولى المأمون يحيى بن أكثم قضاء البصرة بعد ان استمتحن عقله وعلمه وامتحنه بمسائل فوجده فوق ما يريد فتلقاه وجوه البصرة فرأوا شابا صبيا ما بقلت لحيته فتعجبوا ونظر بعضهم الى بعض يقلبون الاكف ويغمزون الحواجب فقال له بعضهم كم سن القاضى أصلحه الله قال مثل سن عتاب بن أسيد لما ولاه النبى عليه السلام مكة فهابوه لحدة جوابه وعرفوا فضله وكان لعتاب بن أسيد احدى وعشرون سنة لما ولى مكة وكان عمر يقول لا يصلح ان يلى أمور الناس الا حصيف العقل وافر العلم قليل الغرة بعيد الهمة شديد فى غير عنف لين فى غير ضعف جواد فى غير سرف لا يخاف فى الله لومة لائم وقال أيضا ينبغى ان يكون فى الوالى من الشدة ما يكون ضرب الرقاب عنده فى الحق كقتل عصفور ويكون فيه من الرقة والحنو والرأفة والرحمة ما يجزع من قتل عصفور بغير حق (وروى) ان الرشيد أحضر رجلا ليوليه القضاء فقال له انى لا أحسن القضاء ولا انا فقيه فقال له الرشيد فيك ثلاث خلال لك شرف والشرف يمنع صاحبه من الدناءة ولك حلم يمنعك من العجلة ومن لم يعجل قل خطؤه وأنت رجل تشاور فى أمرك ومن شاور كثر صوابه وأما الفقه فتنضم اليك من تتفقه به فولى فما وجدوا فيه مطعنا وقال اياس بن معاوية استحضرنى عمر بن هبيرة فحضرت فما كلمنى فلما أطلت قال ايه قلت سل عما بدا لك قال أتقرأ القرآن قلت نعم قال فهل تفرض الفرائض قلت نعم قال فهل تعرف من أيام العرب شيأ قلت أنا بها أعلم قال فهل تعرف من أيام العجم شيأ قلت أنا بها أعلم قال انى أريد أن أستعين بك قلت ان فى ثلاثا لا أصلح معهن للعمل قال ما هن قلت أنا دميم كما ترى وأنا حديد وأنا عيى قال أما الدمامة فانى لا أريد أن أحاسن بك وأما العى فانى أراك تعرب عن نفسك وأما سوء الخلق فيقومك السوط فولانى وأعطانى ألف درهم فهو أول ما تمولته وقال سليمان بن داود عليهما السلام ما ملاقاة لبوة سلبت أشبالها بأصعب من لقاء جاهل راض عن نفسه

﴿الباب الثالث والخمسون فى بيان الشروط والعهود التى تؤخذ على العمال﴾

اعلم أرشدك الله انه يجب أن يولى على الاعمال أهل الحزم والكفاية والصدق والامانة وتكون التولية للغناء لا للهوى وملاك الولايات وأساسها أن لا يولى الاعمال طالب لها ولا راغب فيها * روى البخارى فى صحيحه عن أبى موسى الاشعرى قال أتيت النبى صلى الله عليه وسلم ومعى رجل فلما سلمنا عليه قال صاحبى يا رسول الله استعملنى فقال عليه السلام انا لا نستعمل على عملنا من أراده فقلت يا رسول الله والذى بعثك بالحق ما عرفت الذى فى نفسه (وقد روى) عن بزرجمهر وقد قيل له ما بال ملك آل ساسان صار أمره الى ما صار اليه قال لانهم قلدوا كبار الاعمال صغار الرجال وقد صدق عمرو بن العاصى حيث قال موت ألف من العلية أقل ضررا من ارتفاع واحد من السفلة * وقال العلاء بن أيوب غضب المأمون على بعض أصحابه غضبا شديدا ثم قال له لا أماتك الله أو يلقاك دولة السفل وقال رجل من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لرجل قد آذاه أدركتك امرة الصبيان وقال المستوغر الاكبر وكان قد عمر فى الجاهلية ثلثمائة سنة

وما سقطت يوما من الدهر أمة * الى الذل الا أن يسود ذميها
اذا ساد فينا بعد ذل لئيمنا * تصدى لنا ذل وقد آذى عيها
وما قادها للخير الا مجرب * عليم باقبال الامور كريمها
وما كل ذى لب يعاش بفضله * ولكن لتدبير الامور حكيمها

واعلموا ان معظم ما يدخل على الدول من الفساد من تقليد الاعمال أهل الحرص عليها لانه لا يخطبها الا لص فى ثوب ناسك أو ذئب فى مسلاخ عابد حريص على جمع الدنيا نابذ لدينه ومروءته دليل على الخيانة

بعد ذلك بأيام جاء محمد بن زبيدة الى داره فرتب له مجلس الشراب وأمر بيدرا ان تغنى له وتطربه فأخذ محمد فى الشراب والطرب ومال على جعفر بكثرة الشرب حتى سكر وأخذ الجارية معه الى داره ولم يد اليها يدا ثم رسم من الغد باستدعاء جعفر فلما حضر قدم بين يديه الشراب وأمر الجارية ان تغنى من داخل الستارة فسمع جعفر غناءها فلم ينطق من شرف نفسه وهمته ولم يظهر تغيرا فى محاضرته ثم أمر محمد الامين ذلك الزورق الذى ركب جعفر اليه بالدراهم فقال انه وضع فيه ألف بدرة وجعلتها مائة ألف ألف درهم حتى استغاث الملاحون وقالوا ما يقدر الزورق يحمل أكثر من هذا وأمر بحمله الى دار جعفر هكذا كانت همم الاكابر سئل بعض الحكماء من أسوء الناس حالا فقال من كان أكثرهم همة وأكثرهم علما واغزرهم فهما وأضيقهم حالا فقيل له فمن ينبغى يتوصل ليخلص من خموسة حظه وضائقة يده فقال بالملوك الاكابر وذوى الهمم العالية والنفوس الشريفة السامية كما قيل جاور بحرا أو ملكا

﴿حكاية﴾

قال سعيد بن سالم الباهلى اشتدت بى الحال فى زمن هارون الرشيد واجتمع

يغذون عباد الله خولا وأموالهم دولا واذا اهتضمت حقوق المسلمين وأكلت أموالهم فسدت نياتهم وقلت طاعاتهم فانتقضت الامور ودب الفساد الى الممالك وقد ذكرنا فى أول الكتاب الآثار فى كراهية الولايات (وقال المأمون) ما فتق على قط فتق فى مملكتى الا وجدت سببه جور العمال (فان قيل) فما معنى قول يوسف عليه السلام للملك اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم (قلنا) يوسف كان نبيا من أنبياء الله تعالى وائتمن نفسه بالكفاية والامانة بين يدى من لا يتحقق بواطن أسراره ولا يعلم خصائصه وفضائله ويرى الامور والاعمال والولايات فى أيدى من ليسوا أهلا لها ويجوز مثل هذا اليوم لمن حصل بين يدى جبار لا يعلم منزلته ولا ما عنده من الخصال والفضائل أن يذكر بعض ما يعلم من نفسه ليعلم قدره فيسلم بذلك من شره وعن هذا قال بعض أصحاب الشافعى اذا كان القضاء فى يد من لا يصلح له وجب أن يخطبه من يصلح له وكان ذلك فرضا عليه وفقهاء الامصار على خلاف هذا الرأى ويحتمل أن يكون يوسف عليه السلام قد أوحى اليه بما يصير أمره اليه من الملك والعدل ونشر كلمة الاسلام فلهذا نبه على نفسه * ومن عجيب ما روى فى هذا الباب ان لقمان الحكيم كان عبدا أسود حبشيا غليظ الشفتين مصفح القدمين لامرأة من بنى الحسحاس وكان حليما لداود عليه السلام فأتاه جبريل عليه السلام بالنبوة من عند الله الذى يصطفى لنبوته من يشاء فقال لقمان يا جبريل ان أمرنى ربى فسمع وطاعة وان خيرنى اخترت الحكمة فرضى الله تعالى قوله فأعطاه الحكمة وصرف عنه الرسالة الى داود عليه السلام فكان داود يقول طوبى لك يا لقمان أوتيت الحكمة ووقى داود البلية * وروى أنه جالس داود عليه السلام وداود يعمل الدروع فأقام حولا يبصر صنعة الدرع ولا يعلم ما يصلح له ولا يسأل عن ذلك فلما تم حول لبس داود الدرع وقال درع حصينة ليوم حرب فقال لقمان الصمت حكمة وقليل فاعله * وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذا بعث عاملا اشترط عليه أن لا يركب البراذين ولا يلبس الرقيق ولا يأكل النقى ولا يتخذ حاجبا ولا يغلق بابا عن حوائج الناس وما يصلحهم ويقول له انى لا أستعملك على أبشارهم ولا أعراضهم ولا أعمالهم وانما أستعملك لتصلى بهم وتقضى بينهم بالعدل (وروى) عباية بن رفاعة قال بلغ عمر بن الخطاب ان سعد بن أبى وقاص اتخذ قصرا وجعل عليه بابا وقال انقطع الصوت فأرسل عمر محمد بن مسلمة وكان عمر اذا أحب أن يؤتى بالامر كما هو عليه بعثه فقال له ائت سعدا فأحرق عليه بابه فقدم الكوفة فلما أتى الباب أخرج زنده واستورى نارا ثم أحرق الباب فأتى سعدا الخبر ووصف له بصفته فعرفه فخرج اليه سعد فقال له محمد انه قد بلغ أمير المؤمنين انك قلت انقطع الصوت فحلف سعد بالله ما قال ذلك فقال له محمد نفعل الذى أمرنا به ونؤدى عنك ما تقول ثم ركب راحلته فلما كان ببطن البرية أصابه من الخمص والجوع ما الله به أعلم فأبصر غنما فأرسل غلامه بعمامته فقال اذهب فابتع منهم شاة فجاء الغلام بالشاة وهو يصلى فأراد ذبحها فأشار اليه أن كف فلما قضى صلاته قال انظر فان كانت مملوكة فسمها فاردد الشاة وخذ العمامة وان كانت حرة فاذبح الشاة فذهب فاذا هى مملوكة فرد الشاة وأخذ العمامة فأخذ بخطام ناقته فجعل لا يمر ببقلة الا خطفها حتى آواه الليل الى قوم فأتوه بخبز ولبن وقالوا لو كان عندنا شئ غير هذا أتيناك به فقال بسم الله كل حلال أذهب السغب خير من ما كل السوء حتى قدم المدينة فنزل بأهله فابترد من الماء ثم راح فلما أبصره عمر رضى الله عنه قال له لولا حسن الظن بك ما رأينا انك أديت وذكروا أنه أسرع السير فقال قد فعلت وهو يعتذر ويحلف بالله ما قال فقال عمر هل أمر لك بشئ قال ما رأيت مكانا أن تأمر لى فقال عمر ان أرض العراق أرض رقيقة وان أهل المدينة يموتون حولى من الجوع فخشيت أن آمر لك بشئ يكون لك باردة ولى الحار * وروى زيد بن أسلم أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه استعمل مولى له يدعى هنيا على الحمى فقال يا هنى اضمم جناحك عن المسلمين واتق دعوة المظلوم فان دعوة المظلوم مستجابة وأدخل رب الصريمة والغنيمة واياك ونعم ابن عوف ونعم ابن عفان فانهما ان تهلك ماشيتهما يرجعان الى زرع ونخل وان رب الصريمة والغنيمة ان تهلك ماشيتهما

على ديون اعجز فى قضائها وعسر على اداؤها فاحتشد بباب دارى أرباب الديون وتزاحم المطالبون ولازمنى الغرماء فضاقت حيلتى وزادت فكرتى فقصدت عبد الله بن مالك الخزاعى والتمست منه ان يمدنى برأيه ويرشدنى الى باب الفرج فقال عبد الله لا يقدر احد على خلاصك من محنتك وهمك وضائقتك وغمك سوى البرامكة فقلت ومن يقدر على احتمال تكبرهم والصبر على تيههم وتجبرهم فقال تحمل ذلك لمصلحة أحوالك فنهضت ومضيت الى الفضل وجعفر بن يحيى بن خالد وقصصت عليهم ما قصتى وأبديت لهما محنتى فقالوا اعانك الله وأقام لك الكفاية فعدت الى عبد الله بن المبارك ضيق الصدر منقسم الفكر منكسر القلب واعدت عليه ما قالاه فقال يجب ان تكون اليوم عندنا لننظر ما يقدره الله تعالى فجلست عنده ساعة واذا بغلام قد أقبل وقال ببابنا بغال بأحمالها ومعها رجل يقول أنا وكيل الفضل وجعفر فقال عبد الله ارجو ان يكون قد جاء الفرج ما الشأن فنهضت وأسرعت عدوا فرأيت ببابى رجلا ومعه رقعة فيها مكتوب انك لما عدت من عندنا مضيت الى الخليفة وعرفته

Reference: 12964. Copyright for this page: Creative Commons Attribution Licence

View on the Qatar Digital Library: http://www.qdl.qa/en/archive/qnlhc/12964.64

يأتيني ببنيه فيقول يا أمير المؤمنين أفتاركهم أنا لا أبا لك قال ما والكلأ أيسر على من الذهب والورق وايم الله انهم ليرون انى قد ظلمتهم انها لبلادهم قاتلوا عليها فى الجاهلية وأسلموا عليها فى الاسلام والذى نفسى بيده لولا المال الذى أحمل عليه فى سبيل الله ما حميت عليهم من بلادهم شبرا (ومر) يوما ببناء يبنى بحجارة وجص فقال لمن هذا فذكر واله أنه لعامل من عماله على البحرين فقال أبت الدراهم ان لا تخرج أعناقها وقاسمه ماله (وكان) يقول لى على كل خائن أمينان الماء والطين * وكان أنوشروان يكتب على عهد العمال سس خيار الناس بالمحبة وامزج للعامة الرغبة بالرهبة وسس سفلة الناس بالاخافة (وقال) سليمان بن داود عليهما السلام كما يصلح المهمز للفرس والرسن للحمار كذلك يصلح القضيب لظهر الجهال * وفى الامثال من لم يصلح باللين أصلح بالتليين * وقال هلال بن سياف استعمل النبى صلى الله عليه وسلم المقداد على سرية فلما رجع قال له النبى صلى الله عليه وسلم كيف رأيت الامارة أبا معبد قال خرجت يا رسول الله وما أدرى أن لى فضلا على أحد من القوم فما رجعت الا وكأنهم عبيد لى قال وكذلك الامارة أبا معبد الا من وقاه الله شرها قال والذى بعثك بالحق لا أعمل على عمل أبدا (وقيل) لعمر بن الخطاب رضى الله عنه ما يمنعك أن تولى العمل فى الافاضل من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقال هم أجل من أن أدنسهم بالعمل * وقال ابراهيم النخعى كان عمر اذا قدم عليه الوفد سألهم عن حالهم وأسعارهم وعمن يعرف من أهل البلاد وعن أميرهم هل يدخل عليه الضعيف وهل يعود المريض فان قالوا نعم حمد الله تعالى وان قالوا لا كتب اليه ان أقبل * ومثل السلطان اذا ولى العمال الظالمين مثل من يسترعى غنمه الذئاب ومثل من ربط الكلب العقور ببابه وان العامة لتشتم الحجاج بن يوسف والخاصة تلوم عبد الملك بن مروان لانه استرعاه الرعية وقد قيل

ومن ربط الكلب العقور ببابه * فعقر جميع الناس من رابط الكلب

وكان العلا بن أيوب لما ولى فارس من قبل المأمون يكتب عهد العمال فيقرؤه على من يحضره من أهل ذلك العمل ويقول أنتم عيونى عليه فاستوفوه منه ومن تظلم الى منه فعلى انصافه ونفقته جائيا وراجعا ويأمر العمال ان يقرؤا عهده على أهل عمله فى كل جمعة ويقول لهم هل استوفيتم

﴿الباب الرابع والخمسون فى هدايا العمال والرشا على الشفاعات﴾

روى أبو داود فى السنن أن النبى صلى الله عليه وسلم قال من شفع لاخيه شفاعة فاهدى له هدية عليها فقبلها فقد أتى بابا عظيما من أبواب الربا والسر فيه أنك اذا قدرت على قضاء حاجة من عند السلطان الظالم أو اليد القاهرة صار ذلك واجبا عليك * وروى البخارى فى صحيحه أن النبى صلى الله عليه وسلم استعمل رجلا يقال له ابن اللتبية فلما جاء قال يا رسول الله هذا لكم وهذا لى قال فغضب النبى صلى الله عليه وسلم وقال ما بال الرجل نستعمله على عمل من أعمالنا فيقول هذا لكم وهذا لى أفلا قعد فى بيت أبيه وأمه فينظر هل يهدى له * قال مالك وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يشاطر العمال فيأخذ نصف أموالهم وشاطر أبا هريرة وقال له من أين لك هذا المال فقال أبو هريرة دواب تناتجت وتجارات تداولت فقال اد الشطر وانما شاطرهم حين ظهرت لهم أموال بعد الولاية لم تكن تعرف لهم * وروى مالك عن ابن عمر انه اشترى هو وعبيد الله أخوه ابلا فبعثاها الى الحمى فرعت فقال عمر رعيتما فى الحمى فشاطرهما وشاطر سعد بن أبى وقاص حين قدم من الكوفة كأنه رأى أن ما أصاب العامل من غير رشوة وان كان حلالا فلا يستحق ذلك لان له بالامرة قوة على أن ينال من الحلال مالا يناله غيره فجعله كالمضارب للمسلمين ولما دفع أبو موسى الاشعرى مالا من بيت المال لعبد الله وعبيد الله ابنى عمر بن الخطاب بالبصرة اشتريا منه بضاعة فربحت بالمدينة فأراد عمر ان يأخذ جميع الربح فراجعه عبيد الله فحكم بينهم بنصف الربح فأخذا جميعا نصف الربح وأخذ عمر النصف لبيت المال (وكتب) عمر بن عبد العزيز الى عماله أما بعد فانما هلك من كان قبلكم بمنعهم الحق حتى يشترى وبسطهم الباطل حتى يفتدى الملك بالدين يقوى والدين

بالملك

ما قد أفضت بك الحال اليه فأمرنى ان أحمل اليك من بيت المال ألف ألف درهم فقلت له هذه الدراهم نصرفها الى غرمائه فمن أين يقيم وجوه نفقاته فأمر بثمانمائة ألف درهم أخرى وقد حملنا من مالى ألف ألف درهم أخرى فصارت الجملة الى ألف وثمانمائة ألف درهم لتصلح بها أحوالك

﴿حكاية﴾

يقال انه كان لانوشروان نديم وكان فى مجلس الشراب جام من ذهب مرصع بالجوهر فسرقه النديم ونظر اليه أنوشروان ورآه وهو يخفيه فخفاء الشرابى وطلب الجام فلم يجده فنادى يا أهل المجلس قد ضاع لنا جام من ذهب مرصع بالجوهر فلا يخرجن أحد حتى يرد الجام فقال أنوشروان للشرابى مكنهم من الخروج فان الذى سرق ما يعيده والذى رآه ما يغمز عليه وأين كان الصفا وعلو الهمة كانت الراحة والخيرة لكن من يكفر الاحسان ويجحد الامتنان لا أصل له ومن لا أصل له لا يقدر ان يستر نكره

﴿حكاية﴾

يقال ان الرشيد استدعى صالحا فى التاريخ الذى تغير على البرامكة فقال يا صالح مر الى منصور وقل له لنا عليك عشرة

بالملك يبقى (وكان) عمر بن الخطاب رضى الله عنه يأمر اذا قدم عليه العمال ان يدخلوا نهارا ولا يدخلوا ليلا كى لا يحتجبوا شيأ من الاموال * وقال عتاب بن أسيد والله ما أصبت فى عملى الذى ولانى النبى صلى الله عليه وسلم الا ثوبين معقدين كسوتهما مولاى كيسان * وروى ان عليا رضى الله عنه استعمل أبا مسعود الانصارى على السواد فرجع الى داره وقد امتلأت فقال ما هؤلاء فقالوا كذلك يصنعون بالرجل اذا استعمل قال كل هؤلاء يريدون أن يأكلوا فى أمانتى ويروى فى امارتى فرجع الى على وقال لا حاجة لى فى العمل وقد ذكر ان النبى صلى الله عليه وسلم دعا عبد الرحمن بن سمرة ليستعمله فقال يا رسول الله اختر لى قال اقعد فى بيتك * وفى الامثال ان الهدية تعمى وتصم وقال بعض الحكماء الرشوة رشاء الحاجة وأنشد بعضهم

اذا أتت الهدية دار قوم * تطايرت الامانة من كواها

(ولبعضهم)

ان الهدية حلوة * كالسحر تجتلب القلوبا

تدنى البعيد من الهوى * حتى تصيره قريبا

وترد مضطغن العدا * وة بعد جفوته حبيبا

(ومما قلته فى الرشوة)

وأكرم من يدق الباب شخص * ثقيل الحمل مشغول اليدين

ينوء اذا مشى نفسا ونفضا * وينطح بابه بالركبتين

وأكرم شافع يمشى عليها * أبو المنقوش فوق الصفحتين

(وقلت أيضا)

اذا كنت فى حاجة مرسلا * وأنت بانجازها مغرم

فأرسل بأكمه خلابة * به صمم أغطش أبكم

ودع عنك كل رسول سوى * رسول يقال له الدرهم

(وكتب) عبد الملك بن مروان الى قاضيه الحرث بن عامر وقد ارتشى بكرمه

اذا رشوة من باب بيت تقحمت * لتسكن فيه والامانة فيه

سعت هربا منه وولت كأنها * حليم تولى عن جواب سفيه

﴿الباب الخامس والخمسون فى معرفة حسن الخلق﴾

اعلموا أرشدكم الله تعالى ان هذا الباب مما غلط الخلق فيه وقلبوا القوس ركوة فعمدوا الى أخلاق العامة وخلائق الغوغاء والادنياء وما يجرى بينهم اذا تلاقوا وتعاشروا من الافراط فى مدح بعضهم بعضا وتعاطيهم الكذب والتصنع والملق والمراآة والمعاريض عن الامور المكنونة التى يسوء اظهارها والانخراط فى سلك المزاح والمهاترة فهذا وما أشبهه عندهم من حسن الخلق وهو عندنا نقيض ما نص الله عليه ورسوله من حسن الخلق فأول ذلك ان تعلم أنه لم تحتو الارض على بشر أحسن خلقا من محمد صلى الله عليه وسلم فكل من تخلق باخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم أو قاربها أو بعضها كان أحسن الناس خلقا وكل خلق ليس بعد من أخلاقه صلى الله عليه وسلم فليس من حسن الخلق وهذا فصل الخطاب فى هذا الباب لمن عقل وانما أرى الناس فى هذا الباب لانهم استحسنوا الاخلاق العامية واستخشنوا الاخلاق النبوية لجهلهم باخلاق المصطفى صلى الله عليه وسلم وها أنا أتلو عليك من أخلاق الانبياء والمرسلين والاولياء والاصفياء والعلماء والصالحين ما نرجوان ينفعنا الله واياك به قال الله تعالى لنبيه وصفيه محمد صلى الله عليه وسلم وانك لعلى خلق عظيم فخص الله نبيه من كريم الطباع ومحاسن الاخلاق من الحياء والكرم والصفح وحسن العهد بما لم يؤته غيره ثم ما أثنى الله تعالى عليه بشئ من فضائله بمثل ما أثنى عليه بحسن الخلق فقال وانك لعلى خلق عظيم وعن هذا قال الشيوخ ان الله سبحانه دعا الخلق الى حسن الخلق ودعا نبيه عليه السلام من حسن الخلق (قال عبيد الله بن عمير) قلت لعائشة

آلاف ألف درهم وزيد ان تحصلها فى هذه الساعة وان لم تحصلها الى المغرب فخز رأسه عن بدنه وأتنى به قال صالح فصرت الى منصور وعرفته ما ذكره اى ما ذكره الرشيد من سياسته فقال آه هلكت والله وحلف ان جميع أسبابه وأملاكه لا تزيد قيمتها على مائة ألف درهم فمن أين أقدر على تحصيل عشرة آلاف ألف درهم قال صالح فقلت له دبر حيلة فى أمرك فانى لا أقدر أن أمهل ولا أحابى فيما أمرنى به فقال العفو يا صالح احملنى الى بيتى لاودع أهلى وأولادى وصبيتى وأوصى أقاربى فمضيت معه فجعل منصور يودع أهله وارتفع فى منزله البكاء والصراخ والاستغاثة قال صالح فقلت له ربما كان لك فرج على أيدى البرامكة فامض بنا الى يحيى بن خالد قال فأتينا يحيى بن خالد ومنصور يبكى ويصرخ فعلم يحيى حاله وفهم ما ناله فاغتم له وأطرق الى الارض ساكتا زمانا ثم رفع رأسه الى خازنه وقال كم فى خزائننا من الدراهم فقال خمسمائة ألف ألف درهم فأمر باحضارها وأنفذ قاصدا الى الفضل ولده وقال له قل له انه قد عرض على البيع ضياعا جليلة لا تخرج أبدا فأنفذ لنا شيأ من الدراهم فأنفذ ألفى ألف درهم

أم المؤمنين صف لى خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لى أما تقرأ القرآن كان خلقه القرآن
وحسبك بهذا القول منقبة للرسول صلى الله عليه وسلم وتعريفا لك بحسن الخلق فاذا كان خلق النبي
صلى الله عليه وسلم القرآن والقرآن يجمع كل فضيلة ويحث عليها وينهى عن كل نقيصة ورذيلة ويوضحها
ويبينها ولذلك لما أنزل الله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين قال النبي صلى الله
عليه وسلم ماهذا ياجبريل قال ان الله تعالى يأمرك أن تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن
ظلمك فهذا من حسن الخلق كما ترى فانظر أين أخلاق العامة من هذا الخط وان أحدهم يقطع من وصله
ويحرم من أعطاه ويظلم من سالمه ويغضب على من اتهمه وانما اقتصر على هذه الكلمات لانها
أصول الفضائل وينبوع المناقب لان فى أخذ العفو صلة القاطع والصفح عن الظالم واعطاء المانع وفى
الامر بالمعروف تقوى الله وصلة الرحم وصون اللسان وغض الطرف عن المحرمات وفى تقوى الله
يدخل جميع آداب الشرع فرضها ونفلها وفى الاعراض عن الجاهلين الصفح والحلم وفتوة النفس
عن مماراة السفيه ومجاراة اللجوج فهذه الاصول الثلاث تتضمن محاسن الشرع نصا وتنبيها وضمنا
واعتبارا (وروى) أنس قيل يارسول الله أى المؤمنين أفضل قال أحسنهم خلقا (وروى) أبوداود فى
السنن ان النبي صلى الله عليه وسلم قال بعثت لاتمم مكارم الاخلاق اقتضى الحديث ان كل نبي مبعوث
الى أمة انما بعث ليعلم الخلق حسن الخلق وان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم بعث ليتمم مكارم الاخلاق
فاذن حسن الخلق امتثال الشرائع بأسرها (وروى) البخارى عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم
لم يكن فاحشا ولا متفحشا قال وان من أحبكم الى أحسنكم أخلاقا* وكان النبي صلى الله عليه وسلم فى
بعض أسفاره وعليه رداء نجرانى غليظ الحاشية فجبذه أعرابى جبذة شديدة حتى أثرت حاشية الرداء فى
عنقه وقال يامحمد مر لى من مال الله الذى آتاك قلت تأمر لى عمالك ولا عمال أبيك فالتفت اليه النبي صلى
الله عليه وسلم وقال مر واله ولم يكلمه بشئ (وروى) معاذ بن جبل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له حسن
خلقك للناس يامعاذ بن جبل* واعلموا أن الخلق الحسن أفضل مناقب العبد وبه يظهر جواهر الرجال
والانسان مستور بخلقه مشهور بخلقه ألا ترى ان الله تعالى خص نبيه صلى الله عليه وسلم بما خصه به
من الفضائل ثم لم يثن عليه بشئ من خصاله بمثل ما أثنى عليه بخلقه* وقال بعض المفسرين فى قوله تعالى
وانك لعلى خلق عظيم قال لاتخاصم ولا تخاصم من شدة معرفتك بالله تعالى وقيل لم يؤثر فيك جفاء الخلق
بعد معرفتك بالحق وقال المحاسبى كظم الغيظ واظهار الطلاقة والبشر الا للمبتدع أو فاجر الا أن يكون
فاجرا اذا انبسطت استحيا والعفو عن الزالين الا بادب أو اقامة حد وكف الأذى عن كل مسلم
ومعاهد الا لتغيير منكر أو أخذ مظلمة لمظلوم فهذا حسن الخلق وقيل حسن الخلق أن لاتتغير ممن
يقف فى الصف بجنبك (وقيل) للاحنف ممن تعلمت حسن الخلق قال من قيس بن عاصم المنقرى قال بينما
هو ذات يوم جالس فى داره اذ جاءته خادم له بسفود عليه شواء فسقط من يدها فوقع على ابن له فمات
فدهشت الجارية فقال لاروع عليك أنت حرة لوجه الله تعالى* وكان ابن عمر اذا رأى واحدا من عبيده
يحسن الصلاة يعتقه فعرفوا ذلك من خلقه فكانوا يحسنون الصلاة مراآة له فكان يعتقهم فقيل له فى
ذلك فقال من خدعنا فى الله انخدعنا له* وقال الفضيل لو ان امرأ أحسن الاحسان كله وكانت له دجاجة
وأساء اليها لم يكن من المحسنين (وكان المحاسبى) يقول فقدنا ثلاثة أشياء حسن الوجه مع الصيانة
وحسن القول مع الامانة وحسن الاخاء مع الوفاء وقال الحسن بن على رضوان الله عليه عنوان
الشرف حسن الخلق* وكان عبد الله بن محمد الرازى يقول حسن الخلق استصغار مامنك واستعظام
ماالبك (وقال سهل) حسن الخلق أن لاتطمع فيما ليس لك وليس بهذه الصفة أحد الا الله تعالى* وقيل
حسن الخلق تحمل أثقال الخلق* وقال شاه الكرمانى علامة حسن الخلق كف الأذى واحتمال المؤن
وقيل حسن الخلق أن تكون من الناس قريبا وفيما بينهم غريبا وقيل حسن الخلق قبول مايرد عليك

من

رأنفذ انا نا آخر الى
جعفر وقال له قل له قد اتفق
لنا شغل ونحتاج الى شئ
من الدراهم فأنفذ جعفر
ألفى ألف درهم فقال له
يحيى قد صح تسعة آلاف
درهم فقال له منصور
يامولاى قد تمسكت بذيلك
وما أعرف هذا المال الا
من انعامك فتمم لى بقية
دينى فاطرق يحيى وبكى
وقال ياغلام ان أمير المؤمنين
كان قد وهب جاريتنا دنانير
جوهرة عظيمة القيمة فامض
اليها وقل تنفذ لى تلك
الجوهرة فمضى الغلام اليها
فاعطته الجوهرة وحملتها
اليه فقال يحيى ياصالح انا
ابتعت هذه الجوهرة لامير
المؤمنين من التجار بمائتى
ألف دينار ووهبها أمير
المؤمنين لدنانير العوادة
واذا رآها عرفها وقد تم
الآن مال مصادرة منصور
فقل لامير المؤمنين ليهب لى
منصور قال صالح فحملت
المال والجوهرة الى الرشيد
فبينا نحن فى الطريق انا
ومنصور وسمعته يتمثل
بيت من الشعر فتعجبت
من رداءته وفساده وخبث
أصله وميلاده والبيت
ومابقيتى طوعا ولكن
رأيتك خفت من ضرب
النبال
وقال صالح فرددت عليه
وقلت له ليس على وجه
الارض خير من البرامكة
ولا أشر منك فانهم

من جفاء الخلق وقضاء الحق بلا ضجر ولا قلق وقيل الخلق الحسن احتمال المكروه بحسن المداراة (وقالت
امرأة) لمالك بن دينار يامرائى فقال ياهذه وجدت اسمى الذى أضله أهل البصرة* وفى الحديث ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال لن تسعوا الناس بأموالكم ولكن سعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق (وروى)
ان أباعثمان اجتاز بسكة وقت الهاجرة فألقى عليه من فوق سطح طست رماد فتغير أصحابه وبسطوا
ألسنتهم فى الملقى فقال أبوعثمان لاتقولوا شيئا من استحق أن يصب عليه النار فصولح على الرماد لم يجز
ان يغضب* وقيل لابراهيم بن أدهم هل فرحت فى الدنيا قط قال نعم مرتين احداهما كنت قاعدا ذات
يوم فجاء انسان فبال على والثانية كنت جالسا فجاء انسان فصفعنى (وكان أويس القرنى) اذا رآه
الصبيان رموه بالحجارة وكان يقول ان كان لابد فارمونى بالحجارة الصغار كى لاتدموا على ساقى فتمنعونى
الصلاة (وروى) أن عليا رضى الله عنه دعا غلاما له فلم يجبه فدعاه ثانيا وثالثا فلم يجبه فقام اليه فرآه
مضطجعا فقال أما تسمع ياغلام قال نعم قال فما حملك على ترك جوابى قال أمنت عقوبتك فتكاسلت قال
امض فأنت حر لوجه الله وهذا كما ترى قوة الهية يفرغها الله على المصطفين من عباده وأهل الصفوة
من أوليائه ألا ترى الى قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من
حولك فجرده عن حقائق البشرية وألبسه من نعوت الربوبية حتى قواه على صحبتهم وصبره على تبليغ
الرسالة اليهم مع الذى كان يقاسيه من أخلاقهم مع كونه مستغرقا باستيلاء الحق تعالى عليه يختص
برحمته من يشاء* وقال النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن الف مألوف ولا خير فيمن لايألف ولا يؤلف وانما
سمى بالآدمى لانه تألف من الجواهر والالوان (وقال عليه السلام) لرجلين متباغضين آدم الله بينكما
أى ألف بينكما ومنه سمى الادم المأكول لانه يؤلف الطعام ويحسنه ومنه قول النبي صلى الله عليه
وسلم لرجل أراد أن يتزوج امرأة انظر اليها فانه أحرى أن يؤدم بينكما أى يؤلف بينكما وروى أن
معروفا الكرخى نزل الدجلة يتوضأ ووضع مصحفه وملحفته فجاءت امرأة فأخذتهما فتبعها معروف وقال
ياأختى أنا معروف لابأس عليك ألك ابن يقرأ قالت لا قال فزوج قالت لا قال فهاتى المصحف وخذى الثوب
(وروى) أن أباذر كان على حوض يسقى ابله فأسرع بعض الناس اليه فانكسر الحوض فجلس ثم
اضطجع فقيل له فى ذلك فقال ان النبي صلى الله عليه وسلم أمرنا اذا غضب الرجل أن يجلس فان ذهب
عنه والا فليضطجع (وقال على بن أبى طالب) رضى الله عنه انا لنصافح أكفا نرى قطعها* وقال أبوذر انا
لنكشر فى وجوه قوم وان قلوبنا لتلعنهم وقال الحرث بن قيس يعجبنى من القراء كل طليق مضحاك
فأما الذى تلقاه ببشر ويلقاك بعبوس يمن عليك بعمله فلا أكثر الله فى المسلمين مثله* وقال عروة بن الزبير
مكتوب فى الحكمة بنى لتكن كلمتك طيبة وليكن وجهك طلقا وتكن أحب الى الناس ممن يعطيهم
العطاء ومن يصحب صاحب السوء لايسلم ومن يصحب صاحبا صالحا يغنم (وروى) ان ابراهيم بن أدهم
خرج الى بعض البرارى فاستقبله جندى فقال له أين العمران فأشار الى المقبرة فضرب رأسه فأوضحه فلما
جاوزه قيل له هذا ابراهيم بن أدهم زاهد خراسان فجاء يعتذر اليه فقال انك لما ضربتنى سألت الله لك
الجنة فقال لم فقال قد علمت انى أوجر على ذلك فلم أرد ان يكون نصيبى منك الخير ونصيبك منى الشر
(وحكى) ان أباعثمان الحيرى دعاه انسان الى ضيافة فلما وافى باب الدار قال ياأستاذ ليس لى وجه فى
دخولك وقد ندمت فانصرف رحمك الله فرجع أبوعثمان فلما وافى منزله عاد اليه الرجل وقال ياأستاذ
ندمت وأخذ يعتذر وقال احضر الساعة فقام أبوعثمان ومضى معه فلما وافى داره قال مثل ماقال فى
الاولى وأخذ يعتذر ثم كذلك فى الثالثة والرابعة وأبوعثمان ينصرف ويحضر ثم قال ياأستاذ انما أردت
اختبارك والوقوف على أخلاقك وجعل يعتذر اليه ويمدحه فقال أبوعثمان لاتمدحنى على خلق تجد
مثله مع الكلاب فالكلب اذا دعى حضر واذا زجر انزجر (وروى) ان بعض الفقراء نزل على جعفر بن
حنظلة وكان جعفر يخدمه والفقير يقول نعم الرجل أنت لولم تكن يهوديا فقال له جعفر عقيدتى لاتقدح

اشترك وانقذوك من
الهلاك ومنوا عليك
بالفكاك ولم تشكرهم
وتحمدهم وتفعل فعل
الاحرار وقلت بالغيب ماقلت
ثم مضيت الى الرشيد
وقصصت عليه ماجرى
فتعجب الرشيد من مخارة
يحيى ومروءته وقال شئ قد
وهبناه لانعود فيه وعاد
صالح الى يحيى بن خالد وذكر له
قصة منصور وسوء فعله
فقال يحيى اذا كان
الانسان مقلا مضيق
الصدر مشغول الفكر
بضايقة اليد فهما قاله بقوله
فليس ذلك من قلبه وجعل
يتطلب العذر لمنصور فبكى
صالح وقال لايعود الفلك
الدائر يخرج الى الوجود
رجلا مثلك لا أخرج قبلك
فوا أسفا كيف يتوارى
رجل له خلق مثل خلقك
تحت التراب

﴿حكاية﴾

يقال انه كان بين خالد بن
يحيى البرمكى وبين عبد الله
ابن مالك الخزاعى عداوة فى
السر ما كانا يظهرانها وكان
سبب العداوة بينهما ان
هارون الرشيد كان يحب
عبد الله الى أبعد غاية بحيث
كان يحيى بن خالد وأولاده
يقولون ان عبد الله يسحر
أمير المؤمنين حتى مضى
على ذلك زمان والحقد فى
قلوبهما فولى الرشيد امارة
أرمينية لعبد الله بن الخزاعى
وسيره اليها ثم ان رجلا من
أهل العراق كان له أدب

فيما تحتاج اليه من الخدمة فقل لتفقد الشفاء ولى الهداية (وروى) ان أباجعفر القمودى المتعبد لقيه بعض الاجناد ومعه كلب للصيد فقال له خذ هذا الكلب وقده خلق فأبى فضرب رأسه بالسوط حتى أوجعه فقال له بعض المارين ويحك هذا أبو جعفر القمودى العابد فنزل من فرسه وجعل يقبل يديه ويعتذر اليه فقال أنت فى حل قال ابراهيم بن الحسن سمعت ابراهيم القمودى ليالى عديدة اذا فرغ من حزبه فى جوف الليل يدعو ويقول اللهم اغفر لصاحب الكلب وارحمه (وقيل) مكتوب فى الانجيل عبدى اذكرنى حين تغضب أذكرك حين أغضب * وقال بعض المفسرين فى قوله تعالى وقولوا للناس حسنا أى كل من لقيته فقل له حسنا من القول * وقال لقمان لابنه ثلاثة لا يعرفون الا فى ثلاثة الحليم عند الغضب والشجاع فى الحرب والاخ عند الحاجة اليه وروى ان عبد الله الخياط كان له مجوسى يخيط عنده الثياب ويدفع له دراهم زيوفا وكان عبد الله يأخذها فجاء المجوسى يوما بالدراهم فلم يجده فاعطاها التلميذ فلم يقبلها فدفع له صحاحا فلما رجع عبد الله قال تلميذه وهذه دراهم المجوسى وذكر قصته فقال عبد الله بئسما فعلت انه معاملى بهذه المعاملة منذ أعوام وأنا أصبر عليها وألقيها فى البئر لئلا يغر بها غيرى (وروى) أن معاوية نظر الى ابنه يزيد يضرب أمة له فقال أتضرب من لا تمتنع منك لقد حالت القدرة بينى وبين أولى الترات * وقال بعضهم أصل سوء الخلق ضيق القلب وضيقه على قسمين أدناه وأهونهما ان لا يتسع لمراد الخلق وأقصاه وشره أن لا يتسع لمراد الحق * وقال المحاسبى أصل سوء الخلق الاعجاب وهل بسوء خلق الرجل الا من عجبه وتكبره وانه لا يرى فوقه أحدا ولا يعرف قدر نفسه فقد اخذه العزة * وقال الحسن فى قوله تعالى وثيابك فطهر أى وخلقك فحسن * وكان لبعض النساك شاة فرآها على ثلاث قوائم فقال من فعل هذا بها فقال غلام له انا فعلته قال ولم قال لاغمك بها فقال لاغمن من أمرك بها اذهب فانت حر (وروى) البخارى عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال رأى عيسى بن مريم رجلا يسرق فقال له أتسرق فقال كلا والذى لا اله الا هو فقال عيسى عليه السلام آمنت بالله وكذبت عينى * وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه فساد الاخلاق معاشرة السفهاء (وقيل) الخلق السيئ يضيق قلب صاحبه لانه لا يسع فيه غير مراده كالمكان الضيق لا يسع فيه غير صاحبه * ويقال من سوء خلقك ان يقع بصرك على سوء خلق غيرك (وسئل النبى) صلى الله عليه وسلم عن الشؤم فقال سوء الخلق وروى أبو هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قيل له ادع الله على المشركين فقال انما بعثت رحمة ولم أبعث عذابا * ولما وصى يعقوب عليه السلام أولاده قال احفظوا عنى خصلتين ما انتصفت من ظالم قط قولا وفعلا ومارأيت حسنة الا وأفشيتها ومارأيت سيئة الا وسترتها كذلك فافعلوا * وقال ابن عمر اذا سمعتمونى أقول لمملوك أخزاه الله فاشهدوا انه حر * ويقال السيئ الخلق هو الذى لا يملك نفسه عند الغضب * وقيل أصل سوء الخلق مطالبة غيرك ان يوافقك دون أن تطلب نفسك موافقة غيرك وعلامة حسن الخلق ان تحتمل معاملة سيئ الخلق لتستتر به سوء الخلق وقيل العارف يعاتب نفسه ولا يعاتب خالقه وعلامة من بينه وبين نفسه عتاب أن لا يكون بينه وبين خلقه عتاب (وروى) ان عبد الله بن عمر كان فى حجره يتيم سيئ الخلق فمات فحزن عليه فقيل له انك تجد غيره قال فمن لى بسوء خلقه وكان ليحيى بن زياد الحارثى غلام سوء فقيل له لم تمسك هذا الغلام قال لاتعلم عليه الحلم وقيل فى قوله تعالى واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة الظاهرة تسوية الخلق والباطنة حسن الخلق وقال الفضيل لان يصحبنى فاجر حسن الخلق أحب الى من أن يصحبنى عابد سيئ الخلق (فان قيل) أليس قد روى ان عيسى ويحيى بن زكريا عليهما السلام التقيا فقال يحيى لعيسى تلقانى ضاحكا كأنك آمن فقال عيسى وأنت تلقانى عابسا كأنك آيس فأوحى الله اليهما ان أحبكما الى أبشكما بصاحبه قلنا كذلك يستحب أن يكون المؤمن وليس اطلاق الوجه والتبسم فى وجه أخيك منهيا عنه وانما المكروه ما ذكرناه فى أول الباب من الملق والتصنع وفصل الخطاب فى هذا الباب ما روى هند بن أبى هالة فى صفة مجلس النبى صلى الله عليه وسلم فقال كان أصحابه كأنما

وذكاء وفطنة فضاق ما بيده وفنى ماله فزور كتابا عن يحيى بن خالد الى عبد الله بن مالك الى أرمينية وسافر به الى عبد الله فحين وصل الى باب داره سلم الكتاب الى بعض حجابه فأخذ الحاجب الكتاب وسلمه الى عبد الله ففضه وقرأه وتدبره فعلم انه مزور فحين دخل الرجل وسلم ودعا له قال عبد الله احتملت بعد الشقة وثقل المشقة وجئتنا بكتاب مزور ولكن طب نفسا فانا لانخيب سعيك فقال الرجل أطال الله بقاء الامير ان كان قد ثقل عليك وصولى فلا تحتج فى منعى بحجة وأرض الله واسعة والرازق حى مبين والكتاب الذى أوصلته صحيح غير مزور فقال عبد الله أنا أعتمد معك أمرين وهما انى أكتب كتابا الى وكيلى ببغداد وآمره أن يسأل عن هذا الكتاب الذى أتيت به فان كان حقا أعطيتك امارة بعض بلادى وان آثرت العطاء أعطيتك مائة ألف درهم مع الفرس والخلعة والتشريف وان كان كلامك كذبا أمرت عليك الهلاك حتى لا يتطاول أحد الى مثل هذا الامر ثم انه كتب الى وكيله ببغداد يقول انه قد وصل الى رجل ومعه كتاب يذكر انه من يحيى بن خالد وأنا سيئ الظن فى هذا

على

على رؤسهم الطير ومعلوم ان من كان على رأسه طائر لا يبرح فانه لا يتحرك ولا يتكلم ولا يطرف بعينه حذرا أن ينفر الطائر وقال ابن المقفع كان لى صديق من أعظم الناس فى عينى وكان رأس ما عظمه فى عينى صغر الدنيا فى عينه كان خارجا من سلطان فرجه فلا يدعو اليه مؤنة ولا يستخف له رأيا ولا بدنا وكان خارجا من سلطان الجهالة فلا يقدم أبدا الا على ثقة بمنفعة كان أكثر دهره صامتا فاذا قال بذ القائلين وكان متضاعفا مستضعفا فاذا جاء الجد فهو الليث عاديا كان لا يدخل فى دعوى ولا يشرك فى مراء ولا يدلى بحجة حتى يرى قاضيا عدلا وشهودا عدولا وكان لا يلوم أحدا على ما يكون العذر فى مثله حتى يعلم ما اعتذاره كان لا يشكو وجعا الا الى من يرجو عنده البرء ولا صاحبا الا لمن يرجو عنده النصيحة لهما جميعا وكان لا يتبرم ولا يتسخط ولا يتشكى ولا ينتقم من الولى على العدو ولا يغفل عن الولى ولا يخص نفسه دون اخوانه بشئ من اهتمامه وحيلته وقوته فالزم هذه الاخلاق فان لم تطق فخذ القليل خير من ترك الجميع وروى ان حكيما سمع رجلا يذم الزمان وأهله وانه قد فسد الناس ولم يبق أحد يصحب فقال له يا هذا أنت طلبت صاحبا تؤذيه فلا ينتصر وتنال منه فلا ينتصف وتأكل رحله ولا يرزؤك شيئا وتجفو عليه فيصلك فلم تنصف فى الطلب فلم تجد حاجتك ولكن ان أردت صاحبا يؤذيك فلا تنتصر ويجفوك فلا تنتقم ويأكل رحلك فلا تنال منه شيئا وجدت أصحابا واخوانا وخلانا وأنا أول من يصحبك * (فصل فى الفرق بين المداهنة والمداراة) من دارى سلم ومن داهن أثم وهذا باب اختلط على معظم الخلق فداهنوا وهم يحسبون أنهم يدارون فالمداهنة منهى عنها والمداراة مأمور بها قال الله تعالى فى المداهنة ودوا لو تدهن فيدهنون وقال النبى صلى الله عليه وسلم فى المداراة رأس العقل بعد الايمان بالله التودد الى الناس وأمرت بمداراة الناس كما أمرت باداء الفرائض (واعلم) أنه اذا سقطت المداراة صارت مداهنة والمداهنة ان تدارى الناس على وجه يذهب فيه دينك والمداراة مخالفتهم على وجه يسلم لك دينك وذلك ان هذه الآية نزلت على النبى صلى الله عليه وسلم وقد قالت له قريش يا محمد اعبد آلهتنا سنة ونؤمن بك فأبى قالوا فشهرا فأبى قالوا فيوما فأبى قالوا فساعة فأبى قالوا فاستلمها بيدك ونؤمن بك فوقف النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك وطمع ان فعل ان يؤمنوا فأنزل الله تعالى ودوا لو تدهن فيدهنون وقيل له ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ومثاله ان تقول لظالم أبقاك الله ومن دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله سبحانه وهذا باب ينبغى لذوى الدين حفظه وقد رأى بعض الفقهاء الخروج من هذه العهدة بالتعريض وكان الفقيه ابن الحضار بقرطبة له جار نصرانى يقضى حوائجه وينفعه وكان الفقيه يكثر أن يقول أبقاك الله وتولاك أقر الله عينك يسرنى والله ما يسرك جعل الله يومى قبل يومك لا يزيده على هذه الكلمات فيبتهج النصرانى بها ويسره فعوتب الفقيه فى ذلك فقال انما ادعو بمعاريض قد علم الله ذلك من نيتى أما قولى أبقاك الله وتولاك فاريد أن يبقيه الله لغرم الجزية وبتولاه بالعذاب وأما قولى أقر الله عينك فاريد أن تقر حركتها بسهم يعرض لها فتقر لك جفونها وأما قولى يسرنى والله ما يسرك فان العافية تسرنى كما تسره وأما قولى جعل الله يومى قبل يومك فاريد أن يجعل الله تعالى اليوم الذى ادخل فيه الجنة برحمته قبل اليوم الذى يدخل فيه النار بكفره

(الباب السادس والخمسون فى الظلم وشؤمه وسوء عاقبته)

قال الله تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون وقال تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الظالمون وقال تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الفاسقون فكل من لم يحكم بما جاء من عند الله ورسوله كملت فيه هذه الاوصاف الثلاثة الكفر والظلم والفسق وقال سبحانه وتعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون (وقال) أحمد بن خضرويه لو أذن لى فى الشفاعة ما بدأت الا بالظالمين لانى تثبت لتعزية الله تعالى فى قوله ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون قال ولا أغتنم سفرا الا يكون فيه من لا يؤذينى ويظلمنى شوقا منى لتعزية الله تعالى للمظلومين وقال ميمون بن مهران كفى بهذه الآية وعيدا

الكتاب فيجب ان تحقق هذا الحال لنعلم صدقه من كذبه فتعرفنى الجواب فلما وصل كتاب عبد الله الى وكيله ومضى الى دار يحيى ابن خالد فوجده مع ندمائه وخواصه جالسا فسلم الكتاب اليه فقرأه خالد ثم قال للوكيل عد الى من الغد لاكتب الجواب والتفت الى ندمائه وقال ما جزاء من تحمل عنى كتابا وزوره فى خطابا الى عدوى فقال كل واحد من الندماء شيأ وجعل كل انسان منهم يعدد نوعا من العقاب وجنسا من العذاب فقال لهم يحيى لقد أخطأتم وهذا الذى ذكرتموه من خسة الهمم ودناءتها وكلكم تعرفون قرب عبد الله ودنوه عند أمير المؤمنين وتعلمون ما بينى وبينه من البغض والآن قد سبب الله هذا الرجل وجعله متوسطا فى الصلح بيننا ووفقه لذلك وقيضه ليمحو حقد عشرين سنة من قلوبنا ولتصلح بواسطته صورتنا وقد وجب على ان أفى لهذا الرجل بتأمله وأصدق ظنونه وأكتب له كتابا الى عبد الله ليتوفر على اكرامه واعزازه واحترامه فلما سمع الندماء منه ذلك دعوا له بالخيرات وتعجبوا من كرمه ومروءته ثم طلب الكاغد والدواة وكتب الى عبد الله بخط يده

Reference: 12964. Copyright for this page: Creative Commons Attribution Licence

View on the Qatar Digital Library: http://www.qdl.qa/en/archive/qnlhc/12964.67

الظالم وتعزية للمظلوم وقال كعب لابي هريرة في التوراة من يظلم يخرب بيته فقال أبو هريرة وذلك في كتاب الله تعالى فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا فالظلم أدعى شيء الى سلب النعم وحلول النقم (وروى) مسلم في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه قال يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا يا عبادي كلكم ضال الا من هديته فاستهدوني أهدكم يا عبادي كلكم جائع الا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم يا عبادي كلكم عار الا من كسوته فاستكسوني أكسكم يا عبادي انكم تخطئون بالليل والنهار وانا اغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم يا عبادي انكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني يا عبادي لو ان أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على اتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيأ يا عبادي لو ان أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيأ يا عبادي لو ان أولكم وآخركم وانسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فاعطيت كل انسان مسئلته ما نقص ذلك مما عندي الا كما ينقص المخيط اذا ادخل في البحر يا عبادي انما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه يرويه أبو ادريس الخولاني عن أبي ذر ومسنده الى النبي صلى الله عليه وسلم وكان أبو ادريس اذا حدث به جثى على ركبتيه وروى عبد الله بن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الظلم ظلمات يوم القيامة وروى ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اتقوا دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب وروى ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت لاخيه عنده مظلمة من عرض أو شيء فليتحلله منه قبل أن لا يكون درهم ولا دينار ان كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وان لم يكن له حسنات أخذ من سيآت صاحبه فحمل عليه وروى سعيد بن زيد قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من ظلم من الارض شبرا طوقه من سبع أرضين قال أبو جعفر الطحاوي معناه انه يقلب شجاعا أقرع فيطوقه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في مانع الزكاة يجيء ماله يوم القيامة شجاعا أقرع يتبعه ويقول أنا مالك أنا كنزك فكان هذا داخلا في قوله تعالى سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة وروى أبو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال مطل الغني ظلم وروى أبو موسى الاشعري قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله ليملي للظالم حتى اذا أخذه لم يفلته وقرأ وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة ان أخذه اليم شديد وروى أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انصر أخاك ظالما أو مظلوما قالوا يا رسول الله كيف هذا أنصره مظلوما فكيف انصره ظالما قال تأخذ فوق يده وروى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال صنفان من أهل النار لم أرهما ناس معهم سياط كاذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات على رؤسهن مثل اسنمة البخت لا يرين الجنة ولا يجدن ريحها وقال الله تعالى واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا وفي الآية تأويلان أحدهما أمرناهم بالطاعة ففسقوا أي خرجوا عن الطاعة والثاني على قراءة المدني أي كثرنا عددهم وأسبغنا النعم عليهم فعصوا وتباغوا ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم خير المال سكة مابورة ومهرة مأمورة أي كثيرة النتاج (واعلموا) أن حشرات الارض وهوامها تلعن العصاة وقال مجاهد اذا أشعثت الارض تقول البهائم هذا من أجل عصاة بني آدم فذلك قوله تعالى أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الحسل لتموت بذنب ابن آدم يعني ان بذنوب الخلق يمتنع القطر فلا تنبت الارض فتهلك الدواب والحشرات وسمع أبو هريرة رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال بلى والله ان الحبارى لتموت هزلا في وكرها بظلم الظالم وقال ابن مسعود خطيئة بني آدم قتلت الحسل (وروى) مسلم في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة فقال الرجل وان كان شيأ يسيرا يا رسول الله قال وان كان قضيبا من أراك وقال ابن عباس ما ظهر الغلول في قوم قط الا فشا فيهم الموت ولا نقص قوم المكيال

والميزان

كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم وصل كتابك اطال الله بقاءك وفضضته وقرأته وسررت بسلامتك وابتهجت باستقامتك وكان ظنك ان ذلك الرجل الحزور وعني كتابا لفق خطابا وليس الامر كذلك فان الكتاب انا كتبته وعلى يده انا انفذته وليس بمزور عني وتوقعي من كرمك وحسن شيمتك ان تفي لذلك الرجل الحر الكريم بأمله وتوفي له حرمة قصده وتوصله وان تخصه منك بغامر الاحسان ووافر الامتنان ومهما فعلته في حقه انا المعتد به والشاكر عليه ثم عنون الكتاب وختمه وسلمه الى الوكيل أو انفذه الوكيل الى عبد الله فحين قرأه ابتهج بما حواه واحضر الرجل وقال أي الامرين اللذين ذكرتهما تختار فقال له الرجل العطاء أحب الي فأمر له عبد الله بمائتي ألف درهم وعشرة افراس عربية خمسة منها بالمراكب المحلاة وخمسة بالجلال وعشرين تختا من الثياب وعشرة من المماليك ركاب الخيول وما يليق بذلك من الجواهر المثمنة وسيره في صحبة مأمونة الى بغداد فلما وصل الى أهله قصد باب يحيى بن خالد وطلب الاذن فدخل الحاجب على يحيى وقال له يا مولاي بالباب رجل ظاهر الحشمة البزة حسن الحالة

والميزان الا انقطع عنهم الرزق ولا حكم قوم بغير حق الا فشا فيهم الدم ولا خفر قوم بالعهد الا سلط عليهم العدو وقال بعض الحكماء اذكر عند الظلم عدل الله فيك وعند القدرة قدرة الله عليك لا يعجبك رحب الذراعين بسفك الدماء فان له قاتلا لا يموت (وروى) ان بعض الملوك رقم على بساطه

لا تظلمن اذا ما كنت مقتدرا * فالظلم مصدره يفضي الى الندم
تنام عينك والمظلوم منتبه * يدعو عليك وعين الله لم تنم

أنشدنا قاضي القضاة أبو عبد الله الدامغاني رحمه الله ببغداد

اذا ما هممت بظلم العباد * فكن ذاكرا هول يوم المعاد
فان المظالم يوم القصاص * لمن قد تزودها شر زاد

وقال منصور بن سعيد كان يزيد بن حاتم الحكيم يقول ما هبت شيأ قط هيبتي رجلا ظلمته وأنا أعلم ان لا ناصر له الا الله فيقول لي حسبك الله الله بيني وبينك وقال بلال بن سعيد اتقوا الله فيمن لا ناصر له الا الله وقال أبو سليمان الداراني لما دخل اخوة يوسف عليه السلام عرفهم ولم يعرفوه وكان على وجهه برقع فقال بكبيرهم وكان ابن خالته فقال لهم أوصاك أبوك قال بأربع قال وما هن قال يا بني لا تتبع هواك فتفارق ايمانك فان الايمان يدعو الى الجنة والهوى يدعو الى النار ولا تكثر منطقك بما لا يعنيك فتسقط من عينه ولا تسيء بربك الظن فلا يستجيب لك ولا تكن ظالما فان الجنة لم تخلق للظالمين (وبكى) علي بن الفضيل يوما فقيل له ما يبكيك فقال أبكي على من ظلمني اذا وقف غدا بين يدي الله تعالى ولم يكن له حجة

ولمحمود الوراق

إني وهبت لظالمي ظلمي * وتركت ذاك له على علمي
ورأيته أسدى الي يدا * لما أبان بجهله حلمي
رجعت اساءته عليه واحسـ * ـاني فآب مضاعف الجرم
وغدوت ذا أجر ومحمدة * وغدا بكسب الذم والاثم
ما زال يظلمني وأرحمه * حتى رثيت له من الظلم
وكأنما الاحسان كان له * وأنا المسيء اليه في الحكم

وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى اشتد غضبي على من ظلم من لا يجد ناصرا غيري (وقال) ابن مسعود لما كشف الله العذاب عن قوم يونس ترادوا المظالم حتى ان كان الرجل ليقلع الحجر من أساسه فيرده الى صاحبه وقال ثور بن يزيد الحجر في البنيان من غير حله عربون على خرابه وقال غيره لو أن الجنة وهي دار البقاء أسست على حجر من الظلم لاوشك أن تخرب وقال الحكيم العدل حرمة والظلم ظلمة والعدل يجر اليك الحوائج والجور يهجم عليك الجوائح فاحذر من لا جنة له الا الثقة بنزول الغير ولا سلاح له الا الابتهال الى مقلب الدول قال مالك بن دينار قرأت في بعض الكتب يا معشر الظلمة لا تجالسوا أهل الذكر فانهم اذا ذكروني ذكرتهم برحمتي واذا ذكروني ذكرتكم باللعنة وقال أبو امامة يجيء الظالم يوم القيامة حتى اذا كان على جسر جهنم لقيه المظلوم وعرف ما ظلمه به فما يبرح الذين ظلموا بالذين ظلموا حتى ينزعوا ما بأيديهم من الحسنات فان لم يجدوا حسنات حمل عليهم من سيآتهم مثل ما ظلموا حتى يردوا الدرك الاسفل من النار وفي صحيح مسلم ان هشام بن حكيم مر بالشام على أناس وقد أقيموا في الشمس وصب على رؤسهم الزيت قال ما هذا قال يعذبون في الخراج قال أما اني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا وأخبرني رجل ممن كان يقرأ العلم بالاسكندرية قال كان ههنا شيخ يكون عينا للمكاسين يدور حولهم فرأيته في النوم بعد وفاته فقلت له من أين تجيء فقال لي لا تسأل فأعدت عليه فقال لا تسأل فألححت فقال من الجحيم فقلت له والى أين تذهب قال الى مثل الدار التي خرجت منها قلت فكيف لقيت قال وماذا لقيت كان لحمي قد جعل في هاون ودق حتى صار مثل المخ (وأخبرني) رجل من أهل العلم والدين قال رأيت فلانا البياع في النوم بعد وفاته فقلت ما فعل الله بك

كثير الغلمان فأذن له في الدخول فدخل وقبل الارض بين يديه فقال له يحيى ما أعرفك فقال له انا الرجل الذي كنت ميتا من جور الزمان وغدر الحدثان فاثرتني واحييتني أنا الذي كنت حملت الكتاب المزور عنك الى عبد الله بن مالك فقال له يحيى ما الذي فعل وأي شيء أعطاك فقال من بركتك وظلك وهمتك وفضلك أعطاني واغناني وقد حملت جميع عطيته وهاهي ببابك والامر اليك والحكم في يدك فقال له يحيى صنعك معي أكثر من صنعي معك ولك المنة العظيمة علي واليد الجسيمة اذ أبدلت العداوة التي كانت بيني وبين ذلك الرجل المحتشم بالصداقة وأنت كنت في ذلك السبب وأنا أهب لك من المال مثل ما وهب لك ثم أمر له من المال بمثل ما أعطاه عبد الله وانما أوردنا هذه الحكاية ليعلم من يقرؤها أن الانسان اذا كانت همته عالية لا يضيع أبدا كما لم يضع ذلك الرجل ولو كان خسيس الطبع لالتجأ الى عمل دني وتعلق بلئام الناس لكنه لما كان همته سامية تهور وأقدم وخاطر مع رجل محتشم كريم الاخلاق طاهر الاعراق فوصل بذلك التهور الى مراده وانظر

Reference: 12964. Copyright for this page: Creative Commons Attribution Licence

View on the Qatar Digital Library: http://www.qdl.qa/en/archive/qnlhc/12964.68

قال أنا محبوس من الجناية قلت فما ذا قال كنت أبيع فى الدكان فيزدحم الناس على فآخذ دراهمهم فاضعها فى فى وكلما فرغت وزنتها وأعطيت كل انسان حقه فاختلطت فى فى الفضلات فجاء اثنان فدفعت لاحدهما بفضة الآخر وكانت أنقص من فضته بحبة ثم حوسبت فبقى على حبة فقلت فادفع له الحبة وتخلص فجعل يقلب كفيه ويقول من أين أدفع له من أين أدفع له فكرر ذلك مرات (ويروى) أن يونس عليه السلام لما نبذ بالعراء وأنبت الله عليه شجرة من يقطين كان يأوى الى ظلها فيبست فبكى عليها فأوحى الله تعالى اليه تبكى على شجرة فقدتها ولا تبكى على مائة ألف أو يزيدون أردت ان أهلكهم وقيل لابن السماك الاسدى أيام معاوية كيف تركت الناس قال بين مظلوم لا ينتصف وظالم لا ينتهى وقال بعض الحكماء أفقر الناس أكثرهم كسبا من حرام لانه استدان بالظلم ما لا بد له من رده وقال رجل كنت جالسا عند عمر بن عبد العزيز فذكر الحجاج فسببته ووقعت فيه فقال عمر ان الرجل ليظلم بالمظلمة فلا يزال المظلوم يشتم الظالم ويسبه حتى يستوفى حقه فيكون للظالم حق عليه وقال عمرو بن دينار نادى رجل فى بنى اسرائيل من رآنى فلا يظلمن أحدا واذا رجل قد ذهب ذراعه من عضده وهو يبكى ويقول من رآنى فلا يظلمن أحدا فسئل عن حاله فقال بينما أنا أسير على شاطئ البحر فى بعض سواحل الشام اذ مررت بنبطى قد اصطاد تسعة أنوان فأخذت منه نونا وهو كاره بعد ان ضربت رأسه فعض النون ابهامى عضة يسيرة ثم أكلناه فوقعت الاكلة فى ابهامى فاتفقت الاطباء على قطعها فقطعته فوقعت فى كفى ثم ساعدى ثم عضدى فمن رآنى فلا يظلمن أحدا فخرجت أسيح فى البلاد وأريد قطع عضدى اذ رفعت لى شجرة فأويت الى ظلها فنمت فقيل لى فى المنام لاى شئ تقطع أعضاءك رد الحق الى أهله فجئت الصياد فقلت يا عبد الله أنا مملوك فاعتقنى فقال ما أعرفك فأخبرته فبكى وتضرع وقال أنت فى حل فلما قالها تناثر الدود من عضدى وسكن الوجع فقلت له بماذا دعوت على قال لما ضربت رأسى وأخذت السمكة نظرت الى السماء وبكيت فقلت يا رب أشهد أنك عدل تحب العدل وهذا منك عدل وانك الحق تحب الحق وخلقتنى وخلقته وجعلته قويا وجعلتنى ضعيفا فأسألك يا من خلقتنى وخلقته أن تجعله عبرة لخلقك (وقال معاوية) ان أولى الناس بالعفو أقدرهم على الانتقام وان أنقص الناس عقلا من ظلم من دونه وقال بعض الحكماء الظلم على ثلاثة أوجه ظلم لا يغفره الله وظلم لا يتركه الله وظلم لا يعبأ الله به شيأ فأما الظلم الذى لا يغفره الله فهو الشرك بالله وأما الظلم الذى لا يتركه الله فظلم العباد بعضهم بعضا وأما الظلم الذى لا يعبأ الله به فظلم العبد ما بينه وبين الله تعالى وقال ميمون بن مهران من ظلم رجلا مظلمة ففاته ان يخرج منها فاستغفر الله دبر كل صلاة رجوت أن يخرج من مظلمته (وقال يوسف بن اسباط) توفى رجل من الحواريين فوجدوا عليه وجدا شديدا وشكوا ذلك الى المسيح صلى الله عليه وسلم فوقف على قبره ودعا فأحياه الله تعالى وفى رجليه نعلان من نار فسأل عيسى عن ذلك فقال والله ما عصيت قط الا انى مررت بمظلوم فلم أنصره فتنعلت هاتين النعلين وأما أنا فأوصيك اذا فعلت بأحد مكروها فادع الله تعالى له واستغفر له كما فعل موسى عليه السلام لما آذى هرون وأخذ بلحيته ورأسه ثم تبين له براءته وأن بنى اسرائيل غلبوه عليه وعلى عبادة العجل فقال رب اغفر لى ولاخى وأدخلنا فى رحمتك وأنت أرحم الراحمين (وروى) ان قوم لوط كانت فيهم عشرة خصال فأهلكهم الله بها كانوا يتغوطون فى الطرقات وتحت الاشجار المثمرة وفى المياه الجارية وفى شطوط الانهار وكانوا يحذفون الناس بالحصى فيدمونهم واذا اجتمعوا فى المجالس أظهروا المنكر باخراج الريح منهم واللطم على رقابهم وكانوا يرفعون ثيابهم قبل أن يتغوطوا ويأتون بالطامة الكبرى وهى اللواطة قال الله تعالى أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون فى ناديكم المنكر والنادى المجلس ويلعبون بالحمام ويرمون بالجلاهق وضرب الدف وشرب الخمور وقص اللحية وتطويل الشارب والتصفيق ولبس الحمرة وتزيد عليهم هذه الامة باتيان النساء بعضهن بعضا واغناؤهم على اتيان الرجال انهم كانت

الى الرجلين الكريمين المحتشمين الزعيمين والى مموهما كيف عاملاه وعاملا ذا فاقة بلا مولم يرياه وقتهما عقوبته وعذابه ونال ببركتهما طلابه وتخلص من شدة زمانه وضائقته وأفلت من شرك محنته وعاد ذا نعمة سنية ورتبة عالية وحصلا جميل الذكر وجزيل الاجر

﴿حكاية﴾

يقال انه تفاخر عبدان عبد لبنى هاشم وعبد لبنى امية فكل واحد منهما قال مولاى أو موالى أكرم من مواليك فقالا نمضى الآن ونجرب فمضى مولى عبد بنى أمية الى بعض مواليه وشكا من ضائقته وتألم من فاقته فأعطاه عشرة آلاف درهم ومضى الى آخر من مواليه فأعطاه عشرة آلاف درهم حتى طاف على عشرة منهم فاجتمع له مائة ألف درهم وقال للآخر امض أنت الى بنى هاشم وجربهم فانظر الى كرمهم فأتى عبد مولى بنى هاشم الى الحسين بن على رضى الله عنهما وشكا حاله اليه فقره وما أفضى اليه فأعطاه مائة ألف درهم ثم مضى الى عبد الله ابن جعفر وشكا اليه فأعطاه مائة ألف درهم ثم مضى الى عبيد الله بن ربيعة فأعطاه مائة ألف درهم فاجتمع له من ثلاثة ثلثمائة ألف درهم فمضى

لهم

لهم ثمار كثيرة فى منازلهم وحوائطهم فأصابهم قحط وقلة من الثمار فقالوا بأى شئ نمنع ثمارنا حتى لا يطرقها أحد من الناس فاصطلحوا على أن من وجدوه فيها نكحوه وغرموه أربعة دراهم ففعلوا ما سبقهم بها أحد من العالمين قال ابن عباس فكان بدء الفاحشة فيهم أنهم هموا بذلك فجاءهم ابليس فى هيئة صبى أجمل شئ رآه الناس فنكحوه وتجرؤا على ذلك وقال أبو العتاهية

أما والله ان الظلم لؤم * ولكن المسئ هو الظلوم

الى ديان يوم الدين نمضى * وعند الله تجتمع الخصوم

سل الايام عن أمم تقضت * فتخبرك المعالم والرسوم

(وروى) أن أنوشروان كان له معلم حسن التأديب فعلمه حتى فاق فى العلوم فضربه المعلم يوما من غير ذنب فأوجعه فحقد أنوشروان عليه فلما ولى الملك قال له ما حملك على ما صنعت من ضربى يوم كذا وكذا ظلما قال لما رأيتك ترغب فى العلم رجوت لك الملك بعد أبيك فأحببت أن أذيقك طعم الظلم لئلا تظلم فقال أنوشروان زه

﴿الباب السابع والخمسون فى تحريم السعاية والنميمة وقبحهما وما يؤل اليه أمرهما من الافعال الرديئة والعواقب الذميمة﴾

قال الله تعالى ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم فذكر الله تعالى فى القرآن أصناف أهل الكفر والالحاد والتثليث وأهل الدهر والظلم والفسوق وأشباههم ولم يسب الله سبحانه أحدا منهم الا النمام فى هذه الآية وحسبك بها خسة ورذيلة وسقوطا وضعة وهذه الآية نزلت فى الوليد بن المغيرة فى أصح الاقوال والهماز المغتاب الذى يأكل لحوم الناس الطاعن فيهم وقال الحسن البصرى هو الذى يغمز بأخيه فى المجلس وهو الهمزة اللمزة والعتل فى اللغة الغليظ وأصله من العتل وهو الدفع بالقوة والعنف وقال على رضى الله عنه والحسن البصرى العتل الفاحش السيئ الخلق وقال ابن عباس العتل الفاتك الشديد المنافق وقال عبيد بن عمير العتل الاكول الشروب القوى الشديد يوضع فى الميزان فلا يزن شعيرة وقال عطاء هو الجافى القاسى اللئيم العسر وقال مقاتل العتل الضخم وقال الكلبى الشديد فى كفره عند العرب عتل وقيل العتل الشديد الخصومة بالباطل والزنيم هو الذى لا يعرف من أبوه قال حسان بن ثابت

وأنت زنيم نيط فى آل هاشم * كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

(وقال غيره)

زنيم ليس يعرف من أبوه * بغى الام ذو حسب لئيم

وقال أكثر النقلة هذا رجل الحق به أبوه بعد ثمانى عشرة سنة وعن هذا قال القدماء لا يكون نماما الا ولد زنية وسعى رجل الى بلال بن أبى بردة برجل وكان أمير البصرة فقال له انصرف حتى أكشف عنك فكشف عنه فاذا هو لغير رشدة يعنى ولد زنا وقال أبو موسى الاشعرى لا يبغى على الناس الا ولد بغى وقيل الزنيم الذى له زنمة فى عنقه يعرف بها كما تعرف الشاة قال ابن عباس لما وصفه الله تعالى بتلك الخلال المذمومة لم يعرف حتى قيل زنيم فعرف لانه كانت له زنمة يعرف بها كما تعرف الشاة بزنمتها (ومن ذلك) قول الله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة نزلت فى الوليد بن عقبة بن أبى معيط بعثه النبى صلى الله عليه وسلم الى بنى المصطلق بعد الوقعة وكان بينه وبينهم عداوة فى الجاهلية فخرجوا يتلقونه تعظيما لامر النبى صلى الله عليه وسلم ففزع ورجع الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال منعونى صدقاتهم وأرادوا قتلى فغضب النبى صلى الله عليه وسلم عليهم ثم كشف أمرهم فوجد ما قاله كذبا فنزلت هذه الآية وسماه الله تعالى فاسقا (ومن ذلك) قول الله سبحانه سماعون للكذب أكالون للسحت فشرك الله تعالى بين السامع والقائل فى القبح وساوى بينهم فى الذم فكان فيه تنبيه على ان السامع نمام فى الحكم (وأما ما روى فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم) فروى مسلم فى الصحيح قال همام كنا مع

بالمال الى مولى بنى أمية فقال له ان مواليك تعلموا الكرم من موالى ولكن عد بنا نجربهم ثانية ونعيد المال اليهم فمضى مولى بنى أمية اليهم وقال قد استغنيت عن هذه الدراهم وقد سهل الله لى من مكان قوتا أسد به فقرى ولم يبق لى فى هذا المال حاجة وقد أعدته فأخذ كل واحد منهم دراهمه وحمل مولى بنى هاشم الدراهم الى سادته وقال لهم قد تيسر لى من مكان ما زالت به حاجتى وانقضت فاقتى وقد أعدت المال الذى أخذته منكم فاستعيدوه فقالوا نحن لا نأخذ شيأ قد وهبناه ولا نمرده اتنا فخاطبا بأمر الغنا فان كنت قد استغنيت عن المال فتصدق به

﴿حكمة﴾

قال بعض العلماء اجلال الاكابر من الجلال واحتقار الناس من لؤم الاصل وقبح الاكابر من الجلال والهمة بغير آلة خفة وانما الهمة مع الجد تجمل وتلطف وتحسن وتظرف فلان الرجل اذا كان ذا همة وجد غير مساعد لم يكن له من همته سوى الاضطاط لانه يجب أن تكون الهمة علوية والجد عاليا وقد قيل أيضا الكلام بالدرجة والعمل بالقدر وينبغى أن تكون الهمة الى بغداد والزاد

Reference: 12964. Copyright for this page: Creative Commons Attribution Licence

View on the Qatar Digital Library: http://www.qdl.qa/en/archive/qnlhc/12964.69

حذيفة فقيل له ان رجلا يرفع الحديث الى عثمان بن عفان رضي الله عنه فقال حذيفة سمعت النبي صلى
الله عليه وسلم يقول لا يدخل الجنة قتات وفي لفظ آخر نمام وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
الا أخبركم بشراركم قالوا بلى يا رسول الله قال من شراركم المشاؤن بالنميمة المفسدون بين الاحبة الباغون
العيوب وروى أبو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ملعون ذو الوجهين ملعون ذو اللسانين ملعون
كل سفار ملعون كل قتات ملعون كل منان والسفار المحرش بين الناس يلقي بينهم العداوة والقتات النمام
والمنان الذي يعمل الخير ويمن به وروى ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم مر بقبرين فقال انهما
ليعذبان وما يعذبان في كبير اما أحدهما فكان لا يستبرئ من البول وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة
فأخذ جريدة رطبة فشقها بنصفين فغرز في كل قبر واحدة فقالوا يا رسول الله لم فعلت هذا قال لعله يخفف
عنهما ما لم ييبسا وذلك لبركة يده صلى الله عليه وسلم (وأما السعاية) الى السلطان والى كل ذي قدرة ومكنة
فهي المهلكة والحالقة تجمع الى الخصال المذمومة الغيبة ولؤم النميمة والتغرير بالنفوس والاموال
والقدح في المنازل والاحوال وتسلب العز بعزه وتحط المكين من مكانته والسيد من مرتبته فكم من
دم أراقه سعي ساع وكم حريم استبيح بنميمة باغ وكم من صفيين تقاطعا ومن متواصلين تباعدا ومن محبين
تباغضا ومن الفين تهاجرا ومن زوجين افترقا فليتق الله ربه رجل ساعدته الايام وتراخت عنه الاقدار
ان يصيخ لساع أو يسمع لنمام وروى ابن قتيبة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الجنة لا يدخلها ديوث ولا قلاع
والديوث الذي يجمع بين النساء والرجال سمي بذلك لانه يدث بينهم والقلاع الساعي الذي يقع في الناس عند
الامراء لانه يقصد الرجل المتمكن عند السلطان فلا يزال يقع فيه حتى يقلعه (وقال) كعب أصاب الناس
قحط شديد على عهد موسى صلى الله عليه وسلم فخرج موسى يستسقي ببني اسرائيل فلم يسقوا ثم خرج
ثانية فلم يسقوا ثم خرج الثالثة فأوحى الله تعالى اليه اني لا أستجيب لك ولا لمن معك وان فيكم نماما فقال
يا رب من هو حتى نخرجه من بيننا فأوحى الله تعالى اليه يا موسى أنهاكم عن النميمة وآتيها فتابوا فأرسل
الله سبحانه عليهم الغيث * ولما لقي اسقف نجران عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال له يا أمير المؤمنين احذر
قاتل الثلاثة قال ومن قاتل الثلاثة قال الرجل يأتي الامام بالحديث الكذب فيقبله الامام فيكون قد قتل
نفسه وصاحبه وامامه فقال عمر ما أراك أبعدت ووجدنا في حكم القدماء أبغض الناس الى الله المثلث قال
الاصمعي هو الرجل يسعى بالنميمة بأخيه الى الامام فيهلك نفسه وأخاه وامامه (وذكرت السعاية) عند
المأمون فقال لو لم يكن من عيبهم الا انهم أصدق ما يكونون أبغض ما يكونون عند الله تعالى * وقال حكيم
الفرس الصدق زين كل أحد الا الساعي فان الساعي أذم وآثم ما يكون اذا صدق (وروى) أن رجلا سعى
بجار له عند الوليد بن عبد الملك فقال له الوليد أما أنت فتخبرنا انك جار سوء ان شئت أرسلنا معك فان كنت
صادقا أبغضناك وان كنت كاذبا عاقبناك وان شئت تاركناك قال تاركني يا أمير المؤمنين قال قد
تاركناك * ولله در الاسكندر حين وشى اليه واش برجل فقال له الاسكندر ان شئت قبلنا على صاحبك
بشرط ان نقبله عليك وان شئت أقلناك قال أقلني قال قد أقلناك كف عن الشر يكف عنك الشر (ومن
العجب) الذي لا عجب بعده ان الرجل يشهد عندك في باقة بقل فلا تقبله حتى تسأل الناس عنه هل هو من
أهل الثقة والعدالة والامانة والصيانة ثم ينم عندك بحديث فيه الهلاك وفساد الاحوال فتقبله
* وقال يحيى بن زيد قلت للحسن بن علي رضي الله عنهما ما السابق الى السم أخبرني من سقاك فدمعت عيناه
وقال أنا في آخر قدم من الدنيا وأول قدم من الآخرة تأمرني أن أنم * وقال رجل للمهدي عندي نصيحة
يا أمير المؤمنين قال لمن نصيحتك هذه ألنا أم لعامة المسلمين أم لنفسك قال لك يا أمير المؤمنين قال المهدي
ليس الساعي بأعظم عورة ولا أقبح حالا ممن قبل سعايته ولا تخلو من أن تكون حاسد نعمة فلا نشفي لك
غيظا أو عدوا فلا نعاقب لك عدوك ثم أقبل على الناس وقال أيها الناس لا ينصح لنا ناصح الا بما لله فيه
رضا وللمسلمين فيه صلاح (وروى) ان ساعيا سعى برجل الى الفضل بن سهل فوقع على ظهر كتابه نحن

الى فرضين (رد الحلال)
كان عبد العزيز بن
مروان أميرا بمصر فركب
يوما بموضع واذا رجل
ينادي ولده يا عبد العزيز
فسمع الامير نداءه فأمر
له بعشرة آلاف درهم
لينفقها على ذلك الولد
الذي هو سميه ففشا الخبر
بمدينة مصر فكل من ولد
له في تلك السنة ولد سماه
هو عبد العزيز وبعد
ذلك كان الحاجب تاش
الامير الحاجب الكبير
بخراسان فاجتاز يوما
بصيارف بخارا ورجل
ينادي غلامه وكان اسم
الغلام تاش فأمر بازالة
الصيارف ومصادرتهم
وقال انما أردتم الاستخفاف
باسمي فانظر الآن الفرق
بين الحر القرشي وبين
المملوك المسترق بالدرهم
وفي هذا الباب كلام
طويل اذا ذكرناه طال
الكتاب وينبغي أن تعلم
أن الهمة وان تأخرت
فانها توصل الانسان
الى مراده كما قال الشاعر
لو كنت في خدمة السلطان
ذا طلب
لزاد ما كنت من حاميه
أخطبه
سعي لمجدي ولو لا صدق
معرفتي
اني سأدركه ما كنت
أطلبه
أما المحمود في الرجال ان
لا يتجاوز الرجل همته فوق
قدره وقدرته لئلا يعيش مقيتا

نرى قبول السعاية أشر من السعاية لان السعاية دلالة والقبول اجازة وليس من دل على شئ كمن
قبل وأجاز لان من قبل أشر ممن قال (ويروى) ان رجلا رفع الى المنصور نصيحة فوقع على ظهرها هذه
نصيحة لم يرد بها وجه الله تعالى ولا جواب عندنا لمن آثرنا على الله تعالى (وروى) ان رجلا قال للمأمون
يا أمير المؤمنين الله الله في أصحاب الاخبار فانهم قوم ان أعطوا كذبوا وان حرموا كذبوا فان أعطوا
مدحوا وهم كاذبون وان حرموا ذموا وهم كاذبون فقال المأمون لله دره من كلمة ما أقصدها وأبين
فضلها وأمر أن تثبت في أمور أصحاب الاخبار (وقال مروان بن زنباع) العبسي يا بني عبس احفظوا
عني ثلاثا من نقل اليكم نقل عنكم واياكم والتزويج في البيوتات السوء واستكثروا من الصديق
ما استطعتم واستقلوا من العدو ما استطعتم فان استكثاره ممكن * وقال بعض الحكماء احذروا أعداء
العقول ولصوص المودات وهم السعاة والنمامون اذا سرق اللصوص المتاع سرقوا المودات
* وقال حكيم العرب اياك والسعاة فانهم أعداء عقلك ولصوص عدلك فيفرقون بين قولك وفعلك (وفي
المثل السائر) من أطاع الواشي ضيع الصديق وقد يقطع الشجر فينبت ويقطع اللحم بالسيف فيندمل
واللسان لا يندمل جرحه وأحق الناس برعاية ما رسمته من هذه الخلال ونقلته من هذه الحكم
واستودعته من هذه السير من آتاه الله سلطانا ومكن له في الارض قدما فذو القدرة اذا أطاع
الواشي هلك العالم (وكان) بعض الحكماء يقول من أراد أن يسلم من الاثم ويبقى له الاخوان فيجعل نفسه
بينه وبينهم قاضيا عدلا ويحكم بالعدل ولا يقبل أحدا في أحد ولا في نفسه الا بشهود وتعديل فانا
قد أحببنا بقول أقوام وأبغضنا بقول آخرين فأصبحنا نادمين * ومن لطيف حكمة الله تعالى في النميمة
لما علم من شؤمها واستطارة شرورها وعموم مضرتها في الورى حكم بفسق النمام حتى لا يقبل له
قول فيستريح الخلق من شره (وقال) ابن عمر وفد الله الحاج ووفد الشيطان قوم يرسلهم السلطان الى
الناس ويسألهم عن حالهم فيخبرونه ان الناس راضون وليسوا براضين واعلموا أن الله تعالى خلق
الانسان على انحاء شتى لسنا نذكرها الآن لكثرتها وطول تتبعها فخلق الله الحواس الشريفة
والاعضاء النافعة النفيسة فمن أفضل ما ركب فيه اللسان الذي هو آلة النطق والبيان وبه فصل
بينه وبين البهائم ثم فضله على سائر الحيوان وامتن عليه في أول سورة الرحمن فقال تعالى الرحمن علم
القرآن خلق الانسان علمه البيان وخلق فيه أعضاء تذال وتستهان وجعلها مجرى لفضول الطعام
والشراب فمن يتبع سقطات الكلام ويروي عثرات الانام التي هي كالعورات الواجب سترها
ودفنها كان قد استعمل أشرف الآلات في أخس المستعملات فصار كمن لحس بلسانه سوأة أخيه
وجعل أكرم جوارحه لأخس أجناس المستعرضين ورضي ان يقع من الناس موقع الذباب من الطير
يتتبع ثقل الجسد ويتحامى صحيحه وقد كان له في نشر المحاسن شغل ولكن أهل كل ذي مال أولى بها
وفي هذا سبق المثل ان لم تكن ملحا تصلح فلا تكن ذبابا تفسد ومن لم يقدر على جميع الفضائل فلتكن
همته ترك الرذائل واذا تتبع الامام عورات الناس أفسدهم (وروى) ان النبي صلى الله عليه وسلم هم
بالخروج يوما فسمع قوما من أصحابه يضحكون فامتنع من الخروج اليهم حذرا أن لا يفسد قلبه عليهم ولو علم
الذي يسمع أخبار الناس ما يجني على نفسه لعلم ان الصمم كان أهنأ لعيشه وأتم لباله من سماع الاخبار
يا واحدا ماذا عمل نقلة الاخبار حملوا اليك الصدق أو الكذب فتكون في سماع الكذب ممن قال الله تعالى
فيه سماعون للكذب أكالون للسحت وتكون في سماع الصدق حالا للهم حرج الصدر على الخلق
معاديا لهم متتبعا لعثرات الخلق وخزانا لسقطاتهم قد وعيت منهم ما يجب ستره وحفظت ما يجب نسيانه
ثم لا تستطيع التصفح من قائل لانك ان كنت ذا قدرة أهلكت الرعية ثم لا تستطيع ان تهلك جميع
الرعية وان كنت سوقة لم تشف غيظك ثم أفسدت اخوانك وأبغضت من يجب أن تحبه وأحببت من
يجب أن تبغضه ثم لا تزال تحصل الحسائف وتزيد الاحقاد والضغائن وترصد لكل فاز يوما شق

طول حياته ومدته كما قال
ان كنت تقنع بالكفاية لم
يكن
بالدهر أرفه منك عيشا
فيه
أو كنت فيما فوق ذلك
طامعا
لم تكفل الدنيا بما تحويه
ماذا يفيده لوهمتك الذي
لا تستجيب لنيل ما تبغيه

* (الباب الخامس في
ذكر حكم الحكماء) *

أما الحكمة فانها عطاء
من الله جلت قدرته يؤتيها
من يشاء وقال سقراط
مثل من آتاه الله الحكمة
وهو يغتم بالمال كمثل من
يكون في صحة وسلامة
فيبيعها بالتعب والوصب
وان ثمرته الراحة والعلى
وثمرة المال التعب في البلى
قال ابن المقفع كان لملوك
الهند كتب كثيرة بحيث
كانت تحمل على الفيلة
فأمروا حكماءهم أن
يختصروها فاتفق العلماء
في اختصارها فاختصروها
على أربع كلمات أحدها
للملوك وهي العدل والثانية
للرعية وهي الطاعة والثالثة
للنفس وهي الامساك
عن الاكل وقت الجوع
والرابعة للشان وهو ان
لا ينظر الى نفسه

{ حكمة }

قال بعض الحكماء الناس
أربعة رجل يدري ويدري
أنه يدري فذلك عالم فاتبعوه
ورجل يدري ولا يدري أنه
يدري فذلك ناس فذكروه

Reference: 12964. Copyright for this page: Creative Commons Attribution Licence
View on the Qatar Digital Library: http://www.qdl.qa/en/archive/qnlhc/12964.70

صدرك فيه فما أغنى العاقل عن هذه البلية ولله در عمرو بن العاص روى انه لا جاء رجل يوما فقال له الرجل أما والله ان عشت لاتفرغن لك فقال له عمرو بن العاص الآن وقعت في الشغل يا ابن أخى

﴿الباب الثامن والخمسون في القصاص وحكمته﴾

قال الله تعالى ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب يعنى اذا علم القاتل والقاطع انه يقتص منه أحجم ولم يقدم على الفعل فيكون في ذلك حياته وحياة الذى هم به (روى) ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أول ما يقضى بين الناس في الدماء وروى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كانت عنده لاخيه مظلمة فليتحلله منها فانه ليس ثم دينار ولا درهم من قبل أن يؤخذ لاخيه من حسناته فان لم يكن له حسنات أخذ من سيآت أخيه فطرحت عليه وهذا حديث صحيح رواه البخارى فان قيل يعارضه قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى فكيف يؤخذ الظالم بذنب ركبه المظلوم قلنا معنى الآية لا يعاقب أحد بذنب أحد ابتداء وأما في مسئلتنا فظلمة بقيت عنده وليس له وفاء بها فهو الذى اكتسب هذا الوزر وهو المعنى بقوله تعالى وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم وروى أبو سعيد الخدرى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار ليقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة فو الذى نفسى بيده لاحدهم أهدى لمنزله في الجنة منه بمنزله في الدنيا وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال قبل موته من كانت له عندى مظلمة فليأت حتى أقصه من نفسى فقام سوار بن غزية فقال يا رسول الله انك ضربتنى على بطنى ليلة العقبة فأوجعتنى فقال النبي صلى الله عليه وسلم دونك فاقتص فقال يا رسول الله انك ضربتنى وأنا مكشوف البطن فكشف النبي صلى الله عليه وسلم بطنه فاذا هو كالقباطى يعنى ثياب مصر فأكب عليه يقبله فقال يا سوار ما حملك على هذا فقال يا رسول الله ذا لقاء هؤلاء المشركين ولا ندرى فأردت أن يكون آخر العهد بك أن أقبل بطنك فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتص من نفسه مع أن الله تعالى قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر لعلمه ان الله تعالى لا يدع القصاص في المظالم بين العباد لان الله تعالى أعدل من أن يدع مظلمة لاحد عند نبى ولا غيره وفي الحديث يقول الله تعالى يوم القيامة أنا الظالم ان فاتنى ظلم ظالم وروى ان داود عليه السلام يقدمه خصمه الى الله يوم القيامة فيقضى له عليه فيدفعه الى أوريا ثم يستوهبه الله تعالى من أوريا ثم يعوض أوريا على ذلك الجنة وقال حبيب دخل عثمان بن عفان رضى الله عنه فوجد غلامه يعلف ناقة له فرأى في علفها شيأ فأخذ باذنه فعركها ثم ندم فقال لغلامه قم فاقتص منى فأبى الغلام فلم يزل به حتى قام فأخذ باذنه ثم قال يعرك وهو يقول شد شد حتى عرف عثمان انه قد بلغ منه ثم قال واها لقصاص الدنيا قبل قصاص الآخرة (روى) عون بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا خادما له فلم يجبه أو كان نائما فقال النبي صلى الله عليه وسلم لولا القصاص لاوجعتك ضربا وروى ابن وهب في موطئه عن ابن شهاب قال وقد أقاد النبي صلى الله عليه وسلم والخليفتان من أنفسهم ليستن بهم ولم يتعمدوا حيفا وكانوا سلاطين ومن صحيح مسلم روى أبو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال أتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال ان المفلس من أمتى يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتى قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فاذا فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار قال مالك وبلغنى ان أبا بكر الصديق رضى الله عنه لما ولى الخلافة ضرب رجلا ثم ندم وقال مالى ولهذا الارددتها عليهم فجمعته عائشة وأرسلت الى عمر فجاء عمر فقال له انى قد ضربت رجلا وقد كنت معافى من هذا ان أضرب فقال عمر كذلك الامام فقال فما المخرج قال ان تأتى الرجل فتسأله ان يجعلك في حل فأتاه فاستحله فدلت الآثار على ان الامير والمأمور في القصاص سواء اذا جنى أحدهما

والآخرة ومن ليس له صبر فليس له سلامة في دينه ومن كان جاهلا لم ينتفع بعلمه ومن لا تقوى له فماله عند الله كرامة ومن لا امضاء له فماله من ماله نصيب ومن لا نصيحة له فماله عند الله حجة

ورجل لايدرى ويدرى انه لايدرى فذلك مسترشد فأرشدوه ورجل لايدرى ولايدرى أنه لايدرى فذلك جاهل فاحذروه فأى شئ أبعد قال الامل وقال الاحنف ابن قيس شيآن لاتتم معهما حيلة اذا أقبل الامر فليس للادبار فيه حيلة واذا أدبر فليس للاقبال فيه حيلة وقال لقمان الحكيم لابنه شيآن اذا حفظتهما لاتبالى بما ضيعت بعدهما درهمك لمعاشك ودينك لمعادك

﴿حكمة﴾

سأل أنوشروان بزرجمهر لاى سبب يمكن ان يجعل الصديق عدوا ولايمكن ان يجعل العدو صديقا فقال لان تخريب العامر أسهل من عمارة الخراب وكسر الزجاج اذا كان صحيحا اسهل من تصحيحه اذا كان مكسورا وقال صحة الجسم خير من شرف الادوية وترك الذنب خير من الاستغفار وكظم الشهوة خير من كظم الحزن ومخالفة الهوى النفسانى والانكسار خير من دخول النار

﴿حكمة﴾

كان رجل من الحكماء المتقدمين يطوف الدنيا عدة سنين وكان يعلم الناس هذه الكلمات الست وهى من ليس له علم فليس له عز في الدنيا

على

على الآخر وان الامير اذا ظلم المأمور زال تأمره عليه في ذلك المعنى وكان الامير في ذلك المعنى كبعض المؤمنين عليهم حتى يتحاكموا الى السلطان الاعظم وكان عمر يقول انما بعثت أمرائى ليعلموا الناس دينهم ويقسموا بينهم فيئهم ويعدلوا فيهم ولم أبعثهم ليضربوا أبشارهم ويحلقوا أشعارهم فمن ظلمه أميره فلا امرة عليه دونى حتى آخذه بحقه قال عمرو بن العاص الله الله يا أمير المؤمنين ان أدب رجل رجلا من رعيته انك لتقصه منه فقال عمر كيف لا أقصه منه وقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقص من نفسه (فأما القصاص بين البهائم) فاختلف الناس في حشرها وفي جريان القصاص بينها فكان ابن عباس يقول حشرها موتها قال ويحشر كل شئ الموت الا الجن والانس فانهما يوافيان يوم القيامة وقال معظم المفسرين انها تحشر ويقتص منها قال ابن حبيب تحشر البهائم وقال قتادة يحشر كل شئ حتى الذباب وقال أبو الحسن الاشعرى لا نقطع باعادة البهائم والمجانين ومن لم تبلغه الدعوة ويجوزان يعادوا ويدخلوا الجنة ويجوزان لا يعادوا والدليل على ثبوت الاعادة في الجملة قوله تعالى واذا الوحوش حشرت وقال تعالى وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم الى ان قال ثم الى ربهم يحشرون (وروى) مسلم في صحيحه عن أبى هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لتؤدن الحقوق الى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء وقال أبو ذر انتطحت شاتان عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال أتدرون فيما انتطحتا قلت لا أدرى قال لكن الله يدرى وسيقضى بينهما قال أبو ذر لقد تركنا النبي صلى الله عليه وسلم وما يقلب طائر جناحيه في السماء الا ذكر لنا منه علما وقال أبو ذر ان الجراب ليسئل عن نكبه اصبع الرجل وفي الحديث الصحيح في مسلم والبخارى وغيرهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يأتين أحدكم على رقبته بعير له رغاء على رقبته بقرة لها خوار على رقبته شاة تيعر ثم يبطح لها بقاع قرقر فتطؤه بأظلافها وتنطحه بقرونها كلما مرت عليه أولاها عادت أخراها والحديث وارد في مانع الزكاة وقال أبو الحسن لا تجوز المقاصة بين البهائم لانها غير مكلفة ولا يجرى عليها القلم قال وما ورد في ذلك من الاخبار نحو قوله صلى الله عليه وسلم يقتص للجماء من القرناء ويسئل العود لم خدش العود فعلى سبيل المثل والاخبار عن شدة التقصى في الحساب وانه لابد ان يقتص للمظلوم من الظالم وأبى ذلك الاستاذ أبو اسحق الاسفرايني قال في الجامع الجلى يجرى القصاص بينها قال ويحتمل انها كانت تعقل هذا القدر في دار الدنيا فلهذا أجرى فيه القصاص وكلام الاستاذ له وجه في القصة لان البهيمة تعرف النفع والضر فتنفر من العصا وتقبل الى العلف وينزجر الكلب اذا زجر ويتأسد اذا أشلى والطير والوحش يفر من الجوارح استدفاعا لشرها ثم ان لم يجر عليها القتل في الدنيا فانما رفع القتل عنها في الاحكام فان قيل القصاص انتقام وهو جزاء على جناية وقعت من مخالفة الامر والبهائم ليست بمكلفة ولا لها عقول ولا جاءها رسول والعقول عندكم لا يجب بها شئ على العقلاء فضلا عن البهائم وفي هذا انفصال عن قول الاستاذ انها كانت تعقل هذا القدر اذ لا يجب بالعقل شئ ويشهد له قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا فالجواب انها ليست مكلفة لان من ضرورة التكليف ان يعلم الرسول والمرسل وذلك من خصائص العقلاء وهم الثقلان واذا لم تكن مكلفة كانت في المشيئة يفعل الله بها ما أراد كما سلط عليها في الدنيا الاستسخار والذبح فلا اعتراض عليه ولله تعالى ان يفعل في ملكه ما أراد من تنعيم وتعذيب واذا جاز أن يؤلم البهيمة ابتداء جاز أن يؤلمها بعد حياتها والآية محمولة على من يعلم الرسول والمرسل ثم ان لم يجر عليهم القلم في الدنيا فانما رفع القلم عنها في الاحكام ولكن فيما بينها تؤاخذ وقد روى البخارى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اقتلوا الوزغ فانه كان ينفخ على ابراهيم عليه السلام فهذه عجماء عوقبت على سوء صنيع جنسها وفيه دليل على ان الله تعالى ان يعذب عالمه لا بالمعصية وقد ضرب موسى عليه السلام الحجر الذى مر بثوبه وبنو اسرائيل ينظرون عورته رواه البخارى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فضربه بعصاه والحجر يفر وموسى يقول ثوبى حجر ثوبى حجر قال أبو هريرة فوالذى نفسى بيده انه لندب بالحجر ستة أو سبعة وروى في تفسير قوله تعالى وقودها

سئل بزرجمهر أى عز يكون متصلا بالذل فقال العز في خدمة السلطان والعز مع الحرص والعز مع الشفقة وسئل بزرجمهر بماذا يؤدب السلطان فقال بان يؤمر وابكثرة الاعمال وان يستخدموا في مشقات الاهوال حيث لا يحصل لهم الى الفضول فراغا فقيل بماذا يؤدب الاغنياء فقال باهانتهم واحتقارهم ليعرفوا وضاعة أقدارهم فقيل وبماذا يؤدب الاحرار فقال بالتوقف في قضاء حوائجهم وسئل أيضا من الكريم فقال من يهب ولا يذكر انه وهب وقيل له لاى سبب يتلف الناس نفوسهم لاجل المال فقال لانهم يظنون ان المال خير الاشياء ولا يعلمون ان الذى يراد المال لاجله خير وقيل له يكون شئ أعز من الروح بحيث يعطى الناس فيه أرواحهم ولا يبالون فقال ثلاثة هى أعز من الروح الدين والحقد والخلاص من الشدائد وسئل ايضا أى شئ تكون زينة العلم

Reference: 12964. Copyright for this page: Creative Commons Attribution Licence
View on the Qatar Digital Library: http://www.qdl.qa/en/archive/qnlhc/12964.71

الناس والحجارة انها الحجارة التى تكسر الناس فى الدنيا وروى ان المسيح عليه السلام مر بجبل فسمع انينه فسأله عن ذلك فقال سمعت الله يقول وقودها الناس والحجارة فلا أدرى أكون من تلك الحجارة أم لا وقد تأول بعضهم قول ابن عباس حشرها موتها تحشر لضرب من القصاص بينها ثم تصير ترابا قلت وتأويل ابن عباس بعيد لان الحشر الجمع وليس فى موتها جمعها بل فيه تفرقها وتفرقة أجزائها ثم قد قال والى ربهم يحشرون وانما يكون الحشر الى الرب تعالى باعادة الحياة اليها وجمعها الى ربها

﴿الباب التاسع والخمسون فى الفرج بعد الشدة﴾

قال الله تعالى وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وقال سبحانه أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء وقال تعالى ان مع العسر يسرا وقال الحسن لما نزلت هذه الآية قال النبى صلى الله عليه وسلم ابشروا فقد جاءكم اليسران يغلب عسر يسرين وقال ابن مسعود والذى نفسى بيده لو كان العسر فى جحر لطلبه اليسران يغلب عسر يسرين ومعنى هذا أنه عرف العسر ونكر اليسر ومن عادة العرب اذا ذكرت اسما معرفا ثم أعادته كذلك فهو هو واذا نكرته ثم كررته كذلك فهما اثنان وقال بعضهم

ان يكن نالك الزمان ببلوى * عظمت عندها الخطوب وجلت
وتلتها قوارع ناكيات * سئمت دونها الحياة وملت
فاصطبر وانتظر بلوغ مداها * فالرزايا اذا توالت تولت
واذا أوهنت قواك وجلت * كشفت عنك جملة فتجلت

وقال ابن عباس أول ما اتخذ النساء النطق من قبل أم اسمعيل اتخذت منطقا لتعفى أثرها على سارة ثم جاء بها ابراهيم وابنها اسمعيل وهى ترضعه حتى وضعها عند البيت عند دوحة فوق زمزم فى أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء فوضعها هنالك ووضع عندها جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفا ابراهيم منطلقا فتبعته أم اسمعيل فقالت يا ابراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادى ليس فيه أنيس ولا شئ فقالت ذلك مرارا وجعل لا يلتفت اليها فقالت له آلله أمرك بهذا قال نعم قالت اذا لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق ابراهيم حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل البيت بوجهه ثم دعا بهؤلاء الدعوات ورفع يديه فقال رب انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم حتى بلغ يشكرون وجعلت أم اسمعيل ترضع اسمعيل وتشرب من ذلك الماء حتى اذا نفد ما فى السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى فانطلقت كراهية ان تنظر اليه فوجدت الصفا أقرب جبل فى الارض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادى هل ترى أحدا فلم تر أحدا ثم سعت سعى الانسان المجهود حتى جاوزت الوادى ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحدا فلم تر أحدا ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم فلذلك سعى الناس بينهما فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت صه تريد نفسها فسمعت أيضا فقالت قد أسمعت ان كان عندك غواث فاذا هى بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه أو قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الماء فى سقائها وهو يفور بعد ما تغرف فقال النبى صلى الله عليه وسلم رحم الله أم اسمعيل لو تركت زمزم أو قال لو لم تغرف لكانت عينا معينا قال فشربت وأرضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافوا الضيعة فان ههنا بيت الله تعالى يبنيه هذا الغلام وأبوه وان الله لا يضيع أهله (ومنها قصة الثلاثة الذين خلفوا) وذلك ان كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية تخلفوا عن غزوة تبوك ونهى النبى صلى الله عليه وسلم عن كلام الثلاثة قال كعب فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت لنا الارض بما رحبت فما هى التى أعرف وكنت أطوف فى الاسواق وأشهد الصلاة مع المسلمين ولا يكلمنى أحد وآتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه وأقول فى نفسى هل حرك شفتيه برد السلام أم لا حتى اذا طال ذلك على من جفوة الناس تسورت جدار حائط أبى قتادة وهو ابن عمى وأحب الناس الى فسلمت عليه فوالله

والكرم والشجاعة فقال زينة العلم الصدق وزينة الكرم البشر وزينة الشجاعة العفو عند القدرة قال يونان الوزير أربعة أشياء من عظيم البلاء كثرة العيال مع قلة المال والجار السيئ الجوار والمرأة التى لا بقية ولا وقار واتفق أهل الدنيا على ان أعمال الدنيا خمسة وعشرون وجها خمسة منها بالقضاء والقدر وهى طلب الزوجة والولد والمال والملك والحياة وخمسة منها بالكسب والاجتهاد وهى العلم والكتابة والفروسية ودخول الجنة والنجاة من النار وخمسة منها بالطبع وهى الوفاء والمداراة والتواضع والسخاء والصدق وخمسة منها بالعادة وهى المشى فى الطريق والاكل والنوم والجماع والبول والتغوط وخمسة منها بالارث وهى الجمال وطيب الخلق وعلو الهمة والتكبر والدناءة ويقال ثلاثة من الشدائد التى لا يجوز للعقلاء نسيانها وهى فناء الدنيا وانقضاؤها وتقلب أحوال الزمان ومحن الدهور سنة تساوى الدنيا الطعام السائغ والولد السليم الاعضاء والصاحب الموافق والامير المشفق والكلام الصحيح النظام والعقل التام

﴿حكمة﴾

قال الحكيم خمسة أشياء

مارد على السلام فلما تمت خمسون ليلة من يوم نهى رسول الله عن كلامنا صليت صلاة الفجر وأنا على ظهر بيت من بيوتنا فبينا انا جالس على الحالة التى ذكرها الله تعالى قد ضاقت على نفسى وضاقت على الارض بما رحبت وما كان من شئ أهم على من ان أموت فلا يصلى على النبى أو يموت النبى صلى الله عليه وسلم فأكون من الناس فى تلك المنزلة لا يكلمنى أحد ولا يصلى على فأنزل الله توبتنا فسمعت صوت صارخ من أعلى الجبل يا كعب بن مالك ابشر فخررت ساجدا لله تعالى وعرفت ان قد جاء الفرج فجعلت ثوبى على الصارخ بشراه والله ما أملك غيرهما ثم أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه وهو يبرق وجهه من السرور فقال ابشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك فقلت يا رسول الله ان من توبتى ان أنخلع من مالى صدقة الى الله تعالى والى رسوله فقال النبى صلى الله عليه وسلم أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك (وروى) ان ابراهيم صلى الله عليه وسلم لما شب ودرج فى موضع ربى فيه فلما جن عليه الليل رأى كوكبا يقال انه رأى الزهرة فقال هذا ربى فلما أفل قال لا أحب الآفلين فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى فلما أفل بعد طلوع الفجر قال لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين فلما أصبح ورأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم انى برئ مما تشركون انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين وحاجه قومه قال أتحاجونى فى الله وقد هدان يعنى الى الاسلام ولا أخاف ما تشركون به الا أن يشاء ربى شيأ وسع ربى كل شئ علما أفلا تتذكرون قالوا يا ابراهيم أما تخاف من آلهتنا أن تصيبك بسوء ان أنت سببتها أو عبتها قال وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون انكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأى الفريقين أحق بالامن ان كنتم تعلمون وكان آزر يصنع أصناما يعبدها قومه ثم يعطيها ابراهيم يبيعها فيكسرها ويذهب بها الى نهر لهم فيصبها فيه على رؤسها ويقول لها اشربى استهزاء بها واظهارا لقومه فساد ما هم عليه ففشا ذلك عندهم من غير أن يبلغ ذلك نمروذ فأول ما بدأ قومه ان نظر نظرة فى النجوم فقال انى سقيم يعنى من الغيظ عليهم وعلى أصنامهم فظنوا انه مطعون وكانوا يفرون من الطاعون اذا سمعوا به فتولوا عنه مدبرين فراغ الى آلهتهم فدخل عليها وهم قد وضعوا لها طعاما وشرابا فقال ألا تأكلون ما لكم لا تنطقون فأقبل عليهم ضربا باليمين وكسرها وقطع أيديها وأرجلها حتى جعلها جذاذا وأراق طعامها وشرابها وعمد الى الفأس فعلقه بيد الههم العظيم ثم خرج عنها وتركها فلما رجع قومه من عيدهم دخلوا بيت أصنامهم فلما رأوا ما صنع بها راعهم ذلك وأعظموه وقالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين فقال بعضهم سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم سمعناه يسبها ويستهزئ بها فقال نمروذ فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون فلما أتى بابراهيم صلى الله عليه وسلم قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون فرجعوا الى أنفسهم فقالوا انكم أنتم الظالمون قالوا انا قد ظلمنا ما عاتبنا اليه ثم قالوا وقد عرفوا انها لا تضر ولا تنفع لقد علمت ما هؤلاء ينطقون قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيأ ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون فقال له نمروذ حين سمع ذلك منه صف لنا الهك الذى تعبد وتدعو الى عبادته قال ابراهيم ان ربى الذى يحيى ويميت قال نمروذ وأنا أحيى وأميت قال كيف ذلك قال آخذ رجلين قد استوجبا القتل فى حكمى فاقتل أحدهما فأكون قد أمته واعفو عن الآخر فأكون قد أحييته فقال ابراهيم ان كنت صادقا فاحى الذى قتلت بعملك وأخرج روحا من جسد من غير ان تقتله ان كنت صادقا وان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت عند ذلك نمروذ ولم يرد الى ابراهيم شيأ وأمر به الى السجن فلبث فيه سبع سنين وجعل يدعو أهل السجن الى الله تعالى والى الاسلام حتى ظهر أمره وفشا واتبعه قوم كثير على دينه فلما أرادوا ان يحرقوا ابراهيم واجتمع أمرهم على ذلك بنوا حيزا طول جداره ستون ذراعا ووضعوه الى سفح جبل منيف لا يرام ولا يرقى وبالطوا الجدار فلا يمشى فيه أحد الا زاق عنه وأذن نمروذ أيها الناس احتطبوا النار ابراهيم ولا يتخلفن عنها ذكر ولا أنثى ولا

ضائعة السراج المضيئة فى الشمس والمطر فى السباخ المالحة والمرأة الحسناء عند الاعمى والطعام الطيب يقدم بين يدى الشبعان وكلام الله تعالى فى صدر الظالم سئل الاسكندر لم تكرم معلمك فوق كرامة أبيك فقال لان أبى سبب حياتى الفانية ومعلمى سبب حياتى الباقية وقال اذا كانت بقسمة الله تجرى الامور فالاجتهاد محظور وتاركه مشكور وقال اذا لم يعش معك الزمان كما تريد فعش مع الزمان كما يريد فالانسان عبد الزمان والزمان عدو الانسان وكل نفس تنفسه الانسان فبقدره يبعد عن الحياة ويقرب من الممات

﴿حكمة﴾

سأل قوم من الحكماء لبزرجمهر فقالوا عرفنا من أبواب الحكمة ما ينفع أرواحنا وأشباحنا لنجتهد فيه وما يضرنا لنبعد عنه والله يجازيك عن احسانك فقال اعلموا وتيقنوا أن أربعة من الاشياء تزيد نور العين وتحد النظر وأربعة تنقص نورها وأربعة أشياء تسمن الجسم وتخصبه وأربعة تضعفه وتهزله وأربعة تحيى القلب وأربعة تميته أما التى تزيد فى نور العين فهى الخضرة والماء الجارى والشراب الصافى والنظر الى وجوه الاحباء

Reference: 12964. Copyright for this page: Creative Commons Attribution Licence

View on the Qatar Digital Library: http://www.qdl.qa/en/archive/qnlhc/12964.72

وأما الاربعة التى تنقصه فهى أكل الطعام المالح وصب الماء الحار على الرأس والنظر الدائم فى عين الشمس ورؤية العدو وأما الاربعة التى تسمن الجسم وتخصبه فهى الثوب الناعم وخلو البال من الاحزان والرائحة الزكية والنوم فى المكان الساخن وأما الاربعة التى تضعفه فأكل اللحم القديد وكثرة الجماع وطول المكث فى الحمام ونوم العشايا ولبس الثوب الخشن وأما الاربعة التى يصح بها الجسم فأكل الطعام فى وقته وحفظ مقادير الاشياء ومجانبة الاعمال الشاقة وترك الحزن على غير موجب وأما الاربعة التى تكسر البدن دائما فطول الطريق الصعب وركوب الفرس الحرون والمشى على التعب ومجامعة العجوز وأما الاربعة التى تحيى القلب فالعقل النافع والاستاذ العالم والشريك الامين والزوجة الموافقة والصديق المساعد وأما الاربعة التى تغمه فبرد الزمهرير وحر السموم والدخان الكريه ومخافة العدو وقال سقراط الحكيم خمسة أشياء يهلك المرء فيها نفسه خديعة الاصدقاء والالتفات عن العلماء واحتقار الرجل نفسه واحتمال تكبر من لا يسوى واتباع الهوى

حر ولا عبد ولا شريف ولا وضيع ومن تخلف عن ذلك ألقى فى تلك النار فعملوا فى ذلك أربعين ليلة حتى ان المرأة منهم تنذر ذلك على نفسها ان رجع غائبها أو أفاق عليلها حتى اذا كمل ذلك قذفوا فيه النار حتى انه كان يحرق الطير على المسافة البعيدة فلما بلغ ذلك وضع ابراهيم فى كفة المنجنيق قال وهب بن منبه فبلغنى ان السماء والارض والبحار وما فيها ضجوا الى الله تعالى ضجة واحدة قالوا يارب ليس فى أرضك أحد يعبدك غيره فأذن لنا فى نصرته فأوحى الله تعالى اليهم ان استغاث بشئ منكم فانصروه وأغيثوه وان دعانى فانا وليه وناصره فلما وضعوه فى كفة المنجنيق وقذفوه قال حسبى الله ونعم الوكيل اللهم انك تعلم ايمانى بك وعداوة قومى فيك فانصرنى عليهم ونجنى من النار فأوحى الله تعالى الى النار ان كونى بردا وسلاما على ابراهيم فاطاعت النار ربها ولو لم يقل سلاما لمات من شدة البرد ولبث ابراهيم فى النار سبعة أيام وظن قومه انه قد احترق ثم قال نمروذ انظروا ماذا فعل ابراهيم فانى رأيت الليلة فى نومى ان جدار هذا الحير قد تهدم وخرج ابراهيم عنى قال وذاب النحاس الذى سد به باب الحير واحترق الجدار فصار رمادا فاطلعوا على ابراهيم فرأوه صحيحا سليما وخرج الى الناس ينظرون اليه على تلك الحال فلما رآهم خرج عنى حتى قعد الى أمه وهى فى الجمع وأقبلت سارة وكانت أول من آمن به حتى جلست اليه فقالت يا ابراهيم انى آمنت بالذى جعل النار بردا وسلاما فقالت لها أم ابراهيم احذرى القتل على نفسك فقالت اليك عنى فانى لا أخاف شيأ وقد آمنت باله ابراهيم وحول ابراهيم جمع من الناس لا يحصى عددهم يأمرون ليصدوا له عذابا فارسل الله تعالى ريحا عاصفا فنسفت رماد تلك النار فى وجوههم وعيونهم ففروا عنه وقام ابراهيم داعيا الى الله تعالى ومذكرا به (وقال مجاهد وقتادة وغيرهما) ان نبى الله سليمان بن داود عليهما السلام انطلق الى الحمام ومعه جنى يقال له صخر ولم يكن سليمان عليه السلام يدخل الخلاء بالخاتم فدخل الحمام وأعطى الشيطان خاتمه فالقاه فى البحر فالتقمته سمكة ونزع ملك سليمان منه وألقى على الشيطان شبه سليمان فجاء فجلس على كرسيه وسلط على جميع ملك سليمان غير نسائه فجعل يقضى بين الناس والناس ينكرون قضاياه حتى قالوا لقد فتن نبى الله سليمان ومكث على ذلك أربعين يوما ثم أقبل فى حالته تلك وهو جائع نائع حتى انتهى الى صيادين فى البحر فاستطعم أحدهم من صيده وقال له أنا سليمان فقام اليه بعضهم فضربه بعصا فشج وجهه فجعل يغسل دمه على شاطئ البحر فلام الصيادون صاحبهم على ضربه اياه ثم اعطوا سليمان سمكتين مما قد تغير عندهم ونتن ولم يشغله ما كان فيه من الضرب عن أن يقوم الى شاطئ البحر فشق بطونهما وغسلهما فوجد خاتمه فى بطن أحدهما فأخذه فلبسه فرد الله عليه بهاءه وملكه وجاءت الطير فقامت عليه فعرف القوم انه سليمان فجاؤا يعتذرون اليه (وروى) وهب بن منبه ان الله تعالى وهب لابراهيم اسحق فلما كان ابن سبع سنين أوحى الله تعالى الى ابراهيم ان يذبحه وان يجعله قربانا فكتم ابراهيم ذلك عن اسحق وأمه وجميع الناس وأمره الى خليل له يقال له العازر وكان أول من آمن به من قومه يوم أحرق فقال له ان الله سبحانه رفع اسمك فى الملأ الاعلى على جميع أهل البلاء حتى كنت أرفعهم بلية لم يفعل الله بقدر ذلك فى المنازل والفضائل وقد علمت أن الله تعالى لم يبتلك بذلك ليفتنك ولا ليضلك فلا يسوء بالله ظنك وأعوذ بالله ان يكون ذلك حتما منى على الله تعالى أو سخطا بحكمه الذى حكم على عباده ولكن هذا حسن الظن بالله فان عزم ربك على ذلك فكن عند أحسن علمه بك ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فتعزى ابراهيم عليه السلام بقوله واستلذ رأيه وبصيرته وانطلق باسحق فلما صعد الجبل ومعه السكين والحبل وأداة القربان فقال له اسحق يا أبت أرى معك اداة القربان ولا أرى قربانا قال ابراهيم يا بنى القربان بعين ربك ينظر اليه وان شاء رحم أباك ثم فطن اسحق فلما وافى رأس الجبل قال ابراهيم يا بنى ان الله تعالى أمرنى ان أذبحك وأجعلك قربانا فرفعك اليه وينقلبك فانظر ماذا ترى فتهلل اسحق واستبشر فقال لوالده لقد فجعتنى يا بنى بأمر ما فجع به والد ولده وانى لارى من سرورك بذلك وشكرك لربك أمرا أرجو به العافية والفرج فقال يا أبت لم يكن شئ من الدنيا أحب الى من البر بك وبأمى وقد

حرمنيه

(حكمة)
قال بقراط خمسة أشياء لا يشبع منها خمس عين من نظر واذن من ذكر وانثى من ذكر ونار من حطب وعالم من علم

(حكمة)
وسئل حكيم ما أمر الاشياء فى الدنيا وما احلاها فقال أمر الاشياء استماع الكلام الخشن ممن لا قيمة له والدين الفادح وضايقة اليد واحلى الاشياء الولد والكلام الطيب واليسار وسئل حكيم ما الموت وما النوم فقال النوم موت خفيف والموت نوم ثقيل وسئل حكيم ما الغنى فقال القناعة والرضا فقيل ما العشق فقال مرض الروح وموت فى حسرة فسئل ارسطاطاليس أى صديق أوثق وأى صاحب أشفق فقال الصديق الاصيل أوثق والصاحب القديم أشفق وتدبير العقلاء أفضل

(حكمة)
قال جالينوس سبعة أشياء تجلب النسيان استماع الكلام الخشن لا يتصوره القلب والحجامة على حرز العنق والبول فى الماء الراكد وأكل الحوامض والنظر فى وجه الميت والنوم الكثير وطول النظر الى اماكن الخراب وقال أيضا فى كتاب الادوية ان النسيان يحدث من سبعة أشياء وهى البلغم وضحك القهقهة وأكل المالح

حرمنيه ربى فاذا أردت ذبحى فاشدد وثاقى فانى أخاف حين يفارقنى عقلى وأجد ألم الحديد ان يتحرك منى عضو فيؤذيك وأنا أكره أن أختم بذلك عملى فاذا فرغت من أمرى فاقرئ أمى السلام وقل لها لا تجزعى فقد أكرم الله ابنك فى جنانه فلما فرغ من وصيته عمد ابراهيم صلى الله عليه وسلم اليه فعصبه بعمامته ما بين منكبيه الى الكعبين ثم كبه لوجهه وكره ان يستقبل وجهه كى لا تدركه الرحمة اذا هو تشحط فادخل يده من تحت حلقه فلما أراد ان يحز انقلب السكين فأوجس ابراهيم فى نفسه ثم عاد الثانية فلما أراد أن يحز انقلب السكين ونودى يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزى المحسنين ان هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم هذا فداء ابنك قد فداه الله لك به فنظر ابراهيم خلفه فاذا بكبش قد لوى قرنه الايمن على ساق شجرة فوجهه ابراهيم الى القبلة وقبلته يومئذ مكة فذبحه ابراهيم وقصبه اسحق فلما فرغا منه وضعا قربانا فرفعه الله اليه وتقبله (قال أبو هريرة) ولما صار يوسف عليه السلام الى مصر واسترق بعد الحرية جزع جزعا شديدا وجعل يبكى الليل والنهار على أبويه واخوته ووطنه وما ابتلى به من الرق فاحيا ليلة من الليالى يدعو ربه تعالى وكان من دعائه ان قال يارب أخرجتنى من أحب البلاد الى وفرقت بينى وبين اخوتى وأبوى ووطنى فاجعل لى فى ذلك خيرا وفرجا ومخرجا من حيث أحتسب ومن حيث لا أحتسب وحبب الى البلاد التى أنا فيها وحببها الى كل من يدخلها وحببنى الى أهلها وحببهم الى ولا تمتنى حتى تجمع بينى وبين أبوى واخوتى فى يسر منك ونعمة وسرور تجمع لنا به خير الدنيا والآخرة انك سميع الدعاء فأتى يوسف فى نومه فقيل له ان الله تعالى قد استجاب لك دعاءك وأعطاك منالك وورثك هذه البلاد وسلطانها وجمع اليك أبويك واخوتك وأهل بيتك فطب نفسا واعلم ان الله تعالى لن يخلف وعده وبدعاء يوسف صارت مصر محبوبة يحبها من دخلها فلا يكاد يخرج منها قال قتادة ما سكنها نبى قبله ولما جمع الله شمله وتكاملت النعمة عليه اشتاق الى لقاء ربه فقال رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الاحاديث فاطر السموات والارض أنت وليى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين ولما وجه سليمان بن عبد الملك محمد بن يزيد الى العراق ليطلق أهل السجون ويقسم الاموال ضيق على يزيد بن أبى مسلم فلما ولى يزيد بن عبد الملك الخلافة ولى يزيد بن أبى مسلم افريقية فاستخفى محمد بن يزيد فطلبه يزيد بن أبى مسلم فأتى به فى شهر رمضان عند المغرب وفى يد بن أبى مسلم عنقود عنب فقال له يزيد حين دنا منه محمد قال نعم قال اما والله لطالما سألت الله تعالى ان يمكننى منك بغير عهد ولا عقد فقال محمد وأنا والله فطالما سألت الله ان يجيرنى منك ويعيذنى فقال يزيد فوالله ما أجارك ولا أعاذك وان سابقنى ملك الموت الى قبض روحك لسبقته والله لا أكلت هذه الحبة حتى أقتلك فأقام المؤذن الصلاة فوضع يزيد العنقود وتقدم ليصلى وكان أهل افريقية قد اجتمعوا على قتله فلما ركع ضربه رجل على رأسه بعمود فقتله وقيل لمحمد بن يزيد اذهب حيث شئت فسبحان من قتل الامير وأحيا الاسير سنة الله التى قد خلت فى عباده طلوع الحياة من شفار الموت وحضور الموت من معدن الحياة (وروى) ان سلطان صقلية أرق ذات ليلة ومنع النوم فارسل الى قائد البحر وقال انفذ الآن مركبا الى افريقية يأتونى باخبارها فعمر القائد المركب وأرسله لحينه فلما أصبحوا اذا بالمركب فى موضعه لم يبرح فقال له الملك أليس قد فعلت ما أمرتك به قال نعم قد امتثلت أمرك وأنفذت المركب فرجع بعد ساعة وسعد تلك مقدم المركب فجاء ومعه رجل فقال الملك ما منعك ان تذهب حيث أمرتك قال ذهبت بالمركب فبينا انا فى جوف الليل والبحارون يقذفون اذا أنا بصوت يقول يا الله يا الله يا غياث المستغيثين يكررها مرارا فلما استقر صوته فى اسماعنا ناديناه مرارا لبيك لبيك وهو ينادى يا الله يا غياث المستغيثين ونحن نجيبه لبيك لبيك وقذفنا المركب نحو الصوت فالفينا هذا الرجل غريقا فى آخر رمق من الحياة فاخذناه من البحر وسألناه عن حاله فقال كنا مقلعين من افريقية فغرقت سفينتنا منذ أيام وما زلت أسبح حتى وجدت الموت فلم أشعر الا بالغوث من ناحيتكم فسبحان من أسهر سلطانا وأرق جبارا فى قصره لغريق فى البحر حتى استخرجه من تلك الظلمات ظلمة الليل

Reference: 12964. Copyright for this page: Creative Commons Attribution Licence
View on the Qatar Digital Library: http://www.qdl.qa/en/archive/qnlhc/12964.73

وظلمة البحر وظلمة الوحشة لا اله الا أنت سبحانك (وأخبرني) رجل كان امام المسجد الجامع بالاسكندرية
قال كنت بصقلية أيام فتن العدو وزحف الينا في البحر سفن تقارب ثلثمائة سفينة وأرست في الساحل
فرأينا أمراً مهولاً وفينا الشيخ الصالح العابد ابن المستطاري فلجأ الناس اليه واجتمعوا حوله يتبركون به
وينتظرون الفرج على يديه قال فنظر الى السماء حيناً وسجد وعفر خديه بالارض بقابهما عينا وشمالاً قال
فوالله ما ذهبنا حتى هبت ريح مزقتها كل ممزق فلم يجتمع منها اثنان (وأخبرني) أبو القاسم بن فاتك رحمه
الله قال كنت في طريق الحجاز فعطش الناس في مفازة تبوك ففقد الماء ولم يوجد الا عند صاحب لي جمال
فجعل يبيعه بالدنانير بارفع الاثمان فجاء رجل كان موسوماً بالصلاح عليه مقطعة يحمل ركوة ومعه شئ
من دقيق فتشفع بي الى الجمال ليبيعه الماء بذلك الدقيق فكلمته فأبى علي ثم عاودته فأبى قال فبسط الرجل
النطع في الارض ونثر عليه الدقيق ثم رمق السماء وقال الهي انا عبدك وهذا دقيقك ولا أملك غيره وقد ابى
ان يقبله ثم ضرب بيده في النطع وقال وعزتك لا برحت حتى أشرب فوالله ما تفرقنا حتى نشأ السحاب
فامطر للحين فشرب الماء ولم يبرح فكان كما قال النبي صلى الله عليه وسلم رب أشعث اغبر ذي طمرين
لا يؤبه له لو أقسم على الله لابره (وأخبرني) شيخ مسن ممن كان يصحب العلماء بالقيروان يقال له حرز قال
أخبرني عبد الكافي الدباجي قال رأيت بالقيروان آية عظيمة وذلك ان رجلاً جاء بصبي له وقد أسكت فلا
يتكلم فدخل به الى الفقيه أبي بكر بن عبد الرحمن وقال له ان ابني هذا قد أسكت منذ أيام فلا يتكلم فادع
الله ان يفرج ما نزل به قال فدعا الشيخ ساعة ثم مسح وجه الصبي فاستفاق الصبي فقال له قل لا اله الا الله
فقال الصبي أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ثم التفت الى الرجل وقال اكتمها علي الى
الموت ثم التفت الى جاريته فقال اكتمي علي هذا الى الموت وأنت حرة فلما كان يوم توفي الشيخ أبو بكر
واجتمع الناس لجنازته وتكاثرت الامم قام الرجل فاستنصت الناس فسكتوا فقال يا أهل القيروان اسمعوا
قصتي مع هذا الشيخ وذكر الحديث كما سقناه (وحدثني) هذا الشيخ قال نزل عندنا بالقيروان قصة لم يسمع في
السالفين مثلها وذلك ان بعض الجزارين اضجع كبشاً ليذبحه فخبط بين يديه وفات منه وذهب فقام الجزار
يطلبه وجعل يمشي الى أن دخل خربة فاذا فيها رجل مذبوح يتخبط في دمه ففزع وخرج هارباً واذا صاحب
الشرطة والرجالة عندهم خبر القتيل وجعلوا يطلبون خبر القاتل والمقتول فأصابوا بيده السكين وهو
ملوث بالدم والرجل مقتول بالخربة فقبضوه وحملوه الى السلطان فقال له أنت قتلت الرجل قال نعم قال
فما زالوا يستنطقونه وهو يعترف اعترافاً لا اشكال فيه فأمر به السلطان ليقتل فاخرج للقتل واجتمع الامم
ليبصروا قتله فلما هموا بقتله اندفع رجل من الحلقة المجتمعين فقال لهم لا تقتلوه انا قاتل القتيل فقبض
وحمل الى السلطان فاعترف وقال أنا قتلته فقال له السلطان قد كنت معافى من هذا فما حملك على
الاعتراف قال رأيت هذا الرجل يقتل ظلماً فكرهت ان القى الله تعالى بدم رجلين فأمر به السلطان فقتل
ثم قالوا للرجل يا أيها الرجل ما دعاك الى الاعتراف بالقتل وأنت بريء فقال الرجل فما حيلتي ورجل مقتول
بالخربة وأخذوني وأنا خارج من الخربة وبيدي السكين ملطخة بالدم فان أنكرت من يقبلني وان
اعتذرت من يعذرني فخلى سبيله وانصرف مكرماً (ولما وزر فخر الملك) نظام الدين لسنجار الملك وكان فخر
الملك ابن عم يقال له شهاب الملك وكان يخاف منه على منزلته فقال للملك سنجار لا حياة لي معك الا أن
تقتل ابن عمي شهاب الملك فأبى سنجار فما زال يراجعه الى ان أمر به فحبس في بلد يقال لها بيهق وكان والي
ذلك البلد يكرمه لجلالته وجلالة أهل بيته وأنزل له داراً في القلعة مشرفة ثم جعل فخر الملك يفسد قلب
سنجار ويحمله على قتل شهاب الملك الى أن أرسل سنجار الى واليه بقتل شهاب الملك فاستعظم الوالي قتله
وأخره أياماً ثم لم يجد بداً من قتله فعزم على قتله في يوم جمعة فبينا شهاب الملك يطلع من طاقات الدار اذا
فارس يركض فارجس في نفسه خيفة منه وقال هذا يريد أن يقتلني فوصل الفارس وقال مات فخر
الملك فخلى سبيل شهاب الملك ثم وزر لسنجار فسبحان الفعال لما يريد (أخبرني) أبو الفضل المعبر بمصر قال

كان

والعدم السمين وكثرة الجماع
والسهر مع التعب وسائر
الرطوبات والبرودات فان
أكلها ضر ويجلب
النسيان

﴿حكمة﴾

قال أبو القاسم الحكيم فتن
الدنيا تنشأ من ثلثة نفر من
قائل الاخبار وطالب
استماع الاخبار ومتلق
الاخبار فهؤلاء الثلثة
لا يخلصون من الملامة

﴿حكمة﴾

يقال ثلثة أشياء لا تجتمع
مع ثلثة أكل الحلال مع
اتباع الشهوات والشفقة
مع ارتكاب الغضب وصدق
المقال مع الكلام

﴿حكمة﴾

قال بزرجمهر الحكيم ان
شئت ان تصير من جملة
الابدال فحول اخلاقك
الى اخلاق الاطفال فقيل
له كيف ذلك فقال في
الاطفال سبع خصال
لو كانت في الكبار لكانوا
أبدالاً وهو انهم لا يغتمون
للرزق واذا مرضوا لم يشكوا
من خالقهم تعالى وانهم
يأكلون الطعام مجتمعين
واذا تخاصموا لم يتحاقدوا
ويسارعون الى الصلح
وانهم يخوفون ويخافون
بادنى تخويف وتدمع
أعينهم

﴿حكمة﴾

قال وهب ابن منبه في
التوراة أربع كلمات
مكتوبة وهي كل عالم لم يكن
متورعاً فهو كاللص وكل

كان بمصر ملوك بني حمدان وكان الرئيس ناصر الدولة وكان يشكو وجع القولنج فأعيا الاطباء ولم يوجد
له شفاء ثم ان السلطان دس على قتله فارصد له رجل معه خنجر فلما جاء في بعض دهاليز القصر وثب عليه
الرجل وضربه بالخنجر فجاءت الضربة في أسفل خاصرته فأصاب طرف الخنجر المعى الذي هو القولنج فخرج
ما فيه من الخلط ثم عافاه الله تعالى فصح وبرئ كأحسن ما كان (ولما كنت بالاسكندرية) نزلت سفن
العدو بساحل مدينة برقة فأخذوا قوماً من المسلمين وقتلوا بعضهم وأسروا بعضهم فأخذ رجل منهم وشد
كتافه من خلفه فلما نهبوا السفينة عمد اليه بعض الاعلاج فرفعه وألقاه في البحر ثم طعنه برمح كان معه
فلم يخطئ نصل الرمح حبل الكتاف فقطعه وانحلت يد الرجل فسبح حتى لحق بالشاطئ سليماً ووصل الى
الاسكندرية في عافية (وحدثني) بعض الشاميين ان رجلاً خباراً بينما هو يحترق تنوره بمدينة دمشق
اذ عبر عليه رجل يبيع المشمش قال فاشترى منه وجعل يأكل بالخبز الحار فلما فرغ سقط مغشياً عليه
فنظروا فاذا هو ميت فجعلوا يتربصون به ويحملون له الاطباء فيلمسون دلائله ومواضع الحياة منه
فقضوا بانه ميت فغسل وكفن وحمل الى الجبانة فبينما هم خارجون به من باب المدينة استقبلهم رجل طبيب
يقال له اليبرودي وكان طبيباً ماهراً حاذقاً بالطب فسمع الناس يلهجون بقصته فقال لهم حطوه حتى أراه
قال فحطوه وجعل يقلبه وينظر في أمارات الحياة التي يعرفها ثم فتح فمه وسقاه شيأ أو قال حقنه فاندفع
ما هنالك بسبيل واذا الرجل قد فتح عينيه وتكلم وعاد كما كان الى دكانه (وكان رجل) يمشي ببغداد فبينما
هو في الطريق اذا بدار قد وقعت عليه فخرت كالجبل العظيم واذا في الحائط طاقة فما أخطأت رأسه
فصارت الدار كوماً وخرج الرجل من الطاقة سليماً (وحدثني) أبو القاسم الحضرمي قال كنت باليمن في
أرض الصليحي فوشي بي الى السلطان فأمر بقتلي فاخرجت وقدمت للقتل وركني السياف ثم قال لي مد
رقبتك فمددت عنقي لقضاء الله تعالى ثم قال لي السياف اشدد فقلت دونك يا هذا فبينا انحن كذلك اذا بصائح
من داخل القصر لا تقتلوه لا تقتلوه فخلوا سبيلي (وجرت بقرطبة قصة غريبة) في أيام المنصور بن أبي
عامر وذلك ان رجلاً يعرف بقاسم بن محمد السنبسي شهد عليه بالزندقة فحبسه المنصور مدة مع جماعة من
الادباء من وجوه قرطبة ممن موصوف بالانهماك والزندقة وكان ينادي عليهم في كل جمعة يوقفون اثر صلاة
الجمعة بباب الجامع الاعظم من كانت عنده شهادة فيهم فليؤدها فثبت على قاسم عند القاضي مجمل
شهادات الشهود بأنواع منكرة تتضمن الزندقة والكفر فطلعوا الى القصر وعقدوا مجلساً عظيماً
واستشير الفقهاء فيه فأوجبوا قتله فاستحضر قاسم فحضر وحضر أبوه وحضر ابنان صغيران لقاسم ولبسوا
ثياب الحداد وحمل أبوه معه نعشاً وحاملين وجعل أبوه والصبيان يبكون على باب القصر واحضر اضرب
عنقه سياف يعرف بابن الجندي ودفعت اليه أسياف من القصر فجعل يروزها ويلمس شفارها وأبوه
وابناه ينظران وحضر الفقيه أبو عمرو المكودي الاشبيلي على كره منه وكان يأبى الحضور فاستفتوه
فقال يا هؤلاء ان الدماء لا تسفك الا بالحق الواضح دون الشبه احسبوا ان السنبسي فروجاً اذا تذبحونه
فقال القاضي ابن الشرفي عما ثبت عندي وأمعنت النظر فيه قال الفقيه أوقفني عليه فأخذ السجل ونظر
فيه فقال أخبرني بمن قبلته من هؤلاء الشهود قال بم ذا وهذا حتى عد خمسة قال الفقيه فجميعهم تقبله قال
نعم قال فلو شهد منهم اثنان خاصة كنت تقتله قال لا فأقوى بعضهم بعضاً وزكى أكثرهم عندي فالتفت
الفقيه الى الفقهاء المشاورين فقالوا يا هؤلاء بالدعائم يقتل المسلمون عندكم ويسفك دماؤهم فلست أرى
قتله ولا أشير به فرجع الفقهاء الى قوله ولم يروا عليه شيأ بعد ما افتوا بقتله منذ ستة أشهر فانفض الجمع
وشيم السيف وطار البشير الى ابن أبي عامر فاخبره بالمجلس فقال ابن أبي عامر مضيتم تقتلون ابن السنبسي
فدفعتم القاضي قد اجتهد في الدين ولا قاتل للمؤجل فحبس أياماً ثم أطلق فكان ابن ذكوان الفقيه يقول
للقاضي في مثل هذا قال القائل اذا سئل بم عرفت الله قال بنقضه عزائمي ومعنى الدعائم على لسان
الفقيه هم الشهود الذين لو انفرد منهم اثنان لم يثبت الحكم ولا قبلا فيه فاذا كثروا قوى بعضهم بعضاً فلا

رجل خلا من العقل فهو
والبهيمة على مثال واحد

﴿حكمة﴾

قال بعض الحكماء أصل
الزعامة العطف وأصل الذنب
العجلة وأصل الذل البخل

﴿حكمة﴾

قال الحكيم ينبغي للانسان
ان يكون بقلبه خادماً
وبقالبه متقدماً بعادته
ابله أي يتجاوز عن الجيد
والردئ وينبغي ان يستمع
كلام الحكمة من غير
حكيم فانه قد يصيب الغرض
من لم يكن رامياً

﴿حكمة﴾

قال الاحنف بن قيس
لا صديق لملول ولا وفاء
لكذوب ولا راحة لحسود
ولا مروءة لبخيل ولا زعامة
لسيئ الخلق

﴿حكمة﴾

قال ذو الرياستين اشتكى
رجل من خصمه الى
الاسكندر فقال الاسكندر
أتحب أن أسمع كلامك
فيه على أن أسمع كلامه
فيك فخاف الرجل وأمسك
فقال الاسكندر كفوا
أنفسكم عن الناس
تأمنوا من ناس السوء

﴿حكمة﴾

قال بزرجمهر العوافي
أربعة عافية الدين وعافية
المال وعافية البدن
وعافية الاهل فأما عافية
الدين ففي ثلاثة أشياء
انك لا تتابع الهوى وان
تعمل باوامر الشرع
وأن لا تحسد أحداً وعافية

Reference: 12964. Copyright for this page: Creative Commons Attribution Licence

View on the Qatar Digital Library: http://www.qdl.qa/en/archive/qnlhc/12964.74

يثبت الحكم بهم (وفى نقيض هذا ما حدثنى القاضى) أبو مروان الدانى بطرطوشة وقد ولى قضاءها
قال ذكر أبو ما فقال نزلت قافلة بقرية خربة من أعمال دانية فأووا الى دار خراب هناك ليستكنوا من
الرياح والامطار واستوقدوا نارهم وسووا معيشتهم وقرب تلك الخربة حائط مائل قد أشرف على
الوقوع فقال رجل منهم لاهل القافلة ياهؤلاء لا تقعدوا تحت هذا الحائط ولا تدخلوا هذه البقعة فأبوا
الا دخولها وبات الرجل متبذا خارجا عنهم لم يقرب ذلك المكان ثم أصبحوا فى عافية وحملوا دوابهم
فبينما هم كذلك اذ دخل الرجل الخربة ليستوقد ببقية النار فخر عليه الحائط فمات مكانه (وبلغنى) عن
بعض الفقهاء ان جيشا من الجيوش كان بصقلية ناهضا من مكان الى مكان فقعدوا ساعة لبعض
شأنهم فاذا عقرب يدب فضربه بعض الاجناد بمقرعة كانت معه ثم رفع المقرعة الى نحو عنقه فاذا
بالعقرب قد نشبت باهداب المقرعة وهو لا يشعر فلدغته فى عنقه فقضى مكانه (وأخبرنى القاضى) أبو
الوليد الباجى عن أبى ذر قال كنت أقرأ على الشيخ أبى حفص عمر بن أحمد بن شاهين ببغداد جزءا من
الحديث فى حانوت رجل يبيع العطر فجاء رجل طواف بطبق يحمله فى يده وأعطاه عشرة دراهم وقال له
ادفع الى أشياء سماها من العطر فأخذها فى طبقه ومشى فسقط الطبق من يده وتفرق جميع ما كان فيه
فبكى الطواف وجزع حتى رحمناه فقال أبو حفص لصاحب الحانوت لعلك تجبر لنا بعض هذه الاسباب قال
نعم فنزل وجمع ما تجمع منها وجبر له ما نقص وأقبل الشيخ على الطواف يصبره ويقول له لا تجزع فأمر الدنيا
أيسر من ذلك فقال الطواف أتظن أيها الشيخ ان جزعى لضياع ما ضاع لقد علم الله تعالى انى كنت فى القافلة
الفلانية فضاع لى هميان فيه أربعمائة دينار أو أربعة آلاف دينار الشك من أبى ذر ومعها فصوص
قيمتها مثل ذلك فما جزعت لضياعها ولكن ولد لى فى هذه الليلة مولود فاحتجت فى البيت الى ما تحتاج اليه
النفساء ولم يكن عندى غير هذه العشرة دراهم فأشفقت ان أشترى بها حوائج النفساء فأبقى بغير رأس
مال ولا أقدر على التكسب فقلت اشترى بها شيئا وأطوف صدر نهارى فعسى ان يفضل شىء أسد به رمق
ويبقى رأس المال أتصرف فيه فلما قدر الله تعالى بضياعه جزعت فقلت لا عندى مال أرجع به اليهم ولا ما
اكتسب به وعلمت أنه لم يبق لى الا الفرار منهم وتركهم على هذه الحال يهلكون بعدى فهذا الذى أوجب
جزعى قال الشيخ أبو ذر وكان رجل من الجند جالسا على باب داره يستوعب الحديث فقال للشيخ أبى
حفص أنا أرغب اذ غمتم أمره أن تدخل معه عندى وقام فظننا انه يريد ان يعطيه شيئا قال فدخلنا عليه
فأذن لنا فقال الجندى للطواف عجبت من جزعك فأعاد عليه القصة فقال الجندى وكنت فى تلك القافلة
قال نعم وكان بها من عظام الناس فلان وفلان فعلم الجندى صحة قوله فقال له وما علامة الهميان وفى أى
موضع سقط منك فوصف المكان والعلامة فقال له الجندى لو رأيته كنت تعرفه قال نعم فأخرج الجندى
هميانا ووضعه بين يديه فقال هذا هميانى وعلامة صحة قولى ان فيه من الاحجار ما صفته كذا وكذا ففتح
الهميان فوجد الاحجار على ما ذكر فقال الجندى خذ مالك بارك الله لك فيه فقال الطواف هذه الاحجار
قيمتها مثل الدنانير أو أكثر فخذ أنت الدنانير فنفسى طيبة بذلك فقال الجندى لا آخذ على أمانتى شيئا
فدخل الطواف وهو من الفقراء وخرج وهو من الاغنياء فبكى الجندى بكاء شديدا وانتحب فقال له أبو
حفص علام تبكى وقد أدى الله أمانتك وقد بذل لك مالا كثيرا وان شئت عرضنا عليه ان يعيده عليك
فقال ما أبكى لذلك وانما أبكى لانى أعلم انه قد حان أجلى فانما كان بقى أمل أؤمله ولا أمنية أتمناها الا ان
يأتينى الله بصاحب هذا المال فيأخذه فلما قضى الله تعالى ذلك بفضله ولم يبق لى أمل علمت انه قد حان
أجلى قال الشيخ أبو ذر فما انقضى شهر حتى توفى وصلينا عليه (قال القاضى) وحدثنى أبو القاسم بن الحسين
بالموصل قال لقد جرت ههنا فى هذا المسجد وهذه الدار والحانوت وأشار اليها قصة عجيبة كان يسكن هذه
الدار رجل من التجار من سافر الى الكوفة فى تجارة الخز فبينا هو فى بعض الطريق خرجه على حماره وهو جميع
ماله نزلت القافلة فأراد ازالته عن الحمار فثقل عليه فأمر انسانا هناك فأعانه على ازالته ثم جلس يأكل

لى الكلام
المال فى ثلاثة أشياء أيضا
امعان النظر وأداء الامانة
واخراج الحق من المال
وعافية البدن فى ثلاثة
قلة الاكل والاقلال
فى الكلام والاقلال من
النوم وعافية الاهل فى
ثلاثة القناعة وحسن
العشرة وحفظ طاعة الله
تعالى وسئل حاتم الاصم
لاى سبب لا نجد ما تجده
المتقدمون فقال لانكم
فاتكم خمسة أشياء المعلم
الناصح والصاحب الموافق
والجد الدائم والكسب
الحلال والزمان المساعد
(خبر) جاء فى الخبر ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم
قال ياعلى أقبل على
بوجهك وأقبل لى قلبك
ومجعك كل وغط واجمع
وهب وتشدد فقال على
ما معنى هذه الكلمات
يارسول الله فقال ياعلى
كل الغضب وغط عيب
أخيك وهب ظلم الظالم
واجمع لذلك القبر الضيق
المظلم وتشدد فى دين الله
والاسلام

﴿حكمة﴾

قال رجل لبعض الحكماء
أوصنى فقال انظر قضاءه
واطلب رضاه وتجنب
جفاه

﴿حكمة﴾

سئل بعضهم أى شىء أكبر
بين الخلق فقال كثرة
التدبير وليس قدره مع
الاستكثار يزيل
الحاجة والعبد يحرص

فاستدعى

فاستدعى ذلك الرجل ليأكل معه فأجابه وأكل معه ثم سأله عن أمره فأخبره انه رجل خرج من الكوفة لامر
أزعجه دون زاد فقال له الرجل تكون معى وتعيننى على سفرى ويكون طعامك عندى فقال الرجل انى
حريص على خدمتك ومحتاج الى طعامك فسار معه فى طريقه فخدمه على أحسن حال قال فوصلا تكريت
فنزلت الرفقة خارج المدينة ودخل الناس لقضاء حوائجهم فقال الرجل للخادم احفظ رحلنا حتى ادخل
واشترى حاجتنا ثم دخل وقضى حوائجه وابطأ هنالك ثم خرج فلم يجد الرفقة ولا وجد صاحبه فظن انهما
رحلت الرفقة رحل معها فلم يزل يسعى حتى وصل الى الرفقة بعد الجهد فسألهم عن صاحبه فقالوا ما جاء
معنا ولا رأيناه ولكنه ارتحل الاسباب على الحمار ودخل على اثرك وظنناك أمرته بذلك فكر الرجل
راجعا الى تكريت وسأل عنه فلم يجد له أثرا ولا سمع له خبرا فيئس منه وسار الى الموصل مسلوب المال
فوافاها نهارا جائعا عريانا فقيرا مجهودا فاستحيا أن يدخل نهارا فيشمت العدو ويحزن الصديق فبقى حتى
أمسى ثم دخل فدق باب الدار فقيل من هذا فقال فلان يعنى نفسه فاظهروا سرورا عظيما وحاجة اليه
وقالوا الحمد لله الذى جاء بك فى هذا الوقت على ما نحن فيه من الضرورة والحاجة والفاقة حالت جميع مالك
وطال سفرك واحتاج أهلك وقد ولدت اليوم ولدا ووالله ما وجدنا ما نشترى به شيأ للنفساء ولقد كانت هذه
الليلة طاوية على حالها فتحيل لنا فى دقيق ودهن نسرج به فلا سراج عندنا فزاده ذلك غما وكره ان يخبرهم
بحاله فيحزنهم وأخذ وعاء للزيت وجرابا للدقيق وخرج الى هذا الحانوت وكان فيه رجل يبيع الدقيق
والزيت والعسل ونحوه وقد أغلق دكانه واطفأ مصباحه ونام فناداه فأجابه وعرفه وشكر الله على
سلامته فقال التاجر لصاحب الحانوت اقدح زنادا أزن لك الدراهم فى دقيق وزيت وعسل احتجت اليه
الساعة وكره ان يخبره بتأخير الثمن فيمتنع منه فقدح البياع الزناد واستصبح فقال له التاجر زن لى من
الدقيق كذا ومن الزيت كذا ومن العسل كذا ومن السمن كذا ومن الملح كذا وبينما هو كذلك اذ حانت منه
التفاتة الى قعر الحانوت فرأى فيه خرجه الذى هرب به صاحبه فلم يملك ان وثب عليه والتزمه وألقى يده فى
أطواق صاحب الحانوت وجذبه الى نفسه وقال ياعدو الله أين مالى فقال له صاحب الحانوت مالك يافلان
فوالله ما عاملتك متعمدا ولا علمتنى جنيت عليك ولا على سوالك فما هذا قال خرجى فرلى به خادم خدمنى
بجميع مالى وبحمارى قال ما لى علم غير ان رجلا ورد على بعد العشاء واشترى منى عشاء واستضافنى
فأضفته وجعلت هذا الخرج فى حانوتى وهذا الحمار فى دار جارنا والرجل فى المسجد بائت فقال له احمل معى
الخرج وانهض الى الرجل فرفع الخرج معه وألقاه على عاتقه ومشى معه الى المسجد فاذا الرجل نائم فى
المسجد فركضه برجله فقام الرجل مذعورا فقال له مالك فقال له أين مالى ياخائن قال هو ذا على عنقك والله
ما تغادر منه ذرة قال فأين الحمار قال هو عند هذا الجانى معك فنهض الى داره فوجد متاعه سليما واستخرج
الحمار من الموضع الذى كان فيه ووسع على أهله وأخبرهم بقصته فزاد أهله فرحا وتبركا بذلك المولود ولما
وفى موسى عليه السلام لصهره شعيب عليه السلام الاجل الذى أجلاه لرعى غنم شعيب التى رعاها موسى
عوضا عن مهر ابنته أخذ موسى عليه السلام زوجته وكر راجعا من مدين فلما وافى الوادى المقدس عند
جانب الطور أجنهم الليل بظلمته فأمسوا بائتين فبينما هم كذلك اذ ضرب زوجته الطلق وكانت حاملا وليس
عندهم ما تحتاج اليه النفساء من الغذاء والدواء وما يصلح بشأنهم فبقوا فى ضيق من الحال وقلة من الحيلة
فخرج موسى عليه السلام يلتفت وينظر يمينا وشمالا عسى فرج لما ألم وما وافيه من الضر اذ رأى نارا
فقال لاهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى فلما أتاها أضيق ما يكون
ذرعا وأحرجه قلبا وآيسه عن رفق نودى من شاطئ الوادى الايمن ياموسى انى أنا ربك وهكذا الطائف
الحق سبحانه مع من سلم لامره ورجا فضله وتكلم بالهدى والبشرى بقسم الله فيه أمله ويعطيه فوق ما سأله
هذا موسى عليه السلام خرج يقتبس نارا فنودى بالنبوة وعن هذا قال علماؤنا ليس فى خصال الخير وان
جلت ولا فى أنواع الاعمال وان عظمت أعلى من حسن الظن بالله تعالى ونظمه بعض الشعراء فقال

على كل شىء الا على الفقر
وليس يحرص عليه أحد
لان الخلق كلهم يطلبون
الغنى ولا يحرص أحد على
الغم لان الكل يطلبون
السرور ويحرصون على
الفرح ولا يحرص أحد
على الموت لانهم يحرصون
على الحياة قال أبو القاسم
الحكيم هلاك العبد فى
شيئين المعصية والانفراد
بالآراء فى القراء

﴿حكمة﴾

بلاء الخلق من ثلاثة
العلماء المضلين والقراء
البله والعوام الحسدة
وقيل لا تطلب وفاء من
خسيس الاصل ولا تطلب
صحة من طامع وقال الحكيم
شيئان غريبان فى هذا
الزمان الدين والفقر وقال
ان حفظت أربعة أحوال
كنت من جملة الرجال
احدها سرك يجب ان يكون
بحيث اذا علمه الناس
رضيت الثانى علانيتك
بحيث لو اقتدى بك الناس
جاز لك الثالث أن تعامل
الناس بما لو عاملوك به
اخترته لنفسك الرابع أن
تكون حالتك للناس بحيث
لو كانت عليك رضيت بها

﴿حكمة﴾

قال الحكيم ينبغى أن تنظر
ثلاثة أشياء بعين ثلاثة وهى
ان تنظر الفقراء بعين
التواضع لا بعين التكبر
وان تنظر الى الاغنياء بعين
النصح لا بعين الحسد وان
تنظر الى النساء بعين الشفقة

Reference: 12964. Copyright for this page: Creative Commons Attribution Licence

View on the Qatar Digital Library: http://www.qdl.qa/en/archive/qnlhc/12964.75

أيها العبد كن لما لست ترجو * من نجاح أرجى لما أنت راج
ان موسى مضى ليقبس نارا * من ضياء رآه والليل داج
فأتى أهله وقد كلم الله وناجاه وهو خير مناج
وكذا الكرب كلما اشتد بالعبد * دنت منه راحة الانفراج

(وروى) ان العدو نزل بساحة افريقية فى عدد كثير من المراكب ففنى ماؤهم وعطشوا فنفر المسلمون لهم فى خلق عظيم من تلك السواحل والحصون فمنعوهم النزول لاستقاء الماء وأرسلوا الى المسلمين ان يخلوهم واستقاء الماء فأبوا فتضاعف عطشهم حتى أشرفوا على الهلاك ففزعوا الى انجيلهم وأخذوا فى الدعاء والاستسقاء الى الله تعالى والتضرع اليه فلم يلبث أو شك من السماء أن ألقت بأرواقها ثم أرخت ماء كثيرا فبسط القوم انطاعهم وجفانهم وآلاتهم فشربوا وملؤا أوانيهم فضج المسلمون عند ذلك وقالوا هؤلاء كفار وأعداء الله ورسوله قد أخلصوا الى ربهم وأنابوا اليه وسألوه ماء يحيون به رمقهم فأغاثهم فنحن أحق بالدعاء والتضرع الى الله سبحانه وأولى بالاجابة منهم ثم جد المسلمون فى الدعاء والصلاة والابتهال الى الله تعالى فى أن يريهم آية يقوى بها قلوب الضعفاء ويتزايد شكر أهل المعرفة والاولياء فبينما هم كذلك اذ أرسل الله عليهم ريحا فبددتهم ومزقتهم كل ممزق وكسرت مراكبهم ولم يجتمع منهم اثنان * ومن عجائب صنع الله تعالى فى هذا الباب ان رجلا من ديار بكر جاء الى بيت المقدس وزار قبر الخليل صلى الله عليه وسلم وأكل من ضيافته فطارت حبة عدس من ذلك الطعام فى خيشومه ورام خروجها بكل حيلة فأعجزته حتى تركته مضنى ثم رجع الى بلاده فبينما هو جالس اذ عطس فطارت العدسة فى الارض فاذا طائر قد التقطها والتقمها وبرئ الرجل فسبحان من جعل أنف هذا الرجل حرز القوت هذا الطائر على بعد الشقة والمسافة * وأما أنا فلما هممت بالرحيل من بلادى الى المشرق فى طلب العلم كنت لا أعرف التجارة ولا لى حرفة أرجع اليها فجزعت من الخروج وكنت أقول ان ذهبت نفقتى ماذا أفعل وكان أقوى الآمال فى نفسى ان أحفظ البساتين بالاجرة وأدرس العلم بالليل ثم استخرت الله تعالى فرحلت وكانت معى نفقة وافرة فى هميان على وسطى وكنت أسمع المسافرين يقولون من نام بالليل فى القفاف وله نفقة على وسطه فليحلها فان اللصوص اذا كثرت الخلق يتشددون أوساطهم فخرجت من بلاد السويدية الى انطاكية وهى اذ ذاك حرب للروم فسرينا ليلتنا وأصبحنا على باب انطاكية فأخذتنى عينى وحللت الهميان وغفت ولم أستيقظ الا ضحوة النهار فاستيقظت ومددت يدى الى الهميان فلم أجده فجعلت أنظر الى القافلة وألتفت الى الناس وقد أسقط فى يدى ولم يبق لى حيلة فاسترجعت ورفعت أمرى الى الله سبحانه واذا رجل من أهل القافلة ملتفتا الى فوقع وجهى فى وجهه فاذا هو يضحك لما رأى ما بى فقال ما لك أيها الفقيه قلت خير فراجعنى فقلت خير فقام الى وقال خذ هميانك عافاك الله فسألته كيف ظفرت به فقال رأيته قد تدحرج ذراعين أو ثلاثة والتفت فرأيت سوادا فى الموضع الذى كنت فيه نائما فسرت اليه وأخذته فاذا هو الهميان رحمة الله عليه ورضوانه لديه

﴿الباب الستون فى بيان الخصلة التى هى أم الخصال وينبوع الفضائل ومن فقدها لم يكمل فيه خصلة وهى الشجاعة ويعبر عنها بالصبر ويعبر عنها بقوة النفس﴾

قالت الحكماء أصل الخيرات كلها فى ثبات القلب ومنه تستمد جميع الفضائل وهو الثبوت والقوة على ما يوجبه العدل والعلم والجبن غريزة يجمعها سوء الظن بالله تعالى والشجاعة غريزة يجمعها حسن الظن بالله تعالى سئل الاحنف عن الشجاعة فقال صبر ساعة وسئل أبو جهل عن الشجاعة فقال تصبرون على حر السيوف فواق ناقة وهو ما بين الحلبتين واعلم ان القادم للقتال طريدة من طرائد الموت فاستقبال الموت خير من استدباره وقد قال الاول رب حياة سببها التعرض للوفاة ووفاة سببها طلب الحياة ومن حرص على الموت فى الجهاد وهبت له الحياة وقالوا الهزيمة شفرة من شفار الموت والفار يمكن من نفسه والمقاتل يدفع

لا بعين الشهوة

﴿حكمة﴾

قال وهب بن منبه قرأت فى التوراة أم المعاصى ثلاثة الكبر والحرص والحسد وانها تتبعها خمسة أشياء كثرة الاكل وكثرة النوم وراحة الجسم وحب الدنيا ومدح الناس وقال من خلص من ثلاثة فاز بالجنة وهى المنة والمؤنة والملامة اذا أحسن لم يمن باحسانه وان يخفف مؤنته عن الناس واذا رأى أحدا لم يلمه

﴿حكمة﴾

يقال ان ابن القرية دخل على الحجاج فقال له ما الكفر فقال البطر بالنعمة واليأس من الرحمة فقال ما الرضاء فقال القنوع بعطاء الله تعالى والصبر على المكاره فقال ما الصبر فقال كظم الغيظ والاحتمال لما لا يراد فقال ما الحلم فقال اظهار الرحمة عند القدرة والرضاء عند الغضب فقال ما الكرم فقال حفظ الصديق وقضاء الحقوق فقال ما القناعة فقال الصبر عن الجوع والعرى عن اللباس فقال ما الغنى فقال استعظام الصغير بالآلة الحقيرة فقال ما الحمية فقال الوقوف على رأس من هو دونك فقال ما الشجاعة فقال الحملة فى وجوه الاعداء والكفار والثبات فى موضع الفرار وارضاء الرجال قال ما العدل قال ترك المراد وصحة السيرة والاعتقاد فقال ما

عن نفسه وقالوا غرة الشجاعة الامن من العدو واعلم ان من قتل فى الحرب مدبرا أكثر ممن قتل مقبلا وقالوا تأخير الاجل حصن المحارب وقيل لبعضهم فى أى جنة تحب ان تلقى عدوك قال بادبار دولته وانقضاء مدته واعلم أن الشجاعة لمن كانت له الدولة واذا انقضت المدة لم تغن كثرة العدد وقال على رضى الله عنه اذا انقضت المدة كانت الهلكة فى الحيلة واعلم ان كل كريهة ترفع أو مكرمة تكتسب لا تحقق الا بالشجاعة ألا ترى انك اذا هممت ان تمنح شيأ من مالك خار طبعك وهن قلبك وعجزت نفسك فشحت به واذا حققت عزمك وقويت نفسك وقهرت ذلك العجز أخرجت المال المضنون به وعلى قدر قوة القلب وضعفه تكون طيبة النفس باخراجه أو كراهية النفس لاخراجه مع اخراجه وعلى هذا النمط جميع الفضائل مهما لم يقارنها قوة نفس لم تتحقق وكانت مخدوعة وروى ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال الشجاعة والجبن غرائز يضعها الله تعالى فيمن يشاء من عباده والجبان يفر عن أمه وأبيه والشجاع يقاتل عمن لا يؤوب به الى رحله فبقوة القلب يصاب امتثال الاوامر والانتهاء عن الزواجر وبقوة القلب يصاب اكتساب الفضائل وبقوة القلب ينتهى عن اتباع الهوى والتضمخ بالرذائل قال الشاعر

جمع الشجاعة والخضوع لربه * ما أحسن المحراب فى المحراب

وبقوة القلب يصبر الجليس على ايذاء الجليس وجفاء الصاحب وبقوة القلب يكتم الاسرار ويدفع العار وبقوة القلب يقتحم الامور الصعاب وبقوة القلب يحمل أثقال المكاره وبقوة القلب يصبر على أخلاق الرجال وبقوة القلب تنفذ كل عزيمة ورؤية أوجبها الحزم والعدل وبقوة القلب يضحك الرجال فى وجوه الرجال وقلوبهم مشحونة بالضغائن والاحقاد كما قال أبو ذر رضى الله عنه انا لنكشر فى وجوه قوم وان قلوبنا لتلعنهم وقال على رضى الله عنه انا النصافع أكفا ترى قطعها ليس الصبر والشجاعة وقوة النفس أن تكون مصرا فى المحال لجوجا فى الباطل ولا أن تكون جلدا عند الضرب صبورا على التعب مصمما على التغرير والتهور فان هذه صفة الحمير والخنازير ولكن ان تكون صبورا على أداء الحقوق عليك صبورا على مماعها والقائم بالبذل غالبا الهوى مالكا لشهواتك ملتزما الفضائل مجتهدا عاملا فى ذلك على الحقيقة التى لا يحبك عنها حياة ولا موت حتى يكون عندك موتك على الخير الذى أشار به العلم وأوجبه العدل خيرا من البقاء على ما أوجب رفض العلم والعدل كما قال على بن الحسين رضوان الله عليهما يا بنى وما يبالى أبوك لو ان الخلق خالفوه اذا كان على الحق وهل الخير كله للمحق الا بعد الموت ومن هذا قالت حكماء الهند اذا لم يكن للملك من نفسه معين كان فى جميع أموره ضعيفا مخذولا واعلم ان الجبن مقتلة والحرص محرمة والعجز ذل والجبن ضعف والجبان يعين على نفسه يفر عن أمه وأبيه وصاحبته وبنيه واعلم ان كل كريهة ما بين الحليتين والشجاع يحمى عمن لا يناسبه ويحمى مال الجار والرفيق بمهجته والجبان يخاف ما لا يحس به والجبان حتفه من فرقه واعلم ان الشجاعة عند اللقاء على ثلاثة أوجه رجل اذا التقى الجمعان وتزاحف الزحفان واكتحلت الاحداق بالاحداق برز من الصف الى وسط المعترك يحمل ويكر وينادى هل من مبارز والثانى اذا التحم القوم واختلطوا ولم يدر أحد من أين يأتيه الموت يكون رابط الجأش ساكن القلب حاضر اللب لم يخامره الدهش ولا تخالطه الحيرة فيتقلب تقلب المالك لامره القائم على نفسه والثالث اذا انهزم أصحابه يلزم الساقة ويضرب فى وجوه القوم ويحول بينهم وبين عدوهم ويقوى قلوب أصحابه ويرجى ضعيفهم ويعدهم بالكلام الجميل ويشجع نفوسهم فمن وقع أقامه ومن وقف حمله ومن كردس فرسه كشف عنه حتى ييأس العدو منهم وهذا أحدهم شجاعة وعن هذا قالوا المقاتل وراء الفارين كالمستغفر من وراء الغافلين ومن أكرم الكرم الدفاع عن الحرم (وقالوا) لكل واحد يومان لا بد منهما أحدهما لا يعجل عليه والثانى لا يغفل عنه فلا الجبان والفرار وكان شيوخ الجند يحكون فى بلادنا انه دارت حرب بين المسلمين والكفار ثم افترقوا فوجدوا فى المعترك قطعة من بيضة الحديد قدر ثلثها بما حوته من الرأس فيقال انه لم يرقط ضربة أقوى منها وكان شيوخ الجند فى

الانصاف قال المساواة عند الدعاوى بين الناس فقال ما الذل قال المرض عند خلو اليد والانكسار من قلة الرزق فقال ما الحرص قال حدة الشهوة عند الرجاء فقال ما الامانة قال قضاء الواجب فقال ما الخيانة قال التراخى مع القدرة فقال ما الفهم قال التفكر وادراك الاشياء على حقائقها

﴿حكمة﴾

قال الحكيم ثمانية تجلب الذلة على أصحابها وهى جلوس الرجل على مائدة لم يدع اليها ومن تأمر على صاحب البيت والطامع فى الاحسان من أعدائه والمضى الى حديث اثنين لم يدخلاه بينهما ومحتقر السلطان ومن جلس فوق مرتبته ومن تكلم عند من لا يستمع كلامه ومن صادق من ليس بأهل

﴿حكمة﴾

سئل بزرجمهر أى شىء يقع بالرجل ذكره وان كان صحيحا قال مدح الرجل نفسه لانه لا يوجد بخيل ممدوحا ولا ذو غضب مسرورا ولا غافل حريصا ولا ترى كريما حاسدا ولا قنوطا غنيا ولا تجد للملوك صديقا

﴿حكمة﴾

قال الحكيم خمسة يفرحون بخمس ثم يندمون بعدها الكسلان اذا فاتته الامور والمنقطع عن اخوانه اذا

Reference: 12964. Copyright for this page: Creative Commons Attribution Licence

View on the Qatar Digital Library: http://www.qdl.qa/en/archive/qnlhc/12964.76

بلد نا طرطوشة يحكون انهم خرجوا في أيام سيف الملك في سرية الى بلاد العدو فبيناهم يسيرون اذ لقيتهم سرية للروم يريدون منا ما نريد منهم قال وعرف بعضهم بعضا وكان فينا صناديد الفرسان وفيهم صناديد الروم فتواقفنا ساعة ثم شددنا وشدوا والتقينا وتجالدنا ساعة ثم منحنا الله تعالى أكتافهم فجعلناهم حصيدا كأنهم جزر على الاوضام وكان هنالك بقربهم قرية فيها شيء من الخمر فشربناه وسكرنا ثم اشتهينا شرائح اللحم فقمنا نقطع من لحومهم ونجعل على النار وأكلنا منها ففزع من كان أسرناه منهم وبلغ الحديث الى الروم فقضت النصارى تعجبا منا وقذف الرعب في قلوبهم (وروى) ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لقي عمرو بن معد يكرب فقال له يا عمرو أي السلاح أفضل في الحرب فقال عن أيها تسأل قال ما تقول في السهام قال منها ما يخطئ ويصيب قال فما تقول في الرمح قال أخوك وربما خانك قال فما تقول في السيف قال ذاك الذي لا أم لك قال فما تقول في الترس قال هو الدائرة وعليه تدور الدوائر وكان عمرو هذا من شجعان العرب وأبطالها نزل يوم القادسية على النهر فقال لاصحابه اني عابر على الجسر فان أسرعتم مقدار جزر الجزور وجدتموني وسيفي بيدي أقاتل به تلقاء وجهي وقد عقرني القوم وأنا قائم بينهم وان أبطأتم وجدتموني قتيلا بينهم ثم انغمس فحمل على القوم فقال بعضهم لبعض يا بني زبيد علام تدعون صاحبكم والله ما أرى ان تدركوه حيا فحملوا فانتهوا اليه وقد صرع عن فرسه وقد أخذ برجل فرس رجل من العجم فأمسكها وان الفارس ليضرب فرسه فما يقدر الفرس ان يتحرك فلما غشيناه رمى الرجل بنفسه وخلى فرسه فركبه عمرو وقال أنا أبو ثور كدتم والله تفقدوني قالوا أين فرسك قال رمي بنشابة فشب فصرعني (وروى) ان عمرا حمل يوم القادسية على رستم وهو الذي قدمه يزدجرد ملك الفرس على قتال المسلمين فاستقبل عمرو رستما على فيل فقطع عرقوبه فسقط رستم وسقط الفيل عليه مع خرج كان عليه فيه أربعون ألف دينار فقتل رستما وانهزمت العجم وروى ان قاتل رستم زهير بن فلان وأما الضربة التي حكيناها التي حازت ثلث البيضة بما حوته من الرأس فلم يسمع بمثلها في جاهلية ولا اسلام فحملتها الروم وعلقتها في كنيسة لهم وكانوا اذا عيروا بانهزامهم يقولون لقينا أقواما هذا ضربهم فيرحل أبطال الروم اليها ليروها وانما كانت العرب تتغرق في هذا الباب بقول النضر بن تولب يصف ضربة بسيف

أبقى الحوادث والايام من نمر * آثار سيف قديم أثره بادي

تظل تحفر عنه ان ضربت به * بعد الذراعين والقيدين والهادي

وينشد قول النابغة في السيف أيضا

يقد السلوقي المضاعف نسجه * ويوقد بالصفاح نار الحباحب

وأين هذا من قد الحديد بما حواه من الرأس وأين الثريا من الثرى وأين الحسام من المنجل ولولا كراهة التطويل لذكرنا من أمثال هذا ما فيه العجب وقد قالوا السيف ظل الموت السيف لباب المنية والرمح رشاء المنية والسهام رسل لا تؤامر من أرسلها والرمح أخوك وربما خانك والدرع مشغلة للراجل ومتعبة للفارس وانه لحصن حصين والترس مجن وعليه تدور الدوائر

﴿الباب الحادي والستون في ذكر الحروب وتدبيرها وحيلها وأحكامها﴾

من حزم الملك أن لا يحقر عدوه وان كان ذليلا ولا يغفل عنه وان كان حقيرا فكم من برغوث أسهر فيلا ومنع الرقاد ملكا جليلا وقال الشاعر

فلا تحقرن عدوا رماك * وان كان في ساعديه قصر

فان السيوف تحز الرقاب * وتعجز عما تنال الابر

وفي الامثال لا تحقرن الذليل فربما شرق بالذباب العزيز ومثل العدو مثل النار ان تداركت أولها سهل اطفاؤها وان تركت حتى استحكم ضرامها صعب مرامها وتضاعفت بليتها ومثله أيضا مثل الجرح الردي ان تداركته سهل برؤه وان أغفلته حتى تغل عظمت بليته وأعيا الاطباء برؤه (واعلموا)

ان

تالته شدة ومن أمكنته فرصته على أعدائه ثم عجز عن انتهازها ومن ابتلى بامرأة سوء وتذكر المرأة الصالحة قبلها والرجل الصالح يقدم على ارتكاب الذنوب

﴿حكمة﴾

سئل بزرجمهر هل يقلب المال قلوب العقلاء من الرجال فقال من قلب المال قلبه فليس بعاقل وقال حكيم العتاب الظاهر خير من الحقد الباطن وقال بزرجمهر أصحاب الغم والحزن في الدنيا ثلاثة محب فارق حبيبه ووالد شفيق ضل عنه ولده وغني عاد فقيرا

﴿حكمة﴾

قال حكيم خمسة يكون المال أعز من نفوسهم وأرواحهم عليهم وهم المقاتل بالاجرة وحفار الآبار وراكب البحر للتجارة والحواء الذي يتصيد الحيات بيده وآكل السم بالمراهنة

﴿حكمة﴾

قال عمرو بن معدي كرب الكلام اللين يلين القلوب التي هي أقسى من الصخور والكلام الخشن يخشن القلوب التي هي أنعم من الحرير وقال الحكيم الحزن مرض الروح كما ان الوجع مرض الجسد والفرح غذاء الروح كما ان الطعام غذاء الجسد وطلب حكيم من رجل ان يدينه دينا فلم يفعل فقال الحكيم لم

ان الناس قد وضعوا في تدبير الحروب كتبا ورتبوا فيها ترتيبا فلا يسع أهل سائر الاقاليم جهلها اذ لكل أمة في الغالب نوع من التدبير وصنف من الحيلة وضرب من المكيدة وجنس من اللقاء والكر والفر وتعبية المواكب وحمل بعضهم على بعض ولكن نصف منه أشياء تجري مجرى المعاقد لا تكاد تختلف في انهاء أزمة الحروب ونبدأ أولا بما ذكره الله تعالى في القرآن قال الله تعالى وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم فقوله تعالى ما استطعتم مشتمل على كل ما في مقدور البشر من العدة والآلة والحيلة وفسر النبي صلى الله عليه وسلم القوة فقال على أعواد يرمون فقال الا ان القوة الرمي الا ان القوة الرمي الا ان القوة الرمي وكان بعض أصحابه اذا أراد الغزو لا يقص أظفاره ويتركها عدة ويراها قوة فأول ذلك ان يقدم بين يدي اللقاء عملا صالحا من صدقة وصيام ورد مظلمة وصلة رحم ودعاء مخلص وأمر بمعروف وتغيير منكر وأمثال ذلك فقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأمر بذلك ويقول انما تقاتلون بأعمالكم وروى ان بريدا ورد عليه بفتح للمسلمين فقال له عمر أي وقت لقيتم العدو قال غدوة قال ومتى انهزم قال عند الزوال فقال عمر انا لله وانا اليه راجعون وقام الشرك للايمان من غدوة الى الزوال لقد أحدثتم بعدي حدثا أو أحدثت بعدكم حدثا والشأن كل الشأن في استجادة القواد وانتخاب الامراء وأصحاب الولاية فقد قالت حكماء العجم أسد يقود ألف ثعلب خير من ثعلب يقود ألف أسد فلا ينبغي ان يقدم على الجيش الا الرجل ذو البسالة والنجدة والشجاعة والجرأة ثبت الجنان صارم القلب جريئه رابط الجأش صادق البأس ممن قد توسط الحروب ومارس الرجال ومارسوه ونازل الاقران وقارع الابطال عارفا بمواضع الفرص خبيرا بمواقع القلب والميمنة والميسرة من الحروب وما الذي يجب تحصينه بالحماة والابطال من ذلك بصيرا بصنوف العدو ومواقع الغرة منه ومواقع الشدة منه فانه اذا كان كذلك وصدر الكل من رأيه كان جميعهم كأنه مثله فان رأى لقراع الكتائب وجها والا رد الغنم للزريبة (واعلم) ان الحرب خدعة عند جميع العقلاء وآخر ما يجب ركوبه قرع الكتائب وحمل الجيوش بعضها على بعض فلابد أن تصرف الحيلة في نيل الظفر (قال) نصر بن سيار كنت أمير خراسان من قبل مروان الجعدي آخر ملوك بني أمية قال وكان عظماء الترك يقولون ينبغي للقائد العظيم القيادة أن يكون فيه عشرة أخلاق من أخلاق البهائم شجاعة الديك وبحث الدجاجة وقلب الاسد وحملة الخنزير وروغان الثعلب وصبر الكلب على الجراح وحراسة الكركي وغارة الذئب وسمن نغير وهي دويبة تكون بخراسان تسمن على التعب والشقاء وكان يقال أشد خلق الله تعالى عشرة الجبال والحديد ينحت الجبال والنار تأكل الحديد والماء يطفئ النار والسحاب يحمل الماء والريح تصرف السحاب والانسان يتقي الريح بالجناح والسكر يصرع الانسان والنوم يذهب السكر والهم يمنع النوم فأشد خلق ربك الهم فأول ذلك ان يبث جواسيسه في عسكر عدوه يستعلم أخباره مع الساعات ويستعلم رؤساءهم وقادتهم وذوي الشجاعة منهم ويدس اليهم ويعدهم ويعدهم ويعدهم اجلا ويوجه اليهم بضروب الخدعة ويقوي أطماعهم في ان ينالوا ما عنده من الهبات الفاخرة والولايات السنية وان رأى وجها عاجلهم بالهدايا والتحف وسألهم اما الغدر بصاحبهم واما اعتزالهم وقت اللقاء ويفشي على ألسنتهم كتبا مدلسة اليه ويبثها في عسكره ويكتب على السهام أخبارا مزورة ويرمي بها في جيوشهم ويضرب بينهم بما في الميسور من ذلك فان جميع ما ذكرنا تنفق فيه الاموال والحيل واللقاء تنفق فيه الارواح والرؤس ووجوه الخداع فيه لا تحصى والحاضر فيها أبصر من الغائب ولله در المهلب لما كتب اليه الحجاج يستعجله في حرب الازارقة فرد الجواب فقال ان من البلاء أن يكون الرأي عند من يملكه لا عند من يبصره وقال المختار ليزيد بن أنس حين ولاه الجزيرة وأمره بقتال عبد الله بن زياد امض الى عدوك برأي غير مستبد وبحزم غير متكل ولا تركن الى الدولة فربما انقلبت واستشر من لا يطمع في عملك ولا تسر بقليلك واستنصر الله تعالى قبل اقدامك توفق * وأوصت أم الذيال العبسية ابنها القتال وهو من أشد العرب يا بني لا تنشب في حرب ان وثقت شدتك

يكن من منعك الا ان أحمر وجهي مرة من الحياء ولو أعطيتني لم يصفر وجهي وهي أمر من مطالبتك بألف مرة

﴿حكمة﴾

وقال حكيم من لم يزرع قيمته لم تساو شيئا قيمته وقال من ليس له لب ولا خطر فهو شجرة بلا ثمر وقال من سل سيف البغي قتل به نفسه ومن لم ينصف من نفسه لم يخلص من حسرته ومن أطلق يده بالعطاء أشرق وجهه بالضياء وقال من تحرز من ذنوبه فقد تعلقت به وقال الشباب رضيع الجنون والشيب قرين التوقير والسكون وقال تزود ظاهر الزاد ولا تخف من الاضداد

﴿عظة﴾

قال لقمان الحكيم كنت أسير في طريق فرأيت رجلا عليه مسح فقلت ما أنت أيها الرجل فقال آدمي قلت ما اسمك قال حتى أنظر ما اذا يسمى نفسي فقلت له من أين يعطيك فقال من حيث يشاء فقلت طوبى لك وقرة عين فقال ومن الذي يمنعك عن هذه الطوبى وقرة العين

(حكمة)

ثلاثة تذهب الغم عن القلب صحبة العالم وقضاء الدين ومشاهدة الحبيب وقال شيآن يجلبان الحزن الى القلب الطمع في جود البخلاء والمزاح مع الوضعاء وقال تجنب من

Reference: 12964. Copyright for this page: Creative Commons Attribution Licence

View on the Qatar Digital Library: http://www.qdl.qa/en/archive/qnlhc/12964.77

حتى تعرف وجه المهرب منها فان النفس أقوى شيء اذا وجدت سبيل الحيلة وأضعف شيء اذا يئست منها وأحد الشدة ما كانت الحيلة مدبرة لها اذا لم يكن النصر من الله تعالى فابذلها واختلس من المحارب خلسة الذئب وطر منه طيران الغراب فان الحذر زمام الشجاعة والتهور عدو الشدة * وقال أبو السرايا وكان أحد القتال لابنه يا بني كن بحيلتك أوثق منك بشدتك وبحذرك أوثق منك بشجاعتك فان الحرب حرب المتهور وغنيمة الحذر واعلم أن الدول اذا زالت صارت حيلها وبالا عليها واذا أذن الله تعالى في حلول البلاء كانت الآفة في الحيلة * وقالت الحكماء اذا نزل القضاء كان العطب في الحيلة واذا انقضت مدة الدول أدبرت سنة الغفلة عن سنة الحذر ويغلب الضعيف باقبال دولته كما يغلب القوي بفناء مدته * وقالوا سعود الدول ونحوسها مقرونة بسعود الملك ونحوسه وقالوا أجرى زي على كل امرئ دولته فاذا انقضت بدت عورته وقالوا رب حيلة أهلكت المحتال في الحزم المألوف عند سواس الحروب أن تكون حماة الرجال وكماة الابطال في القلب فانه مهما انكسر الجناحان فالعيون ناظرة الى القلب فاذا كانت راياته تخفق وطبوله تضرب كانت حصنا للجناحين يأوي اليه كل منهزم واذا انكسر القلب تمزق الجناحان مثال ذلك الطائر اذا انكسر احدى جناحيه يرجى عوده ولو بعد حين وان كسر الرأس ذهب الجناحان ولا تحصى كثرة انكسار جناحي العسكر وثبات القلب ثم يرجع الفارون الى القلب ويكون الظفر لهم وقل عسكر انكسر قلبه فافلح أو تراجع اللهم الا أن يكون مكيدة من صاحب الجيش فيخل القلب قصدا وتعمدا ولا يغادر به كبير أمر حتى اذا توسطه العدو واشتغل بنهبه وأطبقت عليه الجناحان ومن أعظم المكايد في الحرب الكمناء ولا يحصى كثرة كم من عسكر استبيحت بيضته وقل عزمه بالكمناء وذلك ان الفارس لا يزال على حمية في الدفاع وحمى الذمار حتى يلتفت فيرى وراءه بندا منشورا أو يسمع ضرب الطبول فحينئذ همته خلاص نفسه ولتكن همتك ورا ذلك وعليه مدار الحروب في اصطناع الشجعان واختيار الابطال فاصطنع ذوي البسالة والاقدام والجراءة ولا عليك أن لا يكثروا بعيد عليك ان يكثروا ولا تنس بيت الشاعر

والناس ألف منهم كواحد * وواحد كالالف ان أمر عنى

بل قد جرب ذلك فوجد الواحد منهم خيرا من عشرة آلاف وسأحكي لك من ذلك ما تقضي منه العجب فهم في الجيش وان قلوا كالانفحة في اللبن * فمن ذلك لما التقى المستعين بن هود مع الطاغية ابن ردميل النصراني على مدينة وشقة في ثغور بلاد الاندلس وكان العسكران كالمتكافئين كل واحد منهما راهق عشرين ألف مقاتل بين خيل ورجل فحدثني رجل ممن حضر الوقعة من الاجناد قال لما تدانا اللقاء قال الطاغية ابن ردميل لمن يثق بعقله وممارسته للحروب من رجاله استعلم من في عسكر المسلمين من الشجعان الذين نعرفهم كما يعرفوننا ومن غاب منهم ومن حضر فذهب ثم رجع فقال فيهم فلان وفلان حتى عد سبعة رجال قال انظر الآن من في عسكري من الرجال المعروفين بالشجاعة ومن غاب منهم فعدهم فوجدهم ثمانية رجال لا يزيدون فقام الطاغية ضاحكا مسرورا وهو يقول يا يا ضلك من يوم ثم ناشب الحرب بينهم فلم تزل المصابرة بين الفريقين لم يول أحدهم دبره ولا تزحزح عن مقامه حتى فني أكثر العسكرين ولم يفر واحد منهم فلما كان وقت العصر نظروا الينا ساعة ثم حملوا علينا حملة وداخلونا مداخلة ففرقوا بيننا وصرنا شطرين وحالوا بيننا وبين أصحابنا وصاروا بيننا فكان ذلك سبب وهننا وضعفنا ولم تقم الحرب الا ساعة ونحن في خسارة معهم فأشار مقدموا العسكر على السلطان أن ينجو بنفسه وانكسر عسكر المسلمين وتفرق جمعهم وملك العدو مدينة وشقة فليعتبر ذو الحزم والبصيرة من جمع يحتوي على أربعين ألف مقاتل ولا يحضره من الشجعان المعدودين الا خمسة عشر رجلا وليعتبر بضمان العلج بالظفر واستبشاره بالغنيمة لما زاد في أبطاله رجل واحد (وسمعت) أستاذنا القاضي أبا الوليد الباجي رحمه الله يحكي قال بينما المنصور بن أبي عامر في بعض غزواته اذ وقف على نشز من الارض مرتفع فرأى جيوش المسلمين بين يديه ومن خلفه وعن يمينه ويساره قد ملؤا السهل والجبل فالتفت الى مقدم العسكر وهو رجل يعرف بابن المصحفي فقال كيف ترى هذا

العسكر

أربعة أشياء لتخلص من أربعة أشياء تجنب من الحسد لتخلص من الحزن ولا تجالس جليس السوء وقد تخلصت من الملامة ولا ترتكب المعاصي وقد خلصت من النار ولا تجمع المال وقد استرحت من عداوة الخلق

(حكمة)

قال الحكيم أربعة أعمال مذمومة يعملها الناس فيجازون بها في الدنيا والآخرة أحدها الغيبة فقد قيل الغيبة فارس يلحق مسرعا الثاني احتقار العلماء لانه من حقر العلماء عاد حقيرا الثالث كفران نعم الله تعالى الرابع قتل النفس وللاكابر والحكماء مثل قديم وهو قولهم كل قاتل مقتول بعد حين كما قال الشاعر

اذا مكنت بالسكين كفا
لقتل الناس فاذكر السبيلا
رأى عيني قتيلا في طريق
فعض على أنامله طويلا
وقال لمن قتلت ترى الحتى
غدوت كما أرى ملقى قتيلا
وقاتلك الذي وأراك أيضا
يذوق القتل فليطل العويلا

(الباب السادس في شرف العقل والعقلاء)

ان الله تعالى جل ثناؤه وتقدست أسماؤه خلق العقل على أحسن صفة وقال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر فقال وعزتي وجلالي ما خلقت في خلقي شيأ أعز منك بك آخذ وبك

العسكر أيها الوزير قال ابن المصحفي أرى جمعا كثيرا وجيشا واسعا فقال له المنصور لا يعجزنا أن يكون في هذا الجيش ألف مقاتل من أهل الشجاعة والبسالة فسكت ابن المصحفي فقال المنصور وما سكوتك أليس في هذه الجيوش ألف مقاتل قال لا قال فتعجب المنصور ثم انعطف عليه فقال أفيهم خمسمائة رجل من الابطال المعدودين قال لا فحنق المنصور ثم انعطف عليه فقال أفيهم مائة رجل من الابطال قال لا قال أفيهم خمسون من الابطال قال لا فسبه المنصور واستخف به وأمر به فاخرج على أقبح صفة فلما توسطوا بلاد المشركين اجتمعت الروم وتصاف الجمعان فبرز علج من الروم بين الصفين شاك في سلاحه يكر ويفر وهو ينادي هل من مبارز فبرز اليه رجل من المسلمين فقتله ولا ساعة فقتله العلج ففرح المشركون وصاحوا واضطرب لها المسلمون ثم جعل العلج يمرح بين الصفين وينادي هل من مبارز اثنين لواحد فبرز اليه رجل من المسلمين فقتله ولا ساعة فقتله العلج وجعل يكر ويحمل وينادي هل من مبارز ثلاثة لواحد فبرز اليه رجل فقتله العلج فصاح المشركون وذل المسلمون وكادت تكون كسرة فقيل للمنصور ما لها غير ابن المصحفي فبعث اليه فحضر فقال له المنصور ألا ترى ما يصنع هذا العلج الكلب منذ اليوم قال بعيني جميع ما يجري قال فما الحيلة فيه قال وما الذي تريد قال ان تكفي المسلمين شره قال نعم الآن ثم قصد الى رجال يعرفهم فاستقبله رجل من أهل الثغور على فرس قد نشرت أورا كهاهزالا وهو يحمل قربة ماء بين يديه على الفرس والرجل في نفسه وحليته غير متصنع فقال له ابن المصحفي ألا ترى ما يصنع هذا العلج منذ اليوم قال قد رأيته فماذا ترى فيه قال أريد رأسه الآن قال نعم فحمل القربة الى رحله ولبس لامة حربه وبرز اليه فما ولا ساعة فلم ير الناس الا المسلم خارجا اليهم يركض ولا يدرون ما هناك واذا الرجل يحمل رأس العلج فألقى الرأس بين يدي المنصور فقال له ابن المصحفي عن هؤلاء الرجال أخبرتك انه ليس في عسكرك منهم ألف ولا خمسمائة ولا مائة ولا خمسون ولا عشرون ولا عشرة فرد ابن المصحفي الى منزلته وأكرمه (واعلم) أن أول الحرب شكوى وأوسطها نجوى وآخرها بلوى الحرب شعثاء عابسة شوهاء كالحة حرور في حياض الموت شموس في الوطيس تتغذى بالنفوس الحرب أولها الكلام وآخرها الحمام الحرب مرة المذاق اذا قلصت عن ساق من صبر فيها عرف ومن ضعف عنها تلف جسم الحرب الشجاعة وقلبها التدبير وعينها الحذر وجناحها الطاعة ولسانها المكيدة وقائدها الرفق وسائقها النصر * وقال الرسول صلى الله عليه وسلم الحرب خدعة وقالوا الحرب غشوم سميت بذلك لانها تتخطى الى غير الجاني قال الشاعر

لم أكن من جناتها علم الله وإني بحرها اليوم صالي

وقال آخر

رأيت الحرب يجنيها اناس * ويصلى حرها قوم براء

وقال آخر

الحرب أول ما تكون فتية * تسعى بزينتها لكل جهول
حتى اذا اضطرمت وشب ضرامها * عادت عجوزا غير ذات خليل
شمطاء ينكر لونها وتغيرت * مكروهة للشم والتقبيل

(وقال بعض الحكماء) قد جمع الله تعالى آداب الحرب في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين * واستوصى قوم أكثم بن صيفي في حرب أرادوها فقال أقلوا الخلاف على أمرائكم واعلموا ان كثرة الصياح فشل ولا جماعة لمن اختلف وتثبتوا فان أحزم الفريقين الركين (وقال) عتبة ابن ربيعة يوم بدر لاصحابه الا ترون أصحاب محمد جثيا على الركب كأنهم خرس يتلمظون تلمظ الحيات (ورأيت) غير واحد ممن ألف في الحروب يكره رفع الصوت بالتكبير ويقول يذكر الله في نفسه * واعلم أرشدك الله تعالى ان الله تعالى قد أوضح لنا في كتابه علة النصر وعلة الهزيمة والفرار فقال يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم يعني ان تنصروا رسوله ودينه وأما الفرار فعلته المعاصي قال الله تعالى ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا أي

أعطي وبك أعاقب وبك أعاقب والدليل على صحة هذا ان الله تعالى على العباد شيئين الامر والنهي وكلاهما موقوفان على العقل كما جاء في محكم التنزيل قوله جل ذكره فاتقوا الله يا أولي الالباب وأولوا الالباب هم ذوو العقول واشتقاق العقل من العقال والمعقل المنيع القلعة على رأس الجبل لا تصل اليها يد احد لامتناعها وقوتها واحكامها

(حكمة)

سئل حكيم الفرس لم سمي العاقل عاقلا فقال لان للعاقل أربع علامات يعرف بها وهي ان يتجاوز عن ذنب من ظلمه وان يتواضع لمن دونه وان يسابق الى فعل الخير لمن هو أعلى منه وان يذكر ربه دائما وان يتكلم عن العلم وان يعلم منفعة الكلام في موضعه واذا وقع في شدة التجأ الى الله تعالى وكذلك الجاهل له علامات وهو ان يجور على الناس ويظلمهم ويعسف لمن دونه ويتكبر على الزعماء والمتقدمين وان يتكلم بغير علم وان يسكت عن الخطا واذا وقع في الشدة أهلك نفسه واذا رأى أعمال الخير لفت عنها وجهه

﴿حكمة﴾

قال سعيد بن جبير ما رأيت الانسان لا بيا أشرف

Reference: 12964. Copyright for this page: Creative Commons Attribution Licence
View on the Qatar Digital Library: http://www.qdl.qa/en/archive/qnlhc/12964.78

بشؤم ذنوبهم وتركهم المركز الذى رتبه لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك أنه صلى الله عليه وسلم رتب الرماة يوم أحد على ثلة الجبل ليمنعوا قريشا أن يخرجوا عليهم كمينا من ذلك الموضع ثم التقى المسلمون فانهزم الكفار فقال الرماة لا تفوتنا الغنائم فأقبلوا على الغنائم وتركوا المركز الاول فخرجت خيل المشركين من هنالك وأقبلوا على المسلمين فكانت مقتلة أحد * وليتخذ قائد الجيش العلامة التى هو مشهور بها فان عدوه قد يستعلم حليته والوان خيله ورايته ولا يلزم خيمته ليلا ونهارا وليبدل زيه ويغير خيمته ويعمى مكانه كى لا يلتمس عدوه غرته واذا سكنت الحرب فلا يمشى فى النفر اليسير من قومه خارج عسكره فان عيون عدوه قد تكب عليه وعلى هذا الوجه كسر المسلمون جيوش افريقية عند فتحها وذلك ان الحرب سكنت فى وسط النهار فخرج مقدم العدو يمشى خارج العسكر يتبرز فساق المسلمين خفاء الخبر الى عبد الله بن أبى السرح وهو نائم فى قبته فخرج فيمن وثق به من رجاله وحمل على العدو فقتل الملك وكان الفتح * ولما عبر طارق مولى موسى بن نصير الى بلاد الاندلس ليفتحها وموسى اذ ذاك بافريقية خرجوا فى الجزيرة الخضراء ثم تحصنوا فى الجبل الذى يسمى اليوم جبل طارق وهم فى ألف وتسعمائة رجل فطمعت الروم فيهم فاقتتلوا ثلاثة أيام وكان على الروم قدميرا استخلفه لذريق ملك الروم وكان قد كتب الى لذريق يعلمه ان قوما لا ندرى أمن الارض أم من السماء قد وصلوا الى بلادنا وقد لقيتهم فانهض الى بنفسك فأتاه لذريق فى تسعين ألف عنان ولقيهم طارق وعلى خيله مغيث الرومى مولى للوليد بن عبد الملك فاقتتلوا ثلاثة أيام أشد قتال فرأى طارق ما الناس فيه من الشدة فقام فحضهم على الصبر ورغبهم فى الشهادة وبسط فى آمالهم ثم قال أين المفر البحر من ورائكم والعدو أمامكم فليس الا الصبر منكم والنصر من ربكم وأنا فاعل شيأ فافعلوا كفعلى فوالله لأقصدن طاغيتهم فاما أن أقتله واما أن أقتل دونه فاستوثق طارق من خيله وعرف حلية لذريق وعلامته وخيمته ثم حمل مع أصحابه عليه حملة رجل واحد فقتل الله تعالى لذريق بعد قتل ذريع فى العدو وحمى الله تعالى المسلمين فلم يقتل منهم كثير وانهزم الروم فأقام المسلمون يقتلونهم ثلاثة أيام واحتز طارق رأس لذريق وبعث بها الى موسى وبعث بها موسى الى الوليد بن عبد الملك وسار مغيث الى قرطبة وسار طارق الى طليطلة ولم يكن همه غير المائدة التى تذكر أهل الكتاب انها مائدة سليمان بن داود عليهما السلام فدفع اليه ابن أخت لذريق المائدة والتاج فقومت المائدة بمائتى ألف لما فيها من الجواهر التى لم ير مثلها * وبهذه الحيلة قهر البارسلان ملك الترك ملك الروم وقومه وقتل رجاله وأباد جمعه وكانت الروم قد جمعت جيوشا يقل أن يجمع لمن بعدهم مثلها وكان مبلغ عددهم ستمائة ألف مقاتل كتائب متواصلة وعساكر مترادفة وكراديس يتلو بعضها بعضا لا يدركهم الطرف ولا يحصيهم العدد وقد استعدوا من الكراع والسلاح والمجانيق والآلات المعدة لفتح الحصون فى الحرب بما لا يحصى وكانوا قد قسموا بلاد المسلمين الشام ومصر والعراق وخراسان وديار بكر ولم يشكوا ان الدولة قد دارت لهم وأن نجوم السعود قد خدمتهم ثم استقبلوا بلاد المسلمين فتواترت أخبارهم الى بلاد المسلمين واضطربت لها ممالك الاسلام فاحتشد للقائهم البارسلان التركى وهو الذى يسمى الملك العادل وجمع جموعه بمدينة أصبهان واستعد بما قدر عليه ثم خرج يؤمهم فلم يزل العسكران يتدانيان الى أن عادت طلائع المسلمين الى المسلمين وقالوا للبارسلان غدا يتراءى الجمعان فبات المسلمون ليلة الجمعة والروم فى عدد لا يحصيهم الا الذى خلقهم وما المسلمون فيهم الا أكلة جائع فبقى المسلمون واجمين لما دهاهم فلما أصبحوا صباح يوم الجمعة نظر بعضهم الى بعض فهال المسلمين ما رأوا من كثرة العدو وقوتهم وآلاتهم وأمر البارسلان أن يعد المسلمون فبلغوا اثنى عشر ألف تركى واذا هم منهم كالرقمة فى ذراع الحمار فجمع ذوى الرأى من أهل الحرب والتدبير والشفقة على المسلمين والنظر فى العواقب واستشارهم فى استخلاص صواب الرأى فتشاوروا برهة ثم أجمع رأيهم على اللقاء فتوادع القوم وتحللوا وناصحوا الاسلام وأهله ثم تأهبوا أهبة اللقاء وقالوا للبارسلان نسمى الله ونحمل على القوم فقال البارسلان يا معشر أهل الاسلام

امهلوا

من العقل ان انكسر صححه واذا وقع أقامه واذا ذل أعزه واذا سقط فى هوة جذبه بضبعه منها واستنقذه وان افتقر أغناه وأول شئ يحتاج اليه البليغ العلم الممتزج بالعقل كما جاء فى الحكاية

(حكاية)

انه ما كان فى خلفاء بنى العباس خليفة أعلم من المأمون فى جميع العلوم وكان له فى كل أسبوع يومان يجلس فيهما للمناظرة مع الفقهاء وكان يجتمع عنده الفقهاء والمناظرون والعلماء والمتكلمون فدخل بعض الايام مجلسه رجل غريب عليه ثياب رثة فجلس فى أواخر الناس وقعد من وراء الفقهاء فى مكان مجهول فلما ابتدؤا فى المسائل وكان رسمهم أنهم يديرون المسئلة على جماعة أهل المجلس وكل من عرف زيادة لطيفة أو نكتة غريبة ذكرها فدارت المسئلة الى ان وصلت الى ذلك الرجل الغريب فأجاب عنها بجواب أحسن من أجوبة الفقهاء كلهم فاستحسنه المأمون فأمر ان يرفع من ذلك المكان الى موضع أعلى منه فلما وصلت المسئلة الثانية اليه اجاب بجواب أحسن من جوابه الاول فأمر المأمون ان يرفع الى أعلى من تلك المنزلة فلما وصلت المسئلة الثالثة أجاب بجواب

أمهلوا فان هذا يوم الجمعة والمسلمون يخطبون على المنابر ويدعون لنا فى شرق البلاد وغربها فاذا زالت الشمس وفاءت الافياء وعلمنا ان المسلمين قد صلوا ودعوا لنا وصلينا نحن عملنا أمرنا فصبروا الى أن زالت الشمس ثم صلوا ودعوا الله تعالى أن ينصر دينه وان يربط على قلوبهم بالصبر وان يوهن عدوهم وأن يلقى فى قلوبهم الرعب وكان البارسلان قد استوثق من خيمة ملك الروم وعلامته وفرسه وزيه ثم قال لرجاله لا يتخلف أحدكم أن يفعل كفعلى ويضرب بسيفه ويرمى بسهمه حيث أضرب بسيفى وأرمى بسهمى ثم حمل جميعهم حملة رجل واحد الى خيمة ملك الروم فقتلوا من كان دونها فخلصوا اليه وقتلوا من حوله وأسروا ملك الروم وجعلوا ينادون بلسان الروم قتل الملك فسمعت الروم ان ملكهم قد قتل فتبددوا وتمزقوا كل ممزق وعمل السيف فيهم أياما وأخذ المسلمون أموالهم وغنائمهم واستحضر ملك الروم بين يدى البارسلان بحبل فى عنقه فقال له البارسلان ما كنت تصنع بى لو أخذتنى قال فهل تشك أنى كنت أقتلك فقال له البارسلان أنت أقل فى عينى من أن أقتلك اذهبوا به وبيعوه فيمن يزيد فكان يقاد بالحبل فى عنقه وينادى عليه من يشترى ملك الروم وما زالوا كذلك يطوفون به على الخيام ومنازل المسلمين وينادى عليه بالدراهم والفلوس فلم يدفع فيه أحد شيأ حتى باعوه من انسان بكلب فأخذ الذى كان تولى ذلك من أمره الكلب والملك وجاء بهما الى البارسلان وقال قد طفت جميع العسكر وناديت عليه فلم يبذل فيه أحد شيأ الا رجل واحد دفع لى فيه كلبا قال قد أنصف لان الكلب خير منه فاقبض الكلب وادفع اليه هذا الكلب ثم انه أمر بعد ذلك باطلاقه فذهب الى قسطنطينية فعزلته الروم وكحلته بالنار فانظر ماذا يأتى على الملوك اذا عرفوا فى الحروب من الحيلة والقصد فى المكيدة (واعلم) أن القدماء قالوا الكثرة للرعب والقلة للنصر وقد قال تعالى ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيأ وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين فالكثرة أبدا يصحبها الاعجاب ومع الاعجاب الهلاك وخير الاصحاب أربعة وخير السرايا أربعمائة وخير الجيوش أربعة آلاف ولن يغلب جيش يبلغ اثنى عشر ألفا من قلة اذا اجتمعت كلمتهم * فاما صفة اللقاء وهو أحسن ترتيب رأيناه فى بلادنا وهو أرجى تدبير نفعله فى لقاء عدونا أن تقدم الرجالة بالدرق الكاملة والرماح الطوال والمزاريق المسنونة النافذة فيصفوا صفوفهم ويركزوا مراكزهم ورماحهم خلف ظهورهم فى الارض وصدورهم شارعة الى عدوهم وهم جاثون فى الارض وكل رجل منهم قد ألقم الارض ركبته اليسرى وترسه قائم بين يديه وخلفهم الرماة المختارون التى تمرق سهامهم من الدروع والخيل خلف الرماة فاذا حملت الروم على المسلمين لم يتزحزح الرجالة عن هيآتهم ولا يقوم رجل منهم على قدميه فاذا قرب العدو رشقهم الرماة بالنشاب والرجالة بالمزاريق وصدور الرماح تلقاهم فأخذوا يمنة ويسرة فيخرج خيل المسلمين بين الرماة والرجالة فتنال منهم ما شاء الله * ولقد حدثنى من حضر مثل هذه الوقعة فى بلاد طرطوشة قال صافت الروم على هذا الترتيب فحملوا علينا فينا رجل منا كان فى آخر الصف فقام على قدميه فحمل عليه علج من العدو فأصاب غرته فقتله * ولما برز المقتدر بالله بن هود ملك الاندلس من سرقسطة فى ثغور بلاد الاندلس للقاء الطاغية ردميل عظيم الروم وكان كل واحد منهم قد احتشد بما فى ميسوره فالتقى المسلمون والكفار ثم تنازلوا للقتال وتصافقوا ودام القتال بينهم صدرا كبيرا من النهار وكان المسلمون فى خسران فأفزع المقتدر ذلك وفرق المسلمون من شر ذلك اليوم فدعا المقتدر رجلا من المسلمين لم يكن فى الثغور أعرف بالحرب منه يسمى سعداره فقال له المقتدر كيف ترى فى هذا اليوم فقال سعداره هذا يوم أسود ولكن قد بقيت لى حيلة فذهب سعداره بزى الروم وكلامه كلامهم لمجاورتهم وكثرة مخالطتهم فانغمس فى عسكر الكفار ثم صعد الى الطاغية ردميل فألفاه شاكى السلاح مكفا فى الحديد لا يظهر منه الا عيناه فجعل يتحيله ويترصد غرته الى ان أمكنته الفرصة فحمل عليه فطعنه فى عينه فخر صريعا لليدين والفم ثم جعل ينادى بلسان الروم قتل السلطان يا معشر الروم فشاع قتله فى العسكر فتخاذلوا وولوا منهزمين وكان الفتح باذن الله

أحسن وأصوب من الجوابين الاولين فأمر المأمون ان يجلس قريبا منه فلما انقضت المناظرة احضروا الماء وغسلوا أيديهم وأحضروا الطعام فأكلوا ثم نهض الفقهاء وخرجوا فقرب المأمون ذلك الرجل وأدناه وطيب قلبه ووعده بالاحسان اليه والانعام عليه ثم عبى مجلس الشراب ونضده وحضر الندماء الملاح ودارت الراح فلما وصل الدور الى ذلك الرجل وثب قائما على قدميه وقال ان أذن أمير المؤمنين تكلمت كلمة واحدة فقال قل ما تشاء فقال قد علم الرأى العالى زاده الله تعالى علوا ان هذا العبد كان اليوم فى المجلس الشريف من مجاهيل الناس ووضعاء الجلاس وان أمير المؤمنين بقدر يسير من العقل الذى أبداه جعله معروفا وأعلى درجته وبلغ به من الغاية التى لم تسم اليها همته والآن تريد ان تفرق بينه وبين ذلك القدر اليسير من العقل الذى أعزه بعد الذلة وكثره بعد القلة وحاشا وكلا ان يحسده أمير المؤمنين على هذا القدر الذى معه من العقل والنباهة والفضل لان العبد اذا شرب الشراب باعد عنه عقله وقرب منه جهله وسلب أدبه فعاد الى تلك الدرجة الحقيرة كما كان ذليلا

Reference: 12964. Copyright for this page: Creative Commons Attribution Licence

View on the Qatar Digital Library: http://www.qdl.qa/en/archive/qnlhc/12964.79

تعالى * ولما استضعف الروم صقلية وضربوا عليهم الخراج فكانوا يحملون اليهم الخراج ويحملون الاموال الى العرب بافريقية ويستنجدون بهم على الروم فقال لهم ملك الروم انما مثلي ومثلكم يا أهل صقلية مثل رجل له زوجتان عجوز وصبية فكان اذا بات عند الصبية تلقط الشيب من لحيته لتصبيه فيزهد في العجوز واذا بات عند العجوز تلتقط الشعر الاسود من لحيته لتشيخه فتزهد الصبية فيه فيوشك ان دام هذا به أن يصبح أطلس كذلك مالكم معي ومع العرب اذا أديتم المال الي واليهم يوشك أن تنفد أموالكم فتبقوا فقراء ضعفاء فأتسلمكم وأتسلم البلاد * ويروى انه لما اهتم بحصار صقلية أمر أن يبسط بساط في الارض ثم جعل في وسطه دينارا ثم قال لوجوه رجاله من أخذ منكم هذا الدينار ولم يطأ البساط علمنا انه يصلح للملك فوقفوا حوله ولم يصل أحد اليه فلما أعياهم ذلك طووا ناحية من البساط من عنده وأمر كل واحد أن يطوي مما يليه حتى طوي البساط فدنوا أيديهم فلقفوا الدينار فحينئذ قال لهم اذا أردتم مدينة صقلية فخذوا ما حولها من الحصون والمدن الصغار والضياع والقرى حتى اذا ضعفت أخذتموها * وكان بسرقسطة فارس يقال له ابن فضون وكان ينتسب فيقع خال والدي وكان أشجع العرب والعجم وكان المستعين أبو المقتدر يرى له ذلك ويعظمه وكان يجري عليه في كل عطية خمسمائة دينار وكانت النصرانية باسرها قد عرفت مكانه وهابت لقاءه فيحكى أن الرومي اذا سقى فرسه فلم يشرب يقول له اشرب هل ابن فضون رأيت في الماء فحسده نظراؤه على كثرة العطاء ومنزلته من السلطان فأوغروا به صدر المستعين فنفاه أياما ثم ان المستعين أنشأ غزوة الى بلاد الروم فتواقفت المسلمون والمشركون صفوفا ثم برز علج الى وسط الميدان ينادي هل من مبارز فخرج اليه فارس من المسلمين فتجاولا ساعة فقتله الرومي وصاح الكفار سرورا وانكسرت نفوس المسلمين وجعل الرومي يكر بين الصفين وينادي هل من اثنين لواحد فخرج اليه فارس من المسلمين فقتله الرومي فصاح الكفار سرورا وانكسرت نفوس المسلمين وجعل يجول بين الصفين وينادي ويقول ثلاثة لواحد فلم يستجرئ أحد من المسلمين أن يخرج اليه وبقي الناس في حيرة فقيل للسلطان مالها الا أبو الوليد بن فضون فدعاه وتلطف به وقال له أما ترى ما يصنع هذا العلج فقال هو بعيني قال فما الحيلة فيه فقال أبو الوليد فماذا تريد فقال اكف المسلمين شره فقال الساعة يكون ذلك ان شاء الله تعالى فلبس قميص كتان واستوى على سرجه بلا سلاح وأخذ بيده سوطا طويل الطرف وفي طرفه عقدة معقودة ثم برز اليه فعجب منه النصراني ثم حمل كل واحد منهما على صاحبه فلم تخط طعنة النصراني سرج ابن فضون واذا ابن فضون متعلق برقبة الفرس ونزل الى الارض لا شيء منه في السرج ثم طفر على سرجه وحمل عليه وضربه بالسوط في عنقه فالتوى على عنقه فجذبه بيده من السرج فاقتلعه من سرجه وجاء به يجره فألقاه بين يدي المستعين فعلم المستعين انه كان قد أخطأ في صنعه معه فأكرمه ورده الى أحسن أحواله أيها الاجناد أقلوا الخلاف على الامراء فلا ظفر مع اختلاف ولا جماعة لمن اختلف عليه قال الله تعالى ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم وأول الظفر الاجتماع وأول الخذلان الافتراق وعماد الجماعة السمع والطاعة وانما أتي علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم صفين من العصيان وكان قد ظهر أهل العراق على أهل الشام وتضعضعت صفوف معاوية فأحس بالشر وانه مغلوب فقال لعمرو بن العاص اذهب تخذ لنا الامان من ابن عمك يعني عليا فأدار عمرو الحيلة فأمرهم ان يرفعوا المصاحف في أطراف الرماح وينادون ندعوكم الى كتاب الله تعالى فلما رأى ذلك أصحاب علي كفوا عن الحرب فقال لهم علي رضي الله عنه أي قوم هذه مكيدة منهم ولم يبق في القوم دفاع فعصوه وتركوا القتال وكان ذلك سبب الحكمين واعلموا ان من أحزم مكايد الحرب ذكاء العيون واستطلاع الاخبار وافشاء الغلبة واظهار السرور واهانة الحذر والاحتراس من العدو وأن لا تخرج هاربا الى قتال ولا تضيق أمانا على مستأمن وقال بعض المصنفين كثرة التكبير عند اللقاء فشل غضوا الاصوات وتجلببوا السكينة وأكلوا الوئام واحتموا الجبن وادرعوا

الليل

ورجع الى أعين الناس حقيرا مجهولا فان رأى أن لا يسلب هذه الجوهرة منه بفضله وكرمه وسيادته وحسن شيمته فعل ذلك متطولا فلما سمع المأمون منه هذا الكلام مدحه وشكره وأجله في مرتبته ووقره وأمر له بمائة ألف درهم وحمله على فرس وأعطاه ثياب تجمل وكان كل مجلس يرفعه على جماعة الفقهاء حتى صار أرفع منهم درجة وأعلى منزلة وانما أوردنا هذه الحكاية لاجل نعت العقل لان العقل يوصل صاحبه الى كل درجة عالية ومرتبة سامية وان الجهل يحط صاحبه عن درجته ويهبطه عن مكانته

﴿حكاية﴾

يقال انه جاء في بعض الايام رجل الى باب دار ابي الدوانيق المنصور وقال للحاجب أعلم أمير المؤمنين ان بالباب رجلا من أهل الشام اسمه عاصم وهو يذكر انه كان في الزمان الماضي بينه وبين أمير المؤمنين مصاحبة مدة سنة أو أقل أو أكثر في التعليم والدروس وقد وصل الآن للسلام ولتجديد العهد بالامام فلما عرفه الحاجب بذلك أذن له فلما دخل وسلم ثقل قدومه على أبي الدوانيق لغثاثة منطقه وسوء أدبه فأجلسه وسأله وقال لاي حاجة قدمت

الليل فانه أخفى للويل الليل يكفيك الجبان ويصف الشجاع الليل المدد الاعظم الحازم يحذر عدوه على كل حال المواثبة ان قرب والغارة ان بعد والكمين ان انكشف والاستطراد اذا ولى الجهل قوة الجرأة من اغتر بقوته فقد وهن ليس من القوة التورط في الهوة لكن أشد ما كنت حذرا ما كنت عند نفسك أكثر قوة وعددا من استضعف عدوه اغتر ومن اغتر ظفر به عدوه أشعروا قلوبكم في الحرب الجرأة فانها سبب الظفر واذكروا الضغائن فانها تبعث على الاقدام والزموا الطاعة فانها أحصن المحارب اذا وقع اللقاء برز القضاء اذا التقى السيف السيف زال الخيار رب مكيدة أبلغ من نجدة رب كلمة هزمت عسكرا الصبر سبب النصر الظفر مع الصبر اجعل قتال عدوك آخر حيلك النصر مع التدبير لا ظفر مع بغي ولا تغتر بالاقوياء لفضل قوتهم على الضعفاء لا تجبنوا عند اللقاء لا تمثلوا عند القدرة ولا تسرفوا عند الظهور ولا تغلوا عند الغنائم نزهوا الجهاد عن عرض الدنيا

﴿الباب الثاني والستون في القضاء والقدر والتوكل والطلب﴾

اعلم وفقك الله تعالى ان مذاهب الخلق في القضاء والقدر وخلق الافعال وارادة الكائنات منتشرة ولا يخرج عن علمه وقضائه وقدره وحكمه حادث فمن خالفنا في القضاء والقدر وافقنا في العلم وقد تباين الخلق فيه وتشتت مذاهبهم وتقاطعوا فيه وتدابروا وكل حزب بما لديهم فرحون ولم نضع هذه الترجمة لاستيفاء ما قالوا والاحتجاج لكل فريق لان ذلك يستدعي مجلدات وأسفارا وانما نذكر في هذا الكتاب أحكاما ظاهرة قريبة من العقول لتقرب الفائدة على الناظر فيه فاعلم أولا ان كل ما يجري في العالم من حركة وسكون وخير وشر ونفع وضر وايمان وكفر وطاعة ومعصية بقضاء وقدر وكذلك لا يطير طائر بجناحيه ولا يدب حيوان على بطنه ورجليه ولا تطير بعوضة ولا تسقط ورقة الا بقضائه وقدره وارادته ومشيئته كما لا يجري شيء من ذلك الا وقد سبق علمه به ثم اعلم ان القدر والطلب لا يتنافيان والتوكل والكسب لا يتضادان وذلك أن تعلم أن كل ما قضى الله تعالى وقدره فهو كائن لا محالة كما ان ما علم الله تعالى انه يكون فهو كائن ومن خالفنا في القضاء والقدر وافقنا في العلم فرب أمر قدر الله تعالى وصوله اليك بغير طلب فهو واصل ورب أمر قدر وصوله اليك بعد الطلب فلا يصل الا بالطلب والطلب أيضا من القدر ولا فرق بين الامر المطلوب وبين الطلب في انهما مقدوران فمن ههنا قلنا انهما لا يتنافيان وكذلك التوكل مع الكسب لان التوكل محله القلب والكسب محله الجوارح ولا يتضاد شيئان في محلين بعد ما يتحقق العبد أن المقدور من قبل الله تعالى فان تعسر شيء فبتقديره وان اتفق فبتيسيره قال أنس جاء رجل على ناقة له فقال يا رسول الله أدعها وأتوكل فقال اعقلها وتوكل والتوكل والاعتصام بالقدر يستمدان من العقل والطلب والكسب يستمدان من الامر فالتوكل على الله تعالى هو الثقة بما عنده والقطع بكون ما حكم به فمن رام أمرا من الامور ليس الطريق في تحصيله أن يغلق بابه عليه ويفوض أمره الى ربه وينتظر حصول ذلك الامر بل الطريق ان يشرع في طلبه على الوجه الذي شرعه الله فيه وقد ظاهر النبي صلى الله عليه وسلم بين درعين واتخذ خندقا حول المدينة يستظهر به ويحترس من العدو وأقام الرماة يوم أحد ليحفظوه من خالد بن الوليد وكان يلبس لأمة الحرب ويعبي الجيوش ويأمرهم وينهاهم عاقبة مصالحهم واسترقى وأمر بالاسترقاء وتداوى وأمر بالمداواة وقال أنزل الداء الذي أنزل الدواء (فان قيل) قد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من استرقى أو اكتوى فقد برئ من التوكل (قلنا) أليس قد قال اعقلها وتوكل وظاهر بين درعين وسائر ما ذكرناه آنفا (فان قيل) فما الجمع بين ذلك (قلنا) معناه من استرقى واكتوى متكلا على الرقية والكي وان البرء من قبلهما خاصة فهذا يخرجه من التوكل وانما يفعله كافر يضيف الحوادث الى غير الله تعالى فأما من باشر الاسباب والادوية وتعاطى تدبير الامور بنفسه وأعوانه وماله على ما جرت به سيرة الله تعالى في أرضه وعادته في خلقه غير معتمد على شيء من ذلك بل هو واثق القلب أن ما حصل فبتقديره وما تعسر فبتقديره معتمدا في ذلك على المسبب

فقال لرؤيه أمير المؤمنين وصلة تلك الصحبة القديمة فأمر له بألف درهم فأخذها الرجل وانصرف ثم عاد بعد سنة وكان قد مات للمنصور ولد وهو جالس في عزيته فدخل الرجل وسلم عليه ودعا له فقال الخليفة فيم قدمت فقال أنا ذلك الرجل الذي كنت أتعلم معك العلم بالشام وقد أتيت معزيا لك برزيتك ومؤديا حق عزيتك فأمر له بخمسمائة درهم وكان أبو الدوانيق سفلا بخيلا ولم يكن في بني العباس أبخل منه ولهذا لقب بأبي الدوانيق ثم عاد ذلك الرجل اليه بعد سنة أخرى فلم يجد حجة يحتج بها في الدخول عليه الا انه دخل في جملة الناس وسلم فقال له الخليفة لاي سبب وصلت فقال أنا الرجل الذي كنت معك بالشام للتعليم وكتابة الاخبار واستماع الاحاديث وكنت قد كتبت معك دعاء للحاجة كل من دعا به في حاجة قضى الله حاجته وقد ضاع ذلك الدعاء مني وقد أتيت أمير المؤمنين لاكتب نسخة ذلك الدعاء واحفظه فقال له المنصور لا تتعب في طلب ذلك الدعاء فانه غير مستجاب فاني دعوت به منذ ثلاث سنين ليخلصني الله من صداعك فلم أخلص ولو كان مستجابا كنت قد خلصت منك فخجل ذلك الرجل لما سمع هذا

Reference: 12964. Copyright for this page: Creative Commons Attribution Licence

View on the Qatar Digital Library: http://www.qdl.qa/en/archive/qnlhc/12964.80

لا على الاسباب فهذا هو المتوكل لكن شرطه ان يمشى فى ذلك كله مع الاثر ولا يسلك طريقا فيه معصية فليس يستدرج ما عند الله بمعاصيه وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه من ابتغى أمرا بمعصية الله كان أبعد لما رجا وأقرب لمجىء ما تقى ومن ظن ان الطلب والاكتساب يناقض التوكل فقعد فى بيته وأغلق بابه متكلا على الله تعالى فى زعمه كان عن العقل خارجا وفى تيه الجهل والجا ويقال له قبحت يا هذا اذا جعت وحضر الطعام فهو الى الطعام أحوج منه الى المعرفة وينبغى لاهله أن يداووه ألا ترى أن الله تعالى قال لمريم وهزى اليك بجذع النخلة فهلا أمرها بالسكون ثم حمل الرطب الى فيها وهكذا القول فيمن له دابة أو بستان يؤمر بسقى البستان وحفره واصلاح شأنه ويؤمر بأن يعلف الدابة ويسقيها وأنشدوا

ألم تر أن الله قال لمريم * اليك فهزى الجذع تساقط الرطب

ولو شاء أجنى الجزع من غير هزها * اليها ولكن كل شئ له سبب

وهكذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا فلم يحمل أرزاقها اليها فى أوكارها بل ألهمها طلبه بالغدو والرواح وقد كان جهيل رئيس القند هار يرى من تصديق القدر وتكذيب الطلب دون أهل زمانه من الملوك ما عجزه عن الطلب والتدبير فأخرجه اخوته من سلطانه وقهروه على مملكته فقال له بعض الحكماء ان ترك الطلب يضعف الهمة ويذل النفس وصاحبه سائر الى أخلاق ذوات الاجحرة من الحيوان كالضب وسائر الحشرات تنشأ فى أجحرتها وفيه يكون موتها ثم جمعوا بين القدر والطلب وقالوا انهما كالعدلين على ظهر الدابة ان حمل فى واحد منهما أرجح مما حمل فى الآخر سقط وتعب ظهره وثقل عليه سفره وان عادل بينهما سلم ظهره ونجح سفره وتم بغيته وضربوا فيه مثلا عجيبا فقالوا ان أعمى ومقعدا كانا فى قرية بفقر وضر لا قائد للاعمى ولا حامل للمقعد وكان فى القرية رجل يطعمهما كل يوم احتسابا قوتهما من الطعام والشراب فلم يزالا فى عافية الى أن هلك المحتسب فأقاما بعده أياما فاشتد جوعهما وبلغ الضر منهما جهده فأجمعوا رأيهما على ان يحمل الاعمى المقعد فيدله المقعد على الطريق ببصره ويستقل المقعد بحمل الاعمى فيدوران فى القرية يستطعمان أهلها ففعلا فنجح أمرهما ولو لم يفعلا هلكا فكذلك القدر سببه الطلب والطلب سببه القدر وكل واحد منهما معين لصاحبه فأخذ جهيل فى الطلب فظفر بأعدائه ورجع الى ملكه فكان جهيل يقول لا بد عن الطلب اتكالا على القدر ولا تجهدن نفسك فى الطلب معتمدا عليه مستهينا بالقدر فانك اذا أجهدت نفسك بالطلب بوجوه التدبير المحمودة مصدقا بالقدر نلت ما تحاول ولم تلتو عليك الامور وان عملت بذلك فالتوى عليك أمر من مطلوبك فذلك من اعانة القدر وانك قد أتيت ذنبا فتفقد جوارحك واستكشف ظاهرك وباطنك وتب الى الله تعالى من كل ذنب أتيته بجارحة من جوارحك واخرج من كل مظلمة ظلمتها فاذا فعلت ذلك قابلك الحظ وساعدك القدر ان شاء الله تعالى * واعلم ان هذا الاصل الذى قررناه يخرج عليه كل ما ورد فى القرآن وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم من الامر بالتوكل على الله والتسليم اليه والتفويض له من ذلك ان سليمان الخواص تلا يوما قوله تعالى وتوكل على الحى الذى لا يموت فقال ما ينبغى لعبد بعد هذه الآية ان يلجأ الى أحد غير الله قلنا معناه لا يلجأ الى الاسباب اعتمادا عليها ولكن يلجأ اليها واثقا بأن الله تعالى يفعل ما يشاء كما أمر النبى صلى الله عليه وسلم بعقل الناقة ولبس درعين ألا ترى ان من يطلب الزرع والولد ثم قعد فى بيته لم يطأ زوجته ولا يبذر أرضه معتمدا فى ذلك على الله تعالى واثقا بأن تلد امرأته من غير وقاع وتنبت أرضه الزرع من غير بذر كان عن المعقول خارجا ولامر الله تاركا وللائمة والحكماء فى القدر ألفاظ بارعة على السبر والامتحان * منها ما روى ان على بن أبى طالب رضى الله عنه سئل عن القدر فأعرض عن السائل فأبى الا الجواب فقال على أخبرنى أخلقك الله كما شاء أو كما شئت فأمسك الرجل فقال على للحاضرين أترونه يقول كما شئت اذا والله

اضرب

الكلام وانما أوردنا هذه الحكاية لان الانسان اذا كان عالما ولم يكن له عقل سقط جاهه ومرتبته

(حكاية)

يقال ان فى ذلك العصر أيضا وصل رجل من مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم الى المنصور بحكم صداقة كانت بينهما قديما فلما رآه صار خليفة الزمان قدم عليه ووفد اليه وكان الرجل عاقلا لبيبا ولم يكن عالما فلما رآه قربه وأزلفه واستدعاه وقرب منزلته فقال ذلك الرجل يا أمير المؤمنين انا محب لك شديد المحبة والولاء مخلص فى الطاعة والولاء غير انى لا أصلح لخدمة الملوك فكيف ينبغى ان أزورك بحيث لا يظهر منى سوء أدب ولا أثقل على قلبك فقال له المنصور أخر الزيارة واذا زرتنى فاجعل بين زيارتك وانقطاعك مدة اذا غبت فيها لم انسك واذا حضرت لم أملك وازدادت عندى محبتك على ما كانت عليه واذا دخلت فاجلس بعيدا حتى يقربك الحاجب منى بالتدريج ولا تطل جلوسك فتنسب الى سوء الادب ولا تسأل حاجتك لئلا تثقل على قلبى واذا أحسنت اليك فاشكرنى فى كل مجلس تحل فيه وكل منزلة تنزلها بحيث اذا بلغنى ذلك سررت بشكرك وازددت

أضرب عنقه فقال الرجل كما شاء فقال على أيحييك كما شاء أو كما شئت قال كما شاء قال أيميتك كما شاء أو كما شاء فقال كما شاء قال أفيصيرك كما شاء أو كما شاء قال كما شاء قال أفيدخلك حيث تشاء أو حيث يشاء قال حيث يشاء قال قم فليس لك من الامر شئ وروى ان رجلا قدريا ومجوسيا تناظرا فقال القدرى للمجوسى مالك لا تسلم فقال المجوسى لو أراد الله تعالى لاسلمت فقال القدرى قد أراد الله تعالى ان تسلم ولكن الشيطان يمنعك قال المجوسى فأنا مع أقواهما وروى فى الاسرائيليات ان نبيا من أنبياء الله تعالى مر بفخ منصوب واذا طائر قريب منه فقال الطائر يا نبى الله هل رأيت أقل عقلا من هذا نصب هذا الفخ ليصيدنى فيه وأنا انظر اليه قال فذهب عنه ثم رجع فاذا الطائر فى الفخ فقال له عجبا لك أولست القائل آنفا كذا وكذا فقال يا نبى الله اذا جاء الحين لم يبق اذن ولا عين وقال رجل من الخوارج لعلى رضى الله عنه أرأيت من جنبنى سبل الهدى وسلك بى سبل الردى أأحسن الى أم أساء فقال له على ان كنت استوجبت عليه حقا فقد أساء وان كنت لم تستوجب عليه شيأ فهو يفعل ما يشاء (وقال) ميمون بن مهران لغيلان القدرى سل فاقوى ما تكونون اذا سألتم فقال غيلان أشاء الله أن يعصى فقال ميمون أيعصى كارها فانقطع غيلان وروى ان رجلا قال لبزرجمهر تعال نتناظر فى القدر فقال وما نصنع بالمناظرة فى القدر رأيت ظاهرا استدللت به على الباطن ورأيت أحمق مرزوقا وعاقلا محروما فعلمت ان التدبير ليس الى العباد وقال بعضهم

يخيب الفتى من حيث يرزق صاحبه * ويعطى المنى من حيث يحرم طالبه

ولما قدم موسى بن نصير بعد فتح الاندلس على سليمان بن عبد الملك فقال له يزيد بن المهلب أنت أدهى الناس وأعلمهم فكيف طرحت نفسك فى يدى سليمان فقال موسى ان الهدهد يهندس الماء فى الارض الفيافى ويبصر القريب منه والبعيد على بعده فى التخوم ثم ينصب له الصبى الفخ بالدودة أو الحبة فلا يبصره حتى يقع فيه وفى الاسرائيليات ان الهداهد كانت رائدة سليمان بن داود عليهما السلام الى الماء فتتقدم معسكره ثم تنظر الارض فتقول الماء ههنا على ألف قامة أو أقل أو أكثر فتبادر الجن تحفره فلا يلحق سليمان الا وقد استعد الماء واعلموا أن الهارب مما هو مقضى مقدر كالمتقلب فى كف الطالب وأنشد بعضهم

وإذا خشيت من الامور مقدرا * وفررت منه فنحوه تتوجه

ولبشار

طبعت على ما فى غير مخير * هواى ولو خيرت كنت المهذبا

أريد فلا أعطى وأعطى فلم أرد * وقصر علمى أن أنال المغيبا

وأصرف عن قصدى وعلمى مقصر * وأمسى وما أعقبت الا التعجبا

ولما وقع الطاعون بالكوفة فر ابن أبى ليلى على حمار له يطلب النجاة فسمع منشدا ينشد

لن يسبق الله على حمار * ولا على ذى منعة طيار

أو يأتى الحتف على مقدار * قد يصبح الله أمام السارى

فكر راجعا الى الكوفة وقال اذا كان الله أمام السارى فلات حين مهرب وأنشد بعضهم

أقام على المسير وقد أنيخت * مطاياه وغرد حاديها

وقال أخاف عادية الليالى * على نفسى وأن ألقى رداها

ومن كتبت منيته بأرض * فليس يموت فى أرض سواها

ولما قتل كسرى بزرجمهر وجد واقى منطقته كتابا فيه اذا كان القدر حقا فالحرص باطل واذا كان الغدر فى الناس طباعا فالثقة بكل أحد عجز واذا كان الموت بكل أحد نازلا فالطمأنينة الى الدنيا حمق وقال ابن عباس وجعفر بن محمد والحسن البصرى فى قوله تعالى وكان تحته كنز لهما انما كان الكنز لوحا من ذهب مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يوقن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وقال يحيى بن معاذ عجبت من ثلاث

فى برك ولا تذكر فى المجلس ما جرى بينى وبينك فى الزمان الماضى فقبل الرجل هذه الوصايا فكان يأتى فى كل سنة يمضى الى سلامه مرتين وكان الخليفة يعطيه فى كل مرة ألف درهم وانما ذكرت هذه الحكاية لتعلم ان من كان له عقل ولم يكن عالما فان عقله يكون له دليلا ومن كان ذا علم وليس له عقل عادت أموره جميعها منعكسة منقلبة ومن كان تام العقل والعلم كان فى الدنيا نبيا أو حكيما أو اماما فان جمال الانسان وعزه ومرتبته وصلاح أحوال دنياه وآخرته بالعقل وتمامه وتكامل صفاته وأقسامه كما قال الشاعر فى شعره

شعر

بالعقل ينال المرء أوج البدر والعقل به الجاه وسامى القدر

والعقل يفضل عار الوزر فى التاج مع نفاذ الامر

العقل أول الايمان ووسط الايمان وآخر الايمان وقال بعض القدماء ليس العقل ان الانسان اذا وقع فى أمر اجتهد فى حسن خلاصه منه بل العقل أن يجتهد أن لا يوقع نفسه فى أمر يحتاج الى الخلاص

٣ قوله والعقل يفضل الخ غير ظاهر المعنى ولا متزن فليحرر اهـ مصححه

Reference: 12964. Copyright for this page: Creative Commons Attribution Licence

View on the Qatar Digital Library: http://www.qdl.qa/en/archive/qnlhc/12964.81

رجل يريد تناول رزقه بتدبيره وهو يرى تناقض تدبيره ورجل شغله هم غده وعالم مفتون يعيب على زاهد مغبوط ومن عجيب ما نزل بالاسكندرية ان رجلا من خدمة السلطان غاب عن خدمته أياما فقبضه الشرط وحملوه الى دار السلطان فانساب منهم فى بعض الطريق ورمى فى بئر والمدينة مسربة تحت الارض بأسراب يمشى الماشى فيها قائما يخترقها ويدورها الان فى دورها آبارا على تلك السروب فما زال الرجل يمشى الى ان لاح له بئر مضيئة فطلع فيها واذا البئر فى دار السلطان فطلع الرجل فى دار السلطان فاذ به السلطان فكان فيه المثل السائر الفار من القضاء الغالب كالمنفلت فى يد الطالب وقال ابن مسعود ان الرجل ليشرف على الامر من الامارة والتجارة أو غيرها فذكره الله تعالى فوق سمواته فيقول للملك اصرف عن عبدى هذا الامر فانى ان أيسره له أدخله به جهنم فيظل يتغيظ على جيرانه فيقول سبقنى فلان وحسدنى فلان وما صرفه عنه الا الله تعالى وأنشدوا

قالوا تقيم وقد احا ٭ ط بك العدو ولا تفر

فاجبتهم الشيخ ما ٭ لم ينتفع بالعلم غر

لا نلت خيرا ما بقيـ ٭ ـت ولا عدانى الدهر شر

ان كنت أعلم ان غيـ ٭ ـر الله ينفع أو يضر

استأذن العقل على الجد فقال اذهب لا حاجة لى بك فقال العقل ولم فقال انك تحتاج الى ولا أحتاج اليك (وأوصى) حكيم ابنه فقال يا بنى رزقك الله جدا يخدمك به ذوو العقول ولا رزقك عقلا تخدم به ذوى الجدود وكان يقال افراط العقل مضر بالجد وروى ان رجلا خير فى أمر فابى أن يختار وقال أنا بجدى أرثق منى بعقلى فافرغوا وفى الامثال اسع بجد لا بكد اسع بجد أودع جدك لا كدك الجد لا الجد الجد أغنى من الكد واعلم ان زمام الامور التوفيق ولم ينزل من السماء الى الارض أقل من التوفيق وهو مقرون بالاجتهاد قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقد كنت جمعت فيه كتابا من جملة كتابى فى الامر وهل التوفيق مكتسب أو موهبة بلا سبب فلا مزيد عليه ومن لطيف ما وقفت عليه فى مجارى القضاء والقدر ان الهارب من المقدور كالمنفلت فى يد الطالب ما نزل فى مدينة الاسكندرية فى قضية الرجل الذى تقدم ذكره

﴿الباب الثالث والستون وهو جامع من أخبار ملوك العجم وحكاياتهم وهو يشتمل على خمسة فصول﴾

(الاول) يشتمل على أخبار رفعت الينا بعد الفراغ من الكتاب فالحقناها (والثانى) يشتمل على حكم لحكيم الفرس خاصة (والثالث) يشتمل على حكم حكيم السند خاصة (والرابع) يشتمل على حكم لحكيم العرب خاصة (والخامس) يشتمل على حكم مجموعة منتخبة رسمنا ذلك لتنظر فى عقول القوم واغراضهم ومنتهى مرامهم من كتاب جاويدان خرد الفارسى قال ثلاثة لا يصلح فسادهن بشئ من الحيل العداوة بين الاقارب وتحاسد الاكفاء والركاكة فى العقول وثلاثة لا يستفسد صلاحهن بنوع من المكر والحيل العبادة فى العلماء والقنوع فى المستبصرين والسخاء فى ذوى الاخطار وثلاث لا يشبع منهن الحياة والعافية والمال وقال ابن لقمان لابيه يا أبت ما الداء العياء قال رعونة مولودة قال فما الجرح الدوى قال المرأة السوء قال فما الحمل الثقيل قال الغضب ولما قرأ هذه الحكاية أبو عباد الكاتب وكان ظريفا فى أخباره قال والله الغضب أخف على من ريشة وكان أسرع الناس غضبا فقيل له اغاعنى لقمان ان احتمال الغضب ثقيل فقال لا والله لا يقوى على احتمال الغضب الا الجمل وغضب يوما على بعض أصحابه فرماه بدواة فشجه فجعل الدم يسيل فقال أبو عباد صدق الله العظيم حيث قال والذين اذا ما غضبوا هم يغفرون فاستدعاه المأمون وقال ويحك لا تحسن ان تقرأ آية من كتاب الله تعالى قال بلى والله يا أمير المؤمنين انى لاقرأ من سورة واحدة ألف آية فضحك المأمون وأمر باخراجه ٭ وقيل لانوشروان ما العقل قال القصد فى كل الامور وقيل فما المروءة قال ترك الريبة قيل فما السخاء قال ان تنصف من نفسك قيل فما الحق قال

﴿حكمة﴾
قال أبرويز الملك لولده احفظ الرعية لك فظلك العقل واصرف آفتك عن الرعية ليصرف العقل آفته عنك واعلم انك حكم بين الناس والعقل حكم عليك فكما ينبغى أن يقبل الناس أمرك فكذلك ينبغى أن تقبل أمر العقل

﴿حكمة﴾
كتب الوزير يونان كتابا الى العادل أنوشروان وأدى رسائل فى باب العقل وما يأمر به العقل فشكره أنوشروان وأمر أن يكتب اليه جوابا وقال أيها الحكيم لقد أحسنت فى تأدية رسالة العقل لانا ومن تقدمنا من الملوك انما تحلينا بالعقل فكيف يمكننا مخالفته فان العاقل أقرب الى الله تعالى عز وجل والعقل كالشمس فى الدنيا وهو قلب الحسنات والعقل حسن فى كل أحد وهو فى الاكابر والزعماء أحسن والعقل فى جسد الانسان كالرطوبة فى الشجرة لان الشجرة ما دامت رطبة طرية كان الخلق من اريجها ونشر ازهارها وطيب ثمارها ونضارتها وطراوتها فى سرور وغبطة ونزهة وفرحة فاذا جفت رطوبتها وقلت نضارتها فلا تصلح حينئذ لسوى القطع والاحراق والقلع وكذلك الانسان ما دام عقله فرعا وجسمه سليما فصحبته مباركة ومواصلته حسنة

الاغراق فى الذم والحمد وقيل لبعض الحكماء ما الحزم قال سوء الظن وقال بعضهم فى قوله الحزم سوء الظن قال انما أراد سوء الظن بنفسه لا بغيره قيل فما الصواب قال المشورة قيل فما الذى يجمع القلوب على المودة قال كف بذول وبشر جميل قيل فما الاحتياط قال الاقتصاد فى الحب والبغض وقال معاوية لزياد حين ولاه العراق يا زياد ليكن حبك وبغضك قصدا فان العثرة كامنة واجعل للرجوع والنزوع بقية من قلبك واحذر صولة الانهماك فانها تؤدى الى المهالك وهو مثل قول على بن أبى طالب رضى الله عنه أحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما وأبغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما ومن ذلك قول الاول

وأحبب حبيبك حبا رويدا ٭ فليس يعولك أن تصرما

وقال آخر

ولا تيأسن الدهر من حب كاشح ٭ ولا تأمنن الدهر صرم حبيب

وسئل بزرجمهر عن العقل فقال ترك ما لا يعنى قيل فما الحزم قال انتهاز الفرصة قيل فما الحلم قال العفو عند المقدرة قيل فما الشدة قال ملك الغضب قيل فما الخرق قال حب مغرق وبغض مفرط وقيل لبعض الملوك وبلغ فى المنزلة والقدر ما لم يبلغه أحد من ملوك زمانه ما الذى بلغ بك هذه المنزلة قال عفوى عند قدرتى ولينى بعد شدتى وبذلى الانصاف ولومى لنفسى وابقائى فى الحب والبغض مكانا للموضع الاستبدال وقال الاسكندر لبعض الحكماء وأراد سفرا أرشدنى لاحزم أمرى قال لا عاكن قلبك محبة الشئ ولا يستولين عليك بغضه واجعلهما قصدا فان القلب كاسمه يتقلب وله خاصية فى القلب تنزع وترجع واجعل وزيرك التثبت وسميرك التيقظ ولا تقدم الا بعد المشورة فانها نعم الدليل واذا فعلت ذلك ملكت قلوب رعيتك ملك استعباد قال الشاعر

وما سمى الانسان الا لانسه ٭ ولا القلب الا انه يتقلب

وقيل لبعض الحكماء ما الدليل الناصح قال غريزة العقل مع الطبع قيل فما القائد المشفق قال حسن المنطق قيل فما العناء المعى قال تطبيعك من لا طبع له وقال الفضل بن مروان سألت رسول ملك الروم عن سيرة ملكهم قال بذل عرفه وجرد سيفه فاجتمعت عليه القلوب رغبة ورهبة لا ينقص جنده ولا يحرج رعيته سهل النوال حزن النكال الرجاء والخوف معقودان فى يده قلت فكيف حكمه قال يرد الظلم ويردع الظالم ويعطى كل ذى حق حقه فالرعية اثنان راض ومغتبط قلت فكيف هيبتهم له قال يتصور فى القلوب فتغضى له العيون قال فنظر رسول ملك الحبشة الى اصغائى اليه واقبالى عليه وكانت الرسل تنزل عندى فقال لترجمانه ما الذى يقول الرومى قال يصف له ملكهم ويذكر سيرته فكلم الترجمان بشئ فقال لى الترجمان يقول ان ملكهم ذو أناة عند القدرة وذو حلم عند الغضب وذو سطوة عند المغالبة وذو عقوبة عند الاجترام قد كسا رعيته جميل نعمته وقصرهم بعنيف عقوبته فهم يتراءونه تراءى الهلال خيالا ويخافونه مخافة الموت نكالا وقد وسعهم عدله وردعهم سطوته فلا تمتهنه مزحة ولا تؤبسه غفلة اذا أعطى أوسع واذا عاقب أوجع فالناس اثنان راج وخائف فلا الراجى خائب الامل ولا الخائف بعيد الاجل قلت فكيف رهبتهم له قال لا ترفع اليه العيون أجفانها ولا تتبعه الابصار انسانها كان رعيته قطا فرفت عليها صقور صوائد قال فحدثت المأمون بهذين الحديثين فقال لى كم قيمتهما عندك قلت ألفا درهم قال يا فضل ان قيمتهما أكثر من الخلافة أما علمت حديث أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه قال قيمة كل امرئ ما يحسن أفتعرف أحدا من الخطباء البلغاء يحسن أن يصف أحدا من خلفاء الله الراشدين المهديين بمثل هذه الصفة قلت لا قال فقد أمرت لهما بعشرين ألف دينار معجلة لهما واجعل العذر مادة بينى وبينهما على العود فلولا حقوق الاسلام وأهله لرأيت اعطاءهما ما فى بيت المال الخاصة والعامة دون ما يستحقانه وقال الفضل ابن سهل كان عندى رسول ملك الروم وكان يحدثنى عن أخت للملك يقال لها خاتون قال أصابتنا سنة

نافعة فاذا زال عقله وغلب عليه جهله فحينئذ لا يصلح للصحبة ولا يستره غير الوفاة وقال أنوشروان كيف يسعنى أن أخالف العقل ولا أفعل ما يأمرنى به العقل فانه ليس لملك ولا لرعية خير من العقل فان بضيائه يفرق بين القبيح والمليح والجيد والردىء والحق والباطل والصدق والكذب وقال بزرجمهر شيآن لا يمكن وجودهما فى شخصين كاملين العقل والشجاعة

﴿حكمة﴾
وقال لقمان الحكيم مهما كان الرجل عالما فانه لا ينتفع بعلمه ما لم يكن العقل لعلمه مصاحبا

﴿حكمة﴾
سأل أنوشروان بزرجمهر من يجب أن يكون أعقل الناس قال العدو اذا عادانى فقال ولم قال لأمن اساءته وكل شئ اذا كثر هان الا العقل فانه كلما كثر كان صاحبه أعز

﴿حكمة﴾
وقيل لبزرجمهر أى شئ من الاشياء لا بد للانسان منه ولا مندوحة له عنه فقال العقل فقيل له ما قدر شئ لا يوجد فى أحد تاما كيف يعرف قدره وقال بعض الحكماء جميع الاشياء مفتقرة الى العقل والعقل يفتقر الى التجربة ولا غنى أعز من العقل ولا فقر أشد من الجهل وكل من كان علمه أوفر كانت حاجته الى العقل

Reference: 12964. Copyright for this page: Creative Commons Attribution Licence

View on the Qatar Digital Library: http://www.qdl.qa/en/archive/qnlhc/12964.82

احندم شواظها علينا بحرارة المصائب وصنوف الآفات ففزع الناس الى الملك فلم يدر ما يجيبهم به فقالت له خاتون أيها الملك ان الحزم علق لا يخلق جديده ولا يمتهن عزيزه وهو دليل الملك على استصلاح رعيته وزاجره عن استفسادها وقد فزعت رعيتك اليك لفضل العجز عن الالتجاء الى من لا تزيده الاساءة الى خلقه عزا ولا ينقصه العود بالاحسان اليهم ملكا وما أحد أولى بحفظ الوصية من الموصى ولا بركوب الدلالة من الدال ولا بحسن الرعاية من الراعى ولم تزل فى نعمة لم تغيرها نقمة وفى رضا لم يكدره سخط الى أن جرى القدر بما عمى منه البصر وذهل عنه الحذر فسلب الموهوب والسالب هو الواهب فعد اليه بشكر النعم وعذبه من قطيع النقم فى تنبه بنفسك ولا تجعل الحياء من التذلل للمعز المذل شركا بينك وبين رعيتك فتستحق مذموم العاقبة ولكن مرهم ونفسك بصرف القلوب الى الاقرار لله بكنه القدرة وتذليل الالسن فى الدعاء بمحض الشكر فان الملك ربما عاقب عبده ليرجعه عن شئ فعل الى صالح عمل وليبعثه على دؤب شكر يحوز به فضل أجر فامرها الملك ان تقوم فيهم فتنذرهم بهذا الكلام ففعلت فرجع القوم عن بابه وقد علم الله تعالى منهم الوعظ فى الامر والنهى فخال عليهما الحول وما بينهم مفتقد نعمة كان سلبها وتوازرت عليهم الزيادات بجميل الصنع فاعترف الملك لها بالفضل فقلدها الملك بعده ورجع الرعية على الطاعة لها فى المحبوب والمكروه فهذا فعل الله باعدائه وضرائر نعمته لما شكروه أعاد لهم من نعمه ما كان قد استرجع وزادهم من فضله ما تمنوه فكيف بمن يوحدونه ويؤمنون به لو صدقت نياتنا وصحت ضمائرنا وقال الواقدى توفى رسول بعض الملوك بدمشق فى خلافة هشام فوجد فى جيبه لوح من ذهب مكتوب فيه اذا ذهب الوفاء نزل البلاء واذا مات الاعتصام عاش الانتقام واذا ظهرت الخيانات امتحقت البركات وقال الوضاحى وجه أنوشروان رسولا له الى ملك قد أجمع على محاربته وأمره ان يتعرف سيرته فى نفسه ورعيته فرجع اليه فقال وجدت عنده الهزل أقوى من الجد والكذب أكثر من الصدق والجور أرفع من العدل فقال أنوشروان رزقت الظفر به سر اليه وليكن عملك فى محاربته بما هو عنده أضعف وأقل وأوضع فانك منصور وهو مخذول فسار اليه فقتله واستولى على مملكته وقال بزرجمهر المزح آفة الجد والكذب عدو الصدق والجور مفسدة الملك فاذا استعمل الملك الهزل ذهبت هيبته واذا استصحب الكذب استخف به واذا بسط الجور فسد سلطانه وكان نقش خاتم رستم وهو أحد ملوك الفرس الهزل مبغضة والكذب منقصة والجور مفسدة وقتل لبعض أصحاب اسفنديار رجل من الترك فأصيب فى عنقه لوح ذهب مكتوب فيه آفة الشدة التهيب وآفة المنطق الحياء وآفة كل شئ الكذب وقيل لبعض الحكماء ما قيمة الصدق قال الخلد فى الدنيا قيل فما قيمة الكذب قال موت عاجل قيل فما قيمة العدل قال ملك الابد قيل فما قيمة الجور قال ذل الحياة قال وسأل ملك الهند الاسكندر وقد دخل بلاده ما علامة الملك ودولته قال له الجد فى كل الامور قال فما علامة زواله قال الهزل فيه قال فما سرور الدنيا قال الرضا بما رزقت قال فما غمها قال الحرص على ما لعلك لا تناله وقال بزرجمهر ثلاث هن سرور الدنيا وثلاث هن غمها فاما السرور فالرضا بالقسم والرضا بالطاعة فى النعم ونفى الاهتمام بالرزق لغد وأما الغم فحرص مسرف وسؤال مجحف وتمنى ما يلهف ومر بعض الملوك بغلام يسوق حمارا غير منبعث وقد عنف عليه فى السوق فقال يا غلام ارفق به فقال الغلام يا أيها الملك فى الرفق به مضرة عليه قال وما مضرته قال تطول طريقه ويشتد جوعه وفى العنف احسان اليه قال وما الاحسان اليه قال يخف حمله ويطول أكله فاعجب الملك بكلامه وقال له قد أمرت لك بألف درهم قال رزق مقدور وواهب مأجور قال وقد أمرت باثباتك فى حشمى قال كفيت مؤنة ورزقت بها معونة قال لولا انك حديث السن لاستوزرتك قال لن يعدم الفضل من رزق العقل قال فهل تصلح لذلك قال انما يكون الحمد والذم بعد التجربة ولا يعرف الانسان نفسه حتى يبلوها قال فاستوزره فوجده ذا رأى صليب وفهم رحيب ومشورة تقع مواقع التوفيق قال وكتب الاسكندر الى

ارسطاطاليس

أكثروا المثل فى هذا كراع ضعيف معه قطيع كبير يضرب للعالم الذى لا يحفل لموقات العلماء العقل أمير وله جنود وجنوده التمييز والحفظ والفكرة والفهم وسرور الروح بالعقل لان به ثبات الجسم والروح سراج نوره العقل ثم ينبسط فى جميع الجسد والعاقل لا يغتم أبدا لانه لا يفعل ما يوجب الاغتمام ولا يهتم بأمر لا يجوز لمثله الاهتمام

﴿حكمة﴾

سئل ابن عباس رضى الله عنه العقل خير أم الادب فقال العقل لان العقل من الله تعالى والادب تكليف من العبد وسئل عبد الله بن المبارك العقل خير أم الادب فقال العقل فقيل له ما العقل فقال العقل تعلم العلم والعمل بالعلم ان تعلم انه ينبغى ان تعمل والعقل انك اذا علمت عملت قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ما قسم الله لعباده خيرا من العقل ونوم العاقل خير من عبادة الجاهل والعاقل المفطر خير من الجاهل الصائم وضحك العاقل خير من بكاء الجاهل

﴿حكمة﴾

قال رجل لاقليدس الحكيم لا أستريح أو اتلف روحك فقال أنا لا أستريح حتى أخرج الحقد من قلبك قال الحكيم كما يفوح من

ارسطاطاليس وقد نفذ فى الشرق والغرب وبلغ منهما ما لم يبلغه أحد قبله اكتب الى لفظا موجزا ينفع ويردع فكتب اليه اذا استولت بك السلامة فجدد ذكر العطب واذا اهتنتك العافية فحدث نفسك بالبلاء واذا اطمأن بك الامن فاستشعر الخوف واذا بلغت نهاية الامل فاذكر الموت فان أحببت نفسك فلا تجعلن لها فى الاساءة اليها نصيبا قال ووعظ بعض الحكماء ملكا فقال له أيها الملك ان الدنيا دار عمل والآخرة دار ثواب ومن لا يقدم لا يجد فهن نفسك حلاوة عيشها بترك الاساءة اليها واعلم ان زمام العافية بيد البلاء وأمن السلامة تحت جناح العطب وباب الامن مستور بالخوف فلا تكونن فى حال من هذه الثلاثة غير متوقع لاضدادها ولا تجعل نفسك غرضا لسهام الهلكة فان الدهر عدو ابن آدم فاحترز من عدوك بغاية الاستعداد واذا فكرت فى نفسك وعدوها استغنيت عن الوعظ (قال) وكتب الاسكندر على باب الاسكندرية أجل قريب فى يد غيرك وسوق حثيث من الليل والنهار واذا انتهت المدة حيل بينك وبين العدة فاحتل قبل المنع وأكرم أجلك بحسن صحبة السائقين واذا آنستك السلامة فاستوحش بالعطب فانه الغاية واذا فرحت للعافية فاحزن للبلاء فاليه تكون الرجعة واذا بسطك الامل فاقبض نفسك عنه بذكر الاجل فهو الموعد واليه المورد (وقال) ابن الاعرابى حدثنى من رأى بين اصبهان وفارس حجرا مكتوبا عليه العافية مقرونة بالبلاء والسلامة مقرونة بالعطب والامن مقرون بالخوف ولما ضرب أنوشروان عنق بزرجمهر لما رغب عن دين المجوسية وانتقل الى دين المسيح عليه السلام وجد فى منطقته كتابا فيه ثلاث كلمات اذا كان القدر حقا فالحرص باطل واذا كان الغدر فى الناس طباعا فالثقة بكل أحد عجز واذا كان الموت بكل أحد نازلا فالطمأنينة الى الدنيا حمق ولما تاب الله تعالى على النبى سليمان عليه السلام ورد عليه ملكه كتب على كرسيه اذا صحت العافية نزل البلاء واذا تمت السلامة نجم العطب واذا تم الامن علن الخوف (وحفر) حفير بفارس فوجد فيه لوح رخام فيه أربعة أسطر محفورة أولها أيها المعافى أبشر بالبلاء والثانى أيها السالم توقع العطب والثالث أيها الآمن خذاهبة الخوف والرابع أيها الموسر ان يبعد عنك العسر ولما نزل أبو مسلم مدينة سمرقند أتاه اسبهندها فقال أيها الملك ان بالقندهار حجرا مدفونا فيه ثلاثة أسطر وجدت فى الكتب ان سليمان بن داود عليهما السلام بعث به ودفن فى هذا الموضع ووجد انك أنت الذى تستخرجه وتعمل بما فيه فأمر به فأخرج فاذا أول سطر منه الحزم انتهاز الفرصة وترك الونا فيما يخاف عليه الفوت والسطر الثانى الرياسة لا تتم الا بحسن السياسة والسطر الثالث لم يقتل الآباء من ترك الابناء ولم يصب من لم يعب فكان أبو مسلم يقول علم جليل به تتم هذه الدولة ان لم يزل القدر بما يحول بيننا وبين الحذر فلم يزل يستعمل هذا الكلام الى ان قدم العراق فاعماه القدر عن الاستعانة بالحذر فقتله أبو جعفر المنصور ولما مر أبو مسلم قيل له ان بالحيرة نصرانيا قد أتت عليه مائتا سنة وعنده علم من العلم الاول فوجه اليه واتى به فلما نظر الشيخ الى أبى مسلم قال قد مت بالكفاية ولم تأل فى العناية وقد بلغت النهاية أحرقت نفسك لمن سبكت حملك وكان قد عاين ترمسك فبكى أبو مسلم فقال لا تبك فانك لم تؤت من حزم وثيق ولا من رأى رقيق ولا تدبير نافع ولا من سيف قاطع ولكن ما استجمع أحد لامله الا أسرع فى تقريب أجله قال فتى تراه يكون قال اذا تواطأ الخليفتان على أمر كان والتقدير فى يدى من يبطل معه التدبير وان رجعت الى خراسان سلمت وهيهات فاراد الرجوع فكتب اليه السلطان بالمضى ووجه اليه من يحثه فلولا ان البصر يعمى اذا نزل القدر لكانت هذه دلالة تقع موقع العيان وتبعث على التيقظ فى الحذر والاحتيال فى الهرب على ان لكل نفس غاية ولكل أمر نهاية (وقيل) لجالينوس وهو حكيم الطب وفيلسوفه وقد تمكنت منه العلة الا تتعالج فقال اذا كان الداء من السماء بطل الدواء واذا قدر الرب بطل حذر المربوب ونعم الدواء الاجل وبئس الداء الامل وقال بعض الغزاة فتحنا حصنا من بلاد الروم فرأينا فيه صورة الاسد من حجر مكتوب عليه الحيلة خير من الشدة والتأنى أفضل من العجلة والجهل

المنة الرائحة المنتنة كذلك يفوح من الجاهل نتونة الجهل فتضر به وبجيرانه وأقاربه

﴿حكمة﴾

سئل حكيم ما العقل فقال شداد وعقدة بين ثلاثة وعشرين شيأ فلولا هذه العقدة لاختلط الجيد بالردئ أولاها عقدة بين التوحيد والشرك وبين الايمان والكفر وبين الحذر والتهور وبين الاسلام والغفلة وبين اليقين والشك وبين العافية والبلاء وبين الكرم والبخل وبين حسن الخلق والفضاحة وبين التواضع والكبر وبين العداوة والصداقة وبين المدح والذم وبين السهو والجهل وبين الحياء والقحة وبين الحق والباطل وبين الرزانة والخفة وبين الظلمة والضياء وبين الكرامة والدولة وبين الطاعة والمعصية وبين ذكر الله تعالى والغفلة وبين الرضا والحسد وبين السنة والبدعة وبين الرحمة والقساوة وبين الحكمة والحمق قال صاحب الكتاب جميع محاسن الناس فى العقل وسائر العلوم والاعمال مرجعها الى العقل كما جاء فى الحكاية

﴿حكاية﴾

يروى ان الريح حملت كرسى سليمان عليه الصلاة

Reference: 12964. Copyright for this page: Creative Commons Attribution Licence
View on the Qatar Digital Library: http://www.qdl.qa/en/archive/qnlhc/12964.83

في الحرب أحزم من العقل والتفكر في العاقبة مادة الجزع (وقال) أحمد بن سهل وجه ملك الروم الى
هرون الرشيد بثلاثة أسياف مع هدايا كثيرة وعلى سيف منها مكتوب أيها المقاتل احمل تغنم
ولا تفكر في العاقبة فتهزم وعلى الثاني منها مكتوب اذا لم تصل ضربة سيفك فصلها بالقاء خوفك
وعلى الثالث مكتوب التأني فيما لا يخاف عليه الفوات أفضل من العجلة الى ادراك الامل وقال
الحسن بن سهل قرأت في كتاب جاويدان خرد ثلاث تبطل مع ثلاث الشدة مع الحيلة والعجلة مع التأني
والاسراف مع القصد (وقال) الخضر بن علي رأيت بعدن حجرا عليه مكتوب بالحميرية أيها الشديد احذر
الحيلة أيها العجول احذر التأني أيها المحارب تايس من الفكر في العاقبة أيها الطالب موجودا
لا تقطع أملك من بلوغه (وكتب) قيصر الى كسرى أخبرني بأربعة أشياء لم أجد من يعرفها واخالها عندك
أخبرني ما عدو الشدة وصديق الظفر ومدرك الامل ومفتاح الفقر فكتب اليه الحيلة عدو الشدة
والصبر صديق الظفر والتأني مدرك الامل والجود مفتاح الفقر (وقال) بعض الملوك لحكيم وأراد
سفرا أوقفني على أشياء من حكمتك أعمل بها في سفري فقال اجعل تأنيك زمام عجلتك وحلمك رسول
شدتك وعفوك ملك قدرتك وأنا ضامن لك قلوب رعيتك ان لم تخرجهم بالشدة أو تبطرهم بالاحسان
اليهم وقال الخضر بن علي قرأت في كتاب جاويدان خرد وهو أجل كتاب للفرس الحيلة أنفع من أقوى
الشدة وأقل التأني أجل من أكثر العجلة والدولة رسول القضاء المبرم واذا استبد الانسان برأيه
عميت عليه المراشد وكان الصنكان أبو بزرجمهر خامل القدر وضيع الحال مفهه المنطق فلما أتت لبزرجمهر
خمس عشرة سنة وحضر في مجلس الملك وقد جلست الوزراء على كراسيها والمرازبة في مجالسها وقف بحيال
الملك ثم قال الحمد لله المأمول نعمه المرهوب نقمه الدال عليه بالرغبة اليه المؤيد الملك بسعود في
الفلك حتى رفع شانه وعظم سلطانه وأنار به البلاد وأعاش به العباد وقسم له في التقدير وجوه التدبير
فرعى رعيته بفضل نعمته وحماها المؤيدات وأوردها المعشبات وذادها عن الآكلين والفها
بالرفق واللين انعاما من الله تعالى عليه وتثبيتا لما في يديه واسأله ان يبارك له فيما آتاه ويخير له فيما
استرعاه ويرفع قدره في السماء وينشر ذكره تحت الماء حتى لا يبقى له بينهما مناوي ولا يجد له فيهما
مداني وأستوهبه له حياة لا تنغيص فيها وقدرة لا شاذ عنها وملكا لا بؤس فيه وعافية تديم له البقاء
وتكثر له النما وعزا يؤمنه من انقلاب رعيته أو هجوم بليه فانه مولى الخير ودافع الشر فأمر الملك
فحشي فمه بثمين الجواهر ورفيعه ولم يدفع حداثة سنه مع نبيل كلامه أن استوزره وقلده تدبيره
وشره فكان أول داخل وآخر خارج (وقال) عمر بن عبد العزيز ما لله على العاقل نعمة بعد الاسلام
أفضل من مباينة هذه السفلة بالفهم والعقل ولو لم يكن هذا ما عرف الله تعالى الا بالجهل ألا ترى
ان الله تعالى خاطب أولي النهى وذوي الالباب وذوي البصائر ويجب على العلية ان يحمدوا الله تعالى
على مباينتهم هذه السفلة بالعقول والافهام كما يحمدونه على جميع النعم (وقيل) لمروان بن محمد
وهو آخر ملوك بني أمية ما الذي أصارك الى هذا قال الاستبداد برأيي لما كثرت علي كتب نصر بن سيار
أن أمده بالاموال والرجال قلت في نفسي هذا رجل يريد الاستكثار من الاموال والجند عما ظهر لي
من فساد الدولة قبله وهيهات أن ينتقض على خراسان فانتقضت دولته من خراسان وقال الواقدي
قال الفضل بن سهل لما دعي للمأمون في كور خراسان بالخلافة جاءتنا هدايا الملوك مسرورا بمكانه من
الخلافة ووجه ملك كابلستان شيخا يقال له ذوبان وكتب يذكر انه قد وجه بهدية ليس في الارض
أسنى منها ولا أرفع ولا أنبل ولا أفخر منها فعجب المأمون وقال سل الشيخ ما معه فسألته فقال ما معي
شيء أكثر من علمي قلت وأي شيء علمك قال رأي ينفع وتدبير يقطع ودلالة تجمع قال فسر
المأمون بذلك فأمر بانزاله واكرامه وكتمان أمره فلما اجمع على التوجه الى العراق لقتال أخيه قال
لذوبان ما ترى في التوجه الى العراق قال رأي وثيق وحزم مصيب وملك قريب فالسير ماض فاقض

مالنت

والسلام وجعلت تسير به
فلاح لسليمان بلد فأمر
الريح ان تحطه فرأى على
باب البلد مكتوبا أجرة
اجتهاد يوم درهم والحسن
والجمال في يوم أجرته مائة
دينار وعلم ساعة واحدة
لا تحصى قيمته وجميع
الاشياء منوطة بالعلم والعلم
أسير الرأي والتدبير
والرأي مع العقل توأمان
ومن أعطاه الله سبحانه
وتعالى العقل فقد آتاه خيرا
كثيرا كما قال الشاعر
(ان كنت من أصل جوهر
منسوب
في الحسن أو يوسف في
يعقوب)
فأما التي لها عادة الفأرة
فهي المرأة السارقة
التي تحمل كيس زوجها
وتسرق منه وتخبؤه في
بيوت جيرانها وتسرق منه
حنطته وأسبابه وتعطيه
للغزالات وأما التي لها عادة
الطير فهي التي تدور طول
نهارها وتقول لزوجها
ابن غضي ولا شك انك
ما تريد في وانك تحب غيري
ولست معي مستقيما ولا علي
مشفقا وأما التي لها عادة
الثعلب فانها التي يخرج
زوجها من البيت ونهارأته
في البيت غرضت وتعللت
واذا دخل زوجها فتحت
عليه الخصومة وابتدأته
بالنقار وتقول له تركتني
في البيت وحدي مريضة
وأما التي لها عادة الغنمة
فهي المباركة الرحيمة كالغنمة
التي كل شيء فيها منفعة

ما أنت قاض قال له فمن توجه قال الفتى الاعور الطاهر الاطهر يسير ولا يعتز قوي مرهوب مقاتل
غير مغلوب قال فكم توجه من الجند قال أربعة آلاف صوارم الاسياف لا ينتقصون العدد ولا
يحتاجون الى المدد فسر المأمون بذلك ووجه بطاهر بن الحسين قال وفي أي وقت يخرج قال مع طلوع
الفجر يجمع لك الامر ويصير الى النصر ذو مرمر بيع وقتل ذو ربيع وتفريق تلك الجموع والنصر له
لا عليه ثم يرجع الامر اليك واليه فظفر طاهر وكان له النصر وقتل علي بن عيسى وزير الامين واستولى
على عسكره وحاز أمواله فأمر الملك لذوبان بمائة ألف درهم فلم يقبلها وقال أيها الملك ان ملكي لم يوجهني
اليك لانقصك مالك فلا تجعل ردي انعمتك تسخطا وساقبل ما يفي هذا المال ويزيد عليه قال المأمون وما
هو قال كتاب يوجد بالعراق فيه مكارم الاخلاق وعلوم الآفاق من كتب عظيم الفرس فيه شفاء
النفس من صنوف الآداب عمالبس في كتاب عند عاقل لبيب ولا فطن أريب يوجد تحت ايوان بالمدائن
فيقاس بالذرعات في وسط الايوان لا زيادة ولا نقصان فاحفر المدر واقلع الحجر فاذا وصلت الى الساجه
فاقلعها تجد الحاجة ولا تلزم لغيرها فيلزمك غب ضرها فأرسل المأمون الى ايوان كسرى فحفر وافي
وسطه فوجد واصندوقا صغيرا من زجاج عليه قفل منه فحمل الى المأمون فقال لذوبان هذا بغيتك
قال نعم أيها الملك قال خذه فأخذه وانصرف فتكلم بلسانه ونفخ في القفل فانفتح فأخرج منه خرقة ديباج
فنشرها فسقط منها أوراق فعدها فاذا هي مائة ورقة ولم يكن في الصندوق شيء غيرها فأخذ الاوراق وانصرف الى
منزله قال الفضل بن سهل فجئته فسألته فقال هذا كتاب جاويدان خرد تأليف كيهوروز بن ملك
ايران شهر فطلبت منه شيئا فدفع الي ورقات منه ووجهها الى الخضر بن علي ثم أخبرت المأمون فقال احمل
الي الورقات فحملتها اليه فقرأها فقال والله هذا الكلام لا ما نحن فيه من لي اللسان

﴿فصل﴾ من نوادر بزرجمهر حكيم الفرس تعظي النصحاء ووعظني الوعاظ شفقة ونصيحة وتأديبا
فلم يعظني أحد مثل شيبي ولا نهاني مثل فكري ولقد استضأت بنور الشمس وضوء القمر فلم أستضئ
بشيء أضوأ من نور قلبي وكنت عند الاحرار والعبيد فلم يملكني أحد ولا قهرني غير هواي وعاداني الاعداء
فلم أر أعدى لي من نفسي اذا جهلت واحترزت لنفسي بنفسي من الخلق كلهم حذرا عليها وشفقة
فوجدتها أشر الانفس لنفسها ورأيت انه لا يأتيها الفساد الا من قبلها وزحمني المضايق فلم يزحمني مثل
الخلق السوء ووقعت من أبعد البعد وأطول الطول فلم أقع في شيء أضر علي من لساني ومشيت على
الجمر ووطئت على الرمضاء فلم أر نارا أحر من غضبي اذا تمكن مني وطالبني الطلاب فلم يدركني مدرك
مثل اساءتي ونظرت ما الداء القاتل ومن أين تأتي فوجدته من معصية ربي سبحانه والتمست الراحة لنفسي
فلم أجد شيئا أروح لها من تركها ما لا يعنيها وركبت البحار ورأيت الاهوال فلم أر هولا مثل الوقوف على
سلطان جائر وتوحشت في البرية والجبال فلم أر مثل القرين السوء وعالجت السباع والضباع والذئاب
وعاشرتها وعاشرتني وغلبتها فغلبني صاحب الخلق السوء وأكلت الطيب وشربت المسكر وعانقت الحسان
فلم أجد شيئا ألذ من العافية والامن وتوسطت الشياطين والجبال والسباع فلم أجزع الامن الانسان السوء
وأكلت الصبر وشربت المر فلم أر شيئا أمر من الفقر وشهدت الحروب ونعية الجيوش وباشرت السيوف
وصارعت الاقران فلم أر قرنا أغلب من المرأة السوء وعالجت الحديد ونقلت الصخر فلم أر حملا أثقل من
الدين ونظرت فيما يذل العزيز ويكسر القوي ويضع الشريف فلم أر أذل من ذي فاقة وحاجة ورشقت
بالنشاب ورجمت بالحجارة فلم أر أنفذ من الكلام السوء يخرج من فم طالب بحق وعمرت السجن وشددت
في الوثاق وضربت بعمد الحديد فلم يهدمني مثل ما هدمني الغم والهم والحزن واصطنعت الاخوان وانتخبت
الاقوام للعدة والشدة والنائبة فلم أر شيئا أخير من التكرم عندهم وطلبت الغنى من وجوهه فلم أر أغنى
من القنوع وتصدقت بالذخائر فلم أر صدقة أنفع من رد ذي ضلالة الى هدى ورأيت الوحدة والغربة والمذلة
فلم أر أذل من مقاساة الجار السوء وشيدت البنيان لاعتز به وأذكر فلم أر شرفا أرفع من اصطناع المعروف

وكذلك المرأة الصالحة
الكثيرة النفع المشفقة على
بعلها وجيرانها وقرابتها
وأهل بيتها وأولادها
المطيعة لربها تعالى (فصل)
واعلم ان ديانة المرأة وسترها
نعمة من نعم الله تعالى على
عبده وهيهات ان يقدر
على المرأة العفيفة طامع
كما جاء في الحكاية (حكاية)
يقال انه أراد رجل فاسق
ان يكابر امرأة عفيفة
بالحرام فقال لها امضي
واغلقي أبواب الدار جميعها
وأحكمي اغلاقها فمضت
المرأة ثم عادت فقالت قد
غلقت سائر الابواب
وأوثقت اغلاقها سوى
باب واحد فقال أي الابواب
ذلك الباب فقالت تلك
الابواب التي بيني وبين
الخلق قد أغلقتها وقد بقي
الباب الذي بيني وبين
الخالق جلت عظمته ما
قدرت عليه ولا استطعت
ان أغلقه وهو بحاله
مفتوح فوقع في نفس هذا
الرجل من هذا الكلام
الهيبة فأخلص لله التوبة
واقلع عن ذنبه وعاد الى
طاعة ربه الاعلى

﴿حكاية مثلها﴾

يقال انه كان رجل علوي
بسمرقند بعض الايام قاعدا
على باب داره فاجتازت
عليه امرأة ذات حسن
وجمال وكان الدرب خاليا
فقبض العلوي على زند
المرأة وجذبها الى داخل
الدار وهم ان يفسد معها

Reference: 12964. Copyright for this page: Creative Commons Attribution Licence

View on the Qatar Digital Library: http://www.qdl.qa/en/archive/qnlhc/12964.84

ولبست الكساء الفاخرة فلم ألبس شيأ مثل الصلاح وطلبت أحسن الاشياء عند الناس فلم أجد شيأ أحسن من حسن الخلق وسررت بعطايا الملوك وحباتهم فلم أسر بشئ أكثر من الخلاص منهم

﴿فصل﴾ ومن حكم شاناق الهندى من كتابه الذى سماه منتحل الجواهر للملك ابن قابس الهندى يا أيها الملك اتق عثرات الزمان وتخش تسلط الايام ولوم غلبة الدهر واعلم أن للاعمال جزاء فاتق العواقب وللايام عثرات فكن على حذر وللاقدار مغيبات فاستعد لها والزمان منقلب فاحذر دولته لئيم الكرة فخف سطوته سريع الغرة فلا تأمن دولته واعلم ان من لم يداو نفسه من سقام الآثام فى أيام حياته فما أبعده من الشفاء فى دار لا دواء لها بها ومن أذل حواسه واستعبدها فيما يقدم من خير لنفسه بان فضله وظهر نبله ومن لم يضبط نفسه وهى واحدة لم يضبط حواسه وهى خمس واذا لم يضبط حواسه مع قلتها وذلتها صعب عليه ضبط الاعوان مع كثرتهم وخشونة جانبهم فكانت عامة الرعية فى نواحى البلاد وأطراف المملكة أبعد من الضبط فليبدأ الملك بسلطانه على نفسه فليس من عدو احق ان يبدأ بالقهر من نفسه ثم يشرع فى قهر حواسه الخمس لان قوة الواحدة منهن دون صواحبها لقد تأبى على النفس القوية الحذرة فكيف اذا اجتمعت خمس أنفس على واحدة واعلم ان لكل واحدة منهن ثمرة ليست للاخرى فيزها سلم من شرها واغتنام الحيوان بالشهوات ألا ترى أن الفراش يكره الشمس فيسكن من حرها ويعجبه ضياء النار فيدنو منها فتحرقه والظبى على نفار قلبه وشدة حرصه ينصت للسماع الموثق الملهى فيمكن القانص من نفسه وذباب الورد المتتبع لطيب الاراييج يطلب ما يقطر من أذن الفيل لطيب رائحته وانه فى طيب رائحة المسك فيلهيه طيب الرائحة عن الاحتراس من تحريك الفيل اذنه فيتولج فى أصل اذنه فتقع عليه ضربة الاذن فتقتله والسمك فى البحر تحمله لذة الطعم ان يبتلعه فتحصل الصنارة فى جوفه فيكون فيه حتفه (وذكر الحكيم) ان خصال الامور المعروفة قتالة بالافراط فيها ما لو كان معروفين فالصيد مات فيه قيد الملك والافراط فى العهارمات منه سبب المال والافراط فى المكرمات فيه حارق الملك وشدة الحرص مات منه مهريق الملك والغضب أمرضى الملك والطمع وائل والفرح والطيات والانفة وابليس والتوانى زمير بهروا أخلاق بخصال أهلكت ملوكا كان يجتنبها الملوك * واعلم ان الرعية تستطى الى الملك العادل استطاء أهل الجدب الى الغيث ويتعشون بطلعته عليهم كانتعاش النبات بما يناله من القطر بل الرعية بالملك العادل أتم نفعا منها بالغيث لان لمنفعة الغيث وقتا معلوما وعدل الملك على الدوام لا يتعين له وقت ويحسن بالملك ان يشبه نضارة تدبيره بطباع ثمانية أشياء وهى الغيث والشمس والقمر والريح والنار والارض والماء والموت فاما شبه الغيث فتواتره فى أربعة أشهر من السنة ومنفعته لجميع السنة كذلك ينبغى للملك ان يعطى جنده وأعوانه فى الاربعة أشهر تقدير التتمة السنة فيعمل رفعهم ووضعهم فى الحق الذى يستوجبونه بمنزلة كما يسوى المطر بين كل أكمة مشرفة وغائط مستفل ويغمر كلا من مائه بقدر رحبه ثم يستقصى الملك فى الثمانية الاشهر حقوقه من غلاتهم وخراجهم كما تنضن الشمس بحرها وشدة فعلها نداوة الغيث والامطار فى الاربعة الاشهر وأما شبه الريح فان الريح لطيفة المداخل تسرح فى جميع المنافذ حتى لا يفوتها مكان كذلك الملك ينبغى أن يتولج قلوب الناس بجواسيسه وعيونه لا يختفون عنه بشئ حتى يعرف ما يأتمرون به فى بيوتهم وأسواقهم وكالقمر اذا استهل أيامه فأضاء واعتدل نوره على الخلق وسر الناس بضوئه ينبغى أن يكون الملك بهجته وزينته واشراقه فى مجالسه وايناسه رعيته ببشره فلا يخص شريفا دون وضيع بعدله وكالارض فى كتمان السر والاحتمال والصبر والامانة وكالنار على أهل الدعارة والفساد وكعاقبة الموت فى الثواب والعقاب يكون ثوابه لا يقصر عن اقامة حد ولا يتجاوزه وكالماء فى لينه لمن لاينه وهدمه واقلاعه عظيم الشجر لمن حاربه * واعلم انه قد يكتنف السلطان من شرار الناس والاعوان على الحاجة اليهم من يستبشع ويستنكره كالحيات تكتنف بالصندل فيقتلها الصندل بطيب رائحته وبرده ويبسه وينتفع الصندل

١٣

بها اذ لا يقرب منه من يريد أن يقطعه * لكن فيك مع تلطفك تشديد البلاء فلا يغترا عليك فان القمر يستنار بضوئه ويظهر له لكن الشمس يستظل من حرها ويسكن اليها وقد قالت العرب فى مثل هذا الا تكن حلوا فتسترط ولا مرا فتلفظ اجعل لكل طبقة من أعدائك أشباههم من أعوانك يسوسونهم فانهم كالماء فى الاذن لا حيلة فى اخراجه الا بأرفق من الماء الذى هو من جنسه * اذا عاديت رجلا فلا تعادجنده واستبق من دونه أحدا فعسى تنتفع به فان السيف القاتل من جنس الدرع الواق ولا تطمعن فى الكذوب والمطبوع على الشر أن تعطفهما بالاحسان فانهما كالقرد كلما امن باطعام الحلاوة والدسم ازداد وجهه قبحا * قد يرد الواحد كبد الجميع اذا كان عاقلا كما يرد الظل حر شعاع الشمس اذا كان وافيا غاية أرى الناس ان يقتل بسهمه واحدا لكن رمية عاقل ذهن تقتل الجيش بأسره والملك الشريف العاقل لا يتقد فيه قدح أهل البغى من انقطع اليه ولزمه كان كالجوهر المضىء بنوره لا تطفئه عصوف الرياح من كان قابلا لما يورد عليه فى اصغائه الى كل قول يسمعه كان كالسراج يميل بكل ريح لينه ثم لا يلبث ان عصفت الرياح أن يطفأ * تدبير الملك الحازم فى سلطانه كتعاهد صاحب البستان بستانه يخرج ناحل عيدانه وشوك شجره فيحيط به على ثمره وزرعه ليقيه من الشر والفساد كما يقضب الملك أهل الشكيمة والشوكة فيجعلهم فى أقاصيه وحدوده ردأ للمملكة * وليكن الملك أحذر ما يكون آمن ما يكون (قلت) وقد صدق الشاعر

أأمنتم ريب المنون فمتم * رب خوف مكمن فى أمان

ألا ترى ان بهرشان الملك أنامت المرأة على فراشه رجلا فلما رام فراشه وثب عليه فقتله وباسراج الملك قتلته بخلخال مسموم ودروف الملك قتلته امرأته بعد يتخبأتها فى عقاصها واعلم ان العدو قد علم منك مواضع الحذر وحالات الامن واغتنام رصده لك فى حالات الامن والمواضع التى تظن العدو لا يكمن فيها فكن أحذر ما يكون فيها وسائر حكم هذا الباب قد قدمتها فى تراجم كتابنا

﴿فصل﴾ قال غيره لا ينبغى للملك ان يكون له أيام معلومة يظهر فيها فان فى ذلك خصالا مذمومة منها انه قد يعوق عن ذلك اليوم ممليهم أو بعض كسل أو لذة مغتنمة فيلزمه الخروج على كره ومنها أنها اذا تخلف عن الظهور فى ذلك اليوم لامر ما تأولت الاعناق من الرعية وكثر كلامهم والوا مرض أو مات أو أصابته آفة فيكسب العدو جرأة وسرورا ويكسب الولى حزنا وجبنا ومنها انه قد يواعد عدوه ليوم يلتقيان فيه فلا يتم له ذلك * ولا ينبغى ان يكون الملك كثير التصرف عند فساد الزمان وخبث الرعية وعن هذا قالت الحكماء اذا كان الحمل كثير القفز كان نصيب الذئب

﴿فصل﴾ من نوادر كلام العرب من حكم أكثم بن صيفى وهذا رجل كان له عقل وعلم ومعرفة وتجربة وقد علق الناس عنه حكما لطيفة والفوافيها تصانيف فى حكمه قال من فسدت بطانته كان كمن غص بالماء أفضل من السؤال ركوب الاهوال من حسد الناس بدأ بمضرة نفسه العديم من احتاج الى لئيم من لم يعتبر فقد خسر ما كل عثرة تقال ولا كل فرصة تنال لا وفاء لمن ليس له حياء قد يشهر السلاح فى بعض المزاح من وفى بالعهد فاز بالحمد الموت بدنو والمرء يلهو طول الغضب يورث الوصب رب عتق شر من رق من اصطنع قوما احتاج اليهم يوما الكذب بهت والحلف مقت من لم يكف أذاه لقى ما ساء الحر يتقاضى لك من نفسه واللئيم يستحسن تسويفه وحبسه ليس بانسان من ليس له اخوان أنت عزرد بنفسك ان صحبت من هو دونك عليك بالمجاملة لمن لا تدوم له مواصلة فى الاسفار يبدو الاختبار أفقد كل حسب من ليس له أدب أفضل الفعال صيانة العرض بالمال ليس من عادة الجهول بذى معقول ليس للملهف مثل الرد من جالس الجهال فليستعد لقيل وقال ما جلا عنك النسيان مثل البيان ولا نفى عنك البهتان مثل البرهان لم ينج من الموت غنى لماله ولا فقير لاقلاله اذا أردت طرد الحر فسمه الهوان كثرة العلل آية البخل كفر النعمة لؤم وصحبة الاحمق شؤم ان من الكرم لين الشيم اياك والخديعة فانها خلق لئيم أمحض أخاك النصيحة حسنة كانت أو قبيحة رب ساب قد هاجه العتاب الصدود آفة المقتسب

فقالت له المرأة أسألك مسئلة أجبنى عنها وافعل ما بدا لك فقال اذكرى ماتريدين فقالت اذا أنت وطئتنى حراما وحبلت منك وولدت ولدا هل يكون ذلك الولد علويا أو خبيثا عاميا فقال انه يكون علويا فقالت المرأة لا شك انك أنت من خبوث العلويين ولو لم تكن خبيثا لم تفعل مثل هذا فخجل العلوى فى الحال ورفع يده عنها ونذر على نفسه لله نذرا انه لا يعود ينظر الى امرأة محرمة عليه نظر فساد وينبغى ان يكون الرجل صاحب حمية وغيرة على حرمه ونسائه فان الحمية من الدين الى حد انه لا يجوز للرجل الاجنبى ان يسمع دق المرأة الاجنبية بالهاون واذا دق رجل أجنبى باب الدار فلا يحل لامرأة ان تجيبه بلين وسهولة لان قلوب الرجال تتعلق بأقل الاشياء وأكثرها وان كان لا بد للمرأة أن تجيبه فلتضع أصبعها فى فمها ولتجيبه ليصير صوتها شبيها بصوت العجائز ولا يجوز للنساء أن ينظرن الى الرجال الاجانب ولو كان المنظور أعمى وجاء فى الخبر ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دخل الى بيت عائشة رضى الله عنها فرأى عبد الله ابن أم مكتوم قاعدا عند النساء فقال يا عائشة رضى الله عنها لا يحل للمرأة ان تقعد عند غير ذى محرم فقالت يا رسول الله انه أعمى فقال ان كان لا يراك فانك تراينه

﴿حكاية﴾

يقال ان الحسن البصرى رحمة الله عليه قصد زيارة رابعة العدوية رضى الله عنها فى جماعة من أصحابه فلما وصلوا الباب قالوا أتأذنين لنا فى الدخول فقالت أمهلوا ساعة وجعلت الكساء بينها وبينهم سترا واذنت لهم فدخلوا وسلموا عليها فاجابتهم من وراء الستر فقالوا لم علقت بيننا وبينك سترا فقالت أمرت بذلك فى قوله تعالى فاسئلوهن من وراء حجاب وواجب على الرجل ان لا ينظر الى امرأة أجنبية بحال فانه قيل ان يجازى به فى الآخرة يجازى به فى الدنيا كما جاء فى الحكاية

﴿حكاية﴾

كان بمدينة بخارى رجل سقاء يحمل الماء الى دار رجل صائغ مدة ثلثين سنة وكان لذلك الصائغ زوجة فى نهاية الحسن والجمال والظرف والكمال معروفة بالديانة موصوفة بالستر والصيانة فجاء السقاء على عادته يوما وقلب الماء فى الباب وكانت المرأة قائمة فى وسط الدار فدنا منها السقاء وأخذ بيدها ولواها

Reference: 12964. Copyright for this page: Creative Commons Attribution Licence

View on the Qatar Digital Library: http://www.qdl.qa/en/archive/qnlhc/12964.85

الحرمان التوانى من سأل فوق قدره استحق الحرمان ليس كل طالب يصيب ولا كل غائب يؤب ان من الفساد اضاعة الزاد من حلم ساد ومن تفهم ازداد لا ترغب فيمن يزهد فيك رب بعيد أقرب من قريب المزاح يورث الضغائن سل عن الرفيق قبل الطريق وعن الجار قبل الدار غناك خير من معين غيرك من أجدّ المسير أدرك المقيل استر عورة أخيك لما يعلم فيك لا تكثر من المزاح فتذهب هيبتك ولا من الفضل فيستخف بك من أكثر من شئ عرف به كفى بالحلم ناصرا المنة تهدم الصنيعة نعم الشئ الهدية بين يدى الحاجة ربما نصح غير الناصح وربما غش المنتصح الكلام فيما ينفعك خير من السكوت والسكوت عما يضرك خير من الكلام لا يغرنك من جاهل قرابة ولا جوار ولا الف فان أقرب ما تكون من النار قربا أقرب ما تكون منها تلهبا رفض أهل الدناءة تلزمك المهابة دع مجالسة أهل الريب على كل حال فانك ان بسلم دينك لم تسلم من سوء المقال الكرم شكر البلاء واللؤم كفر النعمة أكرم الصنائع سلامة الصدور لن تسلم من الناس حتى يسلموا منك من عدم الايمان لم تزده الرواية فقها الحزن مفسدة للعقل ومقطعة للحيلة كثرة النوم اماتة للقلب شدة الحذر تدل على ضعف اليقين محادثة الحمق والسفهاء تورث سوء الخلق الدليل على الحمق اعجاب المرء بعقله من لم يسمع الحديث فارفع عنه مؤنته من حدث من لا يفقه كمن قدم مائدة لاهل القبور من قطع عليك الحديث فلا تحدثه فليس بصاحب أدب من عرف بالصدق جاز كذبه ومن عرف بالكذب لم يقبل صدقه من وصل من يحسده قوى عدوه وقصر بنفسه اغتفر زلة صديقك من غضب من غير شئ رضى من لا شئ من غضب على من لا يقدر عليه طال حزنه الرجل عبد هواه لولا جهل الجاهل ما عرف عقل العاقل من خاف ربه كف ظلمه كل الفقير جهلا كم نمنح الغنى فضيحته من لم يتورع فى كلامه أظهر فجوره كل شئ لا يوافق الاحمق فاعلم انه صواب اذا غلبتك امرأتك فاهدها فانها اعدوك من لم يعرف الخير من الشر فالحقه بالبهائم من طلب ما عند البخيل مات جوعا جار الرجل الجواد كمجاور البحر لا يخاف العطش وجار البخيل فى المفازة هالك اذا لم تنتفع بمصادقة الاحياء فأنت أهل القبور من عادى من فوقه ابغضه من تحته الرزق مقسوم والحريص محروم من كثر كلامه على المائدة غش بطنه وأبغضه أصحابه العلم زين ومنفعة والجهل شين ومضرة الجاهل يستطعم الشر والعاقل يمنع نفسه من الشر من لم يرغ للثناء فليس له نصيب فى المروءة اذا كان لك جار أو صديق لا ينتفع به فصوره مثله فى الحائط فانه أزين للحائط وأخف للمؤنة العاقل يرغب فى الادب والجاهل يهرب منه العاقل اذا فاته الادب لزم الصمت لا تستنطق من تكذبه العاقل يتهم رأيه فى نفسه والجاهل يقيم على جهله من لم تملكه عقله لم يملك نفسه من أظهر محاسنه ودفن مساويه كل عقله من غلب هواه عقله افتضح من استشاره عدوه فى صديقه أمر بقطيعته مصادقة الكرام غنية ومصادقة اللئام ندامة لا تدخل على صديقك التهمة فيرجع لك عن النصيحة اذا انقطع رجاؤك عن صديقك فالحقه بعدوك من طلب مرضاة الاخوان بغير شئ فليصادق أهل القبور العاقل ليس فى مصادقته مخادعة رأس مال الاحمق الخديعة وفائدتها الغضب والحليم رأس ماله الصمت وفائدته الحلم اذا جهل عليك الاحمق فالبس له سلاح الرفق واللطف صديق كل امرئ عقله وعدو كل امرئ حمقه من أنزل نفسه عاقلا أنزله الناس جاهلا من قنع بكذب الثناء أظهر للناس رقاعته السكوت عن الاحمق جوابه السكوت زين الاحمق والكلام يشينه من استطال عليك عليه وتحلى بفضله فلا أكثر الله فى الناس مثله الجواد محبب والبخيل مبغض اذا احتاج البخيل مؤنة أبدى لك الحرمان والعداوة البخيل يمنع ماعنده ويبخل على الجواد بجوده من طلب من البخيل حاجة فهو شر منه من بذل البخيل صلته ورفع عنه مؤنته دامت له مودته ضيف البخيل آمن من التخمة من طلب من لئيم حاجة كمن طلب السمك فى المفازة عدة الكريم نقد وعدة اللئيم تسويف الكريم يواسى اخوانه فى دولته واللئيم يقطعهم لا تخضع للئيم فانه لا يعطيك انما الصديق الذى يبذل لك ماله عند الحاجة ونفسه عند البلية

ويحفظك

وفركها وعصرها ثم مضى وتركها فلما جاء زوجها من السوق قالت له أريد ان تعرفنى أى شئ صنعت اليوم فى السوق لم يكن لله تعالى فيه رضا فقال الرجل ما صنعت شيأ فقالت المرأة ان لم تصدق وتعرفنى ما أقعد فى بيتك ولا تعود ترانى ولا أراك فقال اعلمى ان فى يومنا هذا أتت امرأة الى دكانى فصنعت لها سوارا من ذهب فأخرجت المرأة يدها ووضعت السوار فى ساعدها فتحيرت من بياض يدها وحسن زندها فتذكرت هذا المثنوى * فى ساعدها سوار تبر وار * كالنار يلوح فوق ماء جارى * هل يخطر فى هواجس الافكار * ماء وله منطقة من نار * ثم أخذت يدها فعصرتها ولويتها فقالت المرأة الله أكبر لم فعلت مثل هذا لا جرم ذلك الرجل الذى كان يدخل البنا منذ ثلاثين سنة ولم نر فيه خيانة أخذ اليوم يدى وعصرها ولواها فقال الرجل الامان أيتها المرأة انا تائب مما بدا منى فاجعلينى فى حل فقالت المرأة الله المسؤل ان يجعل عاقبة أمرنا الى خير فلما كان من الغد جاء السقاء والقى نفسه بين يدى المرأة وتمرغ على التراب وقال يا صاحبة المنزل اجعلينى فى حل فان الشيطان أضلنى وأغوانى فقالت المرأة فى حل سبيلك فانما ذلك الخطأ لم يكن

ويحفظك عند المغيب وينفعك عند الرجاء اذا صادقت الوزير فلا تخش الامير من لم ينصحك فى الصداقة فعاده من غشك فى العداوة فلا تأمنه من كان الناس عنده سواء لم يكن له أصدقاء من صادق الاخوان بالمكر كافؤه بالغدر من لم يواس الاخوان فى دولته خذل عند ما تمنى اياك أن تبغى مودة من يحسدك فانه لا يقبل اخاءك من حسدك على علمك لم يستمع حديثك الحاسد يفرح بزلتك ويعيب صوابك اذا رأيت من يحسدك ويسرك ان تسلم منه فعم عليه أمورك من صبر على مودة الكذاب فهو مثله وكل شئ شئ ومودة الكذاب لا شئ من بدأك بجهله فكافئه بحلمك نعمه أول المروءة طلاقة الوجه والثانية التودد والثالثة الفصاحة الفاجر لا يبالى ماقال والورع يتعاهد كلامه من شغل مشغولا فقد أظهر ثقله من صبر على شغل سوء فقد نظر الى مضنة عينه من لم يغلب الحزن بالصبر طال غمه من استطال على الناس بغير سلطان فليصبر على الذل والهوان لا تحقر الفقير السرى ولا ترغب فى الغنى الدنى من تشبه بالسراة وغلبت عليه الدناءة فلا تكرمه من أغضبته أنكرته من أغنيته أعطفته من تعرض لصاحب الدولة انقلب بهزيمة من صانع عياله لم يحتشم من طلب حاجته من صاحب الكلب ماواه ومن عاداهم أنكروه من شمخ عليك بأنفه وطمح ببصره ولم يدخل عليك فضله فليهن عليك سلبه السفيه يقطع مودة فلم تزل ويكتسب عداوة لم تكن حمل المروءة ثقيل من سالم الناس غنم خذلان الجار لؤم ورجال البلاء قليل احفظ اخوانك تذل أعداءك ما أجمل الصبر على ما لا بد لك منه المحروم من طال نصبه وكان لغيره نشبه لا أقوى أقوى ممن قوى على نفسه ولا عاجز أعجز ممن عجز عنها الخير فى أهله غريب ما أضعف قوة من يغالب من لا يغلب

﴿الباب الرابع والستون مشتمل على حكم منثورة﴾

اعلم أيها المريدان الله تعالى يمتحن أنبياءه وأصفياءه بأعدائه ويضطر أولياءه وأحباءه الى أعدائه رفعة وتقريبا لانبيائه وتمحيصا للهفوات أوليائه وذخرا لهم عنده وزلفى لديه تعظيما لاقدارهم وتشريفا لمنازلهم وترفيعا لدرجاتهم قال الله سبحانه وتعالى تعزية لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لعظيم ما كان يلقاه من سطوات أعدائه وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا وقال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا من المجرمين يا محمد لا تستوحش منا ولا تتهمنا فى سير تنافيمن فحيه ويحبنا والبلاء على وجهين أحدهما الذنب والآخر رفع درجة وتوفير أجر ولذلك كان أشد الناس بلاء الانبياء ثم الصالحون ثم الامثل فالامثل فالبلاء بلاآن بلاء رحمة لتضعيف درجة وتمحيص سيئة وبلوغ فضيلة وعلو منزلة وبلاء عقوبة لانتهاك حرمة واقتراف معصية لن تخلو المكاره أن تكون لحادث رحمة فلا رغبة عما أنعم الله به منها أو لسيئة عن اضاعة فلا غنى عن زاجر عنها فلاى ذلك كان فلولها عظمت به المنة ووجبت لله به النعمة (وكان جعفر بن محمد) رضى الله عنه اذا وقع فى شئ يكرهه يقول اللهم اجعله أدبا ولا تجعله غضبا * وفى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم لو كان المؤمن فى رأس جبل لقيض الله له من يؤذيه يا من ضاق صدره وحرج قلبه وساءخلقه من عدو أقلقه وحاسد حسده طب نفسا وقر عينا وأنعم عيشا بشهادة الرسول لك بالايمان وعدوك بالنفاق بخ بخ ان عقلتم أما لك فى الانبياء اسوة أما لك فى الصالحين قدوة فلولم نلق الله عز وجل من الحسنات الا بما اقترفنا باختيار القينا الله تعالى فقراء من الحسنات ثقلاء من السيئات قال الشاعر

قد ينعم الله بالبلوى وان عظمت * ويبتلى الله بعض القوم بالنعم

قال بعض الحكماء الذى رأيناه مما نحب فيما نكره أكثر مما رأيناه مما نحب فيما نحب * وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه ما أهمنى ذنب أمهلت بعده حتى أصلى ركعتين * السجون قبور الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء وأسعد الناس من كان القضاء له مساعدا وكان لمساعدته أهلا غلب على الكريم مبادر اليه الشماتة لؤم عوام الناس عدة لخواصهم مجئ القدر يسبق الحذر من مضرمن

منك وانما ذلك من الشيخ الذى فى الدكان فاقتص الله منه فى دار الدنيا فكذلك ينبغى ان تكون المرأة مع زوجها ظاهرها وباطنها واحدا وتقنع منه بالقليل ان لم يقدر على الكثير وتقتدى بفاطمة وعائشة رضى الله عنهما لتكون من خواتين الخلد كما جاء فى الحكاية

﴿حكاية﴾

كانت فاطمة رضى الله عنها تطحن كثيرا بالجاروشة حتى أدمت اناملها فشكت ذلك فى بعض الايام الى أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال لها على قولى لابيك ليبتاع لك خادمة فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت يا رسول الله انى مفتقرة الى خادمة تعيننى فى اشغالى وتحمل عنى بعض اثقالى فقال صلى الله عليه وسلم الا اعلمك يا فاطمة ما هو خير لك من كل خادم وخادمة واعز من سبع سموات وسبع أرضين فقالت على يا رسول الله فقال لها اذا أردت النوم فقولى قبل منامك ثلاث مرات سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وفى الخبر انهم لم يكن لهم فى البيت الا كساء كانوا اذا غطوا رؤسهم انكشفت أرجلهم وفى الليلة التى كانت فاطمة عروسا وزفت الى على بن أبى طالب رضى الله عنه كانت تحتها

Reference: 12964. Copyright for this page: Creative Commons Attribution Licence
View on the Qatar Digital Library: http://www.qdl.qa/en/archive/qnlhc/12964.86

شئ حاق به من عبر بشئ ابتلى به الخلق نهب المصائب مذاكرة الرجال تلقيح لالبابها أقل ما في طلب
الحيلة الخروج من الاستكانة جانى العقوبة على نفسه أعظم جرما عليها من المعاقب لعلها قرابة
بغير منفعة بلية عظيمة النعمة متعة كفاك أدبا لنفسك ما كرهته من غيرك الحبة تذوب الجهل
الانفة قوام السفه قل أنف لم يعقب ذلا الغادر كمين لا يؤمن من ازدحام الكلام مضلة الصواب عجلوا
القرى قبل سوء الظن والخلق السيئة أعجب ما في هذا الانسان قلبه وله مواد من الحكمة واضداد من
خلافها فان سنح له الرجاء أذله الطمع وان هاج به الطمع أهلكه الحرص وان ملكه اليأس قتله الاسف
وان عرض له الغضب اشتد به الغيظ وان استعد بالرضا نسى التحفظ وان ناله الخوف شغله الحذر وان
اتسع له الامن استلبته الغرة وان حدثت له نعمة أخذته العزة وان امتحن بمصيبة فضحه الجزع وان أفاد
مالا أطغاه الغنى وان عضته فاقة أشغله البلاء وان أجهده الجوع قعد به الضعف وان أفرط في الشبع
كظته البطنة فكل تقصير به مضر وكل افراط له مفسد أفضل القول بديهة امرئ وردت في مقام خوف
أشد الناس غما الذي يرى غيره في الموضع الذي هو فيه أولا ما أخذ الله طاقة أحد الا رفع عنه طاعته من
العجب ان لا ترضى عمن ابتغى رضاك وأعجب من ذلك ان تسخط عليه زئير الاسد تشبه صولته علامة
العلم العمل بالاعراض عند المناداة لا تعادوا حتى تروا لا تفخروا حتى تفعلوا لا تأمنوا حتى تظلوا
أوجه الشفعاء براءة الساحة من لزم الصحة والاستقامة لزمته الغبطة والسلامة قصص الاولين مواعظ
الآخرين البحث يوضح الحق كما يورى النار القدح ليس مع الحسد سرور ولا مع الحرص راحة ولا مع
الضعف غناء (قال جعفر بن محمد الصادق) عجبت لمن بلى بأربع كيف يغفل عن أربع لمن ابتلى بالضر
كيف يذهب عنه أن يقول مسني الضر وأنت أرحم الراحمين والله تعالى يقول فاستجبنا له فكشفنا ما به
من ضر وعجبت لمن بلى بالغم كيف يذهب عنه ان يقول لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين والله
تعالى يقول فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين وعجبت لمن خاف شيأ كيف يذهب عنه ان
يقول حسبي الله ونعم الوكيل والله تعالى يقول فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء وعجبت لمن
مكر به كيف يذهب عنه أن يقول وأفوض أمرى الى الله ان الله بصير بالعباد والله تعالى يقول فوقاه الله
سيآت ما مكروا وعجبت لمن أنعم عليه بنعمة خاف زوالها كيف يذهب عنه أن يقول ولولا اذ دخلت جنتك
قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله كذا سنة الله سبحانه فيمن صدق في التجائه اليه ولم يتوكل في مهماته الا عليه
* اليمين ما ثمة أو مندمة ألذ الموارد مشربا من متلفة أو قدوم غائب بعد أن جاءت باليأس منه الركائب
وأمر المصادر ظفر على قنوط الطبيعة مخالفة للمروءة فاصبر لحق وجب عليك وان خالف هواك بهاء
المجلس الشريف بالرجل الفاضل اليقين راحة وروح العمل النافذ بالرجل المدبر كيماء الياقوت
واللؤلؤ في تيجان الملوك ما أنور الهدى ما أظلم العمى ما أكرم التقى ما أخدع الهوى ما أسرع البلا
ما أجلد الصبا الجود أن يهضم الروح حظ الجسد والاسراف ان يهضم الجسد حظ الروح والعدل ان
يعطى كل واحد منهما حظه والشح أن تكف حظوظهما عنهما عدو يخاف الله فيما تكره خير من
صديق لا يخافه فيما تحب من العجب أن نطلب في صحة كل علم ما ينفعنا ونكل العلم الى الله تعالى من غير
بحث عن صحته لا يرعك الباطل بما تزهى به ولكن احذر ان تصدع عليك بالحق فيشهد عليك عينك
ووجهك من بطل رشاؤه بطل مضه الراغب فقير بقدر رغبته الحق يعطى ويمنع تجاوز عن ذنوب الناس
اصفح عليهم واجتنب الذنوب لتقل حجتهم عليك الفراغ الفاضل عن الحمام مفسدة الجبة احدى
العلتين الفرق ينسى الجنة حاق العابة في كلامك وسو بينهم وبين السفلة في أحكامك موت في عز
خير من حياة في ذل الاكفاء من كل غط متباغضون ما ضاع امرؤ عرف قدر نفسه الدعة الهنية
تكون بعد انقضاء العمل لن يفارق الخير صاحبه حتى يفارقه خير الناس من تواضع عن رفعة وعفا
عن قدرة الحاسد يظهر ودّه في كلامه وبغضه في أفعاله فاسم الصديق ومعنى العدو الرياء يفسد

جلد شاة كانا نائمين
عليه وما كان لفاطمة
رضى الله عنها من متاع
البيت سوى كساء ومخدة
من ليف لا جرم ينادى
يوم القيامة مناديا أهل
الموقف غضوا أبصاركم
حتى تعبر سيدة النساء
فاطمة الزهراء والمرأة
تعز عند زوجها وتعلو
محبتها في قلبه باكرامها له
وطاعتها الامره وقت خلوته
بها واكتنانها في بيته
ومجامعته لها وبحفظها
منافعه واجتنابها مضاره
وتزينها له وقلة تبرجها من
خدرها وبأن تكون عفيفة
النشر عجلة الامر وبأن
تحفظ وقت طعامه وشرابه
ومهما علمت انه يشتهيه
اصطنعته له بطلاقة وبشر
لا تكلفه حاجة مستحيلة
وان لا تكون لجوجة
وان تتزين له عند
منامها وبان تحفظ سر
زوجها في غيبته وحضوره
(وقال صاحب الكتاب)
واجب على الرجال ان
يؤدوا حق النساء العورات
وان يحفظوا بهن من وجه
الترحيم والاحسان
والمداراة ومن أحب ان
يكون مشفقا على زوجته
متوددا عليها رحيما بها
فليذكر لها عشرة أشياء
من أحوالها لينصفها
بها أولها ان المرأة لا تقدر
ان تطلقه وهو قادر على
طلاقها متى شاء وانها

العلانية والعجب يفسد عمل السريرة اذا كثرت القدرة قلت الشهوة من عرف قدره كفاك نفسه
كفى بالظفر شفيعا للمذنب الى الحليم لسان الجاهل دليل حتفه لا ظفر مع بغى ولا صحة مع نهم ولا ثناء
مع كبر ولا صداقة مع خب من لم يعرف قدره فا كفه نفسك أحق ما رد ما خالف شهادة العقل قطع
ظهرى وأفسد الدين رجلان جاهل ناسك وعالم فاجر هذا يدعو الناس الى جهله بنسكه وهذا ينفر الناس
عن علمه بفسقه من قوى هواه ضعف حزمه من ظهر غيظه قل كيده كفى بالظلم طاردا للمنفعة
وداعيا للنقمة من قبل صلتك فقد باعك عرضه الهدية تفقأ عين الحكيم عفو الرأى خير من
استكراه الفكر من لم يؤمن بالقدر فقد كفر ومن حمد الله فقد شكر ما اكتسب مثل الكبر من
استغنى بالله افتقر الناس اليه التقصير مخلل عن الصواب الافراط يفعل في الخطا ثلاث خصال
ما اجتمعن الا في كريم حسن المحضر واحتمال الزلة وقلة الملالة وكفى مخبرا عما بقى ما مضى وكفى عبرا
لذوى الالباب ما جربوا التهاون بالمطلوب أول أسباب حرمانه الشبه ظلمة لن يضيع امرؤ صواب
القول حتى يضيع صواب العمل خير الامور ما سر عاجله وحسنت عاقبته لا شرف مع سوء أدب ولا ربح
مع ولا اجتناب محرم مع حرص ولا محبة مع زهو باجالة الفكر يستخرج الرأى المصيب بحسن التأنى
تدرك المطالب بالنصفة يكثر المتواصلون الفاحشة عار الابد وعقوبة غد الشماتة تعقب الندامة
من مضر ابتلى قال الله تعالى ان تحضروا منا فانا نحضر منكم كما تحضرون اذا افتقد المتفضلون هلك
المتصلون رب صبابة غرست من لحظة وحرب جنيت من لفظة ما شاهد على غائب بادل من طرف على
قلب شر المال مالا ينفق منه أفضل المال ما صين به العرض وبالافضال تشرف الاقدار الذى يكون
سيبا لفساد نفسه أذل ممن يفسده عدوه أو دهره لا تمدن وديعة مالا الشح وفرق الحريص كلب يعبر
على الانسان اللسان وعلى المودة العينان لا شرف أعلى من الاسلام ولا كرم أغلى من التقوى
ولا شفيع أغنى من التوبة أولى الناس بامر من حافظ عليه الخير موضوع لمن أراده موفور لمن عمل له
الرغبة مفتاح الطلب ومطية الحسرة الحرص داع الى الحرمان التنفل بالحسنة يتقى السيئة المكافأة
بالسيئة دخول فيها البغى سائق الى الحين اصلاح الرعية انفع من كثرة الجنود حق المزموم التأنيب
وحق المرحوم المعونة من الجهل والجفاء اظهار الفرح عند المحزون المحزون يحقد على الفرح
ويشكر للمكتئب من ظل السلامة تدب أفاعى الآفات أعظم الناس قدرا من لم يجعل الدنيا لنفسه قدرا
ما أحدث محدث بدعة الا ترك بها سنة عزائم الامور خيارها ومحدثاتها شرارها الملك يكتسب من
انفاقه والعامة تنفق من تكسبها من أفنى عمره في جمع المال مخافة العدم فقد أسلم نفسه للعدم (قال
الشاعر)

ومن ينفق الساعات في جمع ماله * مخافة فقر فالذى فعل الفقر

من لم يقدر على جمع الفضائل فليكن فضائله ترك الرذائل اذا لم تكن ملحا تصلح فلا تكن ذبابا تفسد
استصلاح بعض العدو أفضل من اهلاكه من سعادة المرء ان يطول عمره ويرى في عدوه ما يسره خير
الكتب ما اذا أعاد قارئه النظر فيه زاد حسنه أو وقف على خيره أثقل الاحمال من اتسعت مؤنته وقلت
مقدرته استحى من الله بقدر قربه من عقلك وأطعه بقدر حاجتك اليه وخفه بقدر قدرته عليك واعصه
بقدر صبرك على النار واعمل للدنيا بقدر بقائك فيها واعمل للآخرة بقدر مقامك فيها الملك ينفق
ليكتسب والعامة تكتسب لتنفق الطاعة بقدر الفاقة يفحش زوال النعم اذا زال معها التجمل أولى
الامور بك أرجحها عليك الدنيا العافية والشباب الصحة اذا أقبل الامر أمر به واذا أدبر صرح اذا عدل
السلطان ملك قلوب الرعية واذا جار لم يملك منهم الا الرياء والتصنع الصدقة من سعة وابدأ بمن تعول
اذا أضرت النوافل بالفرائض تركت النوافل وقدمت الفرائض قدر الرجل على قدر همته وصدقته
على قدر مروءته وشجاعته على قدر أنفته وعفته على قدر غيرته من أطاع الواشى ضيع الصديق
ومن جعل لنفسه حظا من حسن الظن روح قلبه ثمر مالك ما لزمك اثم مكتسبه وحرمت منفعة انفاقه رب

لا تقدر ان تأخذ شيأ بغير
اذنه وهو قادر على ذلك
وانها ما دامت في حبالك
لا تقدر على زوج سواك
وأنت تقدر على التزويج
عليها وانها لا يجوز ان
تخرج من البيت بغير اذنك
وأنت يجوز لك وانها لا
يمكنها ان تعرى وأنت يمكنك
وانها تخافك وأنت لا تخافها
وانها تقنع منك بطلاقة
وجهك في وجهها وبالكلام
اللين وأنت لا ترضى بجميع
أفعالها وانها تفارق أمها
وأباها وجميع أقاربها
لاجلك وأنت لا تفارق أحدا
لاجلها وتقدر ان تتسرى
وتختص بالجوارى دونها
وانها تخدمك دائما وأنت
لا تخدمها وانها تتلف

Reference: 12964. Copyright for this page: Creative Commons Attribution Licence

View on the Qatar Digital Library: http://www.qdl.qa/en/archive/qnlhc/12964.87

مغبوط بليلة قامت بواكيه في آخرها لا ترج خير من لا يرجو خيرك ولا تأمن جانب من لا يأمن جانبك تارك الطلب بخيراً أرجى للعودة من تاركه خورا غمرات الشهوات المخازي المخصومة تعرض القلب أعم الاشياء نفعا فقد الاشرار من استكفى الكفاة كفى الاعداء خير مالك ما اغناك وخير منه ما وقاك صولة الكريم سلجة ذنب أسد خير من رأس كلب يجبهة العير يفدى حافر الفرس من استبد برأيه خفت وطأته على اعدائه اغناك من دنياك ما أصلحت به مثواك من أمن الزمان خانه ومن تعزز عليه اهانه كما يجب ان تكون المرآة أضوأ من الناظر فيها فكذلك يجب ان يكون المؤدب أفضل ممن يؤدب من ترك العمل بما ينبغي عومل بما لا ينبغي ليس في الشر اسوة ولا في الخطا قدوة لن تكون لله ناصحا حتى تحب عدوك اذا أطاع الله في عداوتك على عداوته وتقلع عما عادك عليه وتبغض وليك اذا عصى الله في موالاتك وتنزع عما والاك عليه لا تكن على الاساءة أقوى منك على الاحسان الشقى من جمع لغيره وضيق على نفسه شر أخلاق الكريم أن يمنع خيره من كانت الآخرة رأس ماله كانت الدنيا ربحه ومن كانت الدنيا رأس ماله كانت الآخرة خسارته أفضل العلم وقوف الرجل عند علمه أفضل المال ما قضيت به الحقوق البدع فخاخ مخبوءة قد علقت عليها ألفاظ ظاهرة رجاء العامة أمنية على ضلالة ورجاء الخاصة يقين على ثقة القليل من الملك كالكثير من غيره عطاء الملوك زينة وسؤالهم شرف وفي الامثال جاور بحرا أو ملكا اذا كذب السفير بطل التدبير أخبث الازمنة زمن لا يميز فيه الصواب لا تطرق الفضول ما انختم الهزء عن الحقوق الآذان أقماع تؤدي والقلوب قوابل تعي من أحب أن يسمى داهيا لم يظهر دهاءه لا دليل أهدى من التوفيق الجلاء البلاء من عرض نفسه للتهم فلا يلومن من أساء به الظن الحفظ قيد العلم المدارسة اذكاء للفهم المقابسة احياء الفطن استدم النعمة بالشكر والقدرة بالعفو والطاعة بالتألف والنصر بالتواصل لله والرحمة للخلق استقلال الكثير تعرض للتغيير ثلاثة أشياء تدل على عقول أربابها الكتاب يدل على عقل كاتبه والرسول يدل على عقل مرسله والهدية تدل على عقل مهديها لم يحكم على العقول حاكم كالعبر ولم يحكمها محكم كالتجربة من عاب سفلة فقد رفعه ومن عاب سيدا فقد وضع نفسه أحق الناس أن يؤمن على الدنيا أهل الآخرة صح من صحت سرائره وسقم من سقمت ظواهره بالكلام يعرف فضل العقل كما بالرسول يعرف قدر المرسل ملاك أموركم الدين وعصمتكم التقوى وزينتكم الادب وحصن أعراضكم الحلم اذا أعطيت مالا ترى فارض بما أعطيت كلما ازداد الخير كثرة كان الخارج منه أشد حسرة وبقدر السمو في الرفعة تكون وجبة الوقعة الابقاء على العمل أشد من العمل من التوقي ترك الافراط في التوقي وتورث الحرمة والتمام سنة في المروءة كما ان ورائة الشر كفريضة في الديانة لا تعد من امر أبا كثر من قدره فتكون مهينا لنفسك كذابا على غيرك لا تفرحن بسقطة عدوك فانك لا تدري متى يحدث بها الزمان بك من الجفاء الكلام في الامر الجسيم من غير مشاورة أكثر الناس مخادعة لنفسه في أمر جسده عند الحمية وفي أمر مروءته عند الشهوة وفي أمر دينه عند الشبهة لمصائب بغتات العاقل المدبر أرجى من الاحمق المقبل أشرف الصنائع ما لم يكن مكافأة لماض ولا رجاء لباق أرض النظير ثم كافئه وآنس الملهى ثم استمع منه لم تكن غواية ولا هداية الا واليهما سائق وعنهما ناكص احسانك الى الحر يحرضه على المكافأة واحسانك الى الخسيس يبعثه على معاودة المسئلة ليس بغض الادب بأن يكون فاعلا للخير انما بغض بأن يكون تاركا للشر من صنع معك خيرا فاضعفه له والا فلا تعجز ان تكون مثله الاشرار يتبعون مساوي الناس ويغفلون عن محاسنهم كما يتبع الذباب المواضع النغلة من الجسد ويدع صحيحه الظرف فطنة مازجتها عبادة مع حذر وتوق واذا خلت الفطنة من التوقي فصاحبها لا يستمتع به أهل المروءة واذا خلت الفطنة من العبادة وقارنتها فصاحة فصاحبها غير طيب الظرف الالفاظ التي يرتفع عنها أهل الجلالة من المخلصين في باطن الدنيا

نفسها اذا كنت مريضا وأنت لا تفتم لها ولومات فلهذه الوجوه التي ذكرناها يجب على العقلاء ان يكونوا رحماء للنساء ولا يظلموهن ولا يجوروا عليهن فان المرأة أسيرة الرجل ويجب على الرجال مداراة النساء لسبب نقص عقولهن وبسبب نقص عقولهن لا يجوز لاحد ان يتدبر بآرائهن ولا يلتفت الى أقوالهن ومن اعتمد على آرائهن والتفت الى أقوالهن ودبر نفسه بمشورتهن خسر كما جاء في الحكاية

﴿حكاية﴾

يقال ان الملك خسرو ابن برويز كان يحب أكل السمك وكان يوما جالسا في

والمترفين

والمترفين في ظاهر الحال (وسمعت القاضي) أبا العباس الجرجاني رحمه الله بالبصرة يقول أول من نطق بهذه الكلمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وذلك انه أتى بسارق فقال له أسرقت قل لا فقال الرجل لا فقال عمر انك لظريف جهد البلاء الاقلال والعيال ينبغي للعالم ان يتطامن للجاهل بقدر ما رفعه الله عليه العقل أفقر الى الحكمة والادب من الجسد الى الطعام والشراب أعظم الناس غما من زالت نعمته وبقيت شهوته وضاقت مقدرته قلة العيال أحد اليسارين معالجة الموجود خير من انتظار المفقود من عدم الحياء عند الفضيحة والصبر عند النصيحة سهلت عليه المعاصي كلها العالم مثل السراج من مر به اقتبس منه من تقدم بحسن النية نصره التوفيق لن تكون لله ناصحا حتى تحب أن يكون عدوك مطيعا من آذى الناس بالسلطان كان مصيره الى الهوان ما دحك بما ليس فيك مخاطب لغيرك فخوابه وثوابه ساقطان عنك المكر والخديعة في النار الاحداث تأتي من على مأمنه يؤتى الحذر المأكول للبدن والموهوب للمعاد والمحفوظ للعدو من غضب على من لا يقدر على غمه عذب نفسه واشتد غيظه اطلب ما يعنيك واترك ما لا يعنيك فان في ترك ما لا يعنيك درك ما يعنيك من انكى الاشياء لعدوك الك تريه انك لا تعاديه كل آت قريب الاستغناء عن الشيء خير من الاستغناء به ومن خير خبر ان تسمع بالمطر لا فقر فيما يزول ولا غنى فيما لا يبقى شر العيوب ما كان معينا على العيوب شر الذنوب ما كان علة للذنوب أبلغ الرسل الكتب حاول الامور بالنصفة وأنا زعيم لك بالظفر من أراد جالا لا تهدمه الايام فليصحب المروءة والصيانة فهما ذروة الشرف رب أمر لما بعده من سبق اليك كان له صفوه من شروط المروءة التغابن للضعيف المروءة ترك الريبة يكاد استقضاء القوي على الضعيف أن يكون ظلما يكاد استيفاء الغني من الضعيف ان يكون جورا القرآن ظاهره أنيق وباطنه عميق أوله حكم وآخره علم الحادثة على الطعام تزيد في الشهوة وتذهب الحشمة وتزيل الانقباض لن تنال ما تحب حتى تصبر على كثير مما تكره ولن تنجو مما تكره حتى تصبر عن كثير مما تحب ذهاب البصر خير من كثير من النظر لا تعد العزم عزما اذا ساق غما مع الرأي الاول الوهم النظرة بعد النظرة تعقب لما قبلها وتزيد لما بعدها ابس مدح الرجل بما فيه تزكية أنعم الناس من كفي أمر دنياه ولم يهمه دينه الغريب من فقد اخوانه ونظراءه وان كان في وطنه الغريب من لا صديق له الغريب الفقير الغريب الاحمق الغريب من لا ناصر له شيئان لا يستحي العاقل منهما المرض وذو القرابة الفقير من كانت الدنيا سبب صلته فانما سبب قطيعته فاحذر ان تجعلها وسيطا بينك وبين أحد علامة الاشرار أن من خالطهم لا يسلم منهم ومن تركهم لا يصرفوا شرهم عنه وأما الاخيار فمن خالطهم ربح عليهم ومن خالطهم ترك رشده البر ثلاثة الصدق في الغضب والجود في العسر والعفو عند القدرة من عتب على الزمان طالت معتبته ستساق الى كل ما أنت لاق اذا صحب الارتياد الرشاد وجد المراد ما أعتق من الذم من ملكه الجهل ولا ظفر بالعزم من احتمل ما في المعصية من الذل ولا خرج من الدناءة من صرف جميع عقله الى الدنيا أخو الظلماء مريب المسئلة آخر المكسبة ما عدم من أهل الحجى من كان من أهل الهوى ولا كان من أهل التقى من حاد عن سبيل الهدى من ذم أدنى الاحسان لامتناع أقصاه لم يحمد شيأ منه من دواعي الهلكة اضاعة المعرفة والعجب لمن يبني داره وجسمه يهدم ولمن يبرم أمور الدنيا وأموره في نفسه تختل (قال علي رضي الله عنه) من لم يكن معنا كان علينا والساكت أخو الراضي الكاتم العلم كمن لا علم له أو هو غير واثق فيه بالصواب المرء مخبوء تحت لسانه قيمة كل امرئ ما يحسن العلم بما في المصيبة من الثواب ينسي المصيبة شر من المصيبة سوء الخلق منها الحكمة ربيع القلوب الخصومة تكشف العورة وتورث المعرة بلاء المؤمن من عافيته كالنار يحرقها من نورها قد يكون اليأس ادرا كا اذا كان الطمع هلاكا من لم يرفع نفسه عن قدر الجاهل رفع الجاهل قدره عليه الذلة مع القلة تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها موت عاجل خير من ضنى آجل الغضب عند المناظرة مناة للعجمة

المنظرة وشيرين عنده فجاء صياد ومعه سمكة كبيرة واهداها لخسرو ووضعها بين يديه فأعجبته فأمر له بأربعة آلاف درهم فقالت شيرين بئس ما صنعت فقال الملك لم فقالت لانك اذا أعطيت بعد هذا لاحد من حشمك هذا القدر قال قد أعطاني مثل عطية الصياد فقال لقد صدقت ولكن يقبح بالملوك ان يرجعوا في هباتهم وقد فات الامر فقالت شيرين أنا أدبر هذا الحال فقال وكيف ذلك فقالت تدعو الصياد وتقول له هذه السمكة ذكر هي أم أنثى فان قال ذكر فقل انما طلبت أنثى وان قال أنثى قل انما طلبت ذكرا فنودي الصياد فعاد وكان

الاختصار أثبت للمتكلم وأفهم للسامع الكلب فى الحاضرة يمنع الضيف ويدفع الزائر ويرد السائل والكلب فى البادية يعين الصاحب وينذر بالضيف ويدفع السارق لا تغتر بقول الجاهل لك ان فى يدك لؤلؤة وأنت تعلم انها بعرة مثل الصلاة مع سائر العبادات مثل السفينة مع جميع من فيها ان سلمت سلم الكل وان أصيبت أصيب الكل الحب والبغض فتنة طلب المطمع حزم وطلب المؤيس عجز قد ينظر المنطق من يعنى به اذا فسد الزمان كسدت الفضائل وضرت ونفقت الرذائل ونفعت وصار خوف الموسر أكثر من خوف المعسر لقاء أهل الخير عمارة القلوب لا يصيد الكثير من لا يصيد لنفسه الواحدة بالعمل يحسن المنطق وبالقوة يتم العمل الفكر مرآة من أعظم الناس من قل ماله وكثر مجده الادب مع العقل كالشجرة المثمرة والعقل بلا أدب كالرجل العقيم الماء ألين من القول والقلب أقسى من الحجر وقد يثلم الماء الحجر اذا كثر انحداره عليه أشد الاشياء اخفاء الفاقة أولى الناس بالرحمة عالم يجرى عليه حكم جاهل لم يغب من شهد رأيه ولم يفن من بقى أثره ولم يمت من خلد علمه وقد سبق المثل ليس بهالك من ترك مثل مالك كما انه قبيح اذا ركبنا الخيل أن تجرى بنا حيث أرادت دون أن ندبرها كذلك قبيح أن يجرى البدن والنفس بالعقل حيث أرادت من الشهوات أشق الامور معرفة المرء بنفسه عاتب المجتمع عليه محجوج ليس شئ من البر الا ودونه عقبة من الصبر ضرب الانسان عار باق ووتر مطلوب (قيل للحكيم) هل للغضب مادة تحسمه قال نعم أن يعلم الانسان انه ليس يجب أن يكون مطاعا أبدا ولا يجب أن يخدم أبدا ولا يجب أن يحتمل خطؤه أبدا ولا يجب أن يصبر عليه أبدا بل قد يطيع ويخدم ويحتمل الخطأ ويصبر على النوائب فاذا عقل ذلك لم يغضب وان غضب فقليل السعيد من وعظ بغيره والشقى من وعظ بنفسه لا تنفع كثرة العلم لمن لا يعمل كما لا يغنى ضوء الشمس عمن لا يبصر رضى بالذل من كشف ضره بترك التورع وأزرى بنفسه من استشعر الطمع البدع فضوح يسترها زخرفة الكلام وخدع المال الناس فى الدنيا بالاخوان وفى الآخرة بالاعمال صديق الرجل عقله وعدوه حمقه من اجتمعت اليه النعمة أدعته الرغبة يحفظ الاحمق من كل شئ الا من نفسه لا جود الا بعمال ولا صداقة الا بوفاء ولا فقه الا بورع العليل الذى يشتهى أرجى من الصحيح الذى لا يشتهى قلوب الرجال وحشية فمن تألفها أقبلت عليه اجعلوا بينكم وبين الحرام سترة من الحلال لقاء الرجل اخلاء مسلاة للهم من لم يصلح على تدبير الله لم يصلح على تدبير نفسه والاحلام فرح وهم كاذب والعامل بها كالمعتمد على الظل الزائل الدنيا دول فما كان منها لك أتاك وما كان عليك لم تقو على دفعه العافية خير من الواقية الكريم لا يستحى من اعطاء القليل العفاف زينة الفقير الكرم حسن الفطنة واللؤم سوء التغافل اختلاف كلام المرء دليل على ميل الهوى به من حق النعمة أن يرى أثرها من كان شبعه فى الطعام لم يزل جائعا ومن كان غناه فى المال لم يزل فقيرا ومن كان قصده نحو أنجح الخلق لم يزل محروما ومن استعان فى أمره بغير الله لم يزل مخذولا من خاف من فوقه خافه من تحته ومن لم يخف من فوقه لم يخفه من دونه ما تحسنه وما تعمل به لغيرك نوره وعليك بوره والعجب لمن يختار المذلة فى طلب ما يفنى على العز فى طلب ما يبقى من حذرك كمن بشرك الشفيع جناح الطالب اذا أقبلت الدنيا عليك فانفق منها فانها لا تفنى واذا أدبرت عنك فانفق منها فانها لا تبقى قال الشاعر

فأنفق اذا أيسرت غير مقتر * وانفق على ما خلت حين تعسر
فلا الجود يفنى المال والحظ مقبل * ولا البخل يبقى المال والحظ مدبر

(ولغيره)

لا تبخلن بدنيا وهى مقبلة * فلن يضر بها التبذير والسرف
وان تولت فأحرى ان تجود بها * فالشكر منها اذا ما أدبرت خلف

الغريب فى كل مكان مظلوم من سلك الحذار أمن العثار لم يحرز راكب القصد عجب اللئيم يستجلب الفقر

الذى

الصياد ذات كام وفطنة فقال له خسرو هذه السمكة ذكر أم أنثى فقبل الصياد الارض وقال له هذه السمكة خنثى لا ذكر ولا أنثى فضحك خسرو من كلامه وأمر له بأربعة آلاف درهم فمضى الصياد الى الخازن وقبض منه ثمانية آلاف درهم ووضعها فى جراب كان معه وحملها على عنقه وهم بالخروج فوقع من الجراب درهم واحد فوضع الصياد الجراب عن كاهله وانحنى على الدرهم فأخذه والملك وشيرين ينظران اليه فقالت شيرين لخسرو أرأيت خسة هذا الرجل وسفالته سقط منه درهم واحد فألقى عن كاهله ثمانية آلاف درهم وانحنى على الدرهم فأخذه ولم يسهل عليه ان يتركه ليأخذه غلام من غلمان الملك فرد خسرو

الذى منه هرب ويفوته الكريم الذى أتاه بطلبه فيعيش فى الدنيا عيش الفقراء ويحاسب فى الآخرة حساب الاغنياء من بطل ذيله يكثر ويله (وقال على رضى الله عنه) ما نطق فم الله يتطق به غيرك خير من معين غيرك ان أحببت ان لا يفوتك ما تشتهى فاشته ما يمكنك من قصد أسهل ومن أسرف أوعر القصد أخو الحمام شر السير الحقحقة نوى الفضل فى المجالس مجلسا الا يقصر بك ولا تقام عنه اقطع الشر من صدر غيرك بقطعه من صدرك وازجر المسئ بأثابة المحسن لكى يرغب فى الاحسان ان يهلك من مالك ما وعظك الخلاف يهدم الرأى خير الناس لغيره خيرهم لنفسه احسان الله مكفور عند من أصبح مصرا على ذنب مستور بصير القلق خلقا بالاجتهاد والاعتياد الحجر الغصب فى البنيان رهن على الخراب رب عاشق شارب الماء قبل ريه رب رأى انفع من مال رب حزم أوفق من رجال من استوعب الحلال تاقت نفسه الى الحرام من ذم الزمان لم يحمد الاخوان بتقلب الاحوال تعلم جواهر الرجال من عرف الزمان لم يحتج الى ترجمان من عرف الايام لم يغفل عن الاستعداد رسولك ترجمان عقلك الطاعة غنيمة الاكياس عند تفريط العاجز كلما اشتد الظلام حسن ضوء السراج الثناء باكثر من الاستحقاق ملق والتقصير عن الاستحقاق عى أو حسد أولى الناس بالرحمة من احتاج اليها فحرمها من لم يدر قدر البلية لم يرحم أهلها كفاك أدبا لنفسك ما كرهته لغيرها مجالسة الاحمق غرور والقيام عنه ظفر لا تسأل عما لم يكن فان فى الذى كان شغلا البخل جامع لمساوى العيوب وهو زمام يقاد به الى كل سوء اذا صح القلب صح العمل كان التوفيق احراز العواقب بالاجتهاد والاجتهاد أربح بضاعة التوفيق خير قائد كمال العمل التوفيق من ترفق فى استقامة الحظ من البغية أدركه وبلغ مقاربة الناس فى اخلاقهم أمن من غوائلهم لا تنظر الى أحد بالموضع الذى رتبه فيه زمانه ولكن انظر اليه بقيمته فى الحقيقة فانها مكانه الطبيعى أبعد الناس سفرا من سافر فى طلب أخ صالح ليست البركة من الكثرة لكن الكثرة من البركة (وقال داود عليه السلام) ان كان ما ترى من الجهل يغيظ اذن يكثر الجهل ويطول غمك (قيل لبزرجمهر) ما لكم لا تعاتبون الجهلة قال لانا ما نريد من العميان ان يبصروا العشق مرض نفس فارغة لا همة لها اجالة الفكرة واستخراج الفطنة تتبع الاساءة بالندم وتتبع الندم بالاقلاع الامن بالبراءة وكثرة الصديق بالتواضع وأعم الاشياء نفعا فقد الاشرار من بذر عداوة حصد ندامة السمنة للنساء غلبة وللرجال غفلة (قال المسيح) عليه السلام ما حلم من لم يصبر عند الجهل وما قوة من لم يرد الغضب وما عبادة من لم يتواضع للرب سبحانه عبادة النوكى المجئ فى غير وقت والجلوس فوق القدر اذا وقعت الضرورة ارتفعت المشورة (قيل لحكيم) أخرج الهم من قلبك قال ليس باذنى دخل من اغتر بحاله قصر فى احتياله اياكم وطلب الامور من غير وجهها فيعنيكم طلبها ولا تدركوا حظا منها هيبة الزلل تورث الحصر (قيل لحكيم) لاى شئ تزوجت امرأة دميمة وأنت وسيم قال اخترت من الشر اقله (وقيل لحكيم) ما تقول فى الزواج قال لذة شهر وهم دهر فتنة عالم الى ابليس خير من غواية ألف جاهل غنى المعاتب ولا غنى المعاذر الموالاة فى الاسلام عنزلة الحلف فى الجاهلية سب الجاهل للحكماء تشريف لهم عند أهل الفضل لان الجاهل منسوب الى فعله وكما ان الحكيم يتألم بحديث الجاهل كذلك الجاهل يتألم بسماع الحكمة أغنى الناس عن الحقد من عظم قدره عن المحاذاة الكبير الهمة من الرجال من كان عنف الناصح عنده ألطف موقعا من ملق الكاشح ان كانت الجدود هى الحظوظ فما بال الحرص وان كانت الامور ليست بدائمة فما بال السرور وان كانت الدار غدارة فما بال الطمأنينة (وقال الشعبى) ما رأيت الله سبحانه وتعالى أعطى عباده أجل من الحلم (وقال عمر بن الخطاب) رضى الله عنه خمس من لم تكن فيه فلا ترجه لشئ من أمر الدنيا والآخرة من لم تعرف الوثيقة فى أرومته والدماثة فى خلقه والكرم فى طبعه والنبل فى نفسه والمخافة لربه (قال أبو عبد الله بن حمدون) كنت مع المتوكل لما خرج الى دمشق فركب يوما الى رصافة هشام بن عبد الملك فنظر الى قصورها ثم خرج فرأى ديرا قديما حسن البناء بين مزارع وأنهار وأشجار فدخله فبينا

من ذلك وقال صدقت يا شيرين ثم أمر باعادة الصياد وقال له يا ساقط الهمة لست بانسان وضعت هذا المال عن عنقك لاجل درهم واحد وأسفت ان تتركه فى مكانه فقبل الصياد الارض وقال أطال الله بقاءك أيها الملك انى لم أرفع ذلك الدرهم لخطره عندى وانما رفعته عن الارض لان على وجهه صورة الملك وعلى الوجه الآخر اسم الملك فخشيت ان يأتى أحد بغير علم يضع عليه قدميه فيكون ذلك استخفافا باسم الملك وأكون أنا المؤاخذ بهذا فعجب خسرو من كلامه واستحسن ما ذكره فأمر له بأربعة آلاف

Reference: 12964. Copyright for this page: Creative Commons Attribution Licence
View on the Qatar Digital Library: http://www.qdl.qa/en/archive/qnlhc/12964.89

هو يطوف اذ بصر برقعة قد ألصقت فى صدره فأمر بقلعها واذا فيها هذه الابيات

أيامـنزلا بالدير أصبح خاليا * تلاعب فيـه شمأل ودبور
كأنك لم يسكنك بيض أوانس * ولم يتبختر فى فنائك حور
وأبناء أملاك غواشم سادة * صغيرهم وعند الاله كبير
اذا لبسوا أدراعهم فعوابس * وان لبسوا تيجانهم فبدور
على انهم يوم اللقاء ضراغم * وانهم يوم النوال بحور
ليالى هشام بالرصافة قاطن * وفيك ابنه يا دير وهو أمير
اذ العيش غض والخلافة لذة * وأنت طريب والزمان غرير
وروضك مرتاد ونورك مزهر * وعيش بنى مروان فيك نضير
بلى فسقاك الغيث صوب سحائب * عليك لها بعد الرواح بكور
تذكرت قومى فبكيتهم * بشجو ومثلى بالبكاء جدير
فعزيت نفسى وهى نفس اذا جرى * لها ذكر قومى انة وزفير
لعل زمانا جار يوما عليهم * لهم بالذى تهوى النفوس يدور
فيفرح محزون وينعم بائس * ويطلق من ضيق الوثاق أسير
رويدك ان الدهر يتبعه غد * وان صروف الدائرات تدور

فلما قرأها المتوكل ارتاع وتطير وقال أعوذ بالله من شر أقداره ثم دعا صاحب الدير فسأله عمن كتبها فقال لا علم لى به وأما الكتب وصفاتها فجل عن الوصف ولقد أحسن ابن الجهم فى قوله

سمير اذا جالسته كان مسليا * فؤادك مما فيه من ألم الوجد
يفيدك علما أو يزيدك حكمة * وغير حسود أو مصر على الحقد
ويحفظ ما استودعته غير غافل * ولا خائن عهدا على قدم العهد
زمان ربيع فى الزمان بأسره * يبيحك روضا غير ذاو ولا جعد
ينور احيانا بورد بدائع * أخص وأولى بالنفوس من الورد

وأنشد بعض العجم

اذا ما خلا الناس فى دورهم * بخمر سلاف وخود كعاب
وأنسهم فى ظلام الليال * لغير الندامى وزهو الصحاب
خلوت وصحبى كتب العلوم * وبيت العروس بيت الكتاب
ودرس العلوم شراب العقول * فدوروا على بذاك الشراب
وما يجمع المرء فى دهره * سوى العلم يجمعه للتراب

ومن مليح ما يُنشد فى الكتب

اذا ما خلوت من المؤنسين * جعلت المؤانس لى دفترى
فلم أخل من شاعر محسن * ومن علم صالح منذر
ومن حكم بين أثنائها * فوائد للناظر المفكر
وان ضاق صدرى باسراره * وأودعته السر لم يظهر
وان صرح الشعر باسم الحبيب * لم أحتشمه ولم أحصر
وان عدت من ضجره بالهجا * وسب الخليفة لم أحذر
ونادمت فيه كريم المغيب * الندمائه طيب المخبر

فلست

درهم فعاد الصياد ومعه اثنا عشر الف درهم وأمر خسرو مناديا ينادى لا يتدبر احد برأى النساء فانه من تدبر بأيهن وأمر بأمر هن خسر دراهمه ثلاثة

﴿فصل﴾

قال صاحب الكتاب عمارة الدنيا وتناسل بنى آدم بالنساء والعمارة لا تصح بغير رأى ولا تدبير وقيل شاوروهن وخالفوهن ويجب على الرجل الفاضل المتيقظ ان يحتاط فى خطبة النساء وطلاقهن وليزوج البنت لا سيما اذا بلغت لئلا يقع فى العار والعيب ومرض القلب وعلى الحقيقة كل ما نال الرجال

فلست أرى مؤنسا ما حييت * عليه نديما الى المحشر

وأنشد بن حزم لبعض الادباء

ان صحبنا الملوك تاهوا علينا * واستبدوا بالرأى دون الجليس
أو صحبنا التجار عدنا الى الفقر * وصرنا الى حساب الفلوس
فلزمنا البيوت نتخذ الحبر * وغلا به وجوه الطروس
لو تركنا وذاك كنا ظفرنا * من أمانينا بعلق نفيس *
غير ان الزمان أعنى بنيه * حسدونا على حياة النفوس

وأنشد غيره

أنست الى التفرد طول عمرى * فما لى فى البرية من أنيس
جعلت محادثى ونديم نفسى * وأنسى دفترى بدل العروس
قد استغنيت عن فرسى برجلى * اذا سافرت أو نعلى كبوس
ولى عرس جديد كل يوم * يطرح الهم فى أمر العروس
فبطنى سفرتى والخرج جسمى * وهميانى فمى أبدا وكيسى
وبيتى حيث يدركنى مسائى * وأهلى كل ذى عقل نفيس

ولئن كان الناطقون قد وصفوا الجود دوا وقالوا فأبلغوا فلقد قصروا وأجل ممدوح من استقصر فى مدحه المنتهى واستزرق تقريظه المحتفل وكيف لا والكتاب نعم الانيس فى ساعة الوحدة ونعم المعرفة ببلاد الغربة ونعم القرين والدخيل ونعم الوزير والنزيل وعالم ملئ علما وظرف حشى ظرفا واناء ملئ مزاحا وجدا بستان يحمل فى ردن وروضة تنقلب فى حجر هل سمعت بشجرة تؤتى أكلها كل ساعة بألوان مختلفة وطعوم متباينة هل سمعت بشجرة لا تذوى وزهر لا يتوى وثمر لا يفنى ومن لك بجليس يفيدك الشئ وخلافه والجنس وضده ينطق عن الموتى ويترجم عن الاحياء ان غضبت عليه لم يغضب وان سخطت عليه لم يعتب أكتم من الارض وأنم من الريح وألهى من الهوى وأخدع من المنى وأمتع من الضحى وانطق من سحبان وائل وأعيى من باقل هل سمعت بمعلم واحد تحلى بخلال كثيرة وجمع أوصافا غزيرة عربى فارسى هندى سندى رومى يونانى ان وعظ أسمع وان ألهى أمتع وان أبكى أدمع وان ضرب أوجع يفيدك ولا يستفيد منك ويزيدك ويستزيدك ان جد فبسر وان مزح فنزهة قبر الاسرار وحرز الودائع قيد العلوم وينبوع الحكم ومعدن المكارم ومؤنس لا ينام يفيدك علم الاولين ويخبرك عن كثير من أنباء الآخرين هل سمعت فى الاولين أو بلغك عن أحد من السالفين جمع هذه الاوصاف مع قلة مؤنته وخفة محمله لا يرزأك شيأ من دنياك نعم الذخر والعدة والمستغل والحرفة جليس لا يضريك ورفيق لا يملك يطيعك بالليل طاعته بالنهار ويطيعك فى السفر طاعته فى الحضر ان أدمت النظر اليه أطال امتاعك وشحذ طباعك وبسط لسانك وجود بنانك وفخم ألفاظك ان الفته خلد على الايام ذكرك وان درسته رفع فى الخلق قدرك وان حملته نوه عندهم باسمك يقعد العبد فى مقاعد السادة ويجلس السوقة فى مجالس الملوك فأكرم به من صاحب وأعزز به من مرافق وقد قال فيه الاول

* لنا جلساء ما نمل حديثهم * ألباء مأمونون غيبا ومشهدا
يفيدوننا من علمهم علم ما مضى * ورأيا وتأديبا وعقلا مسددا
بلا فتنة تخشى ولا سوء عشرة * ولا نتقى منهم لسانا ولا يدا
فان قلت أموات فما أنت كاذب * وان قلت أحياء فلست مفندا

فهذا ما أردنا أن نمليه فى هذا الكتاب فاكتبوا ان شئتم انفاسه ان كانت الانفاس مما يكتب

من البلاء والهلاك والمحن فبسبب النساء كما قال الشاعر

من فتنة النسوان قد * يعصى الفتى الـرحمن أو يخشى من الشيطان
اللص لولاهن لم يك بائعا * للروح منه بأرخص الاثمان
و بهن قرع آدم مع يوسف * فى محكم التنزيل بالعصيان
ولذاك هاروت ببابل منكس * ومعلق بالشعر جداعانى
مجنون عامر هام من حب النسا * فى السند دب عجائب النسوان
كل البلا منهن يأتى والوفا * منهن لا يأتى مع الازمان

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله الذي أنار قلوب هذه الأمة بسراج الحكمه وأنقذهم برعاة الهدى وعلماء الملة من أوشال الظلمه والصلاة والسلام على سيدنا محمد امام الانام وعلى آله وأصحابه قدوة العاملين ونجوم الاسلام ﴿أما بعد﴾ فيقول الواثق بالله أحمد بن مفتاح قد تم هذا الكتاب الملقب بسراج الملوك وهو كتاب أسفر عن بدائع الغرر ومخبآت الفرائد ومحاسن النصائح وأعرب عن سعة اطلاع مؤلفه في بابه حتى أقر له العلامة ابن خلدون في مقدمته بتقدمه عليه وغزارة حكمه الشاسعة المرمى المصيبة الغرض وهو وان لم يكن كبير الجسم فهو كثير الفائدة سهل التناول عذب المذاق يغني طالبه عن مزاولة كتب شتى ومراجعة أسفار عديدة وكفى به دليلا هاديا ونبراسا نافعا أخذ بطرفي التاريخ والنصيحة وسبق بكلامي العلم والادب وبالجملة فهو الكتاب الذي قل ان يثار خلفه غبار أو يجري معه في مضمار أو يخضد شوكه أو ينفر طيره أو يستباح حماه لاسيما وقد رقت طرره ووشيت صفحاته بكتاب التبر المسبوك للعلامة حجة الاسلام أبي حامد الغزالي وهو كتاب نهج منهجه حقا وسبيلا صدقا واتحد مع السراج في مطالب كثيرة ومقاصد متنوعة فهما كما قيل

(رضيعا لبان ثدي أم تحالفا ٭ بأسحم داج عوض لا نتفرق)

وقد ترقى بهما التصحيح تحقق فوقهما راية التهذيب وتحدد وهما يد التنقيح لاسيما وقد اعتضد على ذلك بالعالم الفاضل والصالح المهذب الاستاذ الشيخ محمد طموم من علماء الجامع الازهر وكان ذلك بالمطبعة الخيريه المنشأة بجمالية مصر المعزيه على ذمة صاحبيها الفاضلين

حضرة السيد عمر حسين الخشاب وحضرة السيد محمد عبد الواحد

الطوبي ووافق تمام طبعه يوم الخميس الثاني عشر من

شهر رجب عام سنة وثلثمائة وألف من

هجرة سيد المرسلين صلى الله عليه

وعلى آله وأصحابه

أجمعين

Reference: 12964. Copyright for this page: Creative Commons Attribution Licence

View on the Qatar Digital Library: http://www.qdl.qa/en/archive/qnlhc/12964.91

Reference: 12964. Copyright for this page: Creative Commons Attribution Licence

View on the Qatar Digital Library: http://www.qdl.qa/en/archive/qnlhc/12964.92

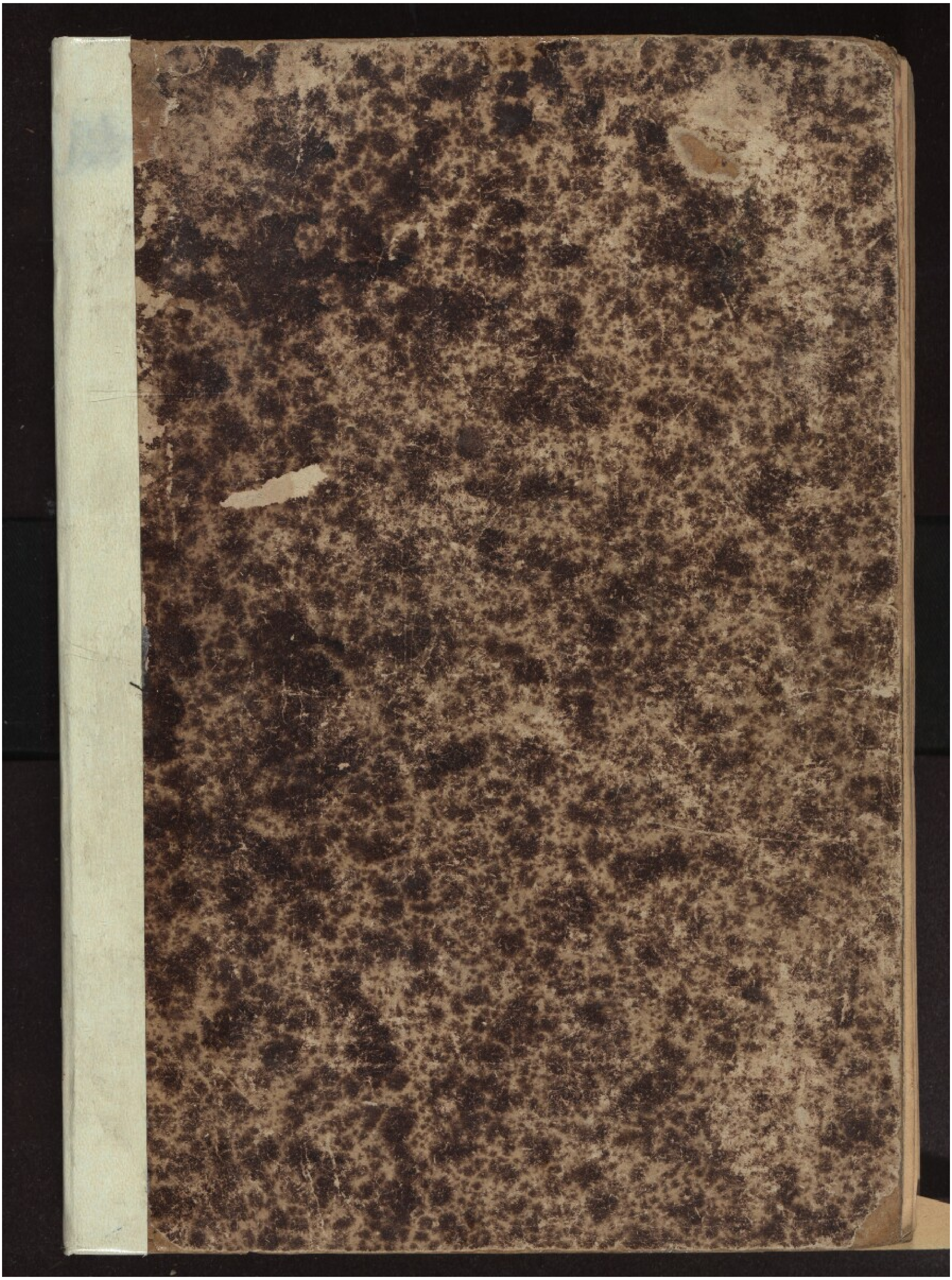

Reference: 12964. Copyright for this page: Creative Commons Attribution Licence

View on the Qatar Digital Library: http://www.qdl.qa/en/archive/qnlhc/12964.93